دروسٌ في تاريخ الأديان

حسين التوفيقي

تعريب

أنور الرّصافي

مركز المصطفى العالمي للدراسات والأبحاث

مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر


بسم الله الرحمن الرحیم

مركز المصطفى ﷺ العالمي للدراسات والأبحاث

سرشناسه: توفيقی، حسين، ١٣٣٠ -
عنوان و نام پديدآور: دروس في تاريخ الاديان/ تاليف حسين توفيقی؛ تعريب انور الرصافي.
مشخصات نشر: قم: جامعة المصطفى ﷺ العالمية، ١٤٣٠ق.= ١٣٨٨.
شابک: ٩٧٨-٩٦٤-٨٩٦١-٣٠-٠
مرجع توليد: مركز المصطفى ﷺ العالمي للدراسات والأبحاث
يادداشت: عربی.
يادداشت: چاپ دوم.
يادداشت: چاپ پنجم: ١٣٩٣(فيپا).
يادداشت: چاپ ششم: ١٣٩٧(فيپا).
موضوع: اديان
موضوع: اديان -- تاريخ
شناسه افزوده: رصافي، انور، ١٣٤٢، مترجم
شناسه افزوده: جامعة المصطفى ﷺ العالمية.
مركز بين‌المللی ترجمه و نشر المصطفی ﷺ
رده‌بندی کنگره: BL ٨٠/٢/ت٨٥آ٥٠٤٣ ١٣٨٨
رده‌بندی ديويی: ٢٩١
شماره كتابشناسی ملی: ١٩٢٨٨٣٢



دروسٌ في تاريخ الأديان

حسين التوفيق

تعريب:

أنور الرصافي



مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي
للترجمة والنشر

دروسٌ في تاريخ الأديان

المؤلف: حسين التوفيقي

تعريب: أنور الرصافي

الطّبعة السادسة: ۱۴۴۰ق / ۱۳۹۷ش

النّاشر: مركز المصطفى ﷺ العالمي للترجمة والنشر

■ المطبعة: نارنجستان ■ السّعر: ۴۲۰۰۰۰ ريال ■ الكمية: ۵۰۰ نسخة

مراكزالتوزيع:

➢ إيران؛ قم، مفترق الشهداء، شارع معلم الغربي (شارع الحجّتية)، زقاق ۱۸.
هاتف: ۳۷۸۳۶۱۳٤ ۲۵ ۹۸+ فاكس:(الرقم الداخلي۱۰۵)/۳۷۸۳۹۳۰۵ ۲۵ ۹۸+

➢ إيران؛ قم، شارع محمّد الأمين، تقاطع سالاريّة. هاتف: ۳۲۱۳۳۱۰٦ ۲۵ ۹۸+

http://buy-pub.miu.ac.ir @pub_almostafa

نشكر أعضاء المركز الذين تابعوا مراحل الطبع والنشر حتى مراحله الاخيرة.

■ مدير مركز النشر: السيّد أباذر الهاشمي هريكندني
■ مدير الإنتاج: جعفر قاسمي ابهري
■ المشرف الفني: محمد باقر شكري
■ مصمم الغلاف: مسعود مهدوي
■ المشرف على الطباعة: نعمت الله يزداني

كلمة المكتب

إنّ انتعاش المراكز التعليمية رهن نظام تعليمي دقيق، ثابت و مجرّب، و تشكّل البرامج التعليمية و المناهج الدراسية و الأساتذة، عموده الفقري.

إنّ فاعلية البرامج التعليمية تكمن في تجاوبها مع متطلّبات العصر، و توافر الإمكانات، و مؤهّلات الطلّاب. كما أنّ تقويم المناهج الدراسية يعتمد إلىٰ حدّ كبير علىٰ طرحها لآخر المنجزات العلمية بأحدث الأساليب المتبعة في التربية و التعليم.

هذه المراكز بحاجة ماسّة إلىٰ التقويم الدائم، و إعادة النظر في مناهجها الدراسية، و تجديدها بأرقىٰ الأساليب وفق آخر ما وصلت إليه التقنيات العلمية، بغية الحفاظ علىٰ مستوىٰ نشاطها العلمي.

إنّ حوزات العلوم الدينية التي تقع علىٰ عاتقها مهمّة إعداد علماء الدين و نشر المبادىء الإسلامية، غير مستثناة من هذه القاعدة باعتبارها من مؤسسات التعليم الديني.

و من حسن الحظّ، فإنّ الحوزات العلمية ـ وببركة الثورة الإسلامية العظيمة بقيادة الإمام الخميني ﷺ ـ أخذت منذ سنوات عدّة في التفكير جدّياً في إصلاح نظامها التعليمي، و تجديد النظر في مناهجها الدراسية.

و انطلاقاً من الشعور بالمسؤولية، قامت جامعة المصطفىٰ ﷺ العالمية ـ التي تمثّل جزءاً من هذه المجموعة، و تضطلع بمهمّة تعليم الطلّاب ـ قبل غيرها من سائر المؤسّسات التابعة للحوزة، بإنشاء «**مكتب التخطيط و تقنية التعليم**».

هذا المكتب مع تثمينه للجهود المضنية التي بذلها العلماء في سبيل التجاوب مع هذه الحاجة، واقتطافه ثمار نتاجاتهم العلمية، سعىٰ إلىٰ تنظيم المناهج الدراسية وفق برامج جديدة مستوحاة من الأساليب التعليمية المعتمِدة علىٰ آخر المنجزات العلمية. و قد حقّق نجاحاً واضحاً في إعداد مناهج دراسية حديثة، بفضل جهود علماء و باحثين، لهم خبرة في مجال المطالعة و التحقيق، و بذلك يكون قد خطىٰ الخطوات الأولىٰ في هذا المضمار.

هذا من جانب، و من جانب آخر: ما إن وضع البشر أقدامهم علىٰ عتبة القرن الحادي و العشرين حتىٰ راحت الاتصالات تسخر العالم، و أخذت الكتب و الصحف و أجهزة الكمپيوتر و التلفاز و الأفلام و الأقمار الصناعية، و سرعة التنقّل، توثق الأواصر بين الناس، و تؤكد الصلات بينهم بهدف انتخاب أفضل الأساليب للحياة.

إنّ إحدىٰ منجزات عصر الاتصالات، هي الوقوف علىٰ العقائد الدينية للجماعات البشرية، الآن و بعد انهيار سدود العزلة المنيعة، تيسّر لزعماء الأديان و المذاهب مدّ جسور الحوار بينهم للوصول إلىٰ تفاهم مشترك، الأمر الذي سوف يترك بصماته علىٰ أتباع الديانات من أجل الوصول إلىٰ التعايش السلمي، و احترام حق الآخرين في الحياة.

إنّ فتح باب الحوار لم يكن غريباً علىٰ من استقىٰ من نبع الإسلام العذب، بل هو النهج الذي سار عليه الأنبياء، لاسيما نبي الإسلام ﷺ و أهل بيته الطاهرين عليهم السلام و تشهد عليه المصادر الاسلامية.

ولأجل ذلك كلّه، قد ارتأىٰ مكتب التخطيط و تقنية التّعليم تعريب كتاب «**آشنايى با اديان بزرگ**» ـ الّذى ألّف باللّغة الفارسية ـ لغرض اطّلاع الطلّاب و روّاد العلم علىٰ

تاريخ الأديان و لتعمّ الفائدة بعد أن أمضىٰ دورات تطبيقية من التدريس إثر طبعه و نشره باللّغة الفارسية، و بعد إضافة ما أتحفنا به الأساتذة من نظرات سديدة حياله.

بيد أنّ المؤلّف الكريم أحجم في هذا الكتاب عن البحث في الدين الاسلامي، لمعرفة القرّاء الكرام الواسعة به، فيصبح الخوض فيه علىٰ هذا المستوىٰ غير مجدٍ لهم. كما أنّه أضاف: «إنّ الموضوعات المطروحة هنا عامة، ولاتدعو الحاجة للإشارة إلىٰ مصادرها في الهوامش، من هنا آثرنا الإكتفاء بتذييل الأقسام بمصادر محدودة للبحث، لأن سردها برمّتها خارج عن عهدة هذا الأثر».

و في الختام لا يفوتنا إلاّ أن نتقدّم بالشكر الجزيل و الثناء الوافر لسماحة الأستاذ الشيخ **حسين التوفيقي** ـ حفظه الله ـ علىٰ ما بذله من جهوده في سبيل تأليف هذا الكتاب، و الأستاذ **أنور الرّصافي** لما قام به من عمل دؤوب في تعريبه؛ راجين لهما من الله سبحانه دوام التوفيق و السّداد.

هذا الكتاب نضعه بين يدي الباحثين، آملين أن لايضنّوا علينا بآرائهم الصائبة، فمن الواضح بمكان أنّ بدايات أيّ مشروع لاتكاد تخلو من زلّات و هفوات.

جامعة المصطفىٰ ﷺ العالمية
مكتب التخطيط و تقنية التّعليم

الفهرس

١
الكليٰات

١. تعريف «الدين»، «المذهب»، «الملة» و «الشريعة»

مع تقدّم العلوم عُلِمَ أنه من المتعذّر إعطاء تعريف كامل لظاهرة من ظواهر العالم، لأن التعريف ينبغي أن يكون جامعاً مانعاً، يعني أن يضمّ في طيّاته كافّة مصاديقه و أن يمنع عن حوزته دخول الأغيار.

و كان الرأي السائد في الماضي يذهب إلىٰ إمكانية طرح تعريف جامع مانع. إلّا أنّ تعريفاً كهذا بدأ اليوم عزيز المنال، فأغلب التعاريف تسلط الأضواء علىٰ زوايا خاصة من الموضوعات.

ثمّ إنّ بعض الموضوعات يتيسّر تعريفه خلافاً لبعض آخر، حيث يصعب إبداء تعريف له.

و يُعدّ **الدين** من جملة الموضوعات التي يصعب وضع تعريف لها، ويعود ذلك إلىٰ التنوع الهائل للأديان في المجتمعات البشرية.

وقد بذل العلماء ما في وسعهم بغية الحصول علىٰ وجوه مشتركة لتعريف الأديان، و لكنّ النجاح لم يحالفهم، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ وضع تعاريف لاحصر لها للدين، تفتقد جميعها إلىٰ الجامعية و المانعية.

فقد قيل في **تعريف الدين**: انه الاعتقاد بأمر مقدّس و قيل: هو الإيمان بموجودات روحانية، و قيل: إنالدين عبارة عن الاعتقاد بقوة أو قوىٰ فوقالبشرية، ينبغي إطاعتها و عبادتها.

إنّ اصطلاح «الدين» أو «الأديان» في هذا الكتاب فيطلق علىٰ الأديان كافّة، سواء أكانت صحيحة أو منسوخة، محرّفة أو مجعولة، قال سبحانه و تعالىٰ في حقّ الكافرين: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.[1]

المذهب؛ أطلق اصطلاح المذهب في الماضي علىٰ المدارس الفكرية السائدة في داخل الدين الواحد (من قبيل المذاهب الأربعة أو الخمسة في الفقه الإسلامي) إلّا أنّ اصطلاح «Religion» أخذ في الغرب بالتوسّع حتىٰ راح يطلق علىٰ المدارس داخل منظومة الدين الواحد، و علىٰ الدين نفسه. هذا الاصطلاح بالمعنى الجديد تناقله دعاة التجديد في بلادنا منذ نصف قرن، حتىٰ أصبح يستخدم في كلا المعنيين.

الملّة؛ و تعني لغةً: الطريقة أو الشريعة في الدين، واصطلاحاً: مجموعة الديانات التوحيدية، ففي علم الكلام الإسلامي يُعرف أتباع الديانات التوحيدية بالملّيين، كما يُطلق المرتدّ الملّي علىٰ من أسلم من أهل الكتاب ثمّ ارتدّ. و خصّ علماء الإسلام اصطلاح الملة بالإسلام أيضاً. و منذ قرن مضىٰ أصبحت كلمة «الملة» في اللغة الفارسية تطلق علىٰ الشعب، و يبدو أن هذا الاستعمال سرىٰ إليها من اللغة التركية.

و **الشريعة**؛ وتعني الأحكام و القوانين السماوية، و تطلق أحياناً علىٰ الدين.

٢. الدين او الاديان

حري بنا نحن ـ المسلمين ـ ان لانستعمل تعبير الاديان محل الدين تبعاً للذكر الحكيم، فان الاسلام لايُفضل هذا التعبير، ولكن لابد من القول ان عدم ورود مصطلح الاديان في القرآن الكريم لايوجب علىٰ أحد من اتباع ذلك الكتب الالهي تكليفاً لاسبلب عديدة:

---

١. الكافرون، ٦.

١. قد تكرر مصطلح النور في القرآن الكريم مفرداً، في حين تكرر مصطلح الظلمات جمعاً، دون ان يلقي ذلك تكليفاً علىٰ عاتق المسلمين.

٢. اشار القرآن الىٰ تعدد الاديان عندما خاطب الكافرين، بقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.[1]

٣. ورد تعبير الاديان في كثير من الاحاديث وكلمات فطاحل علماء الاسلام.

٤. لم يُعر علم الاديان أهمية لوحدة الدين مما أدىٰ الىٰ استخدام مصطلح الاديان بنحو الجمع للدلالة علىٰ التنوع الهائل في العقائد الدينية لسكان العالم.

لذا يطلق مصطلح الدين او الاديان في هذا الكتاب الذي بين يديك علىٰ المذاهب كافة سواء أكانت صحيحة أم منسوخة أم محرفة، وسواء أكانت حقة ام باطلة.

٣. الدين عند علماء الاجتماع

إذا ما قيس الدين بالطب مثلاً، فسرعان ما نصل إلىٰ النتيجة التالية: و هي أن الدين أمر اجتماعي والطب موضوع فردي.[2]

و يرىٰ علماء الاجتماع أنّ الدين مؤسّسة اجتماعية. و لأجل هذا تناولوه بالبحث و الدراسة، خلافاً لعلم الطب الذي نأوْا بأنفسهم عنه.

و ما أثار اهتمامهم من مبحث الدين هو جانبه العلمي، فالعلوم في الماضي كانت ذات صلة وثيقة بماوراء الطبيعة، هذه الصلة أسفرت عن ظهور ما يسمّىٰ بالعلوم الغريبة، و حالت دون ظهور علوم أخرىٰ كعلم الاجتماع. و العلوم الغريبة (كالكيمياء مثلاً) تعذر وصفها و تبيينها، و تمحّضت لاقتراح أساليب كانت تدّعي أنّها توصل إلىٰ نتايج معيّنة. و قد سادت الذهنية الفكرية قديماً روحُ الكتمان و الخفاء، لذا كان طبيعياً

---

١. الكافرون، ٦.

٢. و نظراً للعلاقة الوثيقة بين الفرد و المجتمع فإنه يمكن أن يقال: أن كل موضوع فردي فهو إجتماعي، وكل موضوع اجتماعي فهو فردي.

أن لايبرز علم الاجتماع ـ الذي استهدف توضيح الظواهر ـ ومنذ أواخر القرون الوسطىٰ بدأت نغمة فصل العلم عمّا وراء الطبيعة بالظهور في الغرب، و أخذ نطاقها يتّسع حتى شمل معظم أرجاء العالم.

من هنا، لايستغرب كثيراً عندما يتحدّث علماء الاجتماع عن الدين، فإنهم لم يعيروا أهمية لجانبه السماوي، زعماً منهم أنه من مصنوعات الذهن البشري، ومرحلة متكاملة من السحر، التجأ إليه من أجل تأمين الحاجات المعيشية، لأن النظرة العلمية تتلخّص في أنّ الحوادث التي لها صلة بالسماء يمكن تفسيرها و توضيحها بعيداً عن الغيب.

و يرىٰ علماء الاجتماع أن الدين في مراحله الأولىٰ يشبه السحر الإبتدائي إلىٰ حدّ كبير، لان الساحر و المؤمن يسعيان بأساليبهما لتسخير الوجود، و توفير الراحة و الدعة. فالساحر و المؤمن يبغيان الاستجابة لما يمليه القلب و ما يحقق أمانيهما، فيرفعان أيديهما بالدعاء و يستمدّان العون من القوىٰ المنشودة، مع فارق أنّ الأول يبحث عن القوة التي يستمدّ منها العون في الطبيعة، و الثاني يؤمن أنّها في ماوراء الطبيعة.

و ثمّة فارق آخر، هو أن الأول يتصرّف في الطبيعة لحيازة القوىٰ المحيطة به، و يسعىٰ لإخضاعها لرغباته، في حين أنه لاسبيل أمام الثاني سوى التضرّع من أجل الحصول علىٰ رضا هذه القوىٰ الغيبية.

فالساحر يؤثر في القوى الطبيعية، و يطلب منها الانصياع، أما المؤمن فهو يستنجد بالقوىٰ الغيبية لتدفع عنه عاتية القوىٰ الطبيعية.

ان الساحر و المؤمن كلاهما يطلبان معاضدة القوىٰ الطبيعية، لكن الأول ينطلق من مقام الأمر، بينما ينطلق الثاني من موقع الاسترحام.

٤. مراحل الدين

يتفق العلماء مع أتباع الديانات علىٰ أن الدين كسائر الظواهر الأخرىٰ يتكامل، غير أن أصحاب الديانات يعتقدون أن مراحل الدين تتكامل كتكامل المراحل الدراسية، في

حين يرى العلماء أن الدين بدأ من السحر و عبادة الطبيعة و الشرك، و ختم بالتوحيد، و قد لفتَ انتباههم إلىٰ ذلك وجود أنواع من الأديان البدائية في نقاط بعيدة و نائية من العالم.

٥. فائدة علم الأديان

إن الدافع الأساسي وراء دراسة أيّ موضوع و تحليله، هو الاستجابة لغريزة التحري و البحث عن الحقيقة، فأنت ترى العلماء يتعمّقون في دراسة الظواهر، دون أن يكون هدفهم جنّي الأرباح الاقتصادية أو المنافع المادية، نعم إن أسفرت عن نتائج مطلوبة، حينها تُستثمر منافعها الاقتصادية، و بهذا الدافع يُفسَّر تعاون الدول و تشجيعها لعلمائها الذين يخوضون غمار التحقيق باندفاع و شوق دون ان يعلموا ان ابحاثهم ستثمر عن نتائج ام لا.

إن الباحث في تاريخ الأديان يستفيد من بحثه في سائر العلوم الانسانية، نظراً للصلات الوثيقة التي تربط بينها، و تتأكد هذه الصلة في العلوم المتشابهة. والدين ـ كظاهرة عاشت مع الانسان منذ أن ظهر علىٰ وجه البسيطة ـ احتلّ أهمية خاصة عند أهل التحقيق بعد اتضاح تأثيره البالغ علىٰ حياة البشر، و دوره الهام و الواضح في نمو و نضوج العلم و الفن.

و الفائدة الأخرىٰ المترتبة علىٰ البحث في تاريخ الأديان، هي تعزيز العلاقات بين المجتمعات المختلفة. من هنا تعمد الدول الكبرىٰ و بغية إحكام سيطرتها علىٰ الدول الصغيرة إلىٰ الاتصال بالمستشرقين للاستفادة من خبرتهم بعقائد الشعوب و نظمهمالروحية.

و إضافة إلىٰ ما سبق، فإن البحث في تاريخ الأديان يوفّر منفعة معنوية لأصحاب الديانات أنفسهم، و يضفي عمقاً لاعتقاداتهم الدينية، حيث يتيح لهم الفحص و التنقيب عن الثغرات و الانحرافات التي تعتري الأديان الأخرىٰ، بغية اثبات صحة مااعتقدوه من دين.

كما أن الخوض في تاريخ الأديان يفسح المجال للوقوف علىٰ العقائد الدينية للشعوب، الأمر الذي يُيسّر سبل هدايتها إلىٰ الصراط السوي، و اطلاعها علىٰ ما يلمّ بعقائدها من نقائص.

٦. تصنيف الأديان

يمكن تصنيف الأديان من جهات مختلفة إلىٰ الأصناف التالية:

آ) الأديان البدائية (كما هو السائد بين الأقوام البدائية)، الأديان القديمة (كالأديان البائدة في الشرق الأوسط)، و الأديان الجديدة (كالأديان الكبيرة المعاصرة).

ب) الأديان البسيطة (كالأرواحية، و الطوطمية، و الفتشية)، و الأديان الفلسفية (كالهندوسية، و البوذية، و الكونفوشيوسية)، و الأديان الوحيانية (مثل الزرادشتية، و اليهودية، و المسيحية، والإسلام).

ج) الأديان السامية (كاليهودية، و المسيحية، و الإسلام)، و الأديان الآرية (مثل أديان إيران القديمة، والهند، و الروم، و اليونان القديم). و أديان الشرق الأقصىٰ (كالكونفوشيوسية، و الطاوية، و الشنتو).

د) الأديان الشرقية (كالهندوسية، و البوذية، و الشنتو)، و الأديان الغربية (كاليهودية، و المسيحية، و الإسلام).

و ثمّة تصانيف أخرىٰ ذكرت في المصادر المختصة بتاريخ الأديان.

٧. درجات الاديان

ان البحث عن الاختلافات الطارئة علىٰ الاديان يتم عبر زوايا مختلفة، وتعتبر العوامل التالية من مزايا أي دين:

١. ثمة اتباع كثيرون لبعض الاديان، هذه الميزة ملموسة للعيان، وبالطبع فان الحصول علىٰ احصاءات دقيقة في هذا المجال أمر صعب، ذلك لانه (اولاً) تختلف

درجات الالتزام بكل دين بين من ينتسب اليه حقيقة، وبين من ينتمي اليه أسمياً،مما يزيد الامر تعقيداً حين الاحصاء (ثانياً) ان استفسارات الخبراء المعنيين بالاحصاء حول الدين تعتبر من مصاديق تفتيش العقائد في العصر الحاضر (ثالثاً) كل الاديان او بعضها محظورة في بعض بقاع العالم مما يحول دون الاستفسار عنها.

٢. ثمة تبليغ لبعض الاديان.

٣. تختص بعض الاديان بدول متقدمة ثقافياً وتاريخياً وسياسياً واجتماعياً وعلمياً واقتصادياً وعسكرياً.

لاشك ان الاسلام من الاديان المعروفة في العالم بما له من اتباع كثيرين وتبليغ وموقع جغرافي متميز للبلدان الاسلامية، اضافة الىٰ حيازتها علىٰ مصادر عظيمة من الطاقة،كما حازت المسيحية شهرة واسعة بفضل وجود التبشير واعتناق الغرب المتقدم لها، وبالتأكيد فان الشهرة لاتمت الىٰ الأحقية بصلة، ناهيك عن ان الغرب يعزو ما بلغه من تقدم علمي هائل الىٰ العزوف عن الدين.

٨. دين محلي وغير محلي

تعتبر بعض اديان العالم محلية وبعضها الاخر غير محلية، فالهندوسية، والجينية، والسيخية من الاديان المحلية لسكان الهند، والبوذية من الاديان غير المحلية رغم انها تأسست في الهند الا انها زحفت نحو الصين واليابان وجنوب شرق اسيا، كذلك الديانة الزرادشتية من الاديان المحلية لسكان إيران ومن ثم انتشرت اثر هجرة الزرادشتيين الىٰ الهند، واليهودية انتشرت مع بني إسرائيل في العالم وفي الوقت الحاضر فان طائفة منهم قد استوطنت فلسطين المحتلة، والمسيحية ليست من الاديان المحلية بل اجتاحت عدة شعوب منذ البداية، والاسلام دين محلي لسكان الحجاز، وغير محلي لسكان إيران والعراق والشام ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان واثيوبيا والصومال واسيا الوسطىٰ وتركيا وافغانستان وباكستان والهند وبنغلادش وماليزيا واندونيسيا واصقاع اخرىٰ.

٩. التدين في العصر الحاضر

كان يراود ثلة من المفكرين ـ منذ عقود قريبة ـ حلم اضمحلال الاديان، ولكن هذا الحلم لم يتحقق علىٰ ارض الواقع قط، بل علىٰ العكس فقد ظهر موج من الاقبال المتزايد للشعوب نحو المعنويات في العالم المعاصر، وقد تجلىٰ هذا الموج بانحاء مختلفة في شرق العالم وغربه، ففي الغرب ظهرت ميول نحو المعنوية والعرفان، وفي الشرق تبلورت اتجاهات نحو احياء الاديان المحلية كما برزت بوادر التعصب، الذي يلعب دوراً هاماً في الحفاظ علىٰ هوية الاديان والشعوب.

من هنا، نلمس درجات من التعددية الدينية في انحاء العالم حيث تتنافس الاديان فيما بينها لاظهار دعمها للتعايش السلمي.

١٠. كل و لاشيء

«كل ما في ديننا فهو في سائر الاديان، و لاشيء مما فيه حاصل في الاديان الاخرىٰ»، هذه العبارة تبدو لاول وهلة منطوية علىٰ تناقض (Paradoxical) وتكشف ان هواجس الاديان مشتركة الا ان الاختلاف بينها يكمن في المصاديق والجزئيات.

الخلاصة

آ) يتعذّر إعطاء تعريف دقيق و جامع للدين.

ب) الدين عند علماء الاجتماع عبارة عن مرحلة متكاملة من السحر، التجأ إليه الانسان من أجل تأمين الحاجات المعيشية، لأن النظرة العلمية تتلخص في أن كل ما ينزل من السماء يمكن تفسيره و توضيحه.

ج) يعتقد أصحاب الديانات أن مراحل الدين تتكامل كتكامل المراحل الدراسية، في حين يرى الباحثون أن الدين بدأ من السحر، و ختم بالتوحيد.

د) لتاريخ الأديان فوائد جمّة، منها: الاستجابة لحبّ البحث عن الحقيقة، و الانتفاع به في سائر العلوم، و تعزيز العلاقات بين المجتمعات، و إضفاء عمق للاعتقادات.

هـ) يمكن تصنيف الأديان من زوايا مختلفة إلىٰ أصناف عديدة.

الاسئلة

١. ما هو تعريف الدين، المذهب، الملة و الشريعة؟

٢. اذكر مراحل الدين عند علماء الاجتماع؟

٣. ما هي فوائد البحث في تاريخ الأديان؟

مصادر البحث

١. الياد. م، من البدائيين الىٰ زن، لندن، ١٩٦٧.
٢. الياد. م، انماط من الديانة المقارنة، لندن، ١٩٧٩.
٣. براندون. س، قاموس الديانات المقارنة، لندن، ١٩٧٠.
٤. بروس. ف، الكتاب المقدس والتقاليد المقدسة، مانشستر، ١٩٦٨.
٥. زينهر. ب، دائرة المعارف الموجزة للعقائد الحية، لندن، ١٩٧٧.
٦. سمث، همستوث، ديانات الانسان، نيويورك، ١٩٦٥.
٧. شلبي، احمد، مقارنة الاديان، ط الحادية عشرة، القاهرة، ١٩٩٦.
٨. فود. و، مسألة الانسان الدينية، لندن، ١٩٧٨.
٩. لينغ. ت، تاريخ الاديان، شرق وغرب، نيويورك، ١٩٧٠.
١٠. مور. أ، أيقنة الاديان، لندن، ١٩٧٧.
١١. نوس. ج، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢.
١٢. هاستنجز. ف، دائرة معارف الاديان والاخلاق، نيويورك، ١٩٦١.
١٣. هينلز. ج، قاموس الديانات المقارنة، لندن، ١٩٧٠.
14. Sharma, Arvind (ed), our Religions, New york: Harpercollins Publishers, 1993.

٢
الأديان البدائية

١. الدين عند الإنسان البدائي

يرى الباحثون في العلوم الإنسانية، أنّ الدين ظهر منذ عصر مبكّر في النزوع إلىٰ عبادة الطبيعة، وقد شوهدت اليوم نماذج من هذا النزوع عند جماعات بدائية تقطن في بقاع بعيدة و نائية من العالم، و تـجلّىٰ فـي تـعظيم القـوى الطـبيعية و اسـتمداد عـطائها و إحسانها. و تؤدّي الجماعات البدائية في عصرنا الحاضر طقوساً دينية خاصة، يرتدون خلالها ملابس عجيبة و غريبة، و يضعون أقنعة علىٰ الوجوه، و ينتظمون في رقصات معيّنة، ملتمسين في ذلك العون من القوىٰ الطبيعية، فتراهم مثلاً يـخاطبون السـحابَ بـإنزال المـطر، و الأنـهارَ و الجـداول بـإرواء الأراضـي المـجدبة بـعيداً عـن طـغيان الفيضانات، و الأرض بالخصوبة، و المزارعَ بالبركة في المحاصيل، و أمثال ذلك.

٢. العناصر المشتركة للأديان البدائية

علىٰ الرغم من انتشار الأديان البدائية في العالم، و صعوبة العثور علىٰ صلة تجمعها، إلّا أنّ الغريب حقاً هو أنّ تلك الأديان تتشابه في معتقداتها، و يمكن تلخيص عـناصرها المشتركة علىٰ النحو التالي:

١ ـ٢. الله و الآلهة

لابد أن يُعلم أن أصحاب الديانات يؤمنون بإلٰه عظيم ذي علم و قدرة غير متناهيتين، و هو فوق تصوّر البشر، و إذا ورد في النصوص الدينية خلاف ذلك فلابدّ من تأويله.

و قد أشار القرآن الكريم إلىٰ أن المشركين كانوا يؤمنون بالله، و هو من الجلالة و العظمة و التنزيه و التقديس بمكان، بحيث يصبح و كأنه بمنأىٰ عن العالم المادي، و من هنا يجب ـ في اعتقادهم ـ التوسّل بالأرباب و الشركاء الذين أوكل إليهم مهمّة تدبير العالم، و الرجوع إليهم بدلاً عنه، و هذا يشبه إلىٰ حدٍّ كبير الرجوع إلىٰ الأسباب التي توفّر حاجاتهم المعيشية، و قد زيّف الأنبياء والرسلعليهم السلام هذا الاعتقاد، وأكدوا أنه لاحيلة و لاقدرة للشركاء حتىٰ يُتوسل بهم.

و دلّ التاريخ علىٰ أنّ الشرك بالله ظهر منذ عصور سحيقة في القدم، و في العصر الحاضر فإن ما يقرب من نصف سكان المعمورة من هندوس و بوذية و شنتو و أديان بدائية ما زالوا يعبدون الأوثان.

و يرىٰ علماء الاجتماع أن ظهور الشرك مقدّم علىٰ التوحيد، و لكن أصحاب الديانات التوحيدية ينكرون بشدّة هذه الفرضية، و يؤكدون أن الشرك هو الزيغ عن جادة التوحيد.

و تزعم بعض الأديان أنّ الالهة تجلّت للإنسان عبرالتاريخ، و ما الأوثان إلّا رموز لها، و هي بذلك لا تعتقد بأن الأنبياء رسل الله إلىٰ البشر.

٢ ـ٢. عبادة السلف

أسفر الخوف من الموت عن ظهور خرافات سادت أوساط الجماعات البدائية التي كانت تذعن بوجود ارتباط بين الأموات و الأحياء، و قد ساور الخوف من رجوع الأموات بعض الجماعات قديماً، ممّا اضطرّها إلىٰ تقييد الأموات بالحبال، و إحكام القبور، للحيلولة دون عودتهم مرّة أخرىٰ إلىٰ الحياة. هذه المعتقدات تبدّلت تدريجياً

إلىٰ عبادة السلف التي تجسّدت في الأوثان، و سادت في عصور مختلفة معظم أرجاء العالم، و تتجلّي مظاهرها اليوم في بقاع كاليابان.

٣ ـ ٢. السحر

إن السحر في الأديان البدائية يختلف عما نتصوّره، ففي تلك الأديان يُعدّ السحر طقوساً تقام لأجل الاستمداد من قوىٰ الطبيعة والاستعانة بها، و يدير دفتها السحرة الذين لايتميزون عن الآخرين في العلم بل بحلول قوىٰ دفينة فيهم كما يعتقد بذلك الناس، و يستغل السحرة تلك القوىٰ لمعالجة المرضىٰ، و يُطلق علىٰ هذا الصنف من السحرة اسم (**شامان**) Shaman؛ كما يمارس السحرة الرياضة في عزلة، و يَسِمون أجسادهم بعلامات.

٤ ـ ٢. نحر القرابين

اختلف نوع القرابين المهداة إلىٰ الالهة بين الأقوام، فمن إراقة الماء أو الشراب و إهداء الزهور و المحاصيل إلىٰ ذبح الحيوانات و الأطفال و النساء، مروراً بإلقاء الأطفال في النار، و كان يُلجأ أحياناً ـ و للحيلولة دون انخفاض عدد النفوس ـ إلىٰ الإغارة علىٰ بلاد أخرىٰ لجلب الأسرىٰ، و ذبحهم كقرابين أمام الالهة.

و ثمّة نوع آخر من القرابين راج بين مختلف الأقوام يُطلق عليه قرابين العفة، حيث تُمارس الدعارة احتراماً للأصنام (Hierodouleia).

إهراق الجرعة نوع آخر من القرابين التي كانت جزءاً من مراسم الاحتفال بتعاطي الشراب، و جاء ذكره في التوراة[١] و في الشعر العربي:

شربنا و أهرقنا علىٰ الأرض جُرعةً   فللأرض من كأس الكرام نصيبُ

و قد نُسخ اتخاذ الانسان كقربان في العصور اللاحقة، و بقي منحصراً في

١. الخروج: ٤٩ / ٤١ و موارد أخرىٰ.

الحيوانات، إلّا أنه ظلّ يمارس إلى عصر قريب من عصرنا. أما في العصر الحاضر فإن قوانين البلدان تمنع القيام بمثل هذا الفعل الشنيع، و لكن لم تزل بين الحين و الآخر ترد أخبار من مناطق نائية في الهند و بقاع أخرى مفادها أن وثنياً ذبح ابنه بعيداً عن أعين الشرطة قرباناً للآلهة، أو أنه كاد يفعل ذلك لولا منع الناس إيّاه، و يُعدّ ارتكاب هذا الفعل اليوم جريمة يعاقب عليها صاحبها، على الرغم من التبجيل و الثناء الذي كان يناله في الماضي السحيق. و لعلّ ما أمر الله به سبحانه إبراهيم عليه السلام من ذبح ابنه إسماعيل، كان اختباراً لمدى حبّه و إيمانه بمعبوده الحقيقي.

٥ ـ ٢. الطوطم

طوطم القبيلة في الأديان البدائية عبارة عن: علامة تحفظ القبيلة؛ و هذه العلامة تتجلّى في حيوان أو نبات أو جماد، وقد حازت أنواع مختلفة من الحيوانات احترام أقوام عديدة، حتى أنّ صورها تنعكس في بعض الأحيان على أعلام الدول، و تاريخ الشعوب حافل بذلك، و يمكن أن نستنتج من وحي عبادة الأسد في أفريقيا، والنمر في الهند، و العُقاب و الدبّ و كلب البحر في أمريكا الشمالية، و الثور في اليونان و مصر، و البقرة في الهند و أفريقيا و الدول الاسكندنافية، و الجاموس في جنوب الهند، والكنغر في استراليا؛ انّ الحيوانات المذكورة كانت طوطماً لهذه الأقوام، و مازالت بعض الحيوانات كالطير و الثعبان تُقدس ـ في الوقت الحاضر ـ عند بعض الشعوب، و طوطم اصطلاح اقتُبس من لغة الهنود الحمر في أمريكا.

٦ ـ ٢. التّبو

التّبو (Taboo) عبارة عن محرمات القبيلة، مثل مقررات الزواج و الغذاء، فقد يكون الزواج عند قبيلة مباحاً بين أفرادها، و عند قبيلة أخرى حراماً، الأمر الذي يُلزم أفرادها بالتردد إلى قبائل أخرى بحثاً عن ازواج، و جاء اصطلاح التّبو من لغة القبائل البدائية التي تقطن جزر بولينيزيا في المحيط الهادي.

٧ـ٢. مانا

زعمت الأديان القديمة أن في بعض الأشياء كالحجر و الخشب و الشجر و الحيوان قوة خارقة للعادة، و لذا ينبغي طلب الحاجة منها و التبرك بها. هذه الأشياء يطلق عليها مانا (Mana)، و مازالت آثار هذا الدين لائحة في الأديان الأخرىٰ. و قد جاء هذا الاصطلاح من لغة القبائل البدائية التي قطنت جزر بولينيزيا.

٣. الارواحية

الأرواحية (Animism) دين قديم للعديد من الأقوام الغابرة، و مفاده أن لجميع مظاهر الطبيعة روحاً يجب عبادتها و السجود لها، و قد سادت بين الأقوام القديمة عبادة الأرض، السماء و الأجرام السماوية، والنار، والرعد، والبرق، والسحاب، والبحار، والأنهار، والعواصف، والغابات، والنباتات، والحيوانات لاسيما البقر، و ثعبان الكوبرا، و كذلك عبادة طوطم القبيلة و روح الأجداد و السلف، مع تفقد الأرواح الخبيثة كالشيطان و الجن، وقد ذمّ القرآن الكريم النزوع إلىٰ عبادة الجن و اللجوء إليه.[1]

و تعتقد الارواحية أن للطبيعة كما للإنسان شعوراً، و ما الأصنام إلّا رموز لقوى الطبيعة، فينبغي عبادتها و تقديم القرابين لها، اعتقاداً منها بأن الطبيعة سترضخ لها. و مازالت آثار هذا الدين لائحة في بعض الأديان الموجودة اليوم كالهندوسية.

٤. الفتشية

الفتيش (Fetish) اصطلاح برتغالي بمعنى السحر، و الإيمان بالفتيش ـ الذي هو احترام شيء مادّي تكمن فيه قوة خارقة للعادة ـ ساد في أوساط الأقوام البدائية، و هذا الشيء قد يكون حجراً أو مواد معدنية، و حسب معتقدات تلك الأقوام، فإن حيازة الفتيش تعني الوصول إلىٰ السعادة المنشودة.

---

١. الأنعام، ١٠٠؛ سبأ، ٤١؛ الجن، ٦.

الخلاصة

آ) ظهر الدين ـ عند الباحثين في العلوم الانسانية ـ منذ عصر مبكّر في النزوع إلىٰ عبادة الطبيعة.

ب) ثمّة عناصر مشتركة بين الأديان البدائية.

ج) الطوطم عبارة عن علامة تحفظ القبيلة، وقد تتجلّىٰ في حيوان أو نبات أو جماد.

د) التبو عبارة عن محرّمات القبيلة مثل مقررات الزواج و الغذاء.

هـ) مانا، تطلق علىٰ الأشياء التي تكمن فيها قوة خارقة للعادة ينبغي طلب الحاجة منها و التبرّك بها.

و) الأرواحية، مفادها انّ لجميع مظاهر الطبيعة روحاً يجب عبادتها و السجود لها.

ز) الفتشية و هي شيء مادي تكمن فيها قوة خارقة للعادة.

الاسئلة

١. ما هي العناصر المشتركة بين الأديان البدائية؟

٢. اذكر نماذج من الأديان البدائية مع تعريف لها.

٣. ما هي الأرواحية و الفتشية؟

مصادر البحث

١. جيمس، ي، دين ما قبل التاريخ، لندن، ١٩٦١.
٢. درخيم، ي، الصور البدائية للحياة الدينية، لندن، ط الثانية، ١٩٦٧.
٣. شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦.
٤. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢م.
5. Eliade, Mircea (ed), The Encyclopedia of Religion, New york: Macmillan Publishing Company, 1987.
6. Hastings, James(ed), Encyclopedia of Religion and Ethics, New york: Charles Scribner's sons, n.d.
7. Parrinder, Geoffrey, Worship in the World's Religions, London: Sheldon press, 1976.



الديانات القديمة

١. مصر

تعتبر مصر من الدول الأثرية المعروفة في العالم، حيث ازدهرت فيها الحضارة في نحو الألف الثالث قبل الميلاد، و حكمتها حكومات مقتدرة. و ينحدر المصريون من أصل قبطي، و منه أخذ الغرب كلمة (Egypt) الذي يُطلق علىٰ مصر.

و قد طوى المصريون مراحل مختلفة من الأديان البدائية، و أقبلوا علىٰ عبادة أنواع من الآلهة التي تمثّلت بعدد من الحيوانات الأهلية و الوحشية، و عبادة الفراعنة.

١ ـ ١. ظهور الدين و تنوّعه في مصر القديمة

اعتقد المصريون القدماء بموجودات غيبية، و آلهة ذوات أسماء و صفات مختلفة، و لمابلغ عدد الآلهة من الكثرة بمكان، عمدوا إلىٰ الحدّ منها، و الاكتفاء في عهد قصير بآلهة الشمس. و راج في تلك العصور أيضاً الاعتقاد بألوهية حيوانات كاللبوة و التمساح، و طيور أهلية كالوزة.

كما حازت عبادة القطط اهتماماً كبيراً، حتى أن الإيرانيين في العصر الأخميني رسموا ـ في إحدىٰ حروبهم مع المصريين ـ قططاً علىٰ مجانّهم، فلما رآها المصريون

كفّوا عن رشقهم بالنبال، و أغمدوا سيوفهم، فكان النصر حليف الإيرانيين.

كما اعتقد المصريون بموجودات خيالية تمثّلت في جسم إنسان برأس حيوان، و كانت لهم أصنام يعبدونها.

و كانوا حين يعزمون علىٰ ركوب نهرالنيل، كانوا يتوجّهون إلىٰ معبد التمساح فيرفعون الصلوات، و يقدّمون النذور و الصدقات، طمعاً في حفظهم من خطر التماسيح المفترسة.

٢ ـ١. اسطورة الالهة الثلاثة: أوزوريس، إيزيس، و حوريس

قال قدماء المصريين إن **اوزوريس** (إلٰه الخصب) تزوّج أخته **(إيزيس)** و انجبت **حوريس** (إلٰه الشمس)، وقُتل أوزوريس علىٰ يد أخيه ست (إلٰه الجدب)، و ألقىٰ جثّته في النيل، و جدّت ايزيس في البحث عن جثّة زوجها المقتول حتىٰ عثرت عليها ثم أخفتها، و تمكّن ست ـ بعد جهد ـ من العثور علىٰ الجثّة، فقطّعها إلىٰ أربعة عشر قسماً، و وزّعها علىٰ جميع مقاطعات مصر. ولما شبّ حوريس خاض حرباً ضدّ عمّه ثأراً لأبيه. كان النصر فيها حليفه، و اقتاد ست إلىٰ أمّه مكبلاً بالأغلال، فأشفقت عليه إيزيس، ففكّت قيوده، و أطلقت سراحه.

ثمّ إنّ حوريس جمع أقسام جثّة أبيه. و أحياه بمعونة (إلٰه الحكمة) إلا أن أوزوريس لم يبق طويلاً في الدنيا، بل تخلّىٰ عنها لولده حوريس، وذهب إلىٰ العالم السفلي ليصبح حاكماً لمملكة الموتىٰ.

٣ ـ١. عبادة الشمس

إن لعبادة الشمس في بقاع مختلفة تاريخاً حافلاً يتوغّل في القدم، وقد أشار اليها القرآن الكريم في عدّة سور.[١] و حقاً أنه ليس في أوساط الآلهة التي عُبدت إلىٰ جانب الخالق

---

١. النمل، ٢٤.

سبحانه من جارت الشمس في خيراتها و بركاتها اللامتناهية.

وثمّة آلهة ـ في مصر القديمة ـ لساعات النهار المختلفة، تنوب عن الشمس، فكان «رع» إلٰهَ الظهيرة، و «**خفرع**» إلٰهَ الصباح، و «**آتوم**» إلٰه الغروب.

كما أنهم آمنوا بالجُعَل كممثل عن الشمس في الأرض، و شاعت صوره علىٰ الطلسمات و تماثيل الفراعنة، التماساً للبركة والسعادة.

٤ ـ ١. عبادة فرعون

انتشرت عبادة الفراعنة في الماضي، و كان آخر أثر لها هو عبادة امبراطور اليابان الذي ألغاها بنفسه عام ١٩٤٦م، و ما زالت آثار هذه السنّة موجودة اليوم عند بعض الملوك و السلاطين كملك تايلند.

إنّ فراعنة مصر كأباطرة اليابان اعتبروا أنفسهم جديرين بالعبادة، لأنهم آلهة من نسل الشمس.

٢. بابل

كانت بابل لسنوات طوال مركزاً للحضارة والعلم و الثقافة، وورد اسمها في الكتاب المقدّس لليهود و النصارىٰ و القرآن الكريم،[1] و يعدّ الجبر و المثلّثات و الكثير من المسائل الرياضية و العلمية الأخرىٰ من الآثار التي خلفتها هذه الحضارة.

١ ـ ٢. التحوّل و التغيّر الذي طرأ علىٰ الديانة البدائية في بابل

كشفت عمليات الحفر و التنقيب التي أجريت في مناطق مختلفة من العراق عن وجود تماثيل لعدد كبير من الآلهة كانت مدفونة تحت التراب، و قد نُقلت هذه التماثيل إلىٰ مختلف متاحف العالم. هذا العدد الضخم من الآلهة هو في الواقع صورة متكاملة للأرواحية البدائية.

---

١. البقرة، ١٠٢.

كما شهدت بابل أيضاً تحولاً و تكاملاً في الدين من الفتشية إلىٰ الاعتقاد بعدد كبير من الآلهة، و استغرق هذا السير التكاملي ما يقرب من (٤٠٠٠) سنة، ثمّ استقرّ الأمر أخيراً علىٰ عبادة عدد من الآلهة التي تنوب عن أرواح الشمس و القمر و بقيّة السيّارات في مدن مختلفة، و يعتبر (**مردوك**) الإلٰه الأعظم لامبراطورية بابل.

٢ـ٢. التثليث البابلي

صنف العدد الضخم من الآلهة عند البابلين إلىٰ مجموعتين ثلاثيتين، هما مجموعة **آنو** (إلٰه السماء)، و **أنليل** (إلٰه الهواء)، و **إيا** (إله الماء)، و مجموعة **شِمِش** (إله الشمس)، و **سين** (إلٰه القمر)، و **عشتار** (إلٰهة الخصب).

وكانت للآلهة المذكورة أزواج، و قد استحوذت عشتار (إلٰهة الخصب) علىٰ اهتمام خاص، و يطلق علىٰ زوجها اسم تمّوز.

ولما بلغت الحضارة البابلية أوج رقيّها و ازدهارها، أقبل البابليون علىٰ عبادة مردوك، ونقشت صوره في كل مكان، واعتبر سيد الآلهة أجمعين.

ولما سقطت بابل بأيدي أقوام آشور الشماليين حلّت عبادة آشور (إله الأشوريين) محل مردوك، و انتشرت صوره في كل مكان، و ما أن انتصر البابليون علىٰ الآشوريين حتى استعاد مردوك سابق مجده التليد، إلا أنه سرعان ما فقده عند سقوط بابل بيد قورش، و حلّ آهورامزدا محله.

٣. اليونان

اليونان شبه جزيرة صغيرة تقع في الجنوب الشرقي من أوروبا. كانت في الماضي السحيق مركزاً نشطاً للثقافة و الفن و الفكر، و يطلق الغرب علىٰ هذا البلد اسم (Greece)، ومنه اشتُقّت كلمة إغريق في اللغة العربية. و كلمة اليونان اشتقت من ايوني (Ionia) اسم إحدىٰ مقاطعاتها، و سمّىٰ اليونانيون بلادهم هيلس (Hellas)

وهو اسم أجدادهم القدماء، و قد حازت معتقدات اليونان أهمية خاصة في مباحث معرفة الدين لارتباطها الوثيق بالفكر و الأسطورة.

١ ـ ٣. دين قدماء اليونان

كان لقدماء اليونان آلهة ذكور و إناث أعظمها شأناً زِفس الذي كان يُطلق عليه أحياناً اسم زِفس بتروس، أي زِفس الأب، و يطلق قدماء الهندوس على هذا الإله اسم ديوس بيتار، و قدماء الروم اسم جوبيتر. و آلهة اليونان تشترك في أغلب الأحيان مع آلهة قدماء الآريين. و من آلهتهم:

أبولون (إله الشمس)

بوسيدون (إله البحر)

هستيا (إلهة الأم)

دميتر (إلهة الخصب و المحصولات)

هرمس (إله الحكمة)

و آرس (إله الحرب)

٢ ـ ٣. الأساطير

كان البشر يتشبّث بالأساطير لتوضيح الظواهر حين يعجز عن كشف أسرار العالم، و كان يستلهم ذلك من قوة الخيال. و للأساطير أبعاد مختلفة: بنّاءة تارة كإشاعة الفضائل و الكمالات و تحلّي الروح الإنسانية بهما، و مخرّبة أخرى كتعطيل الفكر البشري عن تفسير الظواهر. و كما أن الفكر يعمّ المجموعات البشرية قاطبة، فكذلك بديله أي الأسطورة، فتجد النصف الأول من «**شاهنامة**» الفردوسي يعجّ بالأساطير التي فيها سرد لوقائع أبطال نظراء رستم، ذلك القائد الأسطوري الذي خاض غمار الحروب من أجل سيادة العدالة و القيم.

أن الفلسفة و الدين من وجهة نظر البعض مرحلة أسطورية متكاملة، و لكن هذا

الإدعاء لايصدق في حق الدين حسب الرؤية الدينية التي ترىٰ أن الاعتقاد بذلك ينافي الإلتزام بالدين.

و كان قدماء اليونان يعبدون آلهتهم الأسطورية، و يقدّمون لها القرابين، وقد تقدّمت أسماء بعضها، و من الصعب بمكان إحصاء أسماء جميع آلهة اليونان أو آلهة الشعوب القديمة.

كان اليونانيون أناساً ذوي ذهنية وقّادة و بحّاثة، اضطرّوا ـ لقصر باعهم في العلم ـ إلىٰ خلق الأساطير، لكي تركن ذهنيتهم الباحثة إلىٰ ساحل الأمان و الاستقرار، فتجد أنهم عبدوا أوثاناً متنوعة بدلاً من عبادة خالق السموات و الأرض، كما اهتموا بالفلسفة أيضاً، و رفعوا لواءها في أعصارهم، في حين عجزت أقوام أخرىٰ عن اللحاق بهم في هذا المضمار.

٣ ـ ٣. ظهور الفلسفة

شهدت اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد ظهور فلاسفة كبار، طرحوا أفكاراً جديدة، و من أشهر هؤلاء الفلاسفة: سقراط، و تلميذه أفلاطون، و أرسطو تلميذ أفلاطون. و قد راجت أفكار أرسطو في المعاهد العلمية في أوروبّا و العالم الإسلامي ما يناهز الألفي سنة، و قلّ من وجد في نفسه الجرأة علىٰ نقدها. و علىٰ الرغم من أن فلسفة اليونان و أفكار أرسطو فقدت اليوم مقامها الشامخ الذي كانت عليه، إلّا أنّ العلماء لايجدون بدّاً من التعريج عليها كلما استعرضوا الجذور التاريخية للنظريات الفكرية الجديدة.

وقد استفاد فلاسفة اليونان في صياغة أفكارهم من الأساطير استفادة كبرىٰ، وثمّة آثار كاملة لأفلاطون متوافِرة اليوم، و تعجّ بأسماء عدد كبير من الآلهة. و كانوا يعترضون علىٰ نسبة صفات قبيحة إلىٰ الآلهة في الأناشيد الحماسية القديمة. إنّ أفكار أفلاطون في حقل الإلٰهيّات جعلت منه إنساناً إلٰهياً، حتىٰ أطلق عليه «أفلاطون الإلٰهي».

كما أنّ أرسطو حينما طرح مبحث المحرك الأول، أصبح حسب اعتقاد الفلاسفة الموحدين قريب الاعتقاد بإلٰه الأديان التوحيدية.

٤. الرومان

كانت الامبراطورية الرومانية من أعظم الدول القديمة سطوة وقوة، و قد توسعت لتشمل معظم أوروبّا و مصر و سوريا و آسيا الصغرىٰ. و اضطلع الرومانيون منذ الماضي السحيق بفنّ العمران و النحت والرسم و الأدب و إدارة البلاد، و قد اعتنقوا المسيحية بعد ثلاثة قرون من ميلاد المسيح عليه السلام، وسعوا إلىٰ نشرها من خلال الاستعانة بحضارتهم العريقة.

١ ـ ٤. ديانة قدماء الرومان

كان لقدماء الرومان دين بدائي، حيث عبدوا إلٰهة **«ديانا»** و اتخذوا لها هيكلاً في تلال قريبة من روما، يفدون إليه أثناء الاحتفالات السنوية، و كان من طقوسهم تناول الطعام المقدس الذي يطبخ علىٰ نار مقدسة، و كان لإعداد الطعام المذكور مراسم خاصة، نحجم عن ذكرها خوفاً من الإطالة، إلّا أن تناوله مازال رائجاً عند بعض الديانات كالعشاء الرّباني في المسيحية.

٢ ـ ٤. نوما وآلهة الرومان

إنّ دين **نوما** (Numen) يعني الروح، و هو الاعتقاد بأن كل شيء من مظاهر الطبيعة، سواء أكان انساناً أو حيواناً أوجماداً له روح، و بعض هذه الأرواح خيّرة طيّبة، و بعضها خبيثة شريرة، و هي قبل أن تصبح آلهة كانت لها طبيعة مبهمة و غير متميّزة، إلّا أنّ الرومان في المراحل اللاحقة قد حدّدوا معالمها و حاكوا حولها الأساطير والملاحم.

وكان للرومان آلهة لاحصر لها، منها:جوبيتر، جينوس، مارس. فستا، نبتون، فلكان، ابولوا، هرقل.

و فوق الآلهة جميعاً، عبدوا جوبيتر و هو ـ نظير زِفس إله اليونان ـ إله النور و العواصف والامطار، و تختص عبادته حينما يصبح القمر بدراً.

الخلاصة

آ) تعتبر مصر من الدول الأثرية المعروفة في العالم حيث ازدهرت فيها الحضارة في نحو الالف الثالث قبل الميلاد و حكمتها حكومات مقتدرة.

ب) تنوع الدين في مصر القديمة فمن عبادة الآلهة الثلاثة أوزوريس، إيزيس، و حوريس إلىٰ عبادة الشمس و فرعون.

ج) كانت بابل لسنوات طوال مركزاً للحضارة و العلم و الثقافة، و شهدت تحولا و تكاملا في الدين من الفتشية إلىٰ الاعتقاد بعدد كبير من الآلهة.

د) حلت آلهة آشور محل مردوك لما سقطت بابل بأيدي أقوام آشور.

هـ) كانت اليونان في الماضي السحيق مركزاً نشطاً للثقافة و الفن و الفكر و كان لقدماء اليونان آلهة ذكور و اناث. و قد اضطروا لقصر باعهم في العلم إلىٰ خلق أساطير.

و) شهدت اليونان ظهور فلاسفة كبار أمثال: سقراط، أفلاطون، أرسطو.

ز) إنّ الامبراطورية الرومانية كانت من أعظم الدول القديمة سطوة وقوة، وقد عبد قدماء الرومان إلهة «ديانا» التي أقاموا لها هيكلا علىٰ تلال روما، اضافة إلىٰ عدد ضخم من الآلهة و فوقها جميعاً جوبيتر.

الاسئلة

١. اذكر بنحو موجز أسطورة الآلهة الثلاثة عند المصريين القدماء؟

٢. ما هي ديانة قدماء المصريين؟

٣. اذكر تعريفاً لنوما؟

٤. من هو جوبيتر؟

مصادر البحث

١. شلبي، احمد، مقارنة الأديان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦.
٢. غرانت، ف، الديانة الرومانية القديمة، نيويورك، ١٩٥٧.
٣. غراي، ج، أسطورة الشرق الأدنى، لندن، ١٩٦٩.
٤. فرغسون، ج، ديانات الامبراطورية الرومانية، لندن، ١٩٧٠.
٥. كيرك، غ، طبيعة الأساطير اليونانية، نيويورك، ١٩٧٥.
٦. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢م.
٧. نيلسون، م، تاريخ الديانة اليونانية، اكسفورد، ١٩٢٥.
٨. وايزمن، د، الآشوريون و البابليون، كمبردج، ١٩٦٥.

٤
الهند

زحف الآريون قبل نحو (٣٥٠٠) سنة من آسيا الوسطى إلىٰ اطراف نهر السند (في جنوب باكستان الحالية)، واتجهوا شرقاً حتى وصلوا إلىٰ بلادٍ، أُطلق عليها فيما بعد اسم «الهند».

وتزامن هذا الزحف مع زحف أفواج أخرىٰ من الآريين صوب إيران و أوروبّا.

وعلىٰ الرغم من أننا نجهل بالمرّة اللغة الأصلية للأقوام الآرية، إلّا انّ لغاتهم بعد الهجرة هي لغات الهند وأوروبّا التي بينها قرابة أسرية.

ان لغة الأقوام الآرية التي انحدرت إلىٰ الهند، هي السنسكريتية (San - Skrita) التي تربطها قرابة مع اللغة الفارسية القديمة والفهلوية والأوروبية. وهذه القرابة قدّمت خدمات جليلة لعلم الألسنة، فالحرف (هـ) في اللغة الفارسية يقابل الحرف (س) في السنسكريتية، وعليه فإن كلمة الهند مثلاً تقابل كلمة السند (Sindhu)، وكلمة هوما (نبات مقدس عند الزردشت) تقابل سوما (Soma) (نبات مقدس عند الهندوس).

كانت ديانة الاريين في الهند هي البرهمية (Brahmanism) نسبة الىٰ برهما (Brahma) إله الهندوس او الىٰ برهمن (Brahman) ذات الإله او كاهن الهندوس، وهي اليوم شجرة دوحة تشعبت افنان غصونها علىٰ ارض مترامية الاطراف، وقد تميزت بعض تلك الغصون بطابع اصلاحي كرد فعل للتشدد الذي مارسه الزعماء الدينيين.

ان الديانة البرهمية شكل متكامل للارواحية، ومن هنا لم يُعرف لها مؤسس يمكن الرجوع اليه، و هي تتضمّن مجموعة من التقاليد والعادات الاجتماعية والثقافية مقرونة بتهذيب النفس وترويضها. وقد تركت بصمات واضحة علىٰ حضارة الهند، وعلىٰ حياة سكّانها الفردية والاجتماعية.

١. الهندوسية

ان الديانة الهندوسية (Hinduism) التي انطلقت في القرنين الثامن والتاسع الميلادي، هي شكل مبدّل للديانة البرهمية.

١ ـ ١. سكّان الهند قبل زحف الآريين

امتاز سكان الهند و إيران الأصليون ـ قبل هجرة الآريين إلىٰ هذه البلاد ـ بقصر القامة واسمرار البشرة، و كان لهم دين وثقافة وطقوس خاصة علىٰ مستوى حضارة ما بين النهرين، وقد اندثروا في إيران بشكل كامل إلّا أنّ جماعات منهم بقيت في الهند، واتجهت صوب جنوب الهند، وتُعرف اليوم باسم الدرافيدية (Dravidians)، ويشكّل المنبوذون (Untouchables) طائفة كبيرة منهم، وسيأتي الكلام عنهم بالتفصيل.

وقد كشفت عمليات الحفر والتنقيب التي أجريت في مدينة موهنجودارو (Daro-Mohenjo) الواقعة علىٰ نهر السند (بالباكستان) عن وجود آثار عظيمة لحضارتهم، كما كشفت التنقيبات عن وجود عدد كبير من آلهة الهندوس قبل زحف الآريين إلىٰ الهند.

٢ ـ ١. الكتب المقدسة

جُمعت أدعية ومعتقدات الهندوس في مجموعة اطلق عليها اسم الفيدا (vedas) التي تعني العلم في اللغة السنسكريتية، وعرفت بـ(شروتي) (Sruti) التي تعني الوحي والإلهام أو العلوم المقدّسة الموروثة.

ويعتقد المؤرخون أنّ تصنيف مجموعة الفيدا يعود إلىٰ ما بين ١٤٠٠ ـ ١٠٠٠ق.م. وعلىٰ هذا الأساس أطلق العصر الفيدي علىٰ الفترة الممتدّة ما بين ١٥٠٠ ـ ٨٠٠ق.م.

والفيدات عبارة عن أربعة كتب دينية، وهي:

١. **ريغ فيدا** (Rig - Veda)، وضعت ليتضرّع بها أتباعها أمام الآلهة أو يتغنون بها.

٢. **ياجور فيدا** (Yajur - Veda)، وتشمل العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين.

٣. **ساما فيدا** (Sama - Veda)، وتشمل الأغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية.

٤. **آثارفا فيدا** (Atharva - Veda)، وآثارفا: اسم مصنّف هذه الفيدا.

وقام البراهمة في الأزمنة اللاحقة بشرح وتفسير هذه الفيدات، ولهذا السبب احتوت كل من هذه الفيدات علىٰ سفرين:

الأول: المَنْتَرات (Mantaras)، وهي عبارة عن نصوص أوراد في تعظيم النار والشمس وسائر مظاهر الطبيعة، إضافة إلىٰ أوراد أيّام الرخاء والحمل وغفران الذنوب.

الثاني: البراهْمانات (Brahmanas)، وهي نصوص هندوسية قديمة تصور منطق وعقلانية ومبادئ نظام الأضاحي البراهماني.

وقد أطلق الباحثون علىٰ الفترة ما بين ٨٠٠ـ ٥٠٠ق.م. بالعهد البراهمي.

وثمّة كتب لاحصر لها دينية وفلسفية وعرفانية وأدبية أغنت التراث الثقافي للهند، وتُرجمت إلىٰ لغات مختلفة، منها الكتاب المعروف بكليلة ودمنة، واسم الكتاب في الأصل السنسكريتي بانجاتانترا (Panca - tantra) أي الأجزاء الخمسة.

وقد حازت كتب مهابْهاراتا (Maha - bharata) وراما يانا (Ramayana) ذات المحتوى الأسطوري والملحمي والحماسي احتراماً بالغاً، وترجمت إلىٰ مختلف لغات العالم.

وثمّة كتاب آخر معروف وجذّاب للغاية، هو بهغافاد كيتا (Bhagavad - gita) الذي يعني أناشيد الرب، هو جزء من الملحمة الكبرى «مهابهارتا»، وقد يطلق عليه اختصاراً اسم كيتا، ويتطرق إلىٰ موضوع النقاء والخلاص (Bhakti)، ويكفي لبيان أهميّة هذا الكتاب أنه ترجم مراراً إلىٰ مختلف لغات العالم الحيّة.

ويتضمّن الكتاب الحوار الذي دار بين كريشنا و بين الأمير أرجنا (Arjuna)، وهو أجلّ كتب الهندوس، و فاق في شهرته جميع الكتب الدينية و العقلية عندهم.

ولم تكن نُظُم الكتاب علىٰ منوال واحد، إلّا أنّ كلماته ساحرة، تدفع بالقارئ إلىٰ مطالعته بشوق و رغبة، ممّا حدا إلىٰ تزايد الإقبال عليه.

إنّ سرّ نجاح كيتا يكمن في أنه بيّن السبيل الأمثل للنجاة والفلاح، وهو النقاء والخلاص، ولأجل إثبات ذلك استعان بالقصّة التالية:

كان أرجنا زعيم أحد الحزبين المتحاربين متأثّراً بأحوال بيئته، مؤمناً بمعتقدات عصره، وخاضعاً للأفكار الشائعة، فلمّا اصطفت الصفوف ودقت الطبول، و آن أوان القتال، تلجلج في مباشرته، وجرى بينه وبين كريشنا الحوار التالي:

قال أرجنا لكريشنا وهو واقف بين الصفين ينظر إلىٰ الذين جاؤوا لمحاربته:

سيدي أرى أمامي أقاربي الأعزاء وأصدقائي القدماء، ففيهم الأخ وابن الأخ، والخال وابن الخال، والعم وابن العم، فيهم الأبناء والأحفاد، وفيهم الشيوخ الذين نشأتُ علىٰ تبجيلهم، أراهم أمامي وقلبي يرتعد، ويدي ترتعش، وأشعر بحلقومي كأنه قد جفّ، هل يليق بي أن أُحارب هؤلاء الأحبّاء الأعزّاء، والأسلاف الأجلّاء؟ كلّا، لأنّي إن حاربتهم أُحرم من راحة البال أبداً. إنّ حياة الذلّ والفقر خير من النصر الذي أناله بقتلهم، أجل لا يحلّ لي قتلهم، وأنّهم لو قتلوني فإنّي لا أرضىٰ برفع يدي عليهم، لاريب أنّهم ظالمون ومع ذلك لايطاوعني قلبي في قتالهم. ثمّ إنّي إن حاربتهم فنيت أسرتنا العريقة في المجد بأسرها، وبفنائها تفنى سائر عاداتها وتقاليدها، وإذا ذهبت العادات والتقاليد

فما الذي يمنع البقية الباقية منها، ولا سيما النساء من الضلال والغواية؟ فينتشر الشر وتعمّ الفتنة في النساء، وبفساد النساء تختلط الأنساب، وتزول فروق المراتب البشرية. إذ هذا لشرّ مستطير، وهو ما ينتج من هذه، الحرب وسفك الدماء.

فالذين يتحاربون و يسبّبون هذا الفساد لابدّ من أن يجازوْا بالجحيم، وليس هؤلاء، وحدهم الذين يُصلَوْن بالنار، بل يدخلها أسلافهم كذلك، لأنّهم قد فقدوا أخلافهم الذين عليهم أن يقدّموا لأرواح الأسلاف ما يجلب لها الراحة والسعادة، وهكذا تفنى الرسوم والعادات، وهكذا يذهب الدين، فيصير نسياً منسياً، ونحن ما زلنا نسمع أن الذين كانت حالتهم هكذا يدخلون الجحيم الأبدي، ولذلك فمباشرتنا الحرب إثم ليس فوقه إثم.

ويجيب كريشنا قائلاً:

إنّ خَوَرَكَ يا أرجنا في هذه الساعة الرهيبة لعار ليس فوقه عار، وأنت لن تجد بعده راحة البال طول حياتك، وسيكون ذلك سمة سوداء علىٰ جبينك لا يمحوها الدهر أبداً. أيها البطل الشجاع، ماهذا الجبن الذي لا يليق برجل مثلك؟ وطّد نفسك علىٰ الحرب، وسر إلىٰ النصر الذي ينتظرك.

فقال له أرجنا:

كيف يحلّ لي أن أحاربهم، وأنا أرى فيهم أساتذتي وأعمامي وأخوالي الذين يجب عليّ احترامهم؟ أليست حياة التسوّل خيراً من الملك الذي أناله بقتلهم؟

فيبتسم كريشنا من قول أرجنا، ويقول له:

تتكلّم بكلام العقلاء، ثمّ أراك تهتم بما لا يهتم به العقلاء، ألا تعلم أن العامل في مثل هذا الموقف لا يبالي بالحياة ومصيرها؟ هل تظنّ أنّني أنا وأنت وجميع هؤلاء الملوك وسائر هؤلاء الناس، وُجدوا بعد أن لم يكونوا شيئاً؟ هذا ما لايقوله عاقل، لا يمكن وجود شيء من لا شيء، كلّ من هو موجود الآن، وُجد من قبل، وسيبقى موجوداً دائماً،

وكما ترى الحياة تطرأ عليها الطفولة، والشباب والشيخوخة كذلك، ينتقل الروح من جسد إلىٰ جسد آخر، وهذا التنقل هو الذي نسمّيه بالموت، ولذلك فإن العقلاء لا يزعجهم الموت.

يا أرجنا إنّ الألم واللّذة مناطهما بالمشاعر إلتي مآلها إلىٰ الفناء، فلا ينبغي لك أن تقيم لها وزناً، والذي يرتفع فوق الألم واللذة هو الذي ينال السعادة الدائمة والنجاة الأبدية. لايمكن أن ينعدم ماهو موجود، ولا يمكن وجود شيء من العدم، عليك بهذه المعرفة.

يا أرجنا يفنىٰ الجسم، ولا فناء للروح، فالروح ليست لها بداية ولا نهاية، فعليك يا أشجع الشجعان أن تُبعد هذه الأفكار الباطلة عن نفسك، وأن تتأهب للقتال، لأن واجبك هذه الساعة هو القتال. عليك أن تعلم أن الروح لاتقْتُل و لاتُقتل، انها ليست بأمر حادث، بل قديمة أزلية أبدية لاتتغيّر و لاتتبدّل و لاتموت بموت الجسد، فالذي يرى الروح خالدة يعلم كذلك أنه لايقتل أحداً ولا يقتله أحد، وكما يبدّل الإنسان لباسه، كذلك الروح تغيّر قشرتها، فينتقل من جسد إلىٰ جسد....

ثمّ قال: إن تأخّرك عن الحرب يا أرجنا مناهض لواجبك كرجل من كشترى (طبقة المحاربين). ان القدر قد ساق إليك هذه الحرب التي ليست إلا باباً للجنة، والسعيد من تسنح له فرصة كهذه، وأنت إن ضيّعتها تبوء بإثمك، ويعيّرك الناس بالجبن. يظن المحاربون أنك قعدت عن الحرب خوفاً وجبناً، فتسقط عن الأعين التي مازالت تبجّلك. تفكّر أيُّ أساً يكون فوق هذا الأسى؟ وهل هناك عار علىٰ الرجل أكبر من أن يقال إنه جبان؟ وأنت إن قُتلت دخلت الجنة، وإن عشت فزت بملك عظيم. فوطّد نفسك علىٰ القتال، وباشره غير مبال بالعاقبة.

وقد حازت مسألة وحدة الألوهية اهتماماً عظيماً، وفي هذا الإطار، فقد ورد في كتاب كيتا تعاليم ابانيشادات مقطع، يقول فيه كريشنا:

أنا برهما، الإله الواحد الأزلي.

أنا القربان، أنا الدعاء والصلوات.

أنا خيرات الأموات.

أنا ذلك العالم الرحب اللامحدود.

أنا الأب والأم والسلف وغاية المعرفة.

أنا لفظة أُم المصفاة من الماء العذب وضياء الشمس.

أنا كتب ريج فيدا، ياجور فيدا، ساما فيدا.

أنا الطريقة، الشريعة، المعلم، الرب، القاضي، الشاهد، الصومعة والملجأ، الصديق والعدو، نبع الحياة، وكل شيء يبدأ ويعود، والبذور والفصول، والمحصول.

أنا الموت، أنا الحياة.

يا أرجنا، أنا حياة العالم التي تراها، وحياة الآخرة التي لاتراها.

٣ ـ ١. الثقافة والتربية الفيدائية

بلغت سطوة رجال الدين الهندوس (البراهمة ـ Brahmand) أوجها في حدود القرن السادس قبل الميلاد. حيث ساد نظام طبقي صارم، ألقى بظلاله علىٰ بلاد واسعة كالهند منذ أكثر من (٢٥٠٠) سنة، وماتزال آثاره باقية إلىٰ اليوم.

وقد أطلق الباحثون علىٰ الطبقات الاجتماعية اسم كاست (Caste)، وهو اصطلاح برتغالي، معناه الأصل.

ويصنف المجتمع الهندوسي إلى أربع طبقات:

١. البراهمة (Brahmanas)، وهم طبقة الكهنة و رجال الدين.

٢. الكشتريا (Kshartrias)، وهم طبقة الملوك، والأمراء، والمقاتلين.

٣. فيشيا (Vaisyas)، وهم طبقة التجار والزراع.

٤. الشودرا (Sadras) وهم أصحاب المهن السافلة والخَدَم.

ويمنع شرعاً وعرفاً معاشرة أفراد كل طبقة من الطبقات المذكورة للطبقات

الأخرى، لا سيما الطبقة الأخيرة، حيث يُحظر الاتصال بها، بل النظر إليها من قبل أفراد الطبقات العليا، ويُعدّ تجاوز ذلك من الذنوب الكبيرة التي لا تُغتفر.

وثمّة طبقة أدنى من الطبقات الأربع المذكورة، وهي طبقة المنبوذين (Untouchables)، وأفراد هذه الطبقة هم سكان الهند الأصليون من غير الآريين. ويحظر علىٰ هؤلاء مخالطة أفراد سائر الطبقات أو التردد إلىٰ أماكن سكناهم، إلّا إذا اقتضت الضرورة ذلك كالقيام بجمع القُمامة مثلاً، و إذا أرادوا ذلك، فعليهم أن يرفعوا أصواتهم معلنين عن طبقتهم، كي لا تقع أنظار الطبقات العليا عليهم، وفي غير هذه الصورة يجب علىٰ من نظر إليهم التطهّر بالغسل، كما يتم البيع والشراء معهم من بُعد كأن يضع النقود في مكان خاص وينادي بالمتاع الذي يبغيه، ويتوارى عن الأنظار.

كما يحظر عليهم الاستماع إلىٰ تلاوة الكتاب المقدس، ومن استمع لها منهم، يجازى بصبّ الرصاص المذاب في أذنيه.

وممّا يثير العجب أن المنبوذين أَلِفوا هذه الأُمور، إيماناً منهم بأنها حق، وأن التعاسة التي نزلت بهم ليست إلّا نتاج الأعمال القبيحة التي ارتُكبت في الماضي، وحلّت بهم عن طريق التناسخ، و كانت تعدّ كل محاولة لتضييق الهوة بين الطبقات الأربع[1] والحدّ من الفوارق الطبقية والدفاع عن المنبوذين محاولة غير مقبولة ومحظورة شرعاً وقد أُلغيت هذه السنن الاجتماعية رسمياً عام (١٩٥٥م)، إلّا أن آثارها ماتزال باقية.

ويحظى نهر الكنج (Ganga) المعطاء ـ والذي يعني السريع ويغطي مساحات شاسعة من الهند ـ بمرتبة عالية من القداسة عند الهندوس، ويعتبر الغسل فيه وخصوصاً في مدينة بنارس (Benares) عبادة مهمة، وحظيت النيلوفر (Padma) بالقداسة ايضاً.

و راجت في أوساطهم القرابين كعبادة، لا سيما قرابين الخيول (Asva - Medha)، ومن ثمّ أقيمت هذه المراسم من أجل تلبية الحاجات.

---

١. يُذكر انه ظهرت بالتدريج ٢٠٠٠ طبقة فرعية ضمن الطبقات الأربع الرئيسية.

ويُعدّ أهيمسا (Ahimsa) ـ الذي يعني الاحتراز عن أذى الحيوانات ـ أصلاً مهماً، اكتسب أهميّة بعد تأثّره بتعاليم مهاويرا. هذه التعاليم تمنع تناول لحوم الحيوانات، وتعتبره عملاً غير أخلاقي، وقد تركت هذه المسألة أثراً عجيباً على أسلوب معيشة الهندوس.

و الهندوس يحرقون أجساد أمواتهم، وينثرون رمادها في نهر الكنج، وتزامن هذا العمل في الماضي مع نوم الزوجة في وسط ركام من الحطب، وحرقها مع زوجها الميت، ولأجل بعث الرغبة والشوق عند الزوجة للإقدام على هذا الأمر، أُطلق عليها لقب ستي (Sati) ـ أُطلق هذا المصطلح السانسكريتي في اللغة العربية على المرأة التي تحظى بمقام اجتماعي رفيع ـ و إذا لم تستطع الزوجة تحمل هذه التضحية، فإنها تحلق شعر رأسها، وتبارح الوطن. ولما احتلّ الإنجليز بلاد الهند عام (١٨٢٩م)، منعوا حرق الزوجة حيّة، فلم يتخلّف عن هذا المنع إلّا قليل.

٤ ـ ١. فلسفة أوبانيشادات

في العصر البراهمي (٨٠٠ق.م. ـ ٥٠٠ق.م.)، بلغت طقوس القرابين حدّ الإفراط، و طغى انتشارها على المسائل الدينية العميقة التي آلت إلى الأفول، وأسفر الإفراط في قرابين الخيول والحيوانات الأخرى إلى إلحاق أضرار بالغة باقتصاد البلد وإلى إفراغ خزينة الملك، ممّا دفع بالبراهمة إلى التفكير جدّياً في إصلاح الدين من خلال إعداد البراهمانات، وهي تشتمل على قسمين:

أ) أرنياكات (Aranyakas)، وتضم المسائل الضرورية للمرتاضين.

ب) أبانيشادات (Upanishads) وتعني الجلوس عن قرب، كناية عن تعلّم أسرار الدين.

وقد حاز أبانيشادات شهرةً واسعةً، وتُرجم هذا الكتاب لأوّل مرّة إلى اللغة الفارسية عام (١٠٦٧هـ) ترجمه العالم الفنان العارف الأمير دارا شكوه بن شاه جهان ملك

المسلمين في الهند، بهدف بيان وجوه الاشتراك بين العرفان الإسلامي والهـندوسي، وأطلق عليه اسم السرّ الأكبر (وهذه الترجمة هي التي جعلت الغرب يقف علىٰ كتاب أبانيشادات).

كما يطلق علىٰ أوبانيشادات كلمة فدانتا (Vedanta) وتعني نهاية الفـيدات، وهـذا الكتاب يلج عمق الفيدات، ويجذب انتباه الناس إلىٰ أن هذه الآداب والرسوم الظاهرية تنطوي علىٰ أسرار ومفاهيم بـاطنية، وحـاز الكـتاب شـهرة عـالمية، حـتى أن بـعض موضوعاتها التعليمية جاءت في كتاب الميزان للعلامة الطباطبائي.[١]

٥ ـ ١. أصول الديانة الهندوسية

أصول الديانة الهـندوسية عـبارة عـن الاعـتقاد بـالكتب القـديمة والطـقوس الديـنية للبراهمة واحترامها، وعبادة الآلهة التي ظهرت في الأدوار القديمة. والاعتقاد بالتناسخ، و رعـاية مـقررات الطـبقات الاجـتماعية فـي أسـلوب المـعيشة والزواج، واحـترام الموجودات الحيّة أيضاً لاسيما البقرة التي هي من أصول دينهم.

وتحتل البقرة عند الهندوس مكانة رفيعة تصل الىٰ حد التأليه والتقديس حيث تقام لها التماثيل في الدور والمعابد والساحات العامة، و تتجول في الشوارع بكامل حريتها وتأكل من الفواكه والخضر المتوفرة في الحوانيت دون ان يعترضها أحد، ويُحظر أكل لحمها والانتفاع من جلودها، و اذا نفقت تقام لها مراسم دفن خاصة بها، وقـد عـمت تلك المقررات سائر الدواب بدءاً من الحشرات وانـتهاءً بـالفيل، وبـالطبع فـان تـلك المقررات لاتجري في المناطق التي لاتسكنها الهندوس واما النواحي التي تقطنها اقلية هندوسية فان السلطات المحلية تتخذ تدابير من اجل ذبح الابقار وعرض لحمها بعيداً عن الانظار، وهناك قليل من الهندوس يتناولون لحم الشاة، وقد يفرض الحظر عـلىٰ تناول البيض في بعض المدن.

---

١. الميزان: ١٠/ ٣٠١ـ٣٠٢.

يُذكر ان تناول بول وسرجين البقرة للتبرك والتطهير أمر متداول في الهند حتىٰ اصبح تناول خمسة اشياء منها «pamca - gavya» وهي الحليب واللبن الرائب والدهن والبول والسرجين واجباً لتطهير النفساء او المسافر من الهند، وفي بعض الاحيان تُجلب البقرة الىٰ المكان الذي يراد تطهيره ولاتفارقه حتىٰ تضع فيه بولها وروثها.

إنّ لفظة «أم» التي تعني آمين، لفظة مقدسة للغاية عند الهندوس، لأنها الاسم الأعظم الإلهي، وهذه النظرة تشبه إلىٰ حدّ بعيد نظرة اليهود إلىٰ لفظة يهوه التي هي الاسم الأعظم.

٦ـ١. آلهة الفيدا

آمن الهندوس بعدد ضخم من الآلهة السماوية والأرضية، وذكروا لها أسماء وصفات عجيبة و غريبة، وأقاموا لكل منها هياكل عظيمة. وترتبط هذه الآلهة فيما بينها بروابط نسبية وسببية.

وقد نقلت كتبهم المقدسة الكثير من التفاصيل عن الصفات الجسمية والنفسية لهذا العدد من الآلهة. ويعتبر الاعتقاد بتجلّي الآلهة علىٰ هيئة انسان أو حيوان في أدوار مختلفة من المعتقدات التي حازت اهتماماً ملحوظاً.

وقد صنّفت الآلهة وفق الطبقات الاجتماعية السائدة، ومن أشهرها:

اغني (Agni) إلٰه النار.

فارونا (Varuna) إلٰه السماء.

ايشفارا (Isvara) إلٰه القوة والقدرة.

رودرا (Rudra) إلٰه الخوف والفزع.

راما (Rama) إلٰه العواطف.

كريشنا (Krishna) إلٰه الماء الصافي.

ياما (Yama) إلٰه الموتى وحاكمهم، وهو يماثل (جم) عند الزرادشت.

اشفين (Asvin) وتعني الفارس. وتطلق علىٰ ملكين اثنين من ملائكة الهندوس الذين يعتقدون أنهما يمنحان الصحة والسعادة والغنى.

ويعتقد الهندوس أيضاً بأُلوهية كالي (Kali) التي تعني أسود، وهي قبيحة المـنظر، ويقدّمون إليها هدايا من عمليات السلب و النهب.

جدير بالذكر أنّ الأصنام تنحت بشكل جذّاب، حتّى عُدّ الصنم في الشعر كناية عن المحبوب الجميل.

٧ـ١. الآلهة الثلاثة

آمن الآريون الهنود ـ كسائر المشركين ـ باله العالم الحقيقي، وأطلقوا عليه اسم برهما (Brahman) ومعناه القائم بالذات والأزلي والأبدي، ولم تكن لديهم في البداية أوثان ولا معابد لها، بل كانوا يقيمون طقوسهم في الهواء الطلق، ويعبدون الآلهة التي كانت رمزاً للكواكب والنجوم في السماء، ثم اقبلوا في الأدوار اللاحقة علىٰ عبادة عـدد لا حصر له من الأصنام والأوثان، وأقاموا لها هياكل عظيمة ومختلفة، وأضافوا إلىٰ آلهتم آلهةً أُخرى مثل إلٰهة الأرض، وإلٰهة ثعبان الكوبرا، وإلٰهة الأم.

إنّ الآلهة الثلاثة للهندوس (Hindu Trimutrti) عبارة عن:

١. برهما (Brahman)، ربّ الخلق.

٢. سيفا (Siva)، ربّ الفناء والدمار، وقد انتشرت تماثيله ذات الأيدي الأربـع فـي حالة الرقص، ويدل رقص سيفا علىٰ دوره الهام في الدمار والفناء.

٣. فشنو (Vishnu)، ربّ الحفظ، والتجليات العشر لهذا الإله عـلىٰ طـول التـاريخ عبارة عن: السمك، السلحفاة، الخنزير الوحشي، مـوجود عـلىٰ هـيئة نـصف إنسـان ونصف أسد، القزم، راما (Rama) وبيده طبر، راما، كريشنا (Krishna)، بوذا (Buddha)، وكلكي (Kalki).[١]

وقد تشعبّت الهندوسية إلىٰ فرق لا حصر لها، و هي تعيش مع بعضها البعض فـي صلح وصفاء، ويؤكد أتباع تلك الفرق علىٰ زوايا خاصة من الدين، وأقبلت كل فـرقة

---

١. وهو الموعود به في آخر الزمان لإصلاح العالم، يظهر علىٰ فرس أبيض شاهراً سيفه.

علىٰ عبادة إلٰه من الآلهة الثلاثة، يشكّل أتباع سيفا وفشنو نسبة عالية منهم. تجدر الاشارة الىٰ أن عبدة سيفا يعبدون عورته أيضاً ويطلقون عليها اسم لينغا (Linga)، وتنتشر تماثيل لينغا ومعابده بصورة كبيرة أيضاً.

ويبرز معبد سومناث (Somanatha) من بين (١٢) معبداً كبيراً وضخماً، شُيّدت افتخاراً للينغا، حيث اكتنزت فيه ثروة خيالية هائلة، وكانت له (١٤) قبة من الذهب ممّا أثار طمع السلطان محمود الغزنوي، الأمر الذي دفع به عام (٤١٦هـ) إلىٰ مهاجمته والاستيلاء علىٰ الثروات المكتنزة فيه.

وقد برر الهندوس حملات السلطان محمود السابقة علىٰ معابدهم الأخرى بغضب صنم معبد سومناث علىٰ أصنام بقية المعابد.

وعلىٰ أية حال، فقد جهز السلطان محمود الغزنوي جيشاً جراراً بذريعة تحطيم ومحو أصنام معبد سومناث، وبعد أن قتل خلقاً كثيراً من الهندوس، أهوىٰ بصولجانه الثمين علىٰ رأس تمثال لينغا فحطمه، ونقل منه قطعة إلىٰ غزنة، وجعلها إلىٰ جانب المسجد الجامع ليشاهدها الملأ إظهاراً لفتحه، كما بعث بقطعات أُخرى إلىٰ مكة المعظمة وبغداد وسائر البلاد الإسلامية.[١]

وثمّة فرقة من عَبَدة سيفا ظهرت في القرن الثاني عشر الميلادي، أطلق علىٰ أفرادها لينغاوات، وتعني حاملي اللينغا، لأنهم يجعلون في أعناقهم قلائد فيها أصنام لينغا، وقد نُسبت إلىٰ بعض هذه الفرق أشياء غريبة، كذبح الانسان، وتناول الشراب في جماجم الأموات.

وقد ذهبت بعض فرق شكتي (Sakti) ـ وتعني القوة ـ إلىٰ حلول القوة الإلٰهية في الجنس اللطيف، ولهذا السبب فإن في معابد شكتي نساء شابات يزاولن الرقص. وتعتقد بعض هذه الفرق بأن الرقص الذي يُمارس بطريقة وحشية، مصحوباً بالأنغام المزعجة والحركات التي تصدر بنحو جنوني، كلها أساليب لازمة لتكامل الروح.

---

١. تعرض معبد سومناث للدمار مرات عديدة، ويرجع بناؤه القائم الآن إلىٰ عام (١٩٥١م.)

وقد شهدت الهندوسية اصلاحات منذ الماضي السحيق، وما البوذية الا واحدة منها ،وفي القرون الاخيرة وقف الهندوس عن كثب علىٰ المسيحية والثقافة الاوروبية، فتشكلت جمعية اصلاحية تدعىٰ براهما سماج (brahmo Samaj) وتعني «**جمعية البراهمة**» علىٰ يد رام موهان روي (Ram Mohan Roy) في كلكتا عام ١٨٢٨، تهدف الىٰ تصفية الهندوسية من الشرك والخرافات، وجمعية اخرىٰ تدعىٰ آريا سماج (Arya Samaj) وتعني «**جمعية الاريين**» تأسست علىٰ يد ديانند سرسوتي (Dayananda Sarasvati) في بومباي عام ١٨٧٥ بهدف اعادة احياء الهندوسية القديمة، ثم ان راما كريشنا (Ramakrishna) طرح افكار جديدة تستند الىٰ وحدة الاديان وتمكن من استقطاب الكثير من الناس الىٰ حركته، هذه الفرق الثلاث التي لها اتباع في المجتمع الهندي الكبير هي في الواقع هندوسية نزعت منزع المسيحية.

وقد انطلقت في الاتجاه المعاكس جمعيات مسيحية تميل نحو الهندوسية كالجمعية الثيوصوفية (Theosophy) التي اسستها السيدة بلافاتسكي (Blavatsky) والسيدة بيسانت (Besant)، ثم تحولت فيما بعد الىٰ جمعية نيو ايج (New Age).

٨ ـ١. نظرية التناسخ وقانون كارما

طبقاً لقانون كارما (Karman) ـ الذي يعني العمل ـ فإن الإنسان سيرىٰ نتيجة عمله في أدوار الرجوع إلىٰ الدنيا مجدداً، فمن يعمل خيراً، فإنه يحظى بعد رجوعه إلىٰ الدنيا بحياة طيبة سعيدة، ومن يعمل شراً، فإنه يحيا بعد رجوعه في تعاسة وشقاء، وقد يتجلّى بهيئة حيوان. وحسب نظرية التناسخ، فإنّ رجوع الإنسان يمكن أن يتزامن مع إحدى الصور الأربع، التي سنذكرها تباعاً:

١. الرسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في الجمادات.

٢. الفسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في النباتات.

٣. المسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في الحيوانات.

٤. النسخ، ويعني حلول روح المتوفّىٰ في الإنسان (التناسخ).

وتتجلّى سمسارا (Samsara) وتعني التناسخ في الأديان والمذاهب (حتى عند بعض الفرق الإسلامية المنحرفة) بصور وعناوين مختلفة، ولكن هذه العقيدة اكتسبت أهمية خاصة في دين الهندوس، ويعتقد الهندوس أن الإنسان في معرض دوامة التناسخ، ومكابدة نتائج الولادات المكررة في هذا العالم المليء بالمشقة والمحن.

والمنقذ الوحيد للانسان من دوامة التناسخ والولادات المكررة في هذا العالم، هو اللحوق بنيرفانا (Nirvana) وتعني هذه الكلمة لغةً الخمود والهدوء، واصطلاحاً الفناء في الله، وقد حازت النيرفانا اهتماما فائقاً من قبل البوذيين.

٩ ـ ١. فلسفة وحدة الوجود

يعتقد حكماء وعلماء الهندوس أن هذه الأعداد الهائلة من الآلهة، إنما هي مظاهر لإله واحد عظيم، وأن الموجودات قاطبة تشكل أجزاء هذا الإله العظيم. وهذا العالم بجميع ما فيه، ليس في الواقع إلّا خيالاً، ويطلق علىٰ هذا الخيال اسم مايا (Maya) أي الوهم والخداع، وحسب تصوراتهم فإن جميع هذه الصور الوهمية سوف تفنىٰ ويبقى برهما حقيقة ثابتة لا تزول.

وقد سحر العرفان الهندوسي الغرب في القرون الأخيرة، كما أن العرفان الاسلامي أثار انتباه الغرب إلىٰ الاسلام.

إنّ قوانين الأخلاق والتصوف الهندوسي كانت ـ ومنذ قرون غابرة ـ موضعاً للاهتمام، وقد ترك التفكير الهندوسي بصمات واضحة علىٰ التصوف في المسيحية والإسلام.[1]

وتتلخّص أصول الإيمان الهندوسي في أربعة أشياء:

---

1. Mircca Eliade (ed), The Encyclopedia of Religion , vol .15 . pp 460 -1

١. الوهية الروح.

٢. وحدة الموجودات.

٣. وحدة الألوهية.

٤. وحدة المذاهب والأديان.

إنّ الدين الهندوسي دين منفتح علىٰ بقية الأديان، لذا فإنه يتيسّر للهندوس أن يعتنقوا أدياناً أخرى إضافة إلىٰ دينهم، وعلىٰ الرغم من ذلك فإن التعصب المقيت نجده شائعاً عند الهندوس، ويكفي أن نذكر أن غاندي وبسبب اعتقاده بضرورة مساواة الهندوس مع المسلمين، قد أضمر له جماعة من الهندوس العداء، الأمر الذي حدا بأحد أعضاء هذه الجماعة إلىٰ أن يطلق النار عليه ويرديه قتيلاً.

إنّ التعصب القومي الهندوسي وصل ذروته في العقود الأخيرة، وأحد مظاهر هذا التعصب الأعمىٰ المقيت، هو تخريب مسجد بابري الذي راحت ضحيّته العشرات من المسلمين والهندوس. وكانت ذريعتهم في هذا العمل التخريبي هي أن مكان مسجد بابري كان مهد الإله راما، فهم يدّعون أنّ فشنو (إحد الآلهة الثلاثة) قد تجلّى بصورة صنم راما، وأنه تمّ بناء معبد له في ذلك المكان الذي تحول فيما بعد إلىٰ مسجد، وبهذه الذريعة راحوا ينصبون الأصنام علىٰ أطلال هذا المسجد ويعبدونها ريثما تحين الفرصة المناسبة لبناء معبدهم.

ان الجرائم التي ارتكبها الهندوس في كشمير لاتعد ولا تحصىٰ، وهذا ان دل علىٰ شيء فانما يدل علىٰ مدىٰ العداء الذي يضمرونه للاسلام والمسلمين، وفي هذا السياق يفسر تعاونهم الوثيق مع الكيان الصهيوني.

١٠ ـ ١. فلسفة اليوغا

يعتقد الهندوس أن الوصول إلىٰ الحقيقة أو الاتحاد بالإله القادر يتم عبر طريقة اليوغا (Yoga)، وتعني وضع القيود، وهي رياضة صعبة وصارمة، يجلس فيها المرتاض

جلسة القرفصاء، ويستغرق في السكون والتأمل طويلاً. وثمّة أساليب أخرى متداولة مثل الوقوف منكوساً، الانحناء وتعليق اليدين، الجلوس على سرير مشحون بالمسامير. هذه الأعمال قد تستمر لعقود كثيرة، يرافقها أُمور صعبة للغاية، منها وضع الماء أمامه، والبقاء في حالة الظمأ.[١]

وعلى الرغم من أن الهدف من هذه الرياضة، هو الوصول إلى الحقيقة، إلّا أنه تظهر أحياناً للقائم بها كرامات، ويعتقد اليوغي (Yogin) أنّ هذه الأُمور تحول دون وصوله للكمال، ويتفق كثيراً أن تظهر منه أعمال خارقة للعادة دون أن يلتفت اليها بل لا يعير لها أهميّة.

ومن أمثلة ذلك سكون الدم في العروق على اثر التمرينات الشاقة، الأمر الذي يؤدّي إلى انخفاض عملية التنفس، حيث يكتفي اليوغي بعدّة شهقات طيلة السنة. ويتمّ أيضاً عبر اليوغا التحكم بالنبض وسائر الأعمال الحياتية للبدن. في جميع هذه الحالات يختار الجسم أساليب أخرى جديدة، ويظلّ حياً، وقد يتفق أن يُدفن اليوغي حياً لمدّة ستة أشهر، ثمّ يُنبش قبره ويُخرج منه، فتعود إليه الحياة بمجرد أن يأخذ شهيقاً واحداً، كما توفّرت لبعضهم قابليات أُخرى مثل التخلّص من الجاذبية الأرضية، أو إيقاف قطار متحرك، أو قابلية غلي الماء بإلقاء نظرة واحدة عليه، وغير ذلك.[٢]

وقد قام علماء الغرب بإخضاع أصحاب اليوغا لتجارب علمية متنوعة، أثبتوا خلالها واقعية بعض الحالات التي تطرأ عليهم، وفي هذا الإطار تشكّلت هيئة علمية برئاسة الدكتور بروس (Brosse)، قامت بإجراء تحقيقات وتجارب عليهم، ونشرت ما انتهت إليه من نتائج.[٣]

---

١. جاءت آداب وشرائط اليوغا في كتاب بتانجالي (Patanjali)، ونقله إلى العربية العالم الاسلامي الكبير أبوريحان البيروني.

٢. جدير بالذكر أن أمثال هذه الأُمور، هي في الواقع شائعات لاأساس لها من الصحة، وقصص خيالية حيكت حولهم تفوق الواقع كثيراً.

٣. مجلة Presse Medicale، العدد ٨٣، ١٤ اكتوبر ١٩٣٦.

٢. الديانة الجينية

تعتبر الديانة الجينية (Jaina)من فروع الديانة البرهمية ـ وتعني المنتصر ـ التي شُيّدت أركانها في القرن السادس قبل الميلاد.

١ ـ ٢. سيرة مهاويرا

يعتقد الجينيون أنّ مهاويرا (Maha - Vira) ـ ويعني البطل العظيم ـ هو مؤسس الديانة الجينية، وهو الزعيم الرابع والعشرون، وقد سبقه (٢٣) زعيماً ظهروا قبل آلاف السنين.

ولد مهاويرا في القرن السادس قبل الميلاد في أسرة هندية عُرفت بالثراء ونبذ الحياة الدنيوية، ووصل بعد رياضات شاقّة إلىٰ الحقيقة، وهو في الثلاثين من عمره، والتحق بالنيرفانا عام (٥٢٦ ق.م.) بعد أن نشر ديانته.

٢ ـ ٢. الفلسفة والأخلاق

إنّ من أغرب سنن الجينيين، هي حرمة ارتداء الملابس، حيث يعتقدون أنّ مهاويرا كان في حالة مزاولة الرياضة الشاقة ونبذ المتع الدنيوية.

ولما رأى أنّ الحياء يشعره بالإثم، خلع جميع ثيابه، وبقي عارياً طيلة عمره. وقد نشب خلاف بين أتباع هذه الديانة في حدود سنة (٧٩ق.م.) حول حدود هذا العراء، وانقسموا إلىٰ طائفتين:

الأولى تسمّىٰ **ديجامبرا** (Digambra) وتعني أصحاب الزيّ السماوي، أي الذين اتخذوا السماء كساءً لهم (والمقصود بهم العراة).

والثانية تسمّىٰ **سويتامبرا** (Svetambara) أي أصحاب الزيّ الأبيض، وهم الذين تأثر بهم غاندي زعيم الهند الذي خلع ثيابه في شبابه، واكتفى بالزيّ الأبيض.

وقد تكهن ويل ديورانت بانتحار غاندي نتيجة تأثّره بالأفكار الجينية (وذلك عند التطرق إلىٰ الديانة الجينية في المجلد الأوّل من كتابه قصة الحضارة)، وكان غاندي

علىٰ قيد الحياة، إلّا أنه خرّ صريعاً برصاص هندوسي متطرف، ولم تتح الفرصة لإثبات صحة أو سقم تنبّؤ هذا المؤرّخ الكبير.

وتعتبر الذلة والهوان من الفضائل في الديانة الجينية، وتعتقد طائفة الديجامبرا أنه لا سبيل أمام النساء إلىٰ الكمال، بل يجب عليهنّ الانتظار، والتحول إلىٰ رجال في أدوار التناسخ اللاحقة.

٣ ـ ٢. أهيمسا

طرحت الديانة الجينية ـ إضافة إلىٰ قبولها للمعارف الهندوسية ـ أفكاراً جديدة. وأصرّت علىٰ تحكيم قواعد أخلاقية صارمة.

وحسب معتقدات هذه الديانة، فإن النجاة تكون رهن أصلين:

أحدهما: تحمل الرياضات الشاقة، وثانيهما: أهيمسا، وهي التحرز عن إلحاق الأذى بالحيوانات، بل حتى النباتات والجمادات، وعلىٰ هذا الأساس أعتبر حرث الارض وتهيئتها للزراعة أمراً محرماً، علىٰ الرغم من جواز تناول الفواكه، كما حرمت المحصولات التي تتعلّق الاستفادة منها بحفر الأرض مثل البطاطا والبنجر والجزر واللفت.

وقد شيّد أتباع هذه الديانة مستشفيات ضخمة لمعالجة الحيوانات الأهلية والوحشية، و اعتادوا علىٰ وضع كمامات علىٰ أفواههم لئلا تدخل فيها الحشرات وتهلك، ولنفس السبب يلجأون إلىٰ تصفية الماء قبل شربه للحيلولة دون القضاء علىٰ الديدان المتواجدة فيه، كما أنهم يستخدمون مكنسة من ريش الطاووس لإبعاد الحشرات عن الطرق التي يسلكونها، كما يعتبر الانتحار عن طريق ترك الطعام والشراب فضيلة ليس فوقها فضيلة، و بهذا الاسلوب قضى مهاويرا نحبه.

٤ ـ ٢. الكتب الدينية

ولهذه الديانة كتب دينية مدوّنة، يبلغ عددها (٣٩) كتاباً، ومن جملة كتبها المقدسة كتاب بركرانات (Prakaranas) لدىٰ اصحاب الزي السماوي وكتابا اغما (Agama)

وسيدانتا (Siddhanta) لدىٰ اصحاب الزي الابيض، ومن تراثها مسألة معرفة حقيقة الوجود، وهي قصة الفيل في الظلام الدامس، حيث أراد الناس معرفة هيئة الفيل من خلال لمسه، وقد ابتعد الجميع عن جادة الصواب في تصوره، دون أن يحالفهم النجاح في معرفة هيئته.[١]

٥ ـ ٢. الأتباع

يبلغ عدد أتباع هذه الديانة في الوقت الحاضر ما يقرب من مليوني نسمة، ويقطن معظمهم في الهند، واضطروا ـ مواكبة للعصر ـ إلىٰ ارتداء ملابس كاملة، وامتهنوا التجارة بدل التسكع، وأقدموا علىٰ سلسلة اصلاحات في ديانتهم، واقتصرت مراسمهم العجيبة والغريبة علىٰ النسّاك والرهبان.

٣. البوذيـة

تعتبر الديانة البوذية إحدى فروع الديانة الهندوسية، إلّا أنها تجاوزت حدود الهند، و زحفت نحو الشرق الأقصى، واستطاعت أن تجذب أتباعاً كثيرين بما تضمّنته من أفكار عرفانية سامية، وأخيراً اتسع نطاقها لتشمل أمريكا و أوروبّا.

١ ـ ٣. سيرة بوذا

بوذا (Buddha) ويعني الملهم، المشرَق عليه، هولقب غوتاما ساكياموني (Gautama Sakya - muni) مؤسس الديانة البوذية الاصلاحية، وحسب معتقدات البوذية، فإن بوذا هو ابن ملك مدينة كبيلا فاستو (Kapila-Vastu) الواقعة في شمال الهند. ولد عام ٥٦٣ ق.م. وأطلق عليه في البداية اسم سيذارتا (Siddhartha)، ويعني «الّذى حقّق غايته»، وقد تنبّأ المنجّمون بأنه حين يشاهد آلام المرضى وهرم الشيخوخة وصور الموت والفناء، ويلتقي بأحد المرتاضين، فإنه سيعزف عن الدنيا ويُقبل علىٰ الرياضة،

---

١. نقلت هذه القصة في كتاب المثنوي: الدفتر الثالث، رقم الأبيات ١٢٥٩ – ١٢٦٨.

ولهذا السبب حاول أبوه إبعاده عنها من خلال توفير حياة رغيدة ونعمة مقيمة له، وسارع أبوه فزوّجه، وهو في مطلع شبابه ببنت عمه ياسودهرا (Yasodhara)، ولم يطل الوقت حتى رزق ابناً سمي راهولا (Rahula)، وفي سن (٢٩) من عمره وبعد أن شاهد الأمور السالفة الذكر، تسلل ليلاً من القصر والنعمة التي كان فيها، وانخرط في سلك الرهبان، بارشاد من آلارا (Alara)، وبعد ست سنوات من الرياضة الشاقّة والصارمة في الغابة، خاب أمله في الوصول إلىٰ الحقيقة عن طريقها، فتخلّى عنها، وأخذ بالتأمل والتفكر والمراقبة الروحية، واستغرق جهاده الأكبر هذا ست سنوات أُخرىٰ، ومن ثمّ أمضى ما يقرب من سبعة أسابيع في صراع عنيف مع مارا (Mara) ـ أي الشيطان ـ تحت شجرة عرفت فيما بعد بشجرة اليقظة، وفي النهاية رصد الحقيقة، وتنورت بصيرته، وصار بوذا عصره.

وحسب معتقدات البوذيين، فقد ظهر علىٰ مسرح التاريخ في العصور الغابرة عدّة بوذاوات، أطلق علىٰ كل واحدٍ منها قبل ظهوره بوذي ستف (Bodhi-Sattva) وتعني من تيسّرت له المعرفة الكاملة، أو بوذا بالقوة.

وجاب بوذا البلاد لمدة (٤٠) سنة في سبيل نشر دعوته، والتفت حوله مجموعة من الشباب علّمهم مبادئه ولقّنهم دعوته، وكان من أبرزهم ابن عمه آننده (Ananda).

وأخيرا التحق بالنيرفانا عام ٤٨٣ ق.م. و هو في سنّ الثمانين.

إنَّ قصة حياة بوذا العجيبة امتازت بالجاذبية منذ أزمان سحيقة، ولهذا فإنها ترجمت إلىٰ مختلف لغات العالم، وقد ترجمت إلىٰ اللغة العربية مع اضافات من الثقافة السريانية، واشتهرت بين المسلمين باسم قصة بلوهر و يوذاسف.[1]

---

١. انظر: إكمال الدين للشيخ الصدوق: ٢/٥٧٧ ـ ٦٣٨؛ بحارالأنوار للعلامةالمجلسي: ٧٨ / ٣٨٣ – ٤٤٤، ووردت ترجمة القصة باللغة الفارسية في رسالة مستقلة، ضمن كتاب «عين الحياة» للمجلسي، كما ترجمت إلىٰ اللغة العربية مع تغيير أسماء أبطالها من آلارا وبوذي ستف إلىٰ بلوهر ويوذاسف.

٢ ـ ٣. تأسيس النظام

إنَّ الافكار الاصلاحية التي نادى بها بوذا ـ والتي تناهض تطرف البراهمة وتلغي الاختلاف الطبقي ـ تعدّ أساس المبادىء الأخلاقية التي تضمّنتها مجموعة تعرف باسم تري بيتكا (Tri-Pitaka) وتعني السِّلال الثلاث، وتعتمد هذه المبادىء إلىٰ حدّ بعيد علىٰ أصول الديانة الهندوسية من الاعراض عن الدنيا، وتهذيب النفس، والتأمل، والمراقبة، والحثّ علىٰ التخلص من دوامة هذه الحياة الدنيا الشاقة، والالتحاق بالنيرفانا، إلّا أنها توسعت في مفاهيمها.

إنّ ديانة بوذا سادت معظم أرجاء الهند في القرون اللاحقة، ثمّ أخذت بالانتشار في الدول المجاورة، وظهر في القرن الثامن والتاسع عالمان هندوسيان قاما بإصلاح الديانة الهندوسية، الأمر الذي أدّى إلىٰ اختفاء الديانة البوذية من الهند شيئاً فشيئاً، وحلت محلها الديانة الهندوسية، إلّا أنّ البوذية أخذت بالانتشار في الشرق الأقصى وبأشكال مختلفة.

٣ ـ ٣. فلسفة بوذا

لمّا وصل بوذا إلىٰ الحقيقة كما يُدْعىٰ، انطلق إلىٰ مدينة بنارس للعثور علىٰ الرهبانالخمسة الذين أعرضوا عنه، وكان يعتقد أنهم يبحثون مثله عن الحقيقة، الأمرالذي يتيح له تلقينهم مبادئه، وما أن وطأت قدماه أرض بنارس حتى التقى بهم،ودارت بينهم المحاورة التالية:

قال أحدهم للآخر: هذا سيذارتا يقدم علينا، فمن الأفضل أن ندعه وشأنه، لأنه تخلّى عن الرهبنة. ولكن لمّا اقترب منهم بادروه بالسلام، وطلبوا منه الجلوس إلىٰ جانبهم، وقالوا له: هل استنارت عيناك بالحقيقة أخيراً؟

بوذا: نعم

الرهبان: ما هو سرّ الوجود وحقيقته؟

بوذا: هل تؤمنون بالكارما (قانون جزاء الأعمال)؟

الرهبان: نعم

بوذا: فاعلموا أنه بداية الحكمة ومعرفة الحقيقة. الخير يجلب الخير والشر يجلب الشر، هذا هو القانون الأول للحياة، وكل ما سواه قائم به.

الرهبان: نعم، الامر كذلك.

بوذا: اذا كان الامر كذلك، فالتضرع والدعاء والقربان للربِّ لا يجدي نفعاً.

الرهبان: وكيف؟

بوذا: إن الماء ينحدر نحو الأسفل دائماً، والنار حارة أبداً، والثلج بارد دائماً، فلو تضرعتم بين يدي آلهة الهندوس جميعها، لما أثر ذلك في تغير مجرى الماء نحو الاعلى، وفي جعل النار باردة والثلج حاراً. فقوانين هذه الظواهر لا تبطل، والتضرع والدعاء أمام الآلهة لا يجديان في إبطالها.

فبهتوا، وأبدوا موافقة لهذا الكلام، فاسترسل بوذا قائلاً: وعليه، فإن كتاب الفيدات الذي يرسم أسلوب الدعاء والتضرع والقربان بعيد عن الصواب، وأُعلن - وخلافاً لزعماء الدين - أن الفيدات ليست مقدسة.

تعجب الرهبان لهذه الجرأة، وساورتهم الحيرة، وراحوا يسألون بوذا: هل تريد من ذلك القول أنّ برهما حينما خلق العالم لم يصنف الناس إلىٰ طبقات اجتماعية مختلفة؟

بوذا: لا اعتقد بالمرة أن برهما خلق شيئاً كي يكون العالم من صنعه.

الرهبان: فمن هو صانع العالم؟

بوذا: اعتقد أنّ العالم أزلي مستمر، ليس له مبدأ ولا نهاية. أيها الرهبان: هناك حدان متناقضان، يجب أن يبتعد عنهما الذين تخلوا عن الحياة الدنيا. الاول: الانسياق في الملذات، وهذا أمر سافل وعقيم، والثاني: هو طريق التقشف وإماتة الجسد، وهذا أمر مؤلم وعقيم أيضاً.

٤ ـ ٣. الأخلاق

وأخيراً سأل الرهبان بوذا: فأيهما الصواب؟

بوذا: وجدت بعد تفكير طويل طريقاً وسطاً يفتح العيون ويحفّز العقول، ويقود إلىٰ

الراحة والمعرفة والاشراق والنيرفانا. إنه طريق طويل ذوثمانية مسالك، وهي:

١. **الاعتقاد الصحيح**، ويعني الاعتقاد بأن الصدق يقود الانسان نحو الفلاح.

٢. **العزم الصحيح**، ويعني التحلّي بطبيعة هادئة، تمنعه من إلحاق الأذى بالحشرات والحيوانات.

٣. **القول الصحيح**، بالابتعاد عن الكذب والتفوه بالكلام البذيء.

٤. **العمل الصحيح**، بالاحتراز عن السرقة وتلطيخ الأيدي بدماء الآخرين.

٥. **العيش الصحيح**، بتجنّب ارتكاب الأفعال القبيحة، كأكل الربا، والاكتساب بمال السرقة.

٦. **الجهد الصحيح**، بالسعي إلىٰ الخير، والهرب من الشر.

٧. **الفكر الصحيح**، ويعني غلبة الهدوء، وعدم إفساح المجال للفرح والحزن بأن يأخذا طريقهما إلىٰ الفكر.

٨. **التأمل الصحيح**، وهو ثمرة الخضوع للمسالك السبعة، وعندها سينال الهدوءالواقعي.

وهناك قيود تسعة، تحدث عنها بوذا، وهي:

١. الاجتناب عن أذى الدوابّ.

٢. الاجتناب عن السرقة.

٣. الاجتناب عن الخيانة.

٤. الاجتناب عن الكذب.

٥. الاجتناب عن المسكرات.

٦. الاجتناب عن الغرور.

٧. الاجتناب عن التفوه بالكلام البذيء.

٨. الاجتناب عن الجهل.

٩. الاجتناب عن العداء.

٥ ـ ٣. الفرق البوذية

انقسمت الديانة البوذية إلىٰ ثلاث فرق:

١. **المهايانا** (Mahà-Yàna) وتعني العجلة الكبيرة. وتنتشر هذه الفرقة في الصين. حيث اصطبغت الديانة البوذية بسنن ومعتقدات كونفوشيوس وتاوسيم في الصين، والشنتو في اليابان. ومن طقوسها التي حازت شهرة عالمية (الدهيانة) وتعني بالسانسكريتية التأمل، وتسمّى في الصين تشانغ (Chang)، وفي اليابان زين (Zen).

٢. **الهينايانا** (Hina-Yana) وتعني العجلة الصغيرة، وتنتشر هذه الفرقة في سريلانكا (سيلان سابقاً) ودول جنوب شرق آسيا.

ويطلق أتباع العجلة الصغيرة علىٰ ديانتهم اسم ثيرفاده (Theravada)، وتعني ديانة السلف والعظماء، وقد دوّنت كتبهم باللغة الباليّة، وهي لغة هندية قديمة.

٣. **الفيجريانا** (Vajra-Yana) وتعني عجلة الألماس، وتنتشر هذه الفرقة في التبت، حيث اختلطت الديانة البوذية هناك بالسحر والكهانة والطوطم، وأوجدت لها مؤسسات دينية مقتدرة. ويطلق علىٰ الديانة المذكورة أيضاً اسم **اللامائية** (Lamaism)، ويعرف زعيمها الديني بـ«**الدالاي لاما**» (Dalai Lama).

يُذكر أنه حينما يتوفىٰ زعيم هذه الفرقة، يعكف الرهبان علىٰ البحث والتفتيش عن طفل يكون قد ولد متزامناً مع وفاة الدلاي لاما ليحل محله، ثم يربى هذا الطفل تربية خاصة، وبعد أن يطوي مراحل تعليمية مختلفة، يرتقي منصَّة الزعامة الدينية.

وقد اضطُرّ الدلاي لاما في هذا العصر إلىٰ مغادرة التبت بعد زحف الشيوعيين إليها من الصين، والاستقرار في الهند، والمواظبة فيها علىٰ العبادة والإرشاد.

وعيّن أخيراً ـ وخلافاً للسنة الرائجة ـ طفلاً يخلفه في منصبه، مما أثار حفيظة العديد من الرهبان والكهنة.

٦ ـ ٣. الكتب البوذية

ويعدّ ثري بيتكا ـ وتعني السلال الثلاث ـ من أقدم الكتب المقدسة عند البوذيين، ويشتمل علىٰ ثلاثة أقسام:

١. قواعد الرهبنة.

٢. منهج الفلاح والصلاح.

٣. المفاهيم الفلسفية والنفسية.

وثمَّة كتب مقدسة تختص بفرق بوذية مختلفة.

٤. ديانة السيخ

تشعبت الديانة البرهمية إلىٰ فروع أخرى، أشهرها ديانة السيخ (Sikh) وتعني التلميذ.

لقد أدّى التقاء الإسلام بالهندوسية في الهند عبر عصور مختلفة إلىٰ ايجاد مذاهب مزدوجة. وفي هذا الاطار قام أحد عرفاء المسلمين الكبار، ويدعى **كبير** (١٤٤٠-١٥١٨م) بإضفاء صبغة التوحيد الإسلامي علىٰ بعض العقائد الهندوسية، والتف حوله جمع غفير من الموالين والتلاميذ وأسس أحد هؤلاء التلامذة ويدعى **نانك** (Nanak) ديانة السيخ، وهو أوّل **غورو** (guru) – وتعني المعلم – تولى زعامة الطائفة السيخية، ثم أعقبه خلفاؤه التسعة. وازداد نفوذ هذه الطائفة شيئاً فشيئاً، حتى أصبحت كياناً سياسياً ودينياً مقتدراً.[١]

١ ـ ٤. سيرة نانك (مؤسس الديانة السيخية)

هو الغورو نانك ولد عام (١٤٦٩م) لأسرة تنتمي إلىٰ طبقة الاكشتريا، وتقطن إحدى قرى **لاهور**. تتلمذ علىٰ عرفاء مسلمين وهندوس، وزار الدول الاسلامية، وقصد مكة للحج. وانتهى به المطاف إلىٰ تأسيس الديانة السيخية، وبنى تعاليمه علىٰ أساس أقوال

---

١. تأثر الامبراطور أكبر، وهو من أعظم أباطرة المغول في الهند بهذه الديانة عام (١٠٠٠ هـ)، وابتكر ديناً جديداً سمّاه الدين الأكبري، سعى فيه إلىٰ تحقيق الصلح والوئام بين الطوائف والأديان.

وتعاليم الأولياء والصوفيين من المسلمين والهندوس. توفي عام (١٥٣٩م).

وقام بعد الغورو نانك تسعة أشخاص تعاقبوا على تولي زعامة الطائفة، وأطلق على كل واحد منهم لقب الغورو، وإليك قائمة بأسمائهم وتاريخ ولاداتهم ووفياتهم:

١. الغورو نانك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩م).

٢. الغورو أنجد (١٥٠٤ ـ ١٥٥٢م).

٣. الغورو عمار داس (١٤٧٩ ـ ١٥٧٤م).

٤. الغورو رام داس (١٥٣٤ ـ ١٥٨١م).

٥. الغورو أرجان (١٥٦٣ ـ ١٦٠٦م).

٦. الغورو هارغوبند (١٥٩٥ ـ ١٦٤٤م).

٧. الغورو هار راي (١٦٣٠ ـ ١٦٦١م).

٨. الغورو هاكريشان (١٦٥٦ ـ ١٦٦٨م).

٩. الغورو تاج بهادر (١٦٢١ ـ ١٦٧٥م).

١٠. الغورو غوبند سنغ (١٦٦٦ ـ ١٧٠٨م).

وقد تصدى الغورو الثامن لمنصب الزعامة في الخامسة من عمره وتوفي عن عمر يناهز ١٢ عاماً، و قُتل الغورو الخامس والتاسع.

كما شهد عهد الغورو العاشر وقوع صراع عنيف مع المغول، قتل فيه عدد كبير من أتباعه، بينهم أبناؤه الأربعة، وطرد من البنجاب، وكان قد أعلن قبل موته انتهاء تعاقب المرشدين (الغورو) في السيخ بعده.

٢ ـ ٤. التعاليم

أطلق نانك اسم (الحقّ) على الله تعالى، وكان يقول: إنَّ الله مهما أطلق عليه من اسم فهو الحق القادر المتعال فقط، وإنّ السعادة والوصول إلى النيرفانا تكمنان في الاستغراق في ذكر الحق، وآمن بالمايا أو الوجود الوهمي للعالم، الذي ورد ذكره في الديانة

الهندوسية، كما آمن بدوامة التناسخ والكارما (قانون جزاء الأعمال)، وأباح لاتباعه أكل اللحوم، وحظر الوثنية والرياضات الشاقة وشرب الخمر والتدخين وألغى الفوارق الطبقية وتعدد الزوجات.

ويرتبط السيخ فيما بينهم بعلاقات وثيقة، ويناضلون من أجل الانفصال عن الهند، وتأسيس دولة مستقلة، وما اغتيال السيدة غاندي إلّا حلقة من سلسلة نشاطاتهم السياسية، ولهم تبليغات مذهبية، وكُتب في هذا المضمار ترجمت إلىٰ مختلف اللغات.

٣ ـ ٤. الآثار المذهبية

شيّد الغورو أرجان (خامس زعماء الطائفة) معبداً وهيكلاً ضخماً مطلياً بالذهب في مدينة أمريتسار (Amritsar) بالهند، وألّف كتاب «**غرانت صاحب** – Granth-Sahib» الذي يعدّ من أهمّ الكتب المقدسة عند السيخ.

٤ ـ ٤. التاريخ السياسي للسِّيخ

راجت بين السيخ علىٰ عهد الغورو غوبند سنغ (عاشر زعماء الطائفة) مسألة البيعة في القضايا السياسية، وأخذت هذه الطائفة تسلك طريق العنف، بعد أن كانت سلمية في البداية، ومنذ ذلك الوقت أطلقت علىٰ نفسها اسم **الخالصة** (Khalsa)، أي العارية عن التكلف، ورفعت شعارات خمسة، تبدأ كلها بحرف الكاف باللغة البنجابية:

١. الكيسا (Kais): إرسال شعر الرأس واللَحىٰ.

٢. الكانكا (Kangha): حيازة المشط.

٣. الكاشا (Kachha): ارتداء سروال قصير لا يتجاوز الركبة.

٤. كارا (Kara): لبس سوار من الفولاذ.

٥. كيَرْبان (Kirpan): حمل سيف أو خنجر من الفولاذ.

امتهن السيخ حرفة التجارة، وانتشروا في كافة أرجاء العالم مزاولين حرفتهم.

الخلاصة

أ) الهندوسية: هي دين متطور ومجموعة من التقاليد والأوضاع الاجتماعية والثقافية مقرونة بتهذيب النفس وترويضها، وكان يطلق علىٰ دين الهندوس قديماً اسم البرهمية نسبة إلىٰ براهما إله الهندوس. وتعتبر الهندوسية شكلاً متكاملاً للأرواحية، ومن هنا لم يعرف لها مؤسس يمكن الرجوع إليه.

و تتلخص أصولها في الاعتقاد بالكتب والطقوس الدينية للبراهمة، عبادة الآلهة، والاعتقاد بالتناسخ و رعاية مقررات الطبقات الاجتماعية في المعيشة والزواج واحترام الموجودات الحية.

ب) الجينية: شيّدت اركان الديانة الجينية في القرن الخامس قبل الميلاد من قبل مهاويرا. ومن أغرب سنن الجينيين هي حرمة ارتداء الملابس.

وحول حدود هذا العراء انقسموا إلىٰ ديجامبرا وسفيتامبرا.

ج) البوذية: مؤسس الديانة البوذية هو بوذا ولد عام ٥٦٣ق.م وتوفي عام ٤٨٣ق.م.

إنّ المباديء التي نادى بها بوذا تعتمد إلىٰ حد كبير علىٰ اصول الديانة الهندوسية من الاعراض عن الدنيا وتهذيب النفس والتأمل والمراقبة والحث علىٰ التخلص من دوامة هذه الحياة الدنيا الشاقة والالتحاق بالنيرفانا.

و يُعدّ (ثري بيتكا) من أقدم الكتب المقدسة عند البوذيين ويشتمل علىٰ قواعد الرهبنة ـ منهج الصلاح ـ المفاهيم النفسية والفلسفية.

د) السيخية: مؤسس الديانة السيخية هو نانك (١٤٦٩ ـ ١٥٣٩م) ولقب بـ«الغورو نانك» وأعقبه تسع خلفاء تولوا زعامة الطائفة.

أطلق نانك علىٰ الله تعالىٰ اسم الحق، وان السعادة والوصول إلىٰ النيرفانا تكمنان في الاستغراق في ذكر الحق، وآمن بالمايا والتناسخ والكارما.

الاسئلة

١. ما هي أصول الديانة الهندوسية؟

٢. اذكر أسماء آلهة الفيدا؟

٣. ما هو التناسخ و ما هي أقسامه؟

٤. ما هي الديانة الجينية ومن هو مؤسسها؟

٥. ما هي أصول الديانة البوذية؟

٦. اذكر أهم الكتب المقدسة عند البوذيين؟

٧. ما هي الديانة السيخية ومن هو مؤسسها؟

٨. ما هي أصول الديانة السيخية؟

مصادر البحث

١. الدنبرغ، هرمان، فروغ خاور (بالفارسية)، ترجمة بدر الدين الكتابي، طهران، منشورات اقبال، ١٣٧٣.
٢. بتاس، داسفو، تاريخ الفلسفة الهندية، لندن، كمبردج، ١٩٢٢.
٣. توماس، ا.، حياة بوذا: الاسطورة والتاريخ، لندن، ١٩٤٩.
٤. زاهنر، ر.، الهندوسية، لندن، اكسفورد، ١٩٦٢.
٥. شلبي، أحمد، مقارنة الاديان، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦.
٦. غرانت صاحب.
٧. الفيدات.
٨. كونز، ادوارد، البوذية جوهرها وتطورها، اكسفورد، ١٩٥١.
٩. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢م.
١٠. هولم، ج، دراسة الاديان، لندن، ١٩٩٧.
١١. هيوم، روبرت، اديان زنده جهان (بالفارسية)، ترجمة عبد الرحيم كواهي، طهران، مكتب نشر الثقافة الاسلامية، ١٣٧٣.
12. Dubois, Abbe, Hindu Manners, Customs and Ceremonies, Oxford: Oxford University Press,1906

٥
الصين واليابان

١. الكونفوشيوسية

كونفوشيوس (Confucius): حكيم صيني، سياسي أسّس مذهب الكونفوشيوسية الذي راج في بلاد الصين، ثمّ أفل نجمه بعد مدّة وجيزة. وحلّت محله الديانة البوذية.

١ ـ١. سيرة كونفوشيوس

في حدود عام ٥٥١ ق.م. وفي ولاية لو (Lu) الصينية، ولد لأُسرة كونغ (kung) الحاكمة في تشو (Tsow) طفل سُمّي كيو (Chiu)، وفي الثالثة من عمره مات أبوه وترك زوجته ضحية لفقر مدقع، ومع ذلك استطاعت هذه الأرملة أن توفّر لابنها الوحيد تعليماً طيباً، أثار إعجاب معلّميه الذين أثنوا علىٰ اهتمامه بالدراسة وفهمه للأشياء، وتكهّنوا له بمستقبل باهر.

ولما بلغ التاسعة عشرة منحه الوزير الأعظم لتلك الولاية وظيفة أمين مخازن الحبوب، وكان إلىٰ جانب وظيفته تلك يكرّس جهوده لدراسة الشعر والموسيقى، فذاع صيته، وتوافد عليه العلماء طلباً للعلم والكمال وأطلق عليه الناس اسم كونغ -فو - تشي أي كونغ الفيلسوف، ومن هنا غلب عليه إسم كونفوشيوس.

كانت حياة كونفوشيوس مليئة بالأحداث، حيث تقلّب في عدّة مناصب حكومية إلىٰ جانب تربية التلاميذ، وتسلّم الوزارة وهو في الخمسين من عمره ثمّ ترقى وصار وزيراً أعظم، مما أثار حسد مناوئيه، الأمر الذي دعاه إلىٰ اعتزال الحياة السياسية، والتنحّي عن كافّة المناصب الحكومية، والاقتصار علىٰ التدريس.

وأخيراً توفى عام ٤٧٩ ق.م. وكان مجهولاً إلىٰ حدّ كبير، لكنّه اشتهر بعد قيام تلامذته وأتباعه بنشر أفكاره.

٢ ـ ١. الآثار

وضع كونفوشيوس في أواخر عمره عدّة كتب، أصبحت جزءاً من التراث الأدبي للصين، وهذه الكتب عبارة عن:

١. شو تشنغ (كتاب التاريخ).

٢. شي تشنغ (كتاب الشعر).

٣. لي جي (كتاب الشعائر).

٤. إي تشنغ (كتاب التغيّرات).

٥. جون جيو (تدوين مذكّرات الربيع والخريف).

والكتب الأربعة الأولى، هي مختارات من أقوال الحكماء الماضين، والكتاب الخامس اختصّ بنقل أقواله.

٣ ـ ١. التعاليم

إنّ تعاليم كونفوشيوس مؤلّفة من الأصول الأخلاقية والسياسية، مشفوعة ببعض التعاليم الدينية. وكان يعتقد أنّ السلف نهجوا قاعدة لي (Li) في مسيرة حياتهم، فأسبغت عليهم الخيرات والبركات. التي حرم منها أبناء عصره علىٰ أثر مجانبة هذه القاعدة والعزوف عنها.

إنّ (لي) حسب معتقدات كونفوشيوس لها معان مختلفة، نظير الطهارة، الأدب، التشريفات، والعبادة. وكان يعتقد أن الخير سيعمّ المجتمع الذي ينتهج هذه القاعدة، ويرتقي به إلىٰ مجتمع مبدئي فاضل.

٤ ـ١. الأصول الأخلاقية

وقد طرح أصولاً خمسة، متى ما استقامت استقام ما سواها، وهي:

١. مبادلة الحبّ والحنان بين الأب والابن.

٢. عطف الأخ الأكبر علىٰ الأخ الأصغر، وتواضع الأصغر للأخ الأكبر.

٣. إنصاف الزوج في معاملة زوجته، وإطاعة الزوجة لزوجها.

٤. حبّ الأقوياء للضعفاء، وإطاعة الضعفاء للأقوياء.

٥. تفقّد الحكّام للرعيّة، ووفاء الرعيّة للحكام.

ومن تعاليم كونفوشيوس عن المدينة الفاضلة وعلاقة الحاكم بالشعب أن الحاكم إذا أطاع القوانين المقرّرة ونفّذها بحذافيرها، فإنّ جميع الناس علىٰ اختلاف درجاتهم ومناصبهم سوف يقتدون به ويمتثلون القوانين أيضاً. كما تحدّث عن الإنسان الكامل وصفاته الخمسة التي استعرضها علىٰ النحو التالي: عزة النفس، علوّ الهمّة، إخلاص النيّة، الشوق إلىٰ العمل، السلوك الحسن.

٥ ـ١. المناسك

علىٰ الرغم من أنّ كونفوشيوس كان معلم أخلاق فحسب ولم يدّع غير ذلك، إلّا أنّ الناس وجدوا في تعاليمه الروح المعنوية، وفي شخصه المثل الأعلى للالتزام الديني.

إنّ الدين الذي نادى به كان في غاية البساطة وبعيداً عن مسائل ما وراء الطبيعة، وقد انصبّت جهوده علىٰ ترويض نفسه وفق العبادات والمناسك الرائجة في عصره. وكان يردّد إن خواقين السلف كانوا سعداء، لأنهم خلّفوا أبناءً وأحفاداً واظبوا علىٰ إقامة مراسم القرابين والعبادة وعلىٰ تخليد ذكراهم حتىٰ بعد وفاتهم.

٦ـ١. الأتباع والخصوم

جاب تلاميذ كونفوشيوس ـ الذين بلغ عددهم كما يقال سبعين تلميذاً ـ معظم أرجاء الصين، واتصلوا بالحكّام وأصحاب النفوذ الأمر الذي أدّى إلىٰ انتشار تعاليم هذا الحكيم، واستمرار بقائها في أوساط جيل واحد أو جيلين. ثم واجهت مشاكل حادّة إثر ضعف النظام الإقطاعي الملكي، وظهور مذاهب فلسفية مناهضة أخذت تشن حملاتها ضدّ أفكاره وتعاليمه. وفي هذا الخضم كان النصر حليفَ تعاليم كونفوشيوس أحياناً، وحليفَ خصومه أحياناً أخرى إلىٰ أن زحفت الديانة البوذية إلىٰ الصين، فطوت بساط هذا النقاش لحسابها، وأصبحت أفكار كونفوشيوس هامشية، إلّا أنّ شهرة وعظمة صاحبها لم تتضاءلا قطّ.

٧ـ١. الدين الرسمي

مجّد أباطرة الصين وفي عصور مختلفة ذكر كونفوشيوس، واعتبروه من أعاظم الحكماء، و راج نحر القرابين عند ضريحه منذ عهد تلاميذه ومريديه، إلّا أن أول إمبراطور زار ضريحه ونحر قرباناً وقدّم هدايا هوكاو تسو عام ١٩٥ ق.م. ثم أصبحت هذه المراسم سنّة التزم بها سائر الأباطرة الذين تعاقبوا علىٰ الحكم بعده.

ومنذ عام ١٩١١م. أخذ أداء الاحترام الرسمي لروح كونفوشيوس يقلّ بالتدريج، حتى اضطرّت حكومة الصين ـ ولأجل إحياء أفكاره ـ إلىٰ اعتباره مفكّراً علىٰ غرار نيوتن و باستور إلىٰ أن قامت الثورة الشيوعية في الصين عام ١٩٤٩م، فأخذت تشنّ حملة شعواء علىٰ أفكاره، حيث عدّه الشيوعيون من أقطاب المدافعين عن الطبقة الأرستقراطية أمام الطبقة الكادحة من عامة الناس.

٢. الطاوية

ينسب مذهب **الطاوية** (Taoism) إلىٰ الحكيم **لاو تسي** (Lao - tse) (المتوفّىٰ

٥١٧ق.م.). وقد دار جدال و نقاش حول حقيقة هذه الشخصية. وهل كانت واقعاً قائماً أم مجرّد أسطورة؟

وعلىٰ أي حال، فيظهر من القصص القديمة أنه ولد عام (٦٠٤ق.م.)، وتولّى منصب خازن في بلاط الامبراطور، إلّا أنه سرعان ما اعتزل كل شيء، وتخلّى عن جميع اهتماماته الإجتماعية والعلمية، وانزوى في داره، منصرفاً إلىٰ الصمت والتأمل و إلىٰ تصفية روحه.

وقد انتاب الناس شوق إلىٰ معرفته، فاختلفوا إليه للاطلاع علىٰ أفكاره، وقيل إن كونفوشيوس كان ممّن زاره، وأخيراً قرّر مبارحة موطنه، لما أصابه من كلل وملل من الزيارات المتتابعة، فصادف عند بوابة المدينة أحد الحرّاس، فطلب منه أن يعلّمه شيئاً، فدوّن له لاو تسي رسالة، أطلق عليها **تاو تي تشنغ**، أي رسالة الطاوية، وهي لا تزال موجودة، وتتميّز باشتمالها علىٰ كلمات قصار، يحمل بعضها معنىً مبهماً، ثم سلّمها إليه، وتابع السير في رحلته، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخباره. وقيل إنه توفي عام (٥١٧ق.م.).

أما مدّعى الذين يعتقدون أن لاو تسي شخصية أُسطورية، فهو أن الفلسفة المنسوبة هي أقدم من زمان كونفوشيوس، وأن الرسالة المذكورة كانت موجودة قبله.

١ ـ ٢. لاو تسي وفلسفة تاو تي تشنغ

إن الرسالة المنسوبة إلىٰ لاو تسي ليست في الواقع نتاج شخص واحد، بل أُدخلت عليها تعديلات عبر القرون، إلّا أنّ القسم الأعظم منها يرجع إلىٰ القرن الرابع قبل الميلاد.

من وجهة نظر فلاسفة الصين القدماء، فإنّ أيّ فعل وانفعال في هذا العالم يقع تحت تأثير نظام يعرف بـ«تاو» وتعني باللغة الصينية الطريق والمنهج، ويطلق في الأصل علىٰ قاع النهر، وقالوا: ليس لتاو بداية ولا نهاية، وإنما انساق في هذا العالم المادي عقب ظهوره ليجري التناسب بين أجزائه. من هنا فإن اصطلاح تاو قريب من اصطلاح كاسموس (Cosmos) اليوناني الذي يعني التناسب أيضاً، وكان اليونانيون يطلقون كاسموس علىٰ العالم.

وجاء في رسالة تاو تي تشنغ أنه إذا تُركت الأشياء و وضعها الطبيعي، فإنها سوف تسير بمنتهى التناسب، لأن حركتها تنتظم مع تاو ولكن لو اختلّ وضعها الطبيعي، فإنها سوف تفقد التناسب المذكور. إن مواكبة تاو يجب أن تكون هدف الإنسان النهائي.

٢ ـ٢. شوانغ تزو ومقالاته

يعدّ شوانغ تزو من أشهر فلاسفة الطاوية بعد لاو تسي. وقيل إنه نشر تعاليم أُستاذه المزعوم (لاو تسي) في القرن الرابع قبل الميلاد، ونُسبت إليه (٣٣) مقالة، يُقطع بصحة نسبة الكثير منها إليه. وقد رسم التحولات الطارئة علىٰ العالم بشكل دوراني. وكان يعتقد أن الأضداد تؤثر في بعضها البعض، الأمر الذي يؤدّي إلىٰ زوالها .ويعتقد أيضاً بنسبية الخير والشر. وكان يستعين كثيراً بالشواهد والأمثال لبيان أفكاره.

٣ ـ٢. الدين الرسمي

قام أحد أباطرة الصين ـ ولأول مرّة ـ ببناء معبد باسم لاو تسي عام (١٦٥ ق.م.)، وقدّم له هدايا كثيرة، إلّا أنّ الطاوية لم تنتشر حتى اعتُرف بها رسمياً في الصين في القرن السابع الميلادي، وقد تزامن ذلك مع انتشار ديانة بوذا وكونفوشيوس. وعكف الناشطون علىٰ نشر الطاوية من خلال الدعاية بأن ديانة بوذا ليست ديانة محلية وإنما تسرّبت إلىٰ الصين عبر الهند، وسنّوا آداباً و رسوماً، وجعلوا لكل شيء إلهاً، ومع ذلك فإنّ الديانة الطاوية لم تجتذب أفراداً كثيرين، بل أخذ دورها في المجتمع يضمحلّ بالتدريج، إلّا أنه ما زال هناك من يعتقد بالجانب السحري والكهنوتي لهذه الديانة علىٰ الرغم من الحملة التي تمارسها الحكومة الشيوعية ضدّ الأفكار الدينية.

٣. الشنتو

الشنتو (Shinto): وتعني طريق الآلهة؛ وهي ديانة اليابان الأثرية، التي تدعو الىٰ إلٰهة الشمس التي تعرف باسم أماتيراسو (Amaterasu) حارسة لأرض الأجداد، و تجلّى نسلها في الأسرة الحاكمة.

١ ـ ٣. الخلفيات الإجتماعية

زحفت ديانة المهايانا البوذية إلىٰ اليابان عام (٥٥٢م)، وتسرّب العديد من مظاهرها إلىٰ ديانة الشنتو عقب احتكاكها بها. وتعتبر عبادة الآلهة والإمبراطور، ونحر القرابين، وحبّ الوطن من آداب هذه الديانة، كما أنّ البوشيدو (Bushido) وتعني طريق الفرسان والمحاربين قد تمّ استلهامها من ديانة (زِن)، وهي تؤكّد علىٰ الولاء والفتوة والشرف والتضحية بالذات. وعلىٰ هذا الأساس فإنّ المحاربين يحملون معهم خناجر مخصوصة، ويعمدون في حالة اندحارهم في الحرب إلىٰ طعن أنفسهم بها وبقر بطونهم، تضحيةً من أجل الوطن، واستشهاداً في سبيله. وقد أُجريت تعديلات عديدة علىٰ هذه الديانة، وأُلغيت عبادة الإمبراطور بأمر منه عام (١٩٤٦م)، ولا زالت هذه الديانة باقية في اليابان إلىٰ اليوم، وتُمارس طقوسها إلىٰ جانب الديانة البوذية.

٢ ـ ٣. كتب الشنتو

ثمّة كتب تخصّ ديانة الشنتو، تضمّ آداب وسنن الغابرين، وقد أُعدّت في مراحل زمنية مختلفة، حيث دُوّن بعضها عام (٨٠٦م)، واشتملت علىٰ أساطير قديمة تهدف إلىٰ الدفاع عن رهبان الشنتو، ودُوّن بعضها الآخر في القرن العاشر، وضمّت فهرساً لعبادات ومناسك ورسوم الشنتو، لاسيما آداب عبادة الإمبراطور.

٣ ـ ٣. ريجوبو (Rijibu)

حظيت الديانة البوذية منذ القرن الثامن الميلادي بانتشار واسع في اليابان، واكتسبت عطف الطبقات الحاكمة، فبدأ أن الحاجة ملحة إلىٰ التوفيق بين ديانة شنتو القومية القديمة من جهة، وديانة بوذا الدخيلة الطّارئة من جهة أخرى. في هذه الأثناء أعلن الرهبان البوذيون أنهم اطّلعوا من خلال مكاشفاتهم علىٰ أن كل إلهة من آلٰهة اليابان القديمة، هي في الواقع **بوذي ستف**، كان قد تجلّى هناك، وأن أماتيراسو (وتعني إلٰهة

الشمس) هي ظهور ساطع لبوذا في اليابان. وكانت نتيجة هذا التوفيق، ظهور مذهب ريجوبو (ويعني الشنتو المركّب) الذي تصدّوا للتبليغ له. وبهذه المحاولات تمّ إحياء ديانة الشنتو.

٤ ـ ٣. الدين الرسمي

قام كبار رهبان الشنتو منذ القرن السابع عشر الميلادي بإحياء ديانة الشنتو القديمة، ورفض التأثير البوذي. وكان عام (١٨٦٨م) حافلاً بطروء تحولات جديدة على الحياة الاجتماعية في اليابان التي فتحت أبوابها أمام حركة السياحة لاسيما من أمريكا، مما زاد في نشاط حركات التبشير المسيحية. ولم يدم ذلك طويلاً حتى أعلن إمبراطور اليابان عن اعتبار ديانة الشنتو هي الديانة الرسمية للبلاد، وأمر بإزالة كافّة مظاهر الديانة البوذية عن الشنتو، ونُفّذ الأمر في البداية بضغط السلطات الحاكمة بسبب إقبال الناس المتزايد على الديانة البوذية. ثمّ جاء دستور عام (١٨٨٩م) ليمنح المواطنين الحريات الدينية المطلقة، إلّا أن الدولة كانت تنحاز إلى جانب ديانة الشنتو.

واستمرّ الدين الرسمي للدولة (الشنتو) حتى عام (١٩٤٥م)، وهو العام الذي رزحت فيه اليابان تحت نير الاحتلال، بعد تعرّضها لقصف نووي أمريكي، وهزيمتها في الحرب. وبقيت تعاليم الشنتو تنمّي الروح القومية للشباب بغية التصدي لمظاهر النفوذ الغربي. وبعد عام (١٩٤٥م) أصبح إجراء طقوس الشنتو أمراً اختيارياً.

الخلاصة

أ) الكونفوشيوسية: نسبة إلىٰ مؤسّسها كونفوشيوس وهو حكيم صيني، ولد عام ٥٥١ ق.م في ولاية **لو** وتوفّي عام ٤٧٩ ق.م، وكان مغمور الذِكر إلّا أنه اشتهر بعد قيام اتباعه بنشر أفكاره.

ومن أهمّ آثاره شو تشنغ – شي تشنغ ـ لي جي ـ اي تشنغ – جون جيو وتتألف تعاليمه من الأصول الأخلاقية والسياسية مشفوعة ببعض التعاليم الدينية.

إنّ الدين الذي نادى به كان في غاية البساطة وبعيداً عن مسائل ما وراء الطبيعة، وقد انصبّت جهوده علىٰ ترويض نفسه وفق العبادات والمناسك الرائجة في عصره.

ب) الطاوية: ينسب مذهب الطاوية إلىٰ الحكيم لاو تسي (المتوفّىٰ ٥١٧ ق.م)، ودوَّن رسالة أطلق عليها تاو تي تشنغ، أي رسالة الطاوية وملخصها أنّ أيّ فعل وانفعال في هذا العالم يقع تحت تأثير نظام يعرف بتاو الذي لا بداية ولا نهاية له وإنما انساق في هذا العالم المادي عقب ظهوره ليجري التناسب بين أجزائه.

ج) الشنتو: وتعني طريق الآلهة وهي ديانة اليابان الأثرية التي تعتقد بأن آلهة الشمس التي تعرف باسم أماتيراسو حارسة لأرض الأجداد وتجلّى نسلها في الأُسرة الحاكمة.

وقد تأثّرت كثيراً بديانة المهايانا البوذية التي زحفت إلىٰ اليابان عام ٥٥٢م، وبذلت محاولات من أجل التوفيق بينها وبين البوذية كانت نتيجتها ظهور مذهب ريجوبو وتعني الشنتو المركب.

الاسئلة

١. ما هي الديانة الكونفوشيوسية ومن هو مؤسّسها؟

٢. اذكر أُصول الديانة الكونفوشيوسية؟

٣. ما هي الديانة الطاوية ومن هو مؤسّسها؟

٤. ما هي ديانة الشنتو؟

٥. أذكر تعريفاً لريجوبو؟

مصادر البحث

١. سميث؛ كونفوشيوس، لندن، ١٩٧٣.
٢. كريل، ه، كونفوشيوس: الرجل والاسطورة، لندن، ١٩٥١.
٣. كريل، ه، ماهي الطاوية، جامعة شيكاغو، ١٩٧٠.
٤. كونفوشيوس، مكالمات، طهران، مركز ترجمة ونشر الكتاب، ١٣٤٠.
٥. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢م.
٦. هيوم، روبرت، أديان زنده جهان (بالفارسية)، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣.

٦
إيران القديمة

١. ديانة مغان

إنّ أقدم ديانة لسكان إيران الأصليين غير الآريين هي ديـانة مـغان الّتي ظـهرت قـبل زرادشت وقبل حكم الماد، وتعني كلمة **مغ** (مغوش) في لغة إيـران القـديمة الخـادم. ويبدو أن المغان هم أول من قطن إيران، ثمّ تعايشوا مع الآريين بعد زحفهم إليها، نظير ما حدث للدرافيديين في الهند. إن اصطلاح المجوس الذي يُطلق فـي العـربية عـلىٰ الزرادشتيين مشتقّ من الكلمة المذكورة (مغوش).

ويعتقد بعض الباحثين أنّ الثنوية التي طرأت علىٰ ديانة زرادشت (أي الإيمان بإله الخير وإله الشر) قد تسرّبت إليها من ديانة مغان القديمة. لأن كتاب **الغاثا**، وهـو أقـدم أجزاء **الأفستا** والذي اتسم بطابع إيراني، لم يُعثر فيه علىٰ أي أثـر للـثنوية المـذكورة، ولكن يظهر من الكتب التاريخية أنّ ديانة مـغان القـديمة اتسـمت بـالثنوية، وآمـنت بالبعث أيضاً.

٢. ديانة زرادشت

أخذ الآريون ـ بعد عدّة قرون من استقرارهم في إيران ـ بالاستيطان تدريجياً في المدن، الأمر الذي ترك تأثيره علىٰ رؤيتهم الكونية.

وفي تلك العصور، نهض مصلح اسمه زرادشت، دعى الآريين الذين سئموا الخرافات إلىٰ دين جديد، ونبذ دين مغان، و زعم أنه مبعوث من قبل إله الخير والنور، وأنه استمد رسالته من **آهورا مازدا** (Ahura Mazda) مباشرة لينقذ العالم من الظلام والشر، ويسوقه إلىٰ الخير والنور.

ويطلق علىٰ الزرادشتيين أسماء أخرى مثل غبر، مجوس، پارس. وتعني كلمة غبر في اللغة السريانية الكافر، وهذه التسمية أطلقها عليهم الآخرون. كما أنّ اصطلاح (المجوس) في اللغة العربية اسم جنس جمعي، ومفرده مجوسي.

وقد جاءت كلمة المجوس في القرآن الكريم إلىٰ جانب أتباع بقية الديانات [الحج /١٧]. ويعتقد أغلب علماء الإسلام أن الزرادشتيين هم أهل كتاب، و وردت في هذا الصدد أخبار أيضاً.

«سئل أبو عبد الله عليه السلام عن المجوس أكان لهم نبي؟ فقال: نعم أما بلغك كتاب رسول‌الله صلى الله عليه وآله الىٰ أهل مكة أن أسلموا والا نابذتكم بحرب فكتبوا الىٰ رسول‌الله صلى الله عليه وآله أن خذ منّا الجزية ودعنا علىٰ عبادة الأوثان، فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وآله: أنّي لست آخذ الجزية الا من أهل الكتاب فكتبوا اليه ـ يريدون بذلك تكذيبه ـ: زعمت أنّك لاتأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب ثمّ أخذت الجزية من مجوس هجر، فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وآله: أنّ المجوس كان لهم نبيّ فقتلوه وكتاب أحرقوه، أتاهم نبيهم بكتابهم في إثني عشر ألف جلد ثور».[1]

وقد طرأت تحوّلات وتغييرات علىٰ ديانة زرادشت نحو قرن واحد قبل الميلاد، وسُمّيت بعد التعديل ديانة **مزديسنا**، وتعني في اللغة مدح مزدا.

١ ـ٢. سيرة زرادشت

ساورت العلماء شكوك حول الوجود التاريخي لنبي إيران القديمة، وإن اتفق أغلبهم

---

١. الكافي: ٣ / ٥٦٧، الحديث ٤.

علىٰ استبعاد نفي وجـوده. إنّ كـلمات مـن قـبيل: زردشت، زرتشت، زردهشت، قـد اشتقت معظمها من مصطلح زر ثوشتر (Zarathushtra) الذي ورد ذكره في **الغاثا** (وهو جزء من الكتاب السماوي لزرادشت)، والذي يساوي ـ طبقاً لأصح النظريات ـ زرد اشتر، وتعني صاحب الناقة الصفراء.

أما اسم والده، فهو **بورشَسب** (أي صاحب الجواد الهرم)، واسم والدتـه **دغـدويه**، ويعني (حالبة البقرة)، من قبيلة **سبتياما**، ويعني (العِرق الأبيض).

ويعتقد المؤرّخ الإسلامي الشهير الطبري وأتباعه أنّ زرادشت كان من فلسطين ثم انتقل إلىٰ إيران، إلّا أنّ القول الصحيح والمشهور أنه من أذربيجان في إيران، وأنه بُعث عند جبل بالقرب من بحيرة أورومية.[١]

واختلفت وجهات النظر حول زمان زرادشت، حتى قيل إنه ظهر سنة (٦٠٠٠ق.م)، ولكن وفقاً للنظرية المشهورة، فإنه ولد سنة ٦٦٠ق.م.، وبُعث سنة ٦٣٠ق.م. (وهو في سنّ الثلاثين).

وبعد ان بُعث توجه الىٰ الملك كوشتاسب ودعاه الىٰ دينه فقبل دعوته، وقد ورد في الشاهنامة[٢] ان الايرانيين كانوا يؤدون الخراج للطورانيين الا ان زرادشت نـهىٰ المـلك عن دفعها فنزل عند رغبته مما أثار غضب الطورانيين خاصة وان كـوشتاسب رفـض التخلي عن دينه الجديد بعد ان طلبوا منه ذلك، الامر الذي دعاهم الىٰ تجهيز جـيش لقتاله، وطبقاً للنصوص الزرادشتية فقد شارك زرادشت في الحرب التي انتهت بمقتله، واخيراً كان النصر حليف كوشتاسب الذي استمر في ترويج الديانة الجديدة ثـم قـام بعده ابنه **اسفانديار** بهذه المهمة.

وقيل انه قُتل سنة ٥٨٣ق.م. (وهـو فـي سـنّ ٧٧) فـي بـيت النـار فـي مـدينة بـلخ بأفغانستان، إثر مداهمة المدينة من قبل الغزاة.

---

١. ذهبت الكتب الدينية للزرادشتية إلىٰ قدسية مياه هذه البحيرة. ٢. الشاهنامة: ٢٩٥.

وعلىٰ الرغم من أنّ بعثة زرادشت ورد ذكرها في شاهنامة الفردوسي، إلّا أنها أُدرجت في قسم الأساطير من الكتاب المذكور، نظراً إلىٰ تضارب الآراء حول شخصية كوشتاسب (الملك الذي دعاه زرادشت إلىٰ دينه الجديد)، حيث يعتقد البعض أنه هو فيشتاسب والد داريوس الأخميني، في حين ثبت تاريخياً أنه كان والياً، ولم يكن ملكاً.

٢ ـ٢. أفِستا

يُسمّى الكتاب السماوي للزرادشتيين أفستا، ويعني الأساس واللبنة والمتن، وقد كتب باللغة الأفستائية التي كانت سائدة في إيران القديمة، والتي تتحد في أصولها مع الّلغة الفهلوية والسانسكريتية. ويعتقد العديد من المحققين أنّ الخطّ الأفستائي قد ظهر في العهد الساساني (٢٢٦ - ٦٤١م.)، وكان أفستا في بداية الأمر محفوظاً في الصدور، ثم كُتب بالخطّ المذكور، وقيل إنه نجز بعد ظهور الإسلام.

ومهما يكن من أمر، فإن أغلب الباحثين متفقون علىٰ أن أصل أفستا كان ضخماً للغاية، حتى قيل إنه نسخ علىٰ (١٢٠٠٠) جلد من جلود البقر، أما الأفستا الموجوداليوم، فهو يضم (٨٣٠٠٠) كلمة، ويحتمل أن أصله كان يضمّ (٣٤٥٧٠٠) كلمة (أي أربعة أضعاف).

ويتألّف أصل أفستا من (٢١) نَسْكاً (كتاب أو قسم)، ولايختلف عنه الأفستا الموجود، حيث يتألّف من (٢١) نسكاً أيضاً.

وينقسم أفستا إلىٰ خمسة أقسام:

١. **الياسنا** (أي العبادة والمهرجان)، ويطلق علىٰ مقطع منه اسم **الغاثا** (ويعني النشيد). وهذا القسم ـ وهو أشهر أقسام الأفستا، ويضمّ أدعية ومعارف دينية ـ يُنسب إلىٰ زرادشت نفسه، في حين تُنسب سائر أقسام الأفستا إلىٰ زعماء ديانة زرادشت.

٢. **الفسبريد** (أي الزّعماء و الأعيان)، ويشتمل علىٰ أدعية.

٣. **الفندايد** (أي القانون المضاد للشيطان)، ويُعنى بمسائل الحلال والحرام والطهارة والنجاسة.

٤. **الياشت** (أي أدعية الأناشيد والتسابيح).

٥. **الخرد أفستا** أو (الأفستا الصغرىٰ)، وتتطرق إلىٰ الأعياد والمراسم المذهبية وأناشيدها.

و لدىٰ الزرادشتيين ـ إلىٰ جانب كتاب أفستا ـ كتاب تفسيري يسمّى **زَنْدأفستا**، وكتب مقدّسة أخرى دُوّنت باللّغة الفهلوية.

٣ـ٢. تعاليم زرادشت

ثمّة أصول ثلاثة نادت بها ديانة زرادشت، هي: القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر الحسن، ونحن نجد نظائر هذه الأصول في الأديان المختلفة كالإسلام، حيث ورد فيه **«الإيمان قول باللسان، وإقرار بالجَنان، وعمل بالأركان»**.[١]

ومن أبرز مظاهر ديانة زرادشت، هي احترام النار باعتبارها مظهراً من مظاهر إله النور، والإبقاء علىٰ شعلة النار مضطرمة، وإقامة مراسم خاصة حولها في معابد تُعرف ببيوت النار، وحثت أيضاً علىٰ العمران والزراعة والرعي واستيطان المدن، واحترام الحيوانات لاسيما الكلب والبقرة. كما تمتع حسن المعاملة مع الناس بمكانة مرموقة في هذه الديانة. وقد ارتبطت بعض العادات والرسوم الرائجة في إيران بتعاليم زرادشت، وظهرت عند بعض الزنادقة في القرون الأولى للإسلام نزعات زرادشتية.

٤ـ٢. قصة الخلق وعقيدة الثّنوية

لا يعلم أحد علىٰ وجه التحديد، متى بدأ الزرادشتيون بالنزوع إلىٰ إله الخير وإله الشر أو إله النور وإله الظلمة.

ونطالع في **الغاثا** (قسم الياسنا من أفستا) المنسوب إلىٰ زرادشت نفسه، أن أهريمن جابه العقل المقدس، ولم يجابه **آهورامازدا** (الإله الواحد المهيمن علىٰ إله النور والظلمة).

كما ظهرت في العصر الساساني جماعة من الزرادشتيين تُعرف بـ**«الزُّرفانيين»**،

---

١. بحار الانوار: ٦٩ / ٧٣.

كانت تعتقد بأنّ الإله واحد، وهو **زُرفان** (Zurvan) الذي تجاوزت عظمته عظمة إله النور والظلمة. وكان لهذه الفرقة في تلك الحقبة أتباع كثيرون.[١]

٥ ـ ٢. الآلهة

يُعلم من خلال مطالعة ديانة زرادشت، أنه قام بإصلاح ديني في أوساط الإيرانيين، بغية نبذ الخرافات التي ألمّت بالديانة القديمة للآريين. وكان في طليعة ذلك التبليغ لآهورامازدا، وتزييف آلهة قومه التي كانت تُسمّى **ديفا** (ويعني الشيطان)، وإطلاق اسم **«آلهة دروغ دوستان»** عليها.

و ثمّة ملائكة ستة (نظراء الملائكة في الأديان الإبراهيمية) يأتمرون بأمر آهورامازدا، أطلق عليهم اسم امشا سفندان ويعني الخلود المقدس، ولهم زعيم يُدعى سفنتامابنيو ويعني العقل المقدس. أما أسماء الملائكة فهي كالتالي:

١. فوهومنو (Vohuman)

٢. اشافهشتا(Asha - vahishta)

٣. اخشترافئيريا(Xshathra - vairya)

٤. اسبنتا آرمائتي (Spenta - armaiti)

٥. هارفاتات (Haurvartat)

٦. أمرتات (Ameretat)

ويعقب هؤلاء **يزتات**، وهم ثلاثون ملَكاً، ينضوون تحت لواء العقل المقدّس ضدّ أهريمن وجنوده.

يبلغ عمر الدورة الحالية للعالم ـ وفقاً لما ورد في ديانة زرادشت ـ ١٢٠٠٠ سنة،

---

١. إنّ الإعتقاد بوجود مبدأين للعالم، كان مألوفاً في العصور القديمة، كما تظهر ملامح ذلك في المذهب الغنوصي. وهذا اللفظ (الغنوصي) يونانيّ الأصل، وهو يرادف نوستك (Gnostic) في العصر الحاضر.

حكم فيها إله الخير طيلة ٣٠٠٠ سنة، ظلّ خلالها إله الشر متوارياً في الظلام، وعقب انتهاء الفترة المذكورة خرج إله الشر من الظلام، واصطدم بإله الخير الذي استمهله ٩٠٠٠ سنة، وهو على يقين بأن النصر سيكون حليفه في نهاية المطاف، وإبّان هذه الفترة أخذ أحدهما يتحدّي الآخر من خلال خلق الخير والشر، وبعد ٣٠٠٠ سنة خُلق زرادشت، ومن ذلك الوقت بدأ ميزان القوى يميل لصالح إله الخير وجنوده، واستمرّ في سيره الصعودي.

٦ـ٢. آخر الزمان

ورد في **الألفية الزرادشتية** (Zoroastrean Millennialism) أنّه يُنتظر ظهور ثلاثة منقذين من نسل زرادشت يملؤون الدنيا خيراً وعدلاً، وهم:

١. **هوشيدر**، ١٠٠٠ سنة بعد زرادشت.

٢. **هوشيدر ماه**، ٢٠٠٠ سنة بعد زرادشت.

٣.**سوشيانس** (أو سوشيانت)، ٣٠٠٠سنة بعد زرادشت، وبظهوره يصل العالم إلىٰ نهايته.

٧ـ٢. خلود الروح

يعتقد الزرادشتيون بخلود الروح، وبقائها ـ عند مفارقتها الجسم ـ في عالم البرزخ إلىٰ يوم القيامة، ويعتقدون أيضاً بالصراط، وميزان الأعمال، والجنة والعذاب. إن جنة ديانة زرادشت تشبه الجنة التي جاء وصفها في الإسلام، ولكنّ اعتقادهم بقدسية النار دفعهم إلىٰ القول بأن مأوى العاصين مكان بارد جدّاً وقذر ومليء بأنواع الدوابّ التي تنزل نقمتها بهم وتؤذيهم.

٨ـ٢. الوضع الحالي

فتح المسلمون إيران في زمن الخليفة الثاني، وبعد الفتح اقبل الايرانيون علىٰ اعتناق الاسلام وأسدوا خدمات كبرىٰ لهذا الدين، أشار اليها الشهيد المطهري في كتابه

«الاسلام وإيران»، واستناداً الىٰ حكاية «سنجان» التي وضعها موبذ يـدعىٰ «بـهرام بـن كيقباد» سنة ١٦٠٠م. فان زرادشتيي إيران قد تعرضوا لمضايقات طيلة ١٠٠ سـنة مـما دعاهم الىٰ الهجرة الىٰ بومباي بالهند عبر البحر بناء علىٰ تـوصيات المـنجمين، الا ان هذه الحكاية لم تجد أذناً صاغية لدىٰ المؤرخين الذين اعتقدوا بان هذه الهجرة شرعت قبل الاسلام ودامت بعده بقليل.

ومهما يكن من امر فقد غادر الزرادشتيون قبل ألف عام بلاد إيران، وتـوجّهوا إلىٰ بومباي، ويبلغ عددهم فيها اليوم (١٥٠) ألف نسمة، ويُعرفون بالفارسيين، كما يقطن نحو (٥٠) ألف من الزرادشتيين في يزد وكرمان وطهران، و عُرفوا بـالثقافة و بـحسن تعاملهم مع الآخرين.

٣. ديانة ميترا (مهر)

تزامن استقرار الديانة الزرادشتية في أواخر العهد الأخـميني مـع ازدهـار ديـانة مـيترا (Mithraism) في إيران وانتشارها في اسيا الصغرىٰ، ويعتقد الميترائيون أنّ الإلٰهة ميترا ظهرت لأول مرة في الغار علىٰ هيئة إنسان، وآمنت بها مجموعة من الرعاة كانوا علىٰ مقربة من ذلك المكان. ثم أمسكت ثوراً فذبحته ونثرت دمه علىٰ الأرض، فأي مكان سقطت عليه قطرة دم، حلّ فيه الخصب. إلّا أنّ الإلهة ميترا لم تبق طويلاً، بل صـعدت عقب عدّة سنوات إلىٰ السماء، وظلّت روحها علىٰ استعداد دائم لمعونة عـبادها فـي الأرض. وحيث أنها ظهرت لأول مرة في الغار، فقد شيدت ـ من أجل عبادتها ـ المعابد والهياكل في المغارات والكهوف، وما زالت آثار هذه المعابد المتروكة قائمة في مناطق من أوروبّا.

إنّ الذين أقبلوا علىٰ عبادة ميترا، كان عليهم أن يطووا سبع مراحل، وقد منحوا كل مرحلة اسماً خاصاً، فأطلقوا علىٰ المرحلة الخامسة اسم «**پارس**»، وعلىٰ السادسة اسم «**الشمس**» وعلىٰ السابعة اسم «**الأب**»، ثم تلي هذه المراحل مراسـم الخبز والعسـل،

وهي تشبه إلىٰ حدّ كبير مراسم الخبز والشراب المسيحي، وفي آخرها يمارسون عملية التعميد بدم ثور.

ويقال إنّ الكثير من معتقدات المسيحية ومراسمها قد أُخذت من ديانة ميترا.

٤. المانوية

ظهرت المانوية في الفترة الممتدة بين ظهور المسيحية والإسلام، واستطاعت في مدة وجيزة أن تنتشر وأن تكتسب أنصاراً مخلصين ومتحمّسين، وهي في الواقع مزيج من معتقدات الصابئة والبوذية والزرادشتية والمسيحية، وازدادت رقعة انتشارها ـ بسبب أصولها العرفانية والإنسانية ـ لتبلغ سواحل الصين شرقاً، وتخوم أوروبا غرباً.

وقد ناصب حكّام إيران والروم العداء للمانويين، ومارسوا بحقّهم عمليات قتل جماعية، حتى أن محكمة التفتيش في أوربا قامت في القرن الثالث عشر الميلادي بحملات نشطة من أجل القضاء علىٰ ما تبقّى منهم.

١ ـ ٤. سيرة ماني

ولد **ماني** في مدينة بابل عام (٢١٦م.) لأسرة إيرانية، وكان أبوه **باتيك** قد انتقل من همدان إلىٰ بابل، واعتنق فيه دين الصابئة.

ادّعى ماني النبوة عام (٢٢٨م.)، وجاب مختلف البلدان لنشر دينه الجديد، وتوجّه عام (٢٤٣م.) إلىٰ **سابور الأول** حين تتويجه ودعاه إلىٰ دينه، فرحّب به الشاه، وقد دوّن كتاباً باللغة الفهلوية الساسانية وأسماه «**سابوركان**»، وجلب أيضاً بلاد آسيا الوسطى. وعاد بعد عشرين سنة إلىٰ إيران زمن الشاه بهرام الأول الذي عاداه، وتمكّن من قتله عام (٢٧٤م).

وقام أتباعه بعد مقتله بالدعوة إلىٰ المانوية، حتى انتشرت وسادت مناطق في أوروبّا والصين. ويقطن أغلب المناويين في آسيا الوسطى. وقد أخذت هذه الديانة بالاضمحلال إثر ضغط الزرادشتيين والمسيحيين، ثمّ اختفت تقريباً بعد انتشار

الإســلام، إلّا أن ثَـــمّة جــماعة مـن المـانويين بـقيت تـقطن ولقـرون مـتمادية فـي البوسنةوالهرسك، ثم انقرضت فيما بعد.

هذا وقد كانت المانوية مصدر إلهام لبعض الحركات القومية التي ظهرت في إيران في العصور الأولى من الإسلام، كما كان لبعض الزنادقة نزعات مانوية أيضاً.

٢ ـ ٤. المصادر المانوية

كان العديد من المصادر المانوية متوفراً بعد قرون من ظهور الإسلام، وقد اعـتمدت عليها الكتب التاريخية القديمة إلّا أنّ هذه المصادر محاها الزمن شيئاً فشيئاً، و قد عُثرَ أخيراً علىٰ آثار مانوية في مدينة طورفان بتركستان بعد عمليات البحث والتنقيب التي أُجريت هناك. الأمر الذي زاد في معلوماتنا عن المانوية.

إنّ إحدى ابتكارات ماني، هو أنه استعان بالرسوم والصور لنشر أفكاره بين النـاس الذين تفشّى فيهم الجهل، كما قام بتدوين تلك الأفكار أيضاً، وفـي هـذا الإطـار دوّن مجموعة تسمى «أرجنَغ» عُثر علىٰ بقايا مـنها أخـيراً، وثـمّة كـتب أُخـرى مـصوّرة له ولأتباعه. وتنسب إليه الكتب الستة التالية:

١. **سابوركان**، كتبه باللغة الفهلوية، واكتُشف قسم منه في مدينة طورفان.

٢. **انغليون** (انجيل)، ويضم تصاوير، ولعلّه هو «أرجنغ» السالف الذكر.

٣. **جواهر الأحياء**، ويشتمل علىٰ أحكام.

٤. **براغماتيا** (كتاب جامع).

٥. **كتاب الأسرار**.

٦. **كتاب الشياطين**.

٣ ـ ٤. التعاليم والأصول

يقول ماني: «**نشر الأنبياء الحكمة والحقيقة الإلهية في أصـقاع مـتنوعة وفـي أزمـنة**

مختلفة، فتارة كان بوذا في الهند، وأخرى كان زرادشت في إيران، وثالثة كان عيسىٰ في فلسطين، وأنا ماني نبي‌الله، بُعثت لنشر الحقائق في أرض بابل».

إنّ معظم تعاليم ماني قائمة علىٰ أصول مسيحية و زرادشتية، واستحوذ الصراع بين النور والظلمة علىٰ أهمية خاصة فيها.

وقد قسّم المانويون المجتمع إلىٰ خمس طبقات دينية، هي:

١. **فريستغان أو الملائكة**، وعددهم (١٢)، وهم خلفاء ماني.

٢. **ايسفاساغان أو الأساقفة**، ويبلغ عددهم (٧٢).

٣. **مهيشتغان أو القساوسة**، وعددهم (٣٦٠).

٤. **ويزيدغان أو المنتخبون**، وهم كثيرون جداً، ويقع علىٰ عاتقهم نشر دين ماني.

٥. **نغوشاغان أو الطائعون**، وهم أكثر عدداً من سائر الطبقات.

وقد التزم المانويون ـ نتيجة تأثّرهم بديانة زرادشت ـ بثلاثة أصول أخلاقية، عرفت بثلاثة خواتم، وهي:

١. ختم الفم (الاحتراز عن القول البذيء).

٢. ختم اليد (الاحتراز عن العمل القبيح).

٣. ختم القلب (التنزّه عن الفكر السيّء).

يُشار الىٰ أنّ أتباع ماني كانوا نباتيين، وليس للطبقات الأربعة الأولى حقّ الزواج أو اكتناز الأموال. ولدى المانويين صلاة وصوم، ومعابد تُعرف باسم (خانقاه)، وهي تشبه خانقاه الصوفية في العصر الإسلامي.

٥ . الديانة المزدكية

للأزمات الإجتماعية دور رئيسي في ظهور الاعتقادات الدينية، والأديان التي تظهر في زمان أو مكان متأزّم تأخذ بالانتشار بسرعة، وخير شاهد علىٰ ذلك هو ديانة مزدك ذات الطابع الإجتماعي.

وقد أسهب الفردوسي في «الشاهنامه» الكلام عن مزدك، عندما تطرّق إلىٰ حكم قباد، وقال: «**كان مزدك حكيماً، حرّض الناس حينما أصابهم القحط علىٰ الهجوم علىٰ مخازن الحبوب والغلال، وبذلك اكتسب شهرة واسعة**».

١ ـ ٥. سيرة مزدك

برز مزدك بن بامداد بين أوساط حكماء وعلماء مدينة مازاريا علىٰ ساحل دجلة (وتعرف اليوم بكوت العمارة) في عهد الملك قباد (٤٨٨ ـ ٥٣١م)، وقد أشار المؤرخون حتى من انتقده منهم إلىٰ رصانة عقله وقوة منطقه وصفاته البارزة، وقالوا: كان زاهداً، بسيطاً في ملبسه.

ولم يدّع مزدك النبوة، بل كان يتّبع شخصاً يُسمّى بوندوس الذي قام في سنة (٣٠٠م) بإجراء إصلاحات في الديانة المانوية، واكتسب بذلك أنصاراً في إيران والروم.

٢ ـ ٥. حركة مزدك

نطالع في «الشاهنامه» للفردوسي أن مزدك كان عاقلاً خطيباً، رأى يوماً جموعاً من الفقراء والبائسين، وهي تحتشد حول قصر الشاه مطالبة بالخبز، فخاطب الشاه ـ وكان من اصحاب النفوذ في البلاط ـ: ما جزاء من ضن بدواء لديه يشفي به صديقه الذي شارف علىٰ الموت اثر لدغة افعىٰ؟

فأجاب قباد: جزاؤه الموت. فقال مزدك: إذا احتاج الناس إلىٰ الخبز، وامتنع عن إعطائه من يمتلكه، فما جزاؤه؟ فأجاب: جزاؤه الموت. عندئذ توجّه مزدك إلىٰ الناس، وصاح بهم: احملوا علىٰ المخازن، وخذوا ما فيه من غذاء لينقذكم من الجوع. فلما فعل الناس ذلك، انبرى قباد يوبّخ مزدك، فأجابه قائلاً: الناس جياع والمخازن مملوءة، وأنا فعلت ما يتفق مع وجهة نظرك. حينها اكتسب مزدك شهرة واسعة، واعتنق قباد دينه الاشتراكي، وساعد علىٰ نشره.

هذا الأمر لم يَرُق للأشراف والموابذة الزرادشتية، فأعلنوا عصيانهم علىٰ مزدك، وخلعوا قباد عن العرش، إلّا أن قباد تمكن من استعادة المُلك، وفي هذه المرة أعلن عن تخلّيه عن مزدك وأعوانه، إلىٰ أن جلس ابنه أنوشيروان ـ الذي حظي بدعم الأشراف والموابذة الزرادشتية ـ علىٰ العرش، فعمد إلىٰ قتل مزدك وكثير من أتباعه عام ٥٢٨م، ونجت جماعة منهم وظلّت مختفية، وكانت تظهر بين الفَيْنة والأُخرى إلىٰ عقود من بزوغ الإسلام. وكان لبعض الزنادقة في القرون الأولى من الإسلام نزعات مزدكية.

٣ ـ ٥ . وجهات النظر

دونت أفكار مزدك في كتاب «**مزدك نامه**»، وبعد ظهور الإسلام، قام ابن المقفّع بترجمته إلىٰ اللغة العربية، وظلّ موجوداً عدّة قرون، ثم فُقد.

يُذكر أنّ مزدك يشترك مع كونفوشيوس وأفلاطون من جهات، لأن الطابع السياسي والإجتماعي كان يغلب علىٰ مذهبه.

وكان مزدك ينادي بالاشتراك في الأموال، وسعى إلىٰ إلغاء الفوارق الطبقية، وجوّز الزواج بين الأشراف وغيرهم. جدير بالذكر أن ما عُرف عنه من القول بالاشتراك الجنسي لا أساس له من الصحة.

الخلاصة

أ) ديانة مغان: وهي أقدم ديانة لسكان إيران الأصليين غير الآريين ظهرت قبل زردشت وقبل حكم الماد.

ب) ديانة ميترا: يعتقد الميترائيون بآلهة ميترا التي ظهرت لأول مرة في الغار وكان عليهم أن يطووا سبع مراحل ثم تلي هذه المراحل مراسم الخبز والعسل وآخرها يمارسون عملية التعميد بدم الثور.

ج) ديانة زرادشت: نهض زرادشت ودعا الآريين إلىٰ دين جديد وزعم أنه مبعوث من قبل آهورامازدا لينقذ العالم من الظلام والشر إلىٰ الخير والنور.

ولد زرادشت سنة ٦٦٠ق.م. وهو من أذربيجان في إيران وقتل سنة ٥٨٣ق.م. في معبد النار في بلخ.

وثمّة أصول ثلاثة نادت بها الزرادشتية هي: القول الحسن، والعمل الحسن، والفكر الحسن، ومن أبرز مظاهرها احترام النار والإبقاء علىٰ شعلة النار مضطرمة وإقامة مراسم خاصة حولها في معابد تُعرف بمعابد النار.

وكتابها المقدس هو أفستا وقد كُتب باللغة الأفستائية.

د) المانوية: ظهرت المانوية علىٰ يد ماني (٢١٦ - ٢٧٤م.) في مدينة بابل، وادعى النبوة واستعان بالرسوم والصور لنشر أفكاره.

وقد قسّم المجتمع إلىٰ خمس طبقات دينية، وحظر علىٰ الطبقات الأربعة الأولى الزواج أو اكتناز الأموال.

والمانوية في الواقع مزيج من معتقدات الصابئة والبوذية والزرادشتية والمسيحية.

و من أهمّ اصولها الأخلاقية هي: ختم الفم ـ ختم اليد ـ ختم القلب.

هـ) المزدكية: ظهرت المزدكية علىٰ يد مزدك بن بامداد في مدينة مازاريا في عهد الملك قباد، ولم يدع النبوة بل كان يتبع شخصاً يسمّىٰ بوندوس الذي قام بسلسة اصلاحات في الديانة المانوية.

وقد حرّض مزدك الناس حينما أصابهم القحط بـالهجوم عـلىٰ مـخازن الحـبوب والغلال وبذلك اكتسب شهرة واسعة. قُتل علىٰ يد أنو شيروان عام ٥٢٨م.

الاسئلة

١. عدد الأديان التي ظهرت في إيران؟

٢. ما هي ديانة مُغان؟

٣. اذكر مبادىء ديانة ميترا؟

٤. ما هي عقيدة الثنوية؟

٥. ما هي أُصول الديانة الزرادشتية؟

مصادر البحث

١. الأفستا
٢. آلبري،س، زبور مانوي، ترجمه إلىٰ الفارسية أبو القاسم إسماعيل بور، طهران، منشورات فكر روز، ١٣٧٥.
٣. الياد،م، آئين گنوس و مانوى، نقله إلىٰ الفارسية أبو القاسم إسماعيل بور، طهران، منشورات فكر روز، ١٣٧٣.
٤. بويس،م، تاريخ الزرادشتية، ليدن، ١٩٧٥م.
٥. بويس،م، الحصن الفارسي للزرادشتية، اكسفورد، ١٩٧٧م.
٦. بويس،م، الزرادشت معتقداتهم الدينية وممارساتهم، لندن، ١٩٧٩م.
٧. بويس،م، مصادر لدراسة الزرادشتية، مانشستر، ١٩٨٤م.
٨. حكمت، علي أصغر، تاريخ اديان (بالفارسية)، طهران، منشورات ابن سينا، ١٣٤٥.
٩. زرين‌كوب، عبدالحسين، در قلمرو وجدان (بالفارسية)، طهران، منشورات سروش، ١٣٧٥.
١٠. زيهنر، ر، زرفان، مأزق زرادشتي، اكسفورد، ١٩٥٥م.
١١. زيهنر، ر، تعاليم المجوس، لندن، ١٩٥٦م.
١٢. زيهنر، ر، فجر وغسق الزرادشتية، لندن، ١٩٦١م.
١٣. غريستنس: آرثور عمانوئيل، سلطنت قباد وظهور مزدك، ترجمه إلىٰ الفارسية أحمد بيرشك، طهران، مكتبة الطهوري، ١٣٧٤.
١٤. غويلمن، دوشزن، ترانيم زرادشت، لندن، ١٩٥٢.
١٥. غويلمن، دوشزن، ديانة إيران القديمة، باريس، ١٩٦٢م.
١٦. فيرماسيرين، مارتن، ميترا الرب السري، لندن، ١٩٦٣م.
١٧. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢.
١٨. هنلس، ج، دراسات ميتراوية، مانشستر، ١٩٧٥م.
١٩. هيوم، روبرت، أديان زنده جهان، نقله إلىٰ الفارسية عبدالرحيم كواهي، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣.
٢٠. وايد نغرين، غ، ماني والمانوية، لندن، ١٩٦٥م.

٧
اديان العرب قبل الاسلام

١. اديان العرب في العصر الجاهلي

تنقسم العرب الىٰ صنفين: قحطانية وعدنانية، فالقحطانية وهم من اصل سامي عاشوا في جنوب الجزيرة العربية، واما العدنانية فهم من ولد عدنان من نسل اسماعيلعليه السلام واليهم تنتمي قبيلة قريش وهي قبيلة مشهورة ذات شوكة قبل الاسلام وبعده، وهي قبيلة رسول اللهصلى الله عليه وآله وكبار الصحابة ايضاً.[١]

وكان العرب قبل الاسلام يقطنون الصحاري والفلوات وكان الجهل متفشياً في أوساطهم مما حدا بالاسلام الىٰ تسمية تلك الفترة بالعصر الجاهلي، ولهذا لم يظفر بتاريخ مدون لتلك البرهة الزمنية، وكل ما عثر عليه لايتعدىٰ منقولات شفوية دونت بعد ظهور الحضارة الاسلامية، لم يركن اليها بعض العلماء، اما المواضيع التي وردت في القرآن الكريم والاحاديث الاسلامية في هذا الشأن، فهي في الواقع كليات تتعلق ببعض الجوانب الاخلاقية والعقائدية للعرب في الجاهلية وليس الهدف من استعراضها بيان الحقائق التاريخية.

---

١. يطلق علىٰ القبائل العربية التي اندثرت، العرب البائدة وأشهرها عاد وثمود، كما يطلق علىٰ القحطانيين العرب العاربة، وعلىٰ العدنانيين العرب المستعربة، وليس ثمة تسمية خاصة للعرب الذين زحفوا الىٰ خارج الجزيرة العربية بعد انتشار الاسلام والثقافة واللغة العربية.

وقد صنف الدكتور جواد علي دائرة معارف ضخمة وقيمة تحت عنوان «**تاريخ العرب قبل الاسلام**» في عشرة مجلدات عمت كافة الجوانب التاريخية والثقافية للعرب، تجدر الاشارة الىٰ ان الاديب المصري الدكتور طه حسين قد ساورته شكوك ـ تبعاً لبعض المستشرقين ـ حيال ما نقل عن العرب في العصر الجاهلي وصنف في هذا الشأن كتاباً، رد عليه الباحثون في الادب العربي وتناولوه بالنقد والتمحيص.

وكان العرب في العصر الجاهلي يعبدون الاوثان، وكانت الديانة الوثنية شائعة في أوساط العدنانيين ايضاً، كما نزع بعض العرب منزع اليهود والنصارىٰ.

٢. آلهة العرب

العرب مثل سائر الوثنيين لديهم آلهة كثيرة وبأشكال متنوعة، بعض هذه الالهة علىٰ شكل انسان او حيوان، او شكل مركب منهما او احجاراً خاصة بهيئة طبيعية، وقد ذهب المؤرخون الىٰ ان اول من أدخل الوثنية الىٰ الجزيرة العربية هو عمرو بن لحي فقد رأىٰ في سفره الىٰ الشام اناساً يعبدون الاوثان وعندما سألهم عما يفعلون، قالوا: هذه اصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: افلا تعطوني منها فأسير بها الىٰ ارض العرب فيعبدونها، وهكذا استحسن طريقتهم واستصحب معه الىٰ مكة صنماً كبيراً اسمه هُبل، ولايولي العلماء أهمية تذكر لهذه الحادثة اعتقاداً منهم انه لايمكن وضع بداية لعبادة الاوثان بل هي شكل متكامل لعبادة الطبيعة، ومع ذلك كان للمشركين في الحجاز اصنام واردة، مثل: «**ذو الشرىٰ**» «duschara» صنم انباط الاردن.

وكان للعرب أحياناً اوثان تجسد فيها المفاهيم، كمناة إلهة القضاء والقدر، ويعبدون ايضا حيوانات مثل الصقر، وكانت لهذه الإلهة أصول طوطمية.

٣. الايمان بالله

يظهر من آيات الذكر الحكيم ان العرب في العصر الجاهلي كانوا يؤمنون بالله خالق الكون جاعلين له حين العبادة والحلف والقسم وثناً شريكاً له، فكانوا يقولون حين البدء بالعمل: «**باسمك اللهم**» الا انهم يلتجئون الىٰ الاوثان عند طلب الحاجة، ويشكل

هذا أهم خلاف احتدم بين النبي ﷺ والمشركين، فقد كان ﷺ ينهاهم عن عبادتها وطلب الحاجة منها ويعتبر ذلك شركاً بيناً.

٤. الارواح الشريرة

من ضرورات الحياة في الصحاري والفلوات، الاهتمام ببعض الموجودات اللامرئية، وكان العرب يبذلون اهتماماً بالارواح الشريرة، ويتخذون التدابير اللازمة في حياتهم للنأي عن شرها، فقد ورد ذلك في القرآن الكريم **(الجن، ٦)**، ويعتقدون ان الجن تظهر بهيئات مختلفة وتلحق بعضها اضراراً بالانسان، كما كانت تنتشر طقوس احضار الجن ومراسم تفقد تلك الموجودات.

تجدر الاشارة الىٰ ان الغول نوع من الجن كان يقطن الصحاري ويتربص بقوافل المسافرين في الفيافي حتىٰ تحين الفرص للقضاء عليهم، والعفريت من أخطر انواع الجن، وقد وجه الاسلام عنايته بتوعية الناس حيال هذه الموجودات وانها لا تضر ولا تنفع.

٥. الصابئة

يبدو ان الصابئة لم تكن في البداية ديناً محدداً، بل أطلقت هذه التسمية علىٰ اديان مختلفة، حيث كان المشركون في عهد رسول الله ﷺ يطلقون عنوان «الصابي» علىٰ النبي ﷺ وأتباعه، ويقولون حين اعتناقهم الاسلام: صبأنا.

والصابئة لا ينحدرون من اصل عربي، وقد انقسموا بعد الاسلام الىٰ قسمين فجماعة اشتهروا بنشر العلوم في العالم الاسلامي وعرفوا بصابئة حران، وقد اطلقوا علىٰ انفسهم **«الصابئة»** واشتهروا بهذه التسمية في مطلع القرن الثالث الهجري، ذكر ابن النديم أنه لدىٰ اجتياز الخليفة العباسي المأمون بديار مضر تلقاه الناس وفيهم جماعة يلبسون الاقبية، وشعورهم طويلة، فقال لهم من أنتم؟ فقالوا: نحن الحرنانية، ثم سألهم عن معتقدهم فلم يلق منهم جواباً شافياً فأمهلهم فرصة الىٰ حين عودته ليختاروا أحد امرين: اما ان ينتحلوا دين الاسلام او ديناً من الاديان المذكورة في القرآن الكريم، فتنصّر كثير منهم، وأسلم منهم طائفة، وادعىٰ آخرون انهم صابئون، وانتحلوا هذا الاسم منذ ذلك الوقت، لانه لم يكن

بحران ونواحيها قوم يسمون بالصابئة،[1] وبذلك تفيؤا تحت ظلال الحكومة الاسلامية.

وثمة جماعة اخرىٰ من الصابئة والتي يطلق عليها الصبة وصابئة البطائح والمندائيون والمغتسلة والناصورية تتبع ديانة قديمة ظهرت في الشرق الاوسط وطرأت عليها تحولات كبيرة وما زالت آثار هذه الديانة باقية في خوزستان وجنوب العراق.

والصابئة القديمة جعلت لكل كوكب من الكواكب السبعة معبداً، وقيل ان الكعبة هي معبد كوكب زحل، كما أولوا أهمية لعبادة القمر.

والصابئة في عصرنا هم من أتباع النبي يحيىٰ ﷺ ولا رهبانية فيها، وتقع معابدهم علىٰ ضفاف الانهار، ولا يحق لاحد الدخول فيها سوىٰ كبار الكهنة.

ويعيش نحو ٧٠ الف من الصابئة في العراق علىٰ ضفاف نهري دجلة والفرات، ونحو ٢٥ الف منهم علىٰ ضفاف نهر الكارون في خوزستان ايران، ويمارس اغلبهم حرف الصياغة والصفارة والزراعة والرعي وصناعة الزوارق والحدادة واقبلوا ايضاً علىٰ التجارة والطب والهندسة، وقد ساد اعتقاد بينهم ان يهود اورشليم حنقوا عليهم بعد قيام يحيىٰ ﷺ مما حدا بهم الىٰ ترك ديارهم كُرهاً وحط الرحال بمدينة حرّان،[2] ومنها هاجرت جماعة وانتشرت جنوب العراق وخوزستان إيران.

ويقيم الصابئة الصلاة ثلاث مرات يوميا صباحاً وظهراً وعصراً، ويمسكون عن الطعام ٣٦ يوما كل عام، كتابهم المقدس (كنزا ربا)، اي الكنز العظيم، ويطلقون علىٰ الله تعالىٰ «حيي» اي حياة، ويعدونه خالق النور، كما يطلقون علىٰ خالق الظلمة روحاً، وكان قد نشب بينهما صراع، يخرج منه النور منتصراً.

ويطلق علىٰ كاهن الصابئة «كنزبرا»، ومن أهم مهامه تعميد الصابئة أيام الآحاد من كل اسبوع، حيث يرتدي هو ومن يراد تعميده خمس قطع من الثياب، ويصحب معه العصىٰ ولوازم اخرىٰ وتجري الطقوس حاملاً غصن يلس داعياً بأدعية خاصة، وقد قُرر التعميد للتكفير عن الذنوب، وتعد الصابئة وفقاً لرأي الامام الخامنئي من أهل الكتاب.

---

١. الفهرست: ٤٥٩ ـ ٤٦٠، المقالة التاسعة.

٢. حران مدينة تقع جنوب تركية بالقرب من الحدود السورية.

الخلاصة

أ) **اديان العرب قبل الاسلام**: كان العرب قبل الاسلام يـقطنون الصـحاري والفـلوات وكان الجهل متفشيا في صفوفهم، وكان اغلبهم يعبدون الاوثان، ولديهم آلهـة كـثيرة وباشكال متنوعة كمناة إلهة القضاء والقدر، وكانوا يؤمنون بالله خالق الكون جاعلين له حين العبادة وثناً شريكاً له.

ب) **الصابئة**: لاتنحدر الصابئة من اصل عربي، وقد انقسمت الىٰ قسمين فـجماعة اشتهروا بنشر العلوم في العالم الاسلامي وعرفوا بصابئة حران، واخرىٰ يطلق عليهم الصبة او صابئة البـطائح او المـندائـيون، والصـابئة فـي عـصرنا هـم اتـباع يـحيىٰ عليه السلام ولارهبانية فيها وكتابهم المقدس كنزا ربا.

الاسئلة

١. ما هي ديانة العرب في العصر الجاهلي؟

٢. من ادخل الوثنية الىٰ الجزيرة العربية ؟وكيف ؟

٣. من هم الصابئة؟

مصادر البحث

١. حكمت، علي اصغر، تاريخ الاديان، طهران، منشورات ابن سينا، ١٣٤٥.
٢. زرين كوب، عبد الحسين، در قلمرو وجدان، طهران، منشورات سروش، ١٣٧٥.
٣. مصطفوي، علي اصغر، اسطورة الاضحية، طهران، منشورات بامداد، ١٣٦٩.
٤. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢م.

٨
اليهودية

١. العبرانيون

ينحدر اليهود من العِرق الساميِ الذي ينتسب إليه الآشوريون و العرب. ولغة و آداب و ثقافة وعادات و رسوم هذه الأقوام متقاربة بنحو دفع بالباحثين إلىٰ الاعتقاد بأنهم ينحدرون من أصل واحد، و لذا فإنّ البحث عن ثقافة كل قوم يستدعي البحث عن ثقافة سائر الأقوام السامية، فالبحث في الأدب العربي مثلاً، إنما تكتمل حلقاته فيما لو رافقته دراسة في اللغات العبرية و السريانية والحبشية.

و لا تتوفّر بين أيدينا معلومات دقيقة عن الجذور التاريخية للعبرانيين، و يرىٰ بعض الباحثين أن كلمة «**عبراني**» أطلقها الكنعانيون علىٰ إبراهيمؑ بعد دخوله أرض كنعان،[1] ثم أصبحت من ألقابه، و سرىٰ ذلك في أعقابه؛ لأن العبراني من مادة (ع ب ر) و تعني عبور النهر، باعتبار أن إبراهيمؑ عبر نهر الفرات في طريقه إلىٰ أرض كنعان.

و يرىٰ بعض آخر من الباحثين أنّ عبراني منسوب إلىٰ **عابر**،[2] و هو اسم جدّ من أجداده الأقدمين.

و يقول آخرون إنّ إبراهيم ينحدر من عرق آري، انطلاقاً من كون اسم أبيه أو عمّه

---

١. التكوين: ١٤ / ١٣.

٢. ورد اسم عابر في سفر التكوين: ١٠ / ٢٤ و ١١ / ١٦.

آزر، إلّا أنّ الباحثين يستبعدون هذه النظرية، لعدم توفّر معلومات عن المعنى اللغوي لكلمة آزر في القرآن الكريم و المصادر الإسلامية.

جدير بالذكر أنّ اسم والد إبراهيم عليه السلام في التوراة هو **تارَح**.

٢. ابراهيم عليه السلام

بلغ إبراهيم الخليل عليه السلام من العظمة بمكان، بحيث أصبح مثاراً للنزاع بين اليهودية و المسيحية و الإسلام، و كلّ يدّعيه لنفسه، يقول الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَـٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] و كانت له مكانة سامية أيضاًلدى المشركين الذين دأبوا علىٰ زيارة و تقديس كل ما يمتّ بصلة إلىٰ إبراهيم في مكّة المكرّمة.

و قد ذكرت التوراة نسب إبراهيم عليه السلام، و أنهته إلىٰ آدم عليه السلام. هذه السلسلة من النسب وجدت طريقها إلىٰ بعض الكتب الإسلامية دون أيّ فحص و تدقيق عن أصلها و منشئها.

و حسب وجهة نظر أهل الكتاب، فإن إبراهيم ولد في مدينة أُور[2] عام ٢٠٠٠ق.م. (أي قبل أكثر من ٤٠٠٠ عام)، و قد أطلق عليه في البداية ـ و وفقاً لما جاء في التوراة ـ اسم **أبرام** (و يعني الأب السامي) ثم بدّله الله سبحانه إلىٰ اسم إبراهيم (و يعني أبا الأقوام) و هو في التاسعة و التسعين من عمره.

و طبقاً للتوراة، فقد عزم والد إبراهيم و هو تارح علىٰ السفر إلىٰ أرض كنعان (في غرب فلسطين)، و اصطحب معه ولده إبراهيم عليه السلام، و سارة زوجة إبراهيم، و حفيده لوطاً عليه السلام، و في أثناء الطريق عدل عن رأيه، و حطّ الرحال في مدينة حرّان الواقعة في جنوب تركيا الحالية، و المتاخمة للحدود السورية.

---

١. آل عمران، ٦٧.

٢. مدينة أور؛ احدىٰ المدن الاثرية القديمة الواقعة علىٰ ضفاف نهر الفرات عثر عليها عقب عمليات الحفر والتنقيب التي أجريت في العراق قبل زهاء قرن.

لقد أطلقت التوراة علىٰ أبيإبراهيم اسم تارح، في حين سمّاه القرآنالكريم آزر، و وصفة بالشرك.[١]

و يعتقد علماء الشيعة أن جميع أجداد النبي ﷺ ـ و منهم أبو ابراهيم ـ كانوا موحّدين، هذا الاعتقاد دفعهم إلىٰ القول بأن آزر كان عمّ إبراهيم، و أنه لاضير في اللغة العربية من إطلاق الأب علىٰ العمّ، و قد ورد نظيره في القرآن الكريم.[٢]

وقد ورد في التوراة أنّ إبراهيمؑ غادر حرّان بأمر الله تعالىٰ، وله من العمر (٧٥) سنة، قاصداً أرض كنعان، و بمعيّته زوجته سارة و ابن أخيه لوطؑ و رهط من أهل حرّان، فلما وصلها نصب خيامه علىٰ سفح جبل يقع في شرق بيت ايل، ثم نزل مدينة حَبْرون (الخليل).

و مكث فيها إلىٰ آخر عمره و لازالت مقبرة أسرته موجودة إلىٰ الآن في تلك المدينة.

أما لوطؑ، فقد رحل إلىٰ مدينة سَدوم، و قام بالدعوة فيها و في المدن المجاورة لها، فكذّبه الناس و عصوْه، فأنذرهم عذاب الله فلم يكترثوا، فهلكوا عن بكرة أبيهم، و قد جاء ذكر هذه الحادثة في القرآن الكريم أيضاً.[٣]

و ثَمّة حادثتان بالغتا الأهمية في حياة إبراهيمؑ لم تتعرّض لهما التوراة قطّ، إحداهما تحطيم الأصنام و إلقاؤه في النار، و الأخرىٰ حادثة بناء الكعبة.

و قد سرد القرآن الكريم الحادثة الأولىٰ في سورتي الأنبياء و الصافّات، في حين أشار إلىٰ الحادثة الثانية، و هي بناء الكعبة علىٰ يد إبراهيم و إسماعيل في سورة البقرة، الآية ١٢٧، و قد تمّ بناؤها في أواخر عمره الشريف، نظراً إلىٰ أن الله سبحانه وهب له إسماعيل، و هو في سن الشيخوخة.[٤]

من جهة اخرىٰ تدعي التوراة ان الله تعالىٰ قطع وعداً لابراهيمؑ ان يملىء الارض

---

١. الأنعام، ٧٤. ٢. البقرة، ١٣٣.

٣. انظر: سورة الحجر، والشعراء، و القمر ٤. إبراهيم، ٣٩.

من النيل الىٰ الفرات بأبناءه من نسل اسحاق عليه السلام (سِفْر التكوين ١٥: ١ ـ ١٨ و ١٧: ١٨ ـ ٢١)، وكما يأتي فان هذا الوعد تعلق ببني إسرائيل.

٣. إسماعيل و إسحاق

ونقرأ عن إبراهيم عليه السلام في التوراة:

(١) لاتخفْ يا أبرام. أنا ترس لك، و أجرك عظيم جداً (٢) أيّها السيّد الرب ماذا تعطيني؟ إني منصرف عقيماً، و قيّم بيتي هو أليعازَر الدمشقي (٣) وقال أبرام: إنك لم ترزقني نسلاً فهوَ ذا ربيب بيتي يرثني (٤) فإذا بكلمة الربّ إليه قائلاً: لن يرثك هذا بل من يخرج من أحشائك هو يرثك (٥) ثم أخرجه إلىٰ خارج، وقال: انظر إلىٰ السماء و أحصِ الكواكب إن استطعت أن تحصيَها، وقال له: هكذا يكون نَسلك.... (١٨) في ذلك اليوم قطع الرّب مع أبرام عهداً قائلاً: لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلىٰ النهر الكبير، نهر الفرات. [1]

ثمّ إن التوراة تخصّ العهد المذكور بإسحاق جدّ بني إسرائيل، و تقول في سِفْر التكوين:

(١٨) فقال إبراهيم لله: لو أن إسماعيل يحيا أمام وجهك. (١٩) فقال الله: بل سارة امرأتك ستلد لك ابناً و سمِّه و أُقيم عهدي معه عهداً أبدياً لأكون له إلهاً ولنسله من بعده. (٢٠) و أما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه وها أناذا أباركه و أنمّيه و أُكثره جداً جداً و يلد اثني عشر رئيساً و أجعله أمة عظيمة (٢١) غير أن عهدي أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في مثل هذا الوقت من السنة المقبلة. [2]

ورد في التوراة أن الله سبحانه كان قد وعد إبراهيم عليه السلام بالبركة في نسله مراراً، و قد رُزق من جاريته هاجر ولداً اسمه **إسماعيل** (و يعني يسمع الله)، و بعد مضي (١٤) عاماً رُزق من زوجه سارة ولداً اسمه **إسحاق** (ويعني يضحك).

وقد أوجزت التوراة الكلام في هذه الواقعة، و اكتفت بالإشارة إلىٰ أن إسماعيل عليه السلام سكن **فاران**، و أن أمه اختارت له زوجة من مصر، و أعرضت عن الخوض في تفاصيل حياته، حتىٰ أنها لم تنبس ببنت شفة عن بناء الكعبة.

---

١. سِفْر التكوين: ١٥ / ١ ـ ١٨ و ١٧ / ١٨ ـ ٢١.

٢. سِفْرالتكوين: ٢٢ / ٨.

و طبقاً لما جاء في الروايات الإسلامية فإن العثور علىٰ الماء لأجل إسماعيل، إنـما كان في مكة المكرمة، ويُعرف اليوم ببئر زمزم، في حين تقول التوراة إن ذلك كان في مكان يُدعىٰ بئر شِبَع.

و قـد وردت فـي التـوراة قـصة ذبـح ولده، و فـيها أن إبـراهـيمعليه السلام أمـر بأن يـذبح إسحاقعليه السلام دون أن يبوح له بذلك، بل قال له: أُمرت بذبح شاة كقربان يرسله لي ربّي.

أمّا القرآن الكريم فإنّه تحدّث عن وقائع قصّة إسماعيل علىٰ النحو التالي:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾.[1] و كما نعلم فإن الله سبحانه قـد فداه بكبش، و نجّىٰ إبنه من الموت.وقد ذهبت الشيعة وطائفة من أهل السـنة الىٰ انـه اسماعيلعليه السلام في حين ذهبت طائفة اخرىٰ من السنة الىٰ انه اسحاقعليه السلام.

٤. يعقوبعليه السلام (إسرائيل)

وجاء في التوراة أيضاً أنّ إسحاقعليه السلام ورث إبراهيمعليه السلام و أنه رُزق توأمين، سمّىٰ أحدهما عيسو (ويعني لغةً كثيف الشعر، و كان هو كذلك عند ولادته)، و سمّىٰ الآخر يعقوب (ويعني يتعقب) لان ولادته أعقبت ولادة شقيقه التوأم.

وكان ليعقوبعليه السلام اثنا عشر ولداً، ولُقّب بإسرائيل. هذا الاسم المـركّب فسّـره أهـل الكتاب بمن نال الظفر علىٰ الله، وأصل المعنىٰ في العبرية هو من انتصر علىٰ خـصمه الشجاع. وقـد ورد فـي التـوراة أن يـعقوب صـارع الله سـبحانه فـغلبه، فأُطـلق عـليه إسرائيل،[2]و لكنّ أهل الكتاب ذكروا ـ منذ عـهد بـعيد ـ إن المـراد مـن الله فـي القـصة المذكورة، هو أحد ملائكته.[3]

و بعد سرد عدة مقاطع، وردت حادثة فقد يوسفعليه السلام، و ما أسفر عنها من اسـتقرار

---

١. الصافات، ١٠٢.
٢. راجع: سِفْر التكوين: ٣٢ / ٢٤ ـ ٣٢.
٣. راجع: سِفْر هوشع: ١٢ / ٣ ـ ٤.

بني إسرائيل في أرض مصر، و بها تختتم مطالب سِفْرالتكوين من التوراة.

ونطالع في سِفْر الخروج من التوراة أنه توفّر لبني إسرائيل عيش رغيد في أرض مصر، و تكاثر نسلهم فيها، و أن إقامتهم في مصر كانت أربعمائة و ثلاثين عاماً.[١]

و تقدّم بنو إسرائيل (وهم اثنا عشر قبيلة أُطلق علىٰ كل منها السبط) في العلوم و الفنون، مما أثار حسد و خشية المصريين من نفوذهم و تهديدهم للحكم، و لهذا قرّروا استضعاف بني إسرائيل، و العهدة إليهم بالأعمال الشاقة، كما استقرّ رأيهم علىٰ أن يذبّحوا أبناءهم و يستبقوا نساءهم.

عاش العبرانيون في بداية أمرهم حياة البداوة، ثم بدأوا في الاستقرار بالمدن في عهد النبي يوسفﷺ.[٢] وقد أثّرت حياتهم البدوية تأثيراً بالغاً علىٰ اعتقاداتهم و طقوسهمالدينية.

ولما نجّىٰ موسىٰ بني إسرائيل من جور فرعون، تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة، ثم عاشوا حياة الاستقرار في المدن و أسّسوا حضارة هي ميراث قيّم لليهود. و ما المسيحية إلّا نتاج لتلك الحضارة.

إنّ تبدّل أفكار الشعوب أمر طبيعي وليس بغريب، وقد تأثّر العبرانيون خلال تنقّلهم و ارتحالهم من مكان إلىٰ آخر بأفكار شعوب مختلفة، و في هذا الصدد جاء في سورة الأعراف، الآية ١٣٨ أن بني إسرائيل حينما جاوزوا البحر صادفوا قوماً يعكفون علىٰ أصنام لهم، فطلبوا من موسىٰﷺأن يجعل لهم صنماً يعبدونه، فأنكر عليهم هذا الطلب أشدّ الإنكار.

و تأثّر بنو إسرائيل أيضاً بمعتقدات المصريين لما استقروا بمصر، إذ بادروا بعدمبارحتهم أرض مصر إلىٰ تقليد المصريين في تقديسهم للعجل، فصنعوا عجلاً، وراحوا يعبدونه.

---

١. راجع: سِفْر الخروج: ١٢ / ٤٠.

٢. ورد هذا الموضوع في سورة يوسف، الآية ١٠٠.

٥. موسىٰ عليه السلام

نطالع في الاصحاح الثاني من سِفْر الخروج من التوراة:

«ومضىٰ رجل من آل لاوي، [1] فتزوّج بابنة لاوي، فحملت المرأة وولدت ابناً، ولما رأت أنه جميل، أخفته ثلاثة أشهر، ولما لم تستطع أن تخفيه بعد، أخذت له سلّة من البردي و طَلَتْها بالحُصَر و الزّفت، وجعلت الولد فيها ووضعتها بين القصب علىٰ حافة النهر، ووقفَت أخته من بعيد لتعلم ما يحدث له، فنزلت ابنة فرعون إلىٰ النيل لتغتسل، وكانت وصائفها يتمشّين علىٰ شاطىء النيل، فرأت السلة بين القصب، فأرسلت خادمتها فأخذتها و فتحتها، ورأت الولد فإذا هو صبي يبكي، فاشفقت عليه، و قالت: هذا من أولاد العبرانيين، فقالت أخته لابنة فرعون: هل أذهب و أدعو لك مرضعاً من العبرانيات ترضع لك الولد، فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي، فذهبت الفتاة و دعت أم الولد، فقالت لها ابنة فرعون: اذهبي بهذا الولد فارضعيه لي، و أنا أُعطيك أُجرتك، فأخذت المرأة الولد و أرضعته، ولما كبر الولد، جاءت به ابنة فرعون فأصبح لها ابناً، و سمّته موسىٰ، وقالت: لأني انتشلته من الماء».

هذه الحادثة تشبه إلىٰ حدّ كبير ماجاء في سورة القصص من القرآن الكريم، وطبقاً للحسابات التاريخية، فإنها وقعت في حدود عام ١٢٥٠ ـ ١٣٠٠ق.م.

١ ـ ٥. البعثة

نطالع في الاصحاح الثالث من سِفْر الخروج أنه تراءىٰ لموسىٰ علىٰ جبل حوريب في صحراء سيناء ملاك الرب في لهيب نار من وسط عُلّيقة و تكلّم معه. وورد في القرآن الكريم أن أول كلام لله سبحانه مع موسىٰ عليه السلام، كان من شجرة في وادي طوىٰ:

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي

---

١. اسمه في الأخبار الإسلامية عمران، و في التوراة عمرام بن قهات بن لاوي بن يعقوب (سِفْر الخروج: ٦ / ١٤ ـ ٢٠).

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾.[1]

وورد في موضع اخر:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.[2]

وطبقاً لما جاء في التوراة، فإن الله تعالىٰ وعد موسىٰ أن يفكّ أسر بني إسرائيل من أيدي المصريين، و أن يهبهم أرض كنعان المباركة، و انطلاقاً من ذلك فقد تلقّىٰ أمراً بالذهاب إلىٰ فرعون، و يطلب منه أن يترك بني إسرائيل وشأنهم، و تقرّر أن يؤازره هارون في هذه المهمة.

٢ ـ ٥ . المعجزات

لقد مارس موسىٰ عليه السلام ضغوطاً مختلفة علىٰ فرعون ليرفع يده عن اذىٰ بني إسرائيل، و ورد في التوراة أن الله سبحانه زوّد موسى عليه السلام بمعجزة تبديل عصاه إلىٰ ثعبان، وظهور نور ساطع من يده، فجمع فرعون السحرة لأجل منازلة موسىٰ عليه السلام، فابتلع الثعبان جميع أدوات سحرهم، فأدرك السحرة آنذاك أن ماجاء به موسىٰ عليه السلام ليس من السحر في شيء.

وورد في القرآن المجيد أنهم آمنوا بموسىٰ عليه السلام غير هيّابين ولاوجلين من فرعون ثم أنزل الله ـ عقب هذه المعجزات ـ صوراً من العذاب علىٰ المصريين. و في كل مرة يقطع فرعون علىٰ نفسه عهداً بفك أسر بني إسرائيل. إلّا أنه لم يفِ بوعده قط. وقد أشارت التوراة إلىٰ عشرة أنواع من العذاب:

---

١. طه، ١١ ـ ١٦.
٢. القصص، ٢٩، ٣٠.

١. تبديل مياه المصريين إلىٰ دماء.

٢. ازدياد عدد الضفادع.

٣. ازدياد عدد البراغيث.

٤. ازدياد عدد الذباب.

٥. موت دواب المصريين إثر تفشي الوباء.

٦. إصابة المصريين و دوابّهم بالدُّمّل.

٧. سقوط البَرَد، و تلف المزارع و الحيوانات.

٨. ازدياد عدد الجراد.

٩. حلول الظلام في مساكنهم لمدّة ثلاثة أيام.

١٠. هلاك المواليد الأبكار لاهل مصر قاطبة و دوابهم.

و سرد القرآن الكريم تسع معجزات لموسىٰ [١] و الظاهر أن المقصود منها هي المعجزات التي جاء بها لفرعون، و إلا فصريح القرآن الكريم، والتوراة أن معجزاته فاقت هذا العدد، و قد ذكر القرآن بعض أنواع العذاب السالفة الذكر. [٢]

٣ ـ ٥. العبور من البحر

و بناءً علىٰ ماورد في التوراة، فإنّ فرعون قد رضخ في النهاية للأمر الواقع، فأرسل إلىٰ موسىٰ وهارون ليلاً، و أذن لهم بالخروج ببني إسرائيل. فخرج بنو إسرائيل إلىٰ جهة البحر الأحمر شرقي مصر و نصبوا هناك خيامهم، إلّا أنّ فرعون سرعانما نَدِم، فأتبعهم بجنوده، فلحق بهم و قد بلغوا شاطىء البحر، فلما رأىٰ قوم موسىٰ فرعون و جنوده من بعيد، حينها رفع موسىٰ يده إلىٰ البحر، فانفلق، فتجاوزه بنو إسرائيل إلىٰ الشاطيء الثاني، فلما تبعهم جنود فرعون في البحر، أشار موسىٰ عليه السلام بيده بأمر من الله سبحانه، فَغرقوا جميعاً. أما غرق فرعون نفسه، فلم تُفصح عنه التوراة.

---

١. الإسراء، ١٠١. ٢. الأعراف، ١٣٠ ـ ١٣٣.

و يظهر من القرآن الكريم و الأحاديث أن بني إسرائيل خرجوا من مصر بأمرٍ من الله سبحانه، لا بإذن فرعون،[1] كما صرّح القرآن الكريم بأنّ موسىٰ عليه السلام ضرب بعصاه البحر بأمرٍ منه تعالىٰ، لا أنه مدّيده جهة البحر.

و قد مكث بنو إسرائيل أربعين سنة في شبه جزيرة سيناء، و هي مدّة التيه التي تعرضوا لها، و كانوا يأكلون فيها المنّ و السلوىٰ النازليْن من السماء.

و أطلقت التوراة اسم المنّ علىٰ الغذاء النازل، لأن بني إسرائيل أخذوا يتساءلون ـ عند رؤيتهم له ـ بقولهم بالعبرية: «**مان هو**»؟، و تعني ما هذا؟

٤ ـ ٥. الالواح و الوصايا العشر

و لمّا مرّت ثلاثة أشهر علىٰ خروج بني إسرائيل من مصر، عُهد إلىٰ موسىٰ عليه السلام أن يتكلم مع الله سبحانه في وادي طور[2] سيناء. و هناك تلقّىٰ لَوْحين نُقشت فيهما وصايا الله سبحانه. و قد عبّر عنها القرآن بصيغة الجمع، الألواح.[3] و تبرز من بينها عشر وصايا مهمة للغاية و اشتهرت باسم الوصايا العشر، و هي:

١. الربّ إلهك، فلا يكن لك آلهة أخرىٰ أمامي.

٢. لا تسجد للأوثان.

٣. لا تنطق باسم الربّ باطلاً.

٤. أذكر يوم السبت لِتُقدِّسه.

٥. أكرم أباك و أمّك.

٦. لا تقتل.

٧. لاتزنِ.

٨. لا تسرق.

---

١. الشعراء، ٥٢. ٢. طور بالسريانية تعني «الجبل»

٣. الأعراف، ١٤٥.

۹. لا تشهد علىٰ قريبك شهادة زور.

۱۰. لا تشتهِ أموال قريبك و عِرضه.

و قد وردت تفصيلات هذه الأحكام في الاصحاح (۲۱) من سِفْر الخروج.

٥ ـ ٥. عبادة العِجل

تقول التوراة انه لما أبطأ موسىٰ في عودته من طور سيناء، قصد بنو إسرائيل هارون، و طلبوا منه أن يقيم لهم إلـٰها يعبدونه، و أتوْا إليه بما يملكونه من ذهب، فصنع منه عجلاً مسبوكاً، و رغّبهم إلىٰ عبادته.

أطلَعَ الله سبحانه موسىٰ علىٰ هذا الأمر، و أراد إهلاكهم، إلّا أنه صرف عنهم العذاب إثر شفاعة موسىٰ.ﷺ

أخذ موسىٰ اللّوحيْن و رجع إلىٰ بني إسرائيل، فلمّا رأىٰ أعمالهم القبيحة، ضرب باللّوْحين الأرض، و قبّح فعل أخيه، وأحرق العجل و ألقىٰ برماده في الماء، و شرّبه بني إسرائيل، ثمّ أمرهم بأن يسلّوا سيوفهم و أن يقتل بعضهم بعضاً لمّدة نصف يوم.

القرآن الكريم أورد هذه القصّة و في مواضع مختلفة منه، وفق الصورة المذكورة، إلّا أنه نزّه الساحة المقدسة لهارونﷺ عن ارتكاب هذا العمل القبيح،[1] و عزا صنع العجل إلىٰ شخص يُعرف بالسامريّ.

وقد اعترض أهل الكتاب علىٰ كلمة السامريّ الواردة في القرآن الكريم، و قالوا إن شخصاً مثل هذا لاوجود له، لأن السامريّ منسوب إلىٰ مدينة السامرة في فلسطين، و هذه المدينة شيّدها الملك (عُمْرىٰ) الذي ظهر بعد موسىٰﷺ بسنوات طويلة.[2]

وأجاب عنه العلامة البلاغي بقوله: **إنّ ثَمّة شخصاً في بني إسرائيل يُدعىٰ شمرون بن يشاكر بن يعقوب، و يُطلق علىٰ عشيرته لقب الشمروني،[3] و تُلفظ الشمروني في اللغة العربية بالسامري.**[4]

---

۱. طه، ۹۰. ۲. سِفْر الملوك الأول: ۱٦ / ۲٤. ۳. التكوين: ۱۳؛ الأعداد: ۲٤.

٤. الهدىٰ إلىٰ دين المصطفىٰ: محمد جواد البلاغي: ۱ / ۹۸ ـ ۹۹، صيدا، مطبعة العرفان، ۱۳۳۱ هـ.

و صرّحت التوراة بأن الله سبحانه أمر موسىٰ عليه السلام أن ينحتَ لوحين آخرين، لكي يكتب فيهما وصاياه، وقد اشار القرآن الكريم إلىٰ ذلك ايضاً.[١]

٦ ـ ٥. وفاة موسىٰ عليه السلام

وعلىٰ أية حال، فقد نظم موسىٰ أمور قومه، وأعدّهم لقتال الكافرين، وعلّمهم أحكام الله، وبارك فيهم، ثم توفّي في مكان يُعرف بـ«موآب» بالقرب من البحر الميّت، بعد ان بلغ مائة و عشرين عاماً، و أقام بنو إسرائيل الحداد عليه لمدّة ثلاثين يوماً. هذه الوقائع نقلت في آخر سِفْر التثنية، و بها خُتمت التوراة:

«...(٥) فمات هناك موسىٰ عبد الرب في أرض موآب بأمر الرب و دفنه (٦)[٢] في الوادي في أرض موآب تجاه بيت فعور و لم يعرف أحد قبره إلىٰ يومنا هذا (٧) و كان موسىٰ ابن مئة و عشرين سنة حين مات و لم يكلّ بصره و لم تذهب نضرته (٨) فبكىٰ بنو إسرائيل علىٰ موسىٰ في برِّيَّة موآب ثلاثين يوماً إلىٰ أن انقضت أيام الحزن علىٰ موسىٰ (٩) أما يشوع بن نون فمليء روح حكمة، لأن موسىٰ وضع عليه يديه فأطاعه بنو إسرائيل و عملوا كما أمر الربّ موسىٰ (١٠) ولم يقم من بعد في إسرائيل نبي كموسىٰ الذي عرفه الربّ وجهاً لوجه (١١) في جميع الآيات والخوارق التي أرسله الربّ ليصنعها في أرض مصر بفرعون و جميع رجاله وكل أرضه (١٢) و في كل يد قوية وكل مخافة عظيمة صنعها موسىٰ علىٰ عيون إسرائيل كله.[٣]

٦. تاريخ بني إسرائيل

خَلَف يوشع بن نون عليه السلام موسىٰ عليه السلام في قيادة قومه بأمر الله سبحانه، و قام بفتح بلاد كنعان بعد عبور نهر الأردن الممتد من شمال فلسطين إلىٰ جنوبها، حيث تعرّض السكّان الأصليون لتلك البلاد ـ وفقاً لادّعاء العهد القديم ـ إلىٰ قتل عام، و اختصّت أراضيهم ببني إسرائيل. وقد نقل السِفْر السادس للعهد القديم (المعروف بسِفْر يوشع) تفاصيل هذه الحروب. ثم ظهر بعد يوشع عليه السلام رجال كبار عرفوا بالقضاة، حكموا بني إسرائيل

---

١. الاعراف، ١٥٤.
٢. لم يُعلم اسم الدافن وقيل هو الرب
٣. التثنية: ٣٤/ ٥ ـ ١٢.

دون أن يكون لهم عنوان النبوة أو الملك، و جاءت أخبارهم في سِفْر القضاة.

١ ـ٦. عصر الملوك

و كان آخرهم صموئيل الذي أعقب ولديْن، لم تتوفر فيهما مؤهّلات الحكم. لذا طلب بنو إسرائيل من صموئيل أن يختار لهم ملكاً لدفع حملات من جاورهم.

فساء الامر في عيني صموئيل اذ قالوا أعطنا ملكاً يقضي لنا وصلىٰ صموئيل الىٰ الرب، فقال الرب لصموئيل:اسمع لصوت الشعب في كل مايقولون لك لانـهم لم يرفضوك انت بل إياى.رفضوا حتىٰ لا أملك عليهم حسب كل اعمالهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر الىٰ هذا اليوم وتركوني وعبدوا آلهة اخرىٰ هكذا هم عاملون بك أيضاً فالان اسمع لصوتهم ولكن اشهدن عليهم واخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم.[١]

وبعد إصرار شديد منهم، عيّن لهم ملكاً شابّاً بأمر الله تعالىٰ وكان قد مسحه بالزيت في حدود عام ١٠٣٠ ق.م،هذا المسح جعل منه مسيحاً (ماشيحاً) وحاكماً الهياً مفروض الطاعة، يدعىٰ في العهد القديم شاؤول،[٢] وفي القرآن الكريم طالوت.[٣]

و عقب هذا الانتخاب، اندلعت معارك طاحنة بين بني إسرائيل و الفلسطينيين، أسفرت عن انتصار بني إسرائيل، و مقتل **جُلْيات** أحد أبطال خصومهم (المسمّىٰ **جالوت** في القرآن الكريم) علىٰ يد داود ﷺ، و هزيمة جيشه.

ثمّ خَلَف داودُ طالوتَ (في حدود سنة ١٠١٥ ق.م)، وكان من أهل الدعاء والمناجاة و رجل حرب في آن واحد، وكان يحظىٰ باحترام خاص لدىٰ اليهود ومن أهم انجازاته فتح مدينة اورشليم[٤] وجعلها عاصمة ملكه واسماها مدينة داود، يُذكر ان اورشليم كانت قبلة اليهود.

---

١. سِفْر صموئيل الاول: ٨/٦ـ ١٠.

٢. سِفْر صموئيل الأول: الاصحاح ٩. ٣. البقرة، ٢٤٧.

٤. الاسم الاصلي لهذه المدينة Jerusalem وتعني مدينة السلام، ويطلق المسلمون عليها اسم القدس او بيت المقدس (وهي تعادل «بيت هميقداش» العبرية وتعني دار المعبد)،والاسم الاخر لها هو «ايليا كابيتوليا» وقد بدلها المسلمون الىٰ ايلياء.

وأعقبه سليمان الذي اعتلىٰ العرش بعد أبيه داود، وبلغت مملكته أوج مـجدها، و شيّد معبداً كبيراً في مدينة أورشليم، اشتهر باسم هيكل سليمان (والهيكل فـي اللغة العبرية هو البناء العالي). هذا المعبد هدمه نبوخذ نصّر عام (٥٨٧ ق.م.)، وأُعيّد بناؤه، ثم دمره تيطس الروماني (Titus) عام (٧٠م).

وقد وقع هذا المعبد بيد المسيحيين تدريجاً ومن ثم بيد المسلمين وعلىٰ وجه التحديد في عصر الخليفة الثاني، وقد شيدوا مسجداً ضخماً اطلق عليه مسجد عمر، وبنوا عليه قبة تدعىٰ قبة الصخرة وتم تذهيبها فيما بعد، كما تم بناء مسجد آخر صغير الىٰ جانبه مع قبة زرقاء سُمي بالمسجد الاقصىٰ.[١]

وحينما تم إنشاء إسرائيل علىٰ ارض فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨م، اوكلت هيئة الامم المتحدة الشطر الغربي للقدس الىٰ إسرائيل والشطر الشرقي الَذي يضم المسجدين الىٰ الاردن، وقامت إسرائيل في حرب الستة ايام التي خاضتها ضد العرب عام ١٩٦٧م. بضم الشطر الشرقي اليها والحاقه بالشطر الغربي، فأصدر مجلس الامن قرار ٢٤٢ القاضي بضرورة انسحاب إسرائيل من الاراضي التي احتلتها في تلك الحرب بما فيها الشطر الشرقي من القدس، ولكنها لم تعر أهمية لهذا القرار.

وكان هذان المسجدان بيد المسلمين منذ صدر الاسلام وحتىٰ يومنا هذا (باستثناء بضعة عقود كانت مدينة القدس ترزح فيها تحت نير الاحتلال الصليبي) وكانت تقام فيها صلوات الجماعة والجمعة وسائر الشعائر الاسلامية، كما جرت العادة قبل عام ١٩٦٧م. ان يتوجه الحجيج الىٰ الاردن بقصد زيارة الحرم القدسي بعد زيارة الحرمين الشريفين.

وبعد مضي أعوام علىٰ ذلك قام الصهاينة بسلسلة حفريات في اطراف تلك المساجد بهدف هدمها واقامة هيكل سليمان المزعوم محلها، و شرع الصهاينة بتحريض الجماعات الافراطية علىٰ هتك حرمة الحرم القدسي الشريف صيف عام ٢٠٠٣م.

---

١. أشار عنوان «المسجد الاقصىٰ» الوارد في أول سورة الاسراء الىٰ هذا المكان.

واعتقد أهل الكتاب، استناداً الىٰ نصوص مجعولة للعهد القديم (سِفْر الملوك الأول، الاصحاح ١١) أنّ سليمان عليه السلام أقبل في أواخر عمره علىٰ عبادة الأوثان، واقتراف المعاصي إثر وسوسة زوجاته المشركات، إلّا أنّ القرآن الكريم نزّه ساحته المقدسة، و تحدّث عنه بكلّ إجلال.

٦ـ٢. تجزئة البلاد

و لمّا توفّي سليمان عليه السلام، تسلّم مقاليد الحكم بعده ابنه رِحُبعام، الذي أفشىٰ الظلم، ممّا حدا بطوائف من بني إسرائيل إلىٰ التمرد علىٰ أوامره، و بقي تحت نفوذه سبطان، هما يهوذا و بنيامين في مملكة يهوذا (اسم أحد أبناء يعقوب) التي تشكل مساحة صغيرة نسبياً. هذه المساحة اكتسبت أهميّة كبيرة لاسيما وأنها تضمّ مدينة أورشليم (القدس)، و منها اشتق اسم اليهودي. أمّا سائر الأسباط العشرة، فقد أسّسوا في شمال فلسطين مملكة إسرائيل المستقلة بقيادة يَرُبعام بن ناباط (وكان من ولاة سليمان عليه السلام).

وقد أدّت تجزئة البلاد إلىٰ ضعف و انحطاط بني إسرائيل، و عكف ملوك يهوذا و إسرائيل علىٰ ارتكاب المعاصي و الذنوب، و ترويج عبادة الأوثان.

٦ـ٣. الأسر البابلي

و مهما يكن من أمر فإن تنبّؤات أنبياء بني إسرائيل قد تحققت، حيث تعرّضت مملكة إسرائيل لهجوم الآشوريين الذين حكموا شمال العراق و سوريا و كانت عاصمة ملكهم مدينة نينوىٰ، و أسفر الهجوم عن وقوع أعداد كبيرة منهم في الأسر. و بعد مضي عقد من الزمن، قاد نبوخذ نصّر ملك بابِل الذي جاء ذكره في العهد القديم، قاد هذا الملك هجوماً كاسحاً علىٰ أورشليم، أسفر عن مقتل سكان مملكة يهوذا، و أسر جموع غفيرة منهم، وسوقهم إلىٰ بابل، التي مكثوا فيها زمناً طويلاً.

إنّ وقوع سكان إسرائيل و يهوذا في الأسر، أدّىٰ إلىٰ تشتّتهم في الشرق الأوسط و

في بلدان أخرىٰ. و كان لهذا الأسر أهمية خاصة، ذلك أن بعض سكّان إسرائيل الذين نجوا من أسرالآشوريين، وقعوا في أسر البابليين، وتمّ إجلاؤهم مع سكّان يهوذا إلىٰ بابل و عُرفت هذه الحادثة في التاريخ بالأسر البابلي.

وقد تطبع اليهود خلال مدّة الأسر بآداب و أخلاق المشركين، وقلّ مَن عانىٰ منهم من هموم البُعد عن الوطن و ذلّة الأسر و صعوبة أداء الشعائر الدينية.

٤ ـ ٦. اعادة بناء المعبد

حينما احتل قورش الكبير احد ملوك السلالة الأخمينية مدينة بابل أمر بتحرير اليهود وأذن لهم بالعودة إلىٰ وطنهم، إلا أن عدداً كبيراً منهم فضّل البقاء في بابل، و قد حظى الأمر الذي أصدره قورش في حدود عام (٥٣٨ق.م) بتقدير اليهود، وأكسبه محبوبية في أوساطهم.

وعلىٰ أية حال، فقد عادت مجموعة منهم إلىٰ فلسطين، وبدأت بإعادة بناء مدينة القدس، الأمر الذي أثار مخاوف جيرانهم الذين حالوا دون تشكيل دولة مركزية لليهود علىٰ أرض فلسطين، ممّا أدّى إلىٰ تشكيل دويلات ضعيفة فيها. وبعد مضيّ قرون من الإضطراب وعدم الإستقرار تعرضت مدينة القدس للتدمير مرة أخرى علىٰ أيدي الرومان، الأمر الذي أسفر عن تشتت اليهود وتشرّدهم في العالم. ومنذ ذلك الحين أمضى اليهود حياة مليئة بالمصاعب والذلّة والهوان في البلدان التي استوطنوها.

وفي هذا الخضم تعززت فكرة المنجي بين أوساط بني اسرائيل، وترعرعت حتىٰ تمكن بنو إسرائيل بواسطتها من التغلب علىٰ الياس والاحباط الذي انتابهم وقد كتب لهم انتظار المسيحا[١] الدوام والبقاء.

وقد احجم اليهود المنتظرون منذ ما يربو عن ٢٠٠٠ عام احجموا عن احياء

---

١. لما كان مصطلح المسيح «Christ» يختص بعيسىٰ بن مريم ﷺ، لذا أطلق علىٰ موعود اليهود «المسيحا» «Messiah».

حكومتهم الدينية التي ذهبت ادراج الرياح، اعتقادا منهم انها خلاف سنة الانتظار، نعم هناك من ادعىٰ انه المسيحا المنتظر الا ان النجاح لم يحالفه في نهاية المطاف.

وسَرَت في المجتمع الديني روح جديدة بعد عودة اليهود من بابل، وانتشرت المعابد التي سُمّيت فيما بعد بالكنائس «synagogue». هذه المعابد شُيّدت ـ كسائر المعابد ـ وفق هندسة معمارية خاصة، حيث احتوت علىٰ أماكن للقرابين، وأماكن خاصة أخرى.

٥ ـ ٦. نضال اليهود

أدّى استقرار اليهود في أورشليم وإعادة بنائها إلىٰ استفحال المشاكل، واندلاع المعارك بين المكابيين وملوك سورية المشركين والتي أسفرت عن غلبة اليهود. وقد جاءت تفاصيل هذه الوقائع في أسفار أبو كريفا.

وكان بنو إسرائيل آنذاك يرزحون تحت سلطة المشركين، وقد تزامن ذلك العهد مع ظهور عيسىٰ المسيح عليه السلام الذي سيأتي الحديث عنه بالتفصيل، و تشكيل مجلس من احبار اليهود بأسم سَنهِدرين، حيث كانوا يجتمعون فيه للبحث والتداول في الشؤون الدينية، وإصدار الأحكام والقوانين.[١]

٦ ـ ٦. تدمير اورشليم وتشريد اليهود

قام تيطس نجل امبراطور الرومان بحصار أورشليم وتدميرها عام (٧٠م)، وقتل جمع غفير من أهلها، وهدم مجلس سنهدرين. ولم يسلم من المدينة الا جدارها الغربي الذي ظل قائماً ولم ينقض، وأُطلق عليه حائط المبكىٰ (The Wailing Wall) بسبب اقامة اليهود العزاء الىٰ جانبه حداداً علىٰ ما جرىٰ، وأطلق عليه المسلمون حائط البُراق.

وقد تشتّت اليهود عقب هذه الحادثة في البلاد المجاورة لاسيما أوروبّا وأفريقية

---

١. اشتقت كلمة سنهدرين من الإصطلاح اليوناني (سندريون) الذي يعني المجمع.

الشمالية، واطلق علىٰ هذا الوضع بالعبرية اسم «جالوت» وتعني جلاء الوطن، وعلىٰ مناطق تشتتهم باليونانية اسم دياسبورا (Diaspora) وتعني التشتت، واختارت مجموعة منهم المدينة المنورة (التي كان يطلق عليها آنذاك اسم يثرب)، فارتحلوا إليها واستوطنوها، وتعزو بعض المصادر الإسلامية سبب هذا الإختيار إلىٰ أنّهم كانوا بصدد انتظار نبيٍّ يُبعث هناك.

ثمّ استلم المسلمون في عهد الخليفة الثاني مفاتيح مدينة القدس من أيدي المسيحيين بعد مفاوضات جرت بينهما.

قال الطبري في حوادث سنة (١٥هـ): **إن المسلمين لما فتحوا مدينة القدس، صالحوا النصارى علىٰ أن لا يسكنوا اليهود في هذه المدينة.**[١]

٧ـ٦. اليهود وسائر الاقوام

إنّ العنصرية وسيادة روح الاستعلاء، هما خصلتان لم تنفكا عن اليهود، الأمر الذي دفع ببقية الشعوب إلىٰ معاداتهم و تحقيرهم، ولعله للسبب ذاته دمّرت مدينة القدس يُشار الىٰ أن وقوع بني إسرائيل في الأسر البابلي كان في حدود القرن السادس قبل الميلاد. ولما حاصر جنود نبوخذ نصر مدينة أورشليم، أخذ النبي إرميا يدعو الناس إلىٰ الإستسلام لأنه أفضل من خراب المدينة، إلّا أنّ اليهود لم يصغوا إليه، إذ رأوا في موقفه تثبيطاً لعزائم المقاتلين، فألقوا عليه القبض وأودعوه السجن ثم أطلقوا سراحه بعد سقوط أورشليم وخرابها.[٢]

كان اليهود في البلاد الإسلامية ينعمون بحياة رغيدة، حتى أن عدداً منهم تقلّد مناصب رفيعة، في حين أُرغم اليهود المقيمون في أوروبّا علىٰ العيش بذلة في أحياء منعزلة تسمّى الغيتو (ghetto). واتفق كثيراً أن أجبر هؤلاء علىٰ اعتناق المسيحية بالقوة، فكانوا نصارى في الظاهر ويهود في الباطن، وقد عُرفوا باسم اليهود المتنصّرين

---

١. انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٣٦، ط دار الفكر.

٢. سِفْر إرميا: ٣٩ / ١٤.

(Marranos). كما نَعم يهود الأندلس بالرخاء والإستقرار في ظلّ الحكم الإسلامي، ولمّا سقطت الأندلس بيد الإفرنج عام (١٤٩٢م)، طُرِد اليهود منها أيضاً، فهاجروا إلىٰ البلاد الإسلامية الواقعة في شمال إفريقيا، إلّا أنّ القليل منهم استطاع التخلص من مخالب قراصنة البحر وأطماع ربابنة السفن، والوصول إلىٰ ساحل الأمان والنجاة.

إنّ السلوك الإنساني والسيرة الحسنة للمسلمين حيال الأجانب أطلق ألسنة المؤرخين اليهود والنصارىٰ بتمجيدهم.

وقد اثارت مهارة اليهود الاقتصادية حفيظة من استضافهم، ومما زاد من عمق الشرخ بينهم وبين سائر الاقوام، هو:

١. موقفهم المناوىء لعيسىٰ المسيح عليه السلام في الماضي البعيد والذي دوّن في الاناجيل الىٰ جانب مواقفهم المعادية لنبي الاسلام صلى الله عليه وآله التي ورد ذكرها في سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والاحزاب والحشر.

٢. سلوكهم المشين في المجتمعات الاسلامية، كبيع الخمور، وادارة مراكز الدعارة وأخذ الربا من المسلمين والمسيحيين.

٣. الجرائم الوحشية التي يقترفها الكيان الصهيوني الدموي في عصرنا الحاضر افضت الىٰ جلب المزيد من الكراهية ازاء تصرفاتهم والتي تجلّت حين التصويت في هيئة الامم المتحدة، ففيما نشاهد ان ١٧٧ رأياً يندد بجرائم الكيان الصهيوني العنصري، نجد ان ٥ آراء معارضة، وهي إسرائيل بالطبع وامريكا وثلاثة جزر غير معروفة يمكن ان تُشترىٰ آراؤها بثمن زهيد.

وقد شاع ايذاء اليهود في بعض البلدان المسيحية والاسلامية في سالف الزمان، حيث كان يُطلب منهم اعتناق دين اخر و تناول لحم الخنزير أو اللحم مع اللبن[١] بذريعة خطف اليهود للاطفال.

---

١. يحرم تناول لحم الخنزير مطلقاً واللحم مع اللبن في اليهودية لذا فان تناولها يؤذي اليهود.

ولايخفىٰ ان الاكراه علىٰ اعتناق دين غير جائز في الاسلام والمسيحية، وقد ندد بذلك علماء الاسلام، ويطلق علىٰ من أُجبر علىٰ اعتناق المسيحية او الاسلام وظل يهودياً في الباطن، اسم «**مرانو**»[1] في اوروبا و«**آنوس**»[2] في إيران.

ويُتهم كل من عادىٰ اليهود علىٰ المستوىٰ الدولي بمعاداة السامية «Anti- Semetism»، ثم ان كراهية اليهود لمصطلح «اليهودي» و «jew» أدت بهم الىٰ تبديله بمصطلح «**الكليمي**» «jewish person».

وقد قام هتلر بتعذيب جمع منهم وقتلهم، فثارت ثائرة اليهود وعمدوا الىٰ تضخيم وتهويل تلك الحادثة الىٰ حد كبير حتىٰ وصفوها بالمحرقة والابادة الجماعية واطلقوا عليها اسم **الهولوكاست** «Holocaust».

و تمكنت الصهيونية العالمية عبر التسلط علىٰ وسائل الاعلام من كسب افكار الرأي العام المسيحي الىٰ جانبها، لذا فكل من حاول الوصول الىٰ مركز القرار في امريكا او البلدان الغربية الاخرىٰ لايملك سوىٰ وضع طوق العمالة للصهيونية علىٰ رقبته، وهذا ما يفسر لنا الدعم الصارخ لرؤساء الجمهورية في امريكا للجرائم غير الانسانية التي تقترفها إسرائيل بهدف كسب دعم المجامع المسيحية، الامر الذي ادىٰ الىٰ اسوداد وجه الصهيونية امام المسلمين يوماً بعد يوم، و«**العاقبة للمتقين**».

٨ ـ٦. ظهور الصهيونية

اثر الضغوط المتواصلة التي تعرّض لها يهود أوروبّا من قبل المسيحيين وأقوام أخرى والنفي المستمر لهم، جعلهم يفكّرون مليّاً في إنشاء وطنٍ قوميّ لهم. ولم تكن هذه الفكرة وليدة الصدفة بل لها سابقة في التاريخ.

ففي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أُخرجت جماعة كبيرة من يهود روسيا،

---

١. اصل مصطلح «Marrano» غير معلوم

٢. آنوس مصطلح عبري بمعنىٰ المجبور.

فاستوطنت بعضها غرب أوروبّا، وبعضها الآخر فلسطين في مكان بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط، أطلقوا عليه اسم صهيون، وكانت فلسطين آنذاك تابعة للخلافة العثمانية، وكان إسم صهيون يطلق قديماً علىٰ هضبة بالقرب من القدس، كانت في زمن اقتدار دولة بني إسرائيل (عصر داود وسليمان) مركزاً عسكرياً. هذا الاسم يعيد إلىٰ أذهانهم شوكة بني إسرائيل، وقد جاء ذكره كثيراً في أسفار الأنبياء المتأخرين.

وفي تلك الحقبة نهض يهود أوروبّا وروسيا ـ متجاهلين سنة الإنتظار ـ من أجل نيل العزة والإستقلال، وقام صحفي نمساوي يدعىٰ «**ثيودور هرتزل**» بتأسيس الصهيونية، وبذل جهود جمة في هذا السبيل، الا انه اصطدم بطائفتين من اليهود: طائفة اعتقدت ان الصهيونية تخالف عقيدة المسيحا، واخرىٰ لم ترتض الفصل العنصري واعتبرت التعايش السلمي مع سائر الاقوام هو الحل الامثل، ولكن الصهاينة تمكنوا من اقناع بني جلدتهم بضرورة إنشاء وطن قومي لهم، و تبع ذلك هجرة اليهود إلىٰ فلسطين. وقد حذر المفكرون المسلمون من مغبة هذه الهجرة، واعتبروها مؤامرة خطيرة تستهدف الإسلام وحذروا المسلمين من التعاون مع المهاجرين.[1] وحينما وقف المسلمون علىٰ عمق الفاجعة كانت السبل قد أوصدت أمامهم، ولات حين مناص.

يُشار الىٰ ان جماعة من المسيحيين اعتقدت ان شرط رجعة عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان هو عودة اليهود الىٰ فلسطين، وقد دعم الصهاينة هذه الفكرة ووجدوا من يدافع عن عقيدتهم في أوساط المسيحيين السذج.

٩ ـ ٦. تأسيس إسرائيل

لقد تناسىٰ الصهاينة ضيافة المسلمين الفلسطينيين لهم، فأغتصبوا أراضيهم بأساليب بشعة عام ١٩٤٨م. وأنشأوا عليها حكومة إسرائيل العنصرية، ولم يمضِ سوى عقد من الزمن حتى قام الكيان الصهيوني في حرب الايام الستة عام ١٩٦٧م. باحتلال أراضي

---

١. وردت نماذج من هذه التحذيرات في تفسير المنار، ذيل الآية ٤٥ من سورة النساء.

البلدان المجاورة وضمّها إلىٰ كيانه الغاصب، بما فيها الشطر الشرقي من بيت المقدس الذي يضم المسجد الاقصىٰ.[1]

ان فكرة تشكيل وطن قومي لليهود كانت من الامنيات التي تراودهم دائما، ومع ذلك فان التعايش مع سائر الشعوب غير اليهودية أفضل بكثير لعامة اليهود من الناحية الاقتصادية، ولأجل تشجيع يهود أوروبّا وآسيا وإفريقيا علىٰ الهجرة إلىٰ إسرائيل، فقد أنشأت في أوساطهم منظّمات صهيونية تروّج لإسرائيل وتصورها كأنها الجنة الموعودة لليهود.

يُذكر أن جماعة من اليهود التي هاجرت إلىٰ إسرائيل عادت إلىٰ أوطانها.ويطلق علىٰ الهجرة الىٰ إسرائيل بالعبرية «**عليا**» اي علو، واليوم فان عدد يهود العالم بلغ ١٤ مليون نسمة يقطن ٢٠ بالمائة منهم في إسرائيل و ٨٠ بالمائة منهم في دول اخرىٰ.

وقد حشّد الإستكبار العالمي بقيادة امريكا وانجلترا قواه لدعم الصهاينة علىٰ كافة الأصعدة، الأمر الذي أدّى إلىٰ استغلال الصهاينة لهذا الدعم ـ إلىٰ جانب ضعف قادة الدول الإسلامية ـ في تعزيز وجودهم، وفرض أوضاع مزرية علىٰ المسلمين، ما نزال نشهد مضاعفاتها الخطيرة.

وقد ناهضت جماعة من اليهود كجماعة «**نيطوري كارتا**» فكرة إنشاء إسرائيل واعتبرتها مخالفة لتعاليم اليهود، ولم تكتف بذلك بل قامت بطبع عملاتها الورقية للحيلولة دون التعامل بالعملة الورقية لاسرائيل الغاصبة والمجرمة، كما خرجت في مظاهرات حاشدة في امريكا مندّدة بإسرائيل، واصفين إياها بوصمة عار علىٰ جبين اليهودية.

وقد اقترف الكيان الصهيوني الغاصب للقدس الذي مضى علىٰ تشكيله اكثر من نصف قرن أبشع المجازر في حق الفلسطينيين، دون أن يعير أهمية لقرارات الشرعية الدولية.

---

١. حذرت التوراة اليهود من الطمع بأموال القريب (الخروج: ٢٠ / ١٧، والتثنية: ٥ / ٢١)، وورد فيها أيضاً: «ملعون من ينقل حدود قريبه» [التثنية: ٢٧ / ١٧].

إنّ الّذين راودهم الأمل بالصلح مع الصهاينة، سرعان ما تبيّن لهم زيف ادعاءات الصهاينة وسوء سريرتهم ونفاقهم.

٧. تنَخ (العهد القديم)

يطلق اليهود على كتابهم السماوي اسم «تنَخ» وهو نفس العهد القديم الذي أطلقه النصارى على الكتاب المقدس لليهود في مقابل عهدهم الجديد. و يؤمن النصارى بالعهدين على حد سواء من خلال تقديم الناسخ على المنسوخ. فاذا ورد في التوراة حرمة لحم الخنزير (اللاويين ١١: ٧) وحذرت اليهود من تناوله، فقد ورد في العهد الجديد حلية كافة انواع اللحوم (اعمال الرسل ١٠: ٩-١٦) ولا يعتقد النصارى بحرمة أي لحم، وبالطبع فان المسيحيين كاليهود ينكرون النسخ ويعتقدون ان شريعة العهد القديم كانت مقدمة لترك الشريعة في العهد الجديد.

وقد كُتب العهد القديم باللغة العبرية و قليل منه باللغة الكلدانية. و هما ـ نظير اللغة العربية ـ من اللغات السامية. و يبتدأ العهد القديم بكتاب التوراة.

و تتوفر نسخة من العهد القديم كُتبت باللغة اليونانية مترجمة عن اللغة العبرية، و سمّيت بالترجمة السبعينية. و يقال إن هذه الترجمة تمّت بمشاركة (٧٢) شخصاً و بأمر «بطليموس فيلادلفوس» ملك مصر في حدود سنة ٢٥٨ ق.م، و هذه النسخة تختلف عن الأصل العبري اختلافا يسيراً، و أهمّ من ذلك أنها تشتمل على أقسام لا تتوفر في النسخة العبرية، وحينما اجتمع احبار اليهود في مكان يعرف بـ«ياونه» لتعيين اسفارهم المقدسة، اتفقوا على ٣٩ سِفْراً من بين الاسفار الدينية الكثيرة الرائجة في تلك العصور واعرضوا عن الاسفار التي دونت باللغة اليونانية، والتي سُميت فيما بعد بـ«أبوكريفا» (Apocrypha)، أي الخفية.

وقد قام المسيحيون الذين كُتب عهدهم الجديد باللغة اليونانية، باضافة بعض اسفار ابو كريفا الى العهد القديم، حتى بلغ عدد اسفاره ٤٦ سِفْراً، واتفقوا على قدسيتها،

الا ان هذا لم يمنع من ان تكون مثاراً للشك منذ عهد بعيد، و في ظل أحداث نهضة الإصلاح الديني (أي ما يقرب من خمسة قرون) ساورت مارتين لوثر شكوك حولها. مما دعا بالبروتستانت الىٰ طرحها جانباً، فانتشرت نسخ بروتستانتية للعهد القديم في الاسواق تعادل تنخ اليهودية، ولما اقدم البروتستانت علىٰ ترجمة الكتاب المقدس وطبعه ونشره، ازدادت النسخ الفاقدة لـ (ابوكريفا) في العالم، ممّا أثار حفيظة الكنائس الكاثوليكية و الأرثوذكسية التي اعتبرت الاسفار المذكورة جزءاً من العهد القديم واطلقت عليها **القانون الثانوي** (deuterocanonical).

وتُعرف طائفة اخرىٰ من الاسفار اليونانية بـ«**سودابيكرافا**» أي المدونات المجعولة، ولم تحظ باهتمام، ولم تُجعل في عداد العهد القديم، هذه المدونات التي ظهرت علىٰ يد بعض اليهود قبل الميلاد بعقود، اندثرت نتيجة غياب العناية بها، وقد اكتشف بعضها او ترجماتها في القرون الاخيرة.

والمدونات التي قام المسيحيون بتحريفها كثيرة وقد ترجمت مجموعات منها الىٰ اللغة الانجليزية و سائر اللغات، وطبعت.

ولتنخ او العهد القديم ـ حسب الترجمة المسيحية ـ ٣٩ سِفْرا، تنقسم مواضيعه الىٰ ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

١. القسم التاريخي للعهد القديم.
٢. الحكمة، الأناشيد و الشعر.
٣. تنبّؤات الأنبياء.

١ ـ ٧. القسم التاريخي لتنخ (العهد القديم)

يشتمل القسم التاريخي للعهد القديم علىٰ ١٧ سِفْراً، و يطلق علىٰ الاسفار الخمسة الاولىٰ «التوراة» او«**بنتاتوك**» « pentateuch» وتعني الاسفار الخمسة.

تبدأ التوراة بسِفْر التكوين الذي يتضمّن خلق العالم، قصة آدم و حواء و أكلهما من

شجرة المعرفة و إخراجهما من جنة عدن، أخبار أولاد آدم، و طوفان نوح، و أخبار إبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف ﷺ.

أما الأسفار الأربعة اللاحقة، فإنها تتناول سيرة موسىٰ ﷺ ـ التي تتضمن ولادته، و كيفية بعثته و هجرته (خروجه من مصر عام ١٢٩٠ ق.م.) و تأسيسه للحكم، و وفاته ـ و تاريخ بني إسرائيل، إضافة إلىٰ وجود عدد كبير من الأحكام والقوانين في الأسفار الأربعة ضمن العبارات المنسوبة إلىٰ الوحي.

و حسب عقيدة اليهود و النصارىٰ، فإن مؤلف الأسفار الخمسة هو موسىٰ ﷺ. و يعقب الأسفار الخمسة اثناعشر سِفراً، تشتمل علىٰ تاريخ بني إسرائيل منذ عهد يوشع ﷺ فما بعده.

و علىٰ أية حال، فإن هذا القسم يضم (١٧) سِفْراً:

١. سِفْر التكوين (خلق العالم، و أخبار آدم، و نوح، و إبراهيم، و إسماعيل، و إسحاق، و يعقوب و يوسف).

٢. سِفْر الخروج (ولادة موسىٰ و بعثته، خروج بني إسرائيل من مصر إلىٰ سيناء، الأحكام الشرعية).

٣. سِفْر اللاويين (أحكام الأحبار، أي علماء اليهود من نسل هارون و سبط لاوي).

٤. سِفْر الأعداد (إحصاء نفوس بني إسرائيل في عهد موسىٰ ﷺ، الشريعة، و تاريخ بني إسرائيل).

٥. سِفْر التثنية (تكرار الأحكام في الأسفار السابقة و تاريخ بني إسرائيل إلىٰ رحيل موسىٰ ﷺ).

ويطلق علىٰ مجموع هذه الأسفار الخمسة اسم التوراة.

٦. سِفْر يوشع (سيرة يوشع بن نون خليفة موسىٰ ﷺ).

٧. سِفْر القضاة (تاريخ قضاة بني إسرائيل قبل مجيء الملوك).

٨. سِفْر راعوث (سيرة امرأة تدعىٰ راعوث إحدىٰ جدات داود عليه السلام).

٩. سِفْر صموئيل الأول (تاريخ النبي صموئيل، و نصب شاؤول ـ يعني طالوت ـ ملكاً).

١٠. سِفْر صموئيل الثاني (حُكم داود عليه السلام).

١١. سِفْر الملوك الأول (استمرار حُكم داود و حُكم سليمان و خلفائه).

١٢. سِفْر الملوك الثاني (أخبار ملوك بني إسرائيل حتىٰ حملة نبوخذنصّر و جلاء بابِل).

١٣. سِفْر أخبار الأيام الأول (وفيه الحديث عن نسب بني إسرائيل و تاريخهم حتىٰ وفاة داود).

١٤. سِفْر أخبار الأيام الثاني (و فيه أخبار سليمان و مابعده من الملوك حتىٰ جلاء بابل).

١٥. سِفْر عزرا (إعادة بناء أورشليم ـ بيت المقدس ـ و عودة بني إسرائيل إليها مع عُزَيْر).

١٦. سِفْر نَحَميا (إعادة بناء أورشليم علىٰ لسان نحميا ساقي الملك أردشير، أول ملوك السلالة الأخمينية).

١٧. سِفْر استير (وفيه الحديث عن خطة وضعتها استير زوجة الملك خشايارشا اليهودية ـ المدفونة في مدينة همدان الإيرانية ـ لاحباط مؤامرة دُبرت لإبادة اليهود).

٢ ـ ٧. الحكمة، الأَناشيد و الشعر

يشتمل هذا القسم علىٰ خمسة أسفار، و هي:

١. سِفْر أيوب (تعرّض إلىٰ ابتلاء أيوب عليه السلام، و صبره و سخطه ـ علىٰ حدّ تعبير هذاالسِفْر)

٢. سِفْر المزامير و يعني زبور داود (و هو مجموعة تتألف من ١٥٠ مزموراً).

٣. سِفْر أمثال النبي سليمان عليه السلام (وهو مجموعة نصائح).

٤. سِفْر الجامعة (وهو من الشعر، فيه تشاؤم و تشكيك حول الدنيا).

٥. سِفْر نشيد الأناشيد (وهو مجموعة أشعار غزلية).

٣ ـ ٧. تنبّؤات الأَنبياء

و يشتمل هذا القسم علىٰ تحذيرات و تهديدات تحوم حول عاقبة بني‌إسرائيل، ولابدّ للقارىء من أن يحيط علماً بتاريخ تلك العصور لكي يقف علىٰ مغزىٰ تنبّؤات الأنبياء.

و يضمّ هذا القسم (١٧) سِفْراً:

١. سِفْر إشعيا (و هو أطول وأشهر سِفْر للتنبّؤات في العهد القديم).
٢. سِفْر إرميا
٣. سِفْر مراثي إرميا (مراثي إرميا علىٰ أنقاض أورشليم)
٤. سِفْر حزقيال
٥. سِفْر دانيال (تنبّؤات النبي دانيال المدفون في مدينة شوش الإيرانية)
٦. سِفْر هوشع
٧. سِفْر يوئيل
٨. سِفْر عاموس
٩. سِفْر عوبديا
١٠. سِفْر يونس (قصة مكثه في بطن الحوت)
١١. سِفْر ميخا
١٢. سِفْر نحوم
١٣. سِفْر حَبَقّوق (تنبّؤات النبي حبقّوق المدفون في مدينة تويسركان الإيرانية)
١٤. سِفْر صفنيا
١٥. سِفْر حجّاي
١٦. سِفْر زكريا
١٧. سِفْر ملاخي

٤ ـ ٧. أسلوب الارجاع الىٰ العهد القديم

يعلم الجميع كيفية الإرجاع إلىٰ القرآن الكريم، و يُعلم أنه بدل ذكر الصفحة يُذكر اسم

السورة ورقم الآية. وهذا الاسلوب عُمل به في الكثير من الكتب القديمة و المشهورة، كما هو المشاهد في آثار افلاطون و أرسطو و هوميروس و هيرودوتس و شكسبير و غيرهم. و اتُخذت لأجل الإرجاع إلىٰ هذه الآثار تدابير معينة، حيث قُدّمت تمهيدات و أبواب و فصول و أرقام للحيلولة دون الاقتصار علىٰ طبعات خاصة و محدودة لكي يسهل تناولها من قبل الجميع.

فحين الإرجاع إلىٰ الكتاب المقدس يذكر أولاً اسم الكتاب، ثمّ رقم الاصحاح، و أخيراً رقم الفقرات. مثلاً: لما يُقال (التكوين: ١ / ٢٧) فهو يعني سِفْر التكوين، الاصحاح ١، الفقرة ٢٧.

٥ ـ ٧. نقد التوراة

التوراة لفظ عبري، يعني القانون، إذ احتوت علىٰ أحكام و قوانين كثيرة. والشريعة هي الاسم الآخر للتوراة.

لقد ميّز الباحثون أربعة مصادر أو أساليب تدوين رئيسية للتوراة هي:

١. مصدر الوهيمي (E) و يتضمّن مقاطع من التوراة ورد فيها اسم الوهيم (أي الاله).

٢. مصدر يهْوَهي (J) و يتضمّن مقاطع من التوراة ورد فيها اسم يهوه.

٣. مصدر كاهني (P) و يتضمّن مقاطع من التوراة تبحث في الكهنوت اليهودي.

٤. مصدر سِفْر التثنية (D) و هو رسالة مستقلة أضيفت كسِفْر خامس إلىٰ التوراة.

إنّ أقدم و أشهر الانتقادات الّتي وجهت إلىٰ التوراة و الكتاب المقدس، هي للعالم و الفيلسوف الهولندي **باروخ بنديكت سبينوزا** (Baruch [Benedict] Spinoza) (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧) حيث وردت في كتابه المسمّىٰ «**رسالة في اللاهوت و السياسة**» (باللغة اللاتينية).

تعرّض سبينوزا في كتابه إلىٰ ضرورة البحث عن مدى اعتبار الكتاب المقدس من خلال التطرق إلىٰ شواهده التاريخية و النقدية المطروحة، و دعم موقفه بأدلة كثيرة، و

تأسف لكون القدماء تركوا الخوض في هذا الباب، و إذا كتبوا فيه شيئاً، فإنه بقي بعيداً عن الأضواء، و أضاف: إننا نعيش في ظروف راجت فيها مسائل، تعصّب لها الناس، و أطلقوا عليها اسم الدين دون أن يحكّموا العقل فيها. من هنا فإني عقدت العزم علىٰ المضيّ في هذا السبيل بشعور غامر باليأس، و أشرع ـ كخطوة أولىٰ ـ في البحث عن مصنِّفِي الكتاب المقدس، لاسيما الأسفار الخمسة للتوراة، فاقول:

يعتقد جميع أهل الكتاب تقريباً أنّ موسىٰ عليه السلام هو مصنّف التوراة، و أصرّت فرقة الفريسيين من اليهود علىٰ هذا الاعتقاد، و اعتبرت من يخالفه مرتدّاً. لهذا لم يجرؤ ابن عزرا، و هو عالم متفتح الذهن علىٰ إظهار وجهة نظره في هذا الموضوع، بل اكتفىٰ بإشارات مبهمة إلىٰ عدم صواب هذا الاعتقاد، أمّا أنا فسوف أميط اللثام عن مغزىٰ كلام ابن عزرا دون خشية و خوف، و سوف أصحر بالحقيقة للجميع. [1]

ثم بحث سبينوزا الأسفار الخمسة للتوراة بحثاً علمياً، و أثبت أن مصنّف التوراة لايمكن أن يكون موسىٰ عليه السلام، بل هو شخص آخر عاش بعد موسىٰ.

مثلا ورد في سِفْر التكوين ١٤: ١٤ الحديث عن مكان يدعىٰ «دان» ولكن نفهم من سِفْر يوشع ١٩: ٤٧ ان المكان المذكور كان اسمه «لشم» في زمن موسىٰ عليه السلام واطلق عليه «دان» فيمابعد، فاذا كانت التوراة من تصنيف موسىٰ عليه السلام فلابد ان نعثر فيها علىٰ اسم «لشم» لا «دان»، وقد اجاب علماء اليهود والنصارىٰ عن هذه الشبهات.

و بالطبع فإنّ اسبينوزا قد ذكر ان بعض عبارات التوراة الحالية (مثل سِفْر الخروج: ١٧ / ١٤، و سِفْر الأعداد: ٢١ / ١٤) توحي إلىٰ أنّ موسىٰ عليه السلام كانت له مكتوبات أيضاً.

٦ ـ ٧. أبو كريفا العهد القديم

و حان الآن الحديث عن أسفار أبو كريفا العهد القديم، و لكن قبل الشروع في ذلك؛ لابدّ من أن نشير إلىٰ أنّ نُسَخ الكتاب المقدس التي تحتوي علىٰ أبوكريفا تختلف فيما

1. Spinoza Benedict de, A Theologico - Political Treatise, ch VIII.

بينها في عدد أسفار أبوكريفا و في ترتيبها. ومصدر أغلب هذه الأسفار هي الترجمة السبعينية، و تتوفّر منها نسخ باللغة العربية و الإنجليزية و لغات أخرىٰ. و النسخة المدوّنة باللغة العربية تشتمل علىٰ (١٠) أسفار، هي:

طوبيا، و يهوديت، و استير، و الحكمة، و يشوع بن سيراخ، و باروخ، و صحيفة إرميا، و دانيال، و المكابيين الأول، و المكابيين الثاني.

٨. التَّلْمود

اشتقّت كلمة التلمود التي تعني التعليم من الفعل الثلاثي العبري «**لمَد**» (و يعني علّم)، وهي ذات علاقة بلفظ تلميذ ومشتقاته الذي هو رباعي في اللغة العربية: **والتلمود** كتاب ضخم جمعت فيه أحاديث اليهود وأحكامهم.

وقد ظهرت أبان السبي البابلي جماعة أُطلق عليها **سوفِريم** (وتعني الكُتّاب)، وهم الذين أولوا اهتماماً بكتابة التوراة والأحكام الدينية. ومن أبرزهم الكاتب عزرا (عُزَيرْ) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد و لعله أبرز شخصية ظهرت في أوساط اليهود بعد موسىٰ عليه السلام، حيث عقد العزم علىٰ إثراء شريعة موسىٰ عليه السلام من خلال استخراج نصوص من كتاب العهد القديم، تفي بمتطلبات المجتمع اليهودي، وكانت خطوته تلك بداية للسنّة الشفوية.

ثمّ راج بعد عزرا أسلوبٌ في تفسير وتأويل النصوص الدينية يُسمّى **مدراش** (ومعناه البحث والتتبّع)، لأن العلماء تتبّعوا علىٰ ضوئه المعاني الكامنة في التوراة، بغية وضع الحلول لكافة المسائل والمستجدات.

وانتخب لأسفار التلمود اسم **المشنا** (Mishnah) بمعنى المثنّى أو المكرّر، أي أنها تكرار وتسجيل للشريعة في مقابل **المِقرا**، وتعني القراءة أو المقروء. ويُطلق علىٰ التلمود المشنا لأنه تكرار للتوراة، وعلىٰ التوراة المِقرا.

وقد دُوّنت أسفار المشنا باللغة العبرية العاميّة، وهي لغة التخاطب لدى بني

إسرائيل، وهي تختلف إختلافاً غير يسير عن اللغة العبرية التي أُلّفت بها أسفار العهد القديم.

وعلىٰ أية حال، فالتلمود ينقسم إلىٰ ستة أقسام، تتضمن (٦٣) رسالة في (٥٢٣) فصلاً، وهذه الأقسام هي كالتالي:

١. كتاب **زراعيم** (أي البذور، ويتضمّن القوانين الخاصة بالأرض والزراعة)، ١١ رسالة.

٢. كتاب **مُوعَد** (أي العيد أو الموسم، ويتضمّن الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت والأعياد والأيام المقدسة)، ١٢ رسالة.

٣. كتاب **ناشيم** (أي النساء، ويتضمّن الأحكام والنظم الخاصة بالزواج والطلاق)، ٧ رسائل.

٤. كتاب **نزيقين** (أي الابرار، ويتضمّن جزءاً كبيراً من الشرائع المدنية والجنائية)، ١٠ رسائل.

٥. كتاب **قداشيم** (أي المقدّسات، ويحتوي علىٰ الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل)، ١١ رسالة.

٦. كتاب **طهاروت** (أي الطهارة، ويتضمّن الأحكام الخاصة بما هو طاهر ونجس، وما هو حلال وحرام من المأكولات والمشروبات وغيرها)، ١٢ رسالة.

وأطلق علىٰ شروح **المِشنا** اسم «**الغِمارا**» (Gemara) أي الشرح والتعليق، وزُعم أنها استدراك لأحاديث الربابنة الماضين، وبها يكتمل كتاب المشنا.

وتتناول «**الغِمارا**» كل مقطع من نصوص المِشنا علىٰ حدة، وتشبعه شرحاً وتفسيراً وتحليلاً، مع استعراض الشواهد.

وثمّة نوعان للغمارا: أحدهما، **الغِمارا الفلسطينية** التي دوّنها علماء اليهود في فلسطين، والثاني **الغِمارا البابلية** التي دوّنها علماء اليهود في بابل، وهي أكثر تفصيلاً من الغمارا الفلسطينية.

وقد قسّم التلمود تبعاً للغمارا إلىٰ قسمين أيضاً: **التلمود الفلسطيني**، و**التلمود البابلي**.

ويتألف التلمود من عنصرين أساسيين: أحدهما هالاغا (Halakhah) وتعني الطريق والمسلك وهي عبارة عن تعاليم دينية للحياة الصالحة، والآخر الهـغادا (Haggadah) أي الحديث، وهو عـبارة عـن أحـاديث الربـابنة التـاريخية والخُـلقية والديـنية التـي تستهدف بناء شخصية المؤمن عبر الأمثال والعبر والقصص المستقاة من تاريخ اليهود وسير حكمائهم وعظمائهم، ومن خلال وصف أنواع الثواب والعقاب في هذا العالم والعالم الآخر.

يُذكر أنّ كميّة كبيرة من مطالب التلمود قد وجدت طريقها إلىٰ الكتب الإسـلامية، واعتقد بعض المسلمين بصحة العديد منها، دون التثبّت من مصدرها، ويسـمّى هـذا النوع من الأحاديث بالإسرائيليات. نعم لاتـخلو بـعض مـوارد التـلمود مـن الصـحة لاسيما تلك التي تتفق والآيات والأحاديث الإسلامية.

وقد تكفّل التلمود باعتباره دائرة معارف غزيرة المحتوى بـالحفاظ عـلىٰ الديـانة اليهودية، واضحى مصدراً هاماً من مصادر التشريع اليهودي. ولكونه يتضمّن الطـعن علىٰ عيسىٰ عليه السلام فقد رفضه المسيحيون، وأعلن زعـماء الكـنائس فـي القـرن السـادس الميلادي عن مخالفتهم له، بيد أن ذلك لم يخلّف مشكلة كبيرة طيلة قـرون مـتمادية، إضافة إلىٰ أن الأوساط العلمية اليهودية حرصت علىٰ عدم إثارة حفيظة النصارى، إلىٰ أن قام يهودي اعتنق المسيحية بتحريض البابا عام (١٢٣٩م) علىٰ حرق كتاب التلمود، ومنذ ذلك الوقت أصبح حرقه أمراً رائجاً، حيث تُسيّر العربات المحملة بنُسَخ هـائلة من التلمود إلىٰ ميادين المدينة، ويتمّ احراقها أمام الملأ، أو الإنتفاع مـن جـلودها فـي صناعة الأحذية.

وتتوفر حالياً عدّة نسخ خطية من التلمود البابلي في مكتبات العالم، وتوجد نسخة كاملة منه في مكتبة مدينة ميونخ الألمانية.

و صدرت أول و أشهر طبعة للتلمود بالنص العبري علىٰ يد شخص يُدعى دانيال

بومبرغ في مدينة البندقية بإيطاليا (وطبع **التلمود البابلي** في الأعوام ١٥٢٠ ـ ١٥٢٣، **والتلمود الفلسطيني** في الأعوام ١٥٢٣ ـ ١٥٢٤).

ويقع **التلمود البابلي** وفقاً لتلك الطبعة في ٥٨٩٤ صفحة، وروعي ذلك في الطبعات اللاحقة حفاظاً علىٰ الإرجاع إلىٰ ذلك الكتاب الضخم. وقد ترجم التلمود ونشر بلغات أوروبيّة عديدة. وتقع الترجمة الإنجليزية له في (١٨) مجلداً، طبعت في لندن.

٩. قبالا

ظهر العرفان أو التصوف في الأديان كردّ فعل للشريعة والتعقّل (الفقه والفلسفة)، ولا يتيسّر إثباته أو نفيه، لأنه نابع من الذوق، وله ارتباط وثيق بالفن، وهو كالنار الهادئة يجذب كل شيء نحوه ويتقدم إلىٰ أمام. وقد اصطبغت أديان الهند والشرق الأقصى بالطابع العرفاني، الأمر الذي أدّى إلىٰ شغف العديد من سكان أمريكا وأوروبّا بها.

وترك العرفان اليهودي (الذي يسمّى قبالا أي المقبول) بصمات واضحة علىٰ الحياة المعنوية لبني إسرائيل. ومن أشهر الكتب التي أُلفت في هذا المضمار، هو كتاب زوهَر (أي زاهر)، وقد دار جدل ونقاش طويل حول مؤلف الكتاب المذكور.

ويُبحث في علم قبالا عن العرش الإلهي، و الإسم الأعظم، و حوادث آخر الزمان، وظهور المسيحا الموعود، و الرجعة، والقيامة، ويلعب علم الحروف دوراً كبيراً في هذا الفن.

١٠. العقائد و الأَحكام الدينية

أضفىٰ العالم الديني اليهودي الطبيب الفيلسوف **موسىٰ بن ميمون** (١١٣٥ ـ ١٢٠٤م). أضفىٰ علىٰ اليهودية ثوباً جديداً، حين قام باعداد ثلاثة عشر أصلاً، هي كالتالي:

١. وجود الله.

٢. توحيده.

٣. تجرّده عن المادة.

٤. تجرّده عن الزمان.

٥. حكمته.

٦. عدالته.

٧. التقرّب إليه بالعبادات.

و هذه جميعها تتعلق بالله سبحانه، أما سائر الأمور، فهي:

٨. الاعتقاد بالنبوة.

٩. أفضلية موسىٰ عليه السلام علىٰ سائر الأنبياء.

١٠. الإيمان بأن التوراة كتاب سماوي.

١١. عدم جواز نسخ الأحكام.

١٢. ظهور المسيحا الموعود.

١٣. القيامة و خلود النفس الإنسانية.

وقع اليهود مثل سائر الأقوام تحت تأثير المحيط، واستعاروا العديد من المفاهيم والمقومات الخاصة بالحضارات القديمة التي احتكوا بها، بعد أن أضفوا عليها لوناً من الأخلاقيات التوحيدية التي انفردوا بها.

واليهود قوم يغلب عليهم طابع التدين والالتزام، حيث تجد في صفوفهم اصوليين و ليبراليين، بل يوجد في أوساطهم من ينكر الله الا انه ظل يهودياً حفاظاً علىٰ قوميته وثقافته وهويته، وكانت غولدامائير «Golda Meir» رئيسة وزراء إسرائيل مابين الاعوام (١٩٦٩ ـ ١٩٧٤) من هذا الصنف.

إن الدين اليهودي في غنى عن الترويج والتبليغ، لأنه ـ كما يعتقد اليهود ـ نعمة إلٰهية حبا الله بها بني إسرائيل فحسب. ومع ذلك فإنهم يقبلون في صفوفهم كل من يعتنق اليهودية.[١] وقد أوصى التلمود بضرورة اطلاع المعتنق لها علىٰ ما لاقوه من ذلّة

---

١. بعض الفرق لاتعترف بمن حاول الانضمام الىٰ صفوفها كدروز لبنان وهم من فرق الشيعة الاسماعيلية.

ومسكنة، حتى لايضع قدمه إذا لم يكن من رجال هذه الحلبة.[١] ومن النادر أن يُجبر أحد علىٰ اعتناق اليهودية،[٢] في حين يدعو اليهود الناس عادةً إلىٰ الصهيونية.

١ ـ١٠. التوحيد في اليهودية

أُقيمت دعائم اليهودية (كالإسلام و المسيحية) منذ البداية علىٰ التوحيد، و نهض جميع أنبيائهم من موسىٰ عليه السلام حتىٰ آخرهم لمكافحة الشرك.

و كان أتباع الأديان التوحيدية يغفلون أحياناً عن دينهم، و يُقبلون علىٰ ألوان من الشرك. هذه المسألة لم تغيّر من وجهة نظر الباحثين حيال أصل الأديان التوحيدية، حيث أنهم ـ مع صرف النظر عن شطحات أتباع دينٍ ما ـ قسّموا أصل الأديان و علىٰ ضوء تحقيقاتهم إلىٰ قسمين:

أ) الأديان التي تحذّر الناس من الشرك كالأديان الإبراهيمية.

ب) ظالأديان التي تحبّذ للناس الشرك كالأديان الشرقية.

إنّ الاسم الخاص لله سبحانه في الديانة اليهودية هو (يهوه) و يعني الموجود. و قد حظي هذا الاسم بقدسية بالغة لدىٰ اليهود، و أنّ تلفّظه حتّى من خلال قراءة التوراة يُعدّ حراماً، و علىٰ إثر هذا التحريم فإنّ أحداً لايعلم علىٰ وجه الدقّة التلفظ الحقيقي لهذه الكلمة، ولهذا فإنها تُكتب في بعض الكتب العلمية للغرب بدون حركات (YHWH) عملاً بالاحتياط العلمي.

و يعتقد بعض الباحثين أن التلفّظ الحقيقي لهذه الكلمة هو (يَهْوَهْ). و لمّا أُقيم هيكل سليمان، أُعطي الحق لأعظم الكهنة في أن يتلفظ في كل سنة مرّة باسم (يَهْوَه). وذلك في يوم عاشوراء بالتقويم اليهودي (العاشر من شهر تِشْري، في أوائل الخريف) و في مكان يُعرف بقدس الأقداس من الهيكل. و عند تلاوة التوراة تبدل (يَهْوَهْ) إلىٰ إدوناي و

---

١. راجع: كنز من التلمود: ٧٤. ٢. مثل اصحاب الاخدود الذي ورد ذكرهم في سورة البروج.

تعني سيدي، و تضبط حركاتها علىٰ الكلمة المذكورة، فتلفظ أحياناً (يِهُوَهْ).[١]

و من الأسماء الأخرىٰ لله هي (إهْيِهِ أشِرْ إهْيِه). وقد ورد هذا الاسم في سِفْر الخروج: ٣/١٤ وفي بعض الأدعية الإسلامية (مثل دعاء عرفة) إلّا أنّه صُحّف إلىٰ آهِيّاً شَراهِـيّاً بسبب قلة اطّلاع بعض النّسّاخ.

٢ ـ ١٠. النبوة في اليهودية

يؤمن اليهود بالنبوة، و لهم فيها أبحاث كلامية واسعة، إلّا أنهم فسّروها بتفسير خاص، هو التنبّؤ، و زعموا أنّ أنبياء كباراً كإشعيا، إرميا، حزقيال، و هوشع كانوا أنبياء، أي متنبّئين بالمستقبل.

وقد ذكر العهد القديم العديد من الأنبياء[٢] مثل إشعيا و إرميا و عاموس، و أورد خطاباتهم التي حذروا فيها بني إسرائيل من مغبّة أعمالهم القبيحة، و تنبّأوا لهم فيها بالذلّة و الهوان و الأسر، و لكن هذه الخطابات لم تجد أذناً صاغية عند بني إسرائيل الذين راحوا يُؤذون أنبياءهم و يقتلون بعضهم (وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذه الأمور كثيراً). وقد اشتمل (١٧) سِفْراً من الأسفار المذكورة في نهاية العهد القديم ـ والتي تُعرف بالأسفار النبوية ـ علىٰ هذه التنبّؤات.

ذكر القرآن الكريم أسماء (٢٦) نبياً، منهم عشرون نبياً جاءت أسماؤهم في الكتاب المقدس، و هم: آدم، و نوح، و إبراهيم، و لوط، و إسماعيل، و إسحاق، و يعقوب، و يوسف، و موسىٰ، و هارون، و داود، و سليمان، و إلياس، و اليسع، و عُزيْز (عزرا)، و أيوب، و يونس، و زكريا، و يحيىٰ، و عيسىٰ.

---

١. أبوالبختري وهب بن وهب، أحد الوضّاعين للحديث في اوائل العصر العباسي، أورد في بعض أحاديثه كلمة (ياهو) باعتبارها الاسم الأعظم. وقد راق هذا الأمر للصوفية التي راحت تروّج له، في حين أن هذه الكلمة (ياهو) تخالف القواعد العربية، و قد اقتبست من (يهوه). جدير بالذكر ان (يهو) و (يا هو) كانت أسماءً لبعض أوثان الشرق الأوسط القديم.

٢. وردت أسماء بعض هؤلاء الأنبياء في دعاء (١٥) رجب، المعروف بدعاء أمّ داود.

أما الستة الباقون فهم: إدريس، و شعيب، و ذو الكفل، و هود، و صالح، و محمد ﷺ.

٣ ـ ١٠. المعاد في اليهودية

لم يرد المعاد في التوراة بل لم يرد في العهد القديم اصلا (لابد من القول ان تعبير الآخرة الوارد في سِفْر التثنية ٨: ١٦ ومراثي ارميا ٤: ١٨ جاء بمعنى العاقبة الدنيوية)، ومن وجهة نظر التوراة[١] فإن الكفر والإيمان لهما تأثير مباشر في جلب النعم الدنيوية أو سلبها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن **التلمود** مشحون بذكر القيامة.

وقد أنكرت فرقة الصدوقيين البائدة السنة الشفوية للتلمود والقيامة، خلافاً للفريسيين الذين اعتقدوا بالقيامة، الا انه نشب خلاف بينهم حول الرجعة و هل هي القيامة، وكانوا يعتقدون بجنة وجهنم، وجهنم (مصطلح عبري بمعنى وادي هينوم) هو اسم مكان خارج اورشليم، يوجد فيه وثن يدعى مولك «Molech»، وكان بنو إسرائيل ـ في برهة من الزمن ـ يحفرون امامه اخدوداً ويضرمون النار، ثم يرمون فيه اطفالاً ضمن مراسم خاصة ليكونوا قرابين للوثن المذكور (وقيل ان مالك جهنم قد اشتق من اسم مولك).

إن إحدى معتقدات اليهود الرئيسية التي يرى الباحثون أنها مقتبسة من الزرادشتية، هي فكرة البعث أو الرجعة، حيث ذهب الإيرانيون القدماء إلى أنّ أهورا مازدا سوف ينتصر في النهاية على انغرومئنيو ويقضي عليه، ومن ثم ينبعث الموتى. واكتست هذه الفكرة طابعاً معنوياً، واصبحت نتاجاً أصيلاً لإلهامات اليهود، وبذلك إبتعدت عن أصلها الشكلي الجامد الذي كانت عليه في ديانة إيران القديمة.

وذكر الباحثون أن الاعتقاد بخلود الروح كان رائجاً عند بني إسرائيل منذ القدم، وأشير إليه في عدّة مواضع من الكتاب المقدّس، ولكن هذا الاعتقاد ارتبط ـ بعد العودة من بابل ـ ارتباطاً وثيقاً بفكرة خلود المسيحا الموعود وظهوره التي ترشحت عنها فكرة البعث و هذه الفكرة تعارض صريح القرآن الكريم الذي تحدث عن بعثة

---

١. اللاويين: الاصحاح ٢٦، والتثنية: الاصحاح ٢٨.

موسىٰ عليه السلام في أوائل سورة طه. والتي نفهم منها بوضوح أن البعث جاء علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام في أول خطاب له.

١١. الاحكام

ان لليهود احكاما كثيرة ومعقدة للغاية، لايسع ذكرها في هذا المختصر، هذه الاحكام تتعلق بامور النجاسة والطهارة والاكل الحلال والحرام وامور اخرىٰ.

وقد وردت احكام اللحم الحلال والحرام في سِفْر اللاويين ١١ والتثنية ١٤، ومن جملتها حلية لحم الدواب ذوات الحوافر والمجترة، وعلىٰ هذا فأكل لحم البعير والارنب حرام لانها ليست من ذوات الحوافر، ولحم الخنزير حرام لأنه ليس من الحيوانات المجترة، وهكذا الحال في الطيور والحيوانات البحرية فان لها احكاماً متنوعة، ويضع اليهود قيوداً كثيرة علىٰ حلية لحوم الحيوانات وطريقة ذبحها وكيفية طبخ لحومها وأكلها، والشروط اللازم توفرها في الذابح، ويسمىٰ اللحم الحلال المأكول «كاشر».

كما يحرم تناول اللحم مع اللبن، و تقوم مجموعات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أحياناً بتفقد المطاعم في إسرائيل لئلا تقدم لزبائنها اللحم الحرام او اللحم مع اللبن، وتوجب علىٰ اتباعها غسل الايدي وفقاً للديانة اليهودية حين تناول الخبز وانواع اخرىٰ من الاطعمة.

ويعتبر غسل الايدي الىٰ المفصل بعد النهوض من النوم وضوءاً للعبادة، كما ان شد الذراع والجبهة الوارد في بعض اسفار التوراة واجب حين اداء صلاة الصبح.

وهم يقيمون الصلاة ثلاث مرات في اليوم: صلاة الصبح، صلاة العصر، وصلاة المغرب. وتقام الصلاة عند حضور ما لايقل عن (١٠) أشخاص في الكنيسة، ويُقدَّم أكبرهم سنّاً وأعرفهم بالعبرية، فيقرأ مقاطع من التوراة أو أدعيةً بالعبرية، وقد يركعون في بعض الموارد.

ومن أشهر العبارات التي تقرأ، هي شِمَع (وتعني إسمع) المقتبسة من التوراة:

(٤) اسمع يا إسرائيل: إنّ الربَّ إلهنا هو ربّ واحد (٥) فأحببْ الربَّ إلهكَ بكل قلبك وكل نفسك وكل قوّتك.[١]

يُذكر أن قبلة اليهود هي هيكل سليمان (المسجد الأقصىٰ)، وانفرد السامريون منهم فأتخذوا من جبل جِرزيم (القريب من نابلس) قبلةً لهم.

وصوم اليهود موزع علىٰ أشهر السنة، وأهم صوم لهم هو صوم يوم كيبور حيث يبتدأ فيه الصوم من غروب اليوم السابق لمدة يوم كامل، ويحترزون فيه عن تناول الاكل والشرب والغسل ـ ماخلا غسل الاصابع ـ والتجميل واستعمال العطور والجماع ولبس احذية الجلد، ويبادرون الىٰ العبادة والاستغفار في الكنيسة، و صوم اليوم التاسع من الشهر العبري آب تخليدا الذكرىٰ تدمير اورشليم عام ٥٨٧ ق.م، حيث يمارسون فيه طقوساً كطقوس يوم كيبور، و صوم يوم الاثنين والخميس ويتم بالكف عن الاكل والشرب منذ طلوع الفجر وحتىٰ غروب الشمس.

وكان معبد اورشليم قائماً حتىٰ عام ٧٠م، يحج اليه الذكور من اليهود سيراً علىٰ الاقدام ثلاث مرات في السنة، هي: عيد الفصح، وعيد الاسابيع، وعيد سوكوت، وبالطبع فان ثمة زيارات اخرىٰ الىٰ اورشليم غير ماذكر.

يشار الىٰ ان الختان في اليهودية فريضة مؤكدة وعهد الله الىٰ ابراهيم عليه السلام،[٢] ويتم في اليوم الثامن من الولادة ـ ضمن مراسم خاصة ـ علىٰ يد احد أحبار اليهود الذين يولون اهمية للختان، كما انهم يختنون الاطفال غير اليهود، ولا ختان في المسيحية والزرادشتية.

ويطلق اللاويون ويراد بهم من انتمىٰ الىٰ موسىٰ وهارون عليهما السلام، وهم بمنزلة السادات في العالم الاسلامي،[٣] والحاخام (الحكيم) هو عالم اليهود والكاهن[٤] كذلك، ويجب ان يكون من نسل هارون عليه السلام او من اللاويين.

---

١. سِفْر التثنية: ٦/ ٤ـ ٥.
٢. سِفر التكوين: ١٧/ ٩ـ ١٤.
٣. السيد في الاسلام هو من ينتمي عن طريق الاب الىٰ هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهكذا الحال عند اللاويين فهم ينتمون الىٰ موسىٰ بن عمران بن قهات بن لاوي.
٤. الكاهن في القرآن الكريم والمصادر الاسلامية من يدعي معرفة الغيب.

١٢. أعياد اليهود

لليهود أعياد، هي كالتالي:

١. **عيد السبت**: تجتمع فيه الأسر في المنازل، وتتناول وجبة خاصة، ويتقدم كبيرهم بكأس فيه خمر، فيباركها بعد قراءة دعاء، ثم يتعاقب علىٰ شربه أفراد الأسرة. وتعدّ عطلة السبت[١] واحدة من الوصايا العشر.[٢]

٢. **عيد ابتداء الشهر**: ويطلق عليه بالعبرية **روش حودِش**، ويعني ابتداء الشهر.

٣. **السنة السابعة** أو **سنة الإنفكاك**: وفقاً لما جاء في التوراة، يجب الاعفاء عن الضرائب والديون في كل سبع سنين مرة واحدة، والإقدام علىٰ أعمال الخير كتحرير رقيق يهود و أمثال ذلك (التثنية / ١٥) والإسم العبري لهذه السنة هو **شميطا** ويعني التحرير.

٤. **سنة اليوبيل**: يقام هذا العيد مرة واحدة في كل خمسين عاماً، حيث ينجز فيه الكثير من الأعمال الخيرية والأخلاقية.[٣]

٥. **عيد الفِصح**: وتعني في اللغة العفو، لأن الله تعالىٰ عفى عن قتل المواليد الأبكار لبني إسرائيل حين عمّ فرعون و رهطه البلاء. و يبدأ هذا العيد في الرابع عشر من نيسان (في فصل الربيع) ويستغرق سبعة أيام. وقد وردت تفاصيل مراسمه في التوراة[٤] و هو أهمّ أعياد اليهود. ويمجّده النصارى أيضاً لتقارنه مع دفن عيسىٰ ﷺ علىٰ حدّ زعمهم.

واتهم اليهود منذ ثلاثة قرون وحتى الآن بالإقدام علىٰ قتل طفل أو رجل مسيحي، واستخدام دمه في مراسم عيد الفصح، وألّفت في هذا الصدد عدّة كتب.

٦. **عيد الأسابيع**: يقام هذا العيد بمناسبة مرور سبعة أسابيع علىٰ عيد الفصح، والإستعداد للحصاد. والإسم العبري له هو **شاووعوت**، وتعني الأسابيع.

---

١. يطلق علىٰ السبت باللغة العبرية شبات، ومعناها العطلة والاستراحة.

٢. انظر سِفْر الخروج: ٢٠ / ٨ـ ١١.

٣. اللاويين: الاصحاح ٢٥.

٤. الخروج: الاصحاح ١٢.

٧. **عيد رأس السنة اليهودية**: ويسمّى عندهم روش **هشّانا**، ويقع في أواخر أيلول (الإعتدال الخريفي). وينفخ في هذا اليوم بالأبواق إيذاناً باستعدادهم للتوبة خلال عشرة أيام. ويعتبر اليوم العاشر ذا أهمّية خاصة عندهم، فأطلقوا عليه إسم يوم كيبور.

٨. **يوم كيبور**: ويعني يوم الغفران؛ يقع هذا العيد المهم في اليوم العاشر من شهر تِشري، ويطلقون عليه اسم «**عاسور**» أي عاشوراء، حيث يصوم فيه اليهود من غروب اليوم السابق حتى ليل هذا اليوم تكفيراً للذنوب، فيمتنعون عن تناول الطعام والشراب، وعن الإستحمام والعمل، ويحضرون في الكنائس للصلاة والإستغفار، ويرتدي فيه اليهود الأصوليون لباساً خاصاً، ويجتنبون لبس الأحذية المصنوعة من الجلد.

٩. **عيد الظلل**: يبدأ في الثاني والعشرين من شهر **تِشْري**، ويبني فيه اليهود أكواخاً صغيرة لتذكرهم بالأكواخ التي كان يعيش فيها اليهود في فترة التيه. ويطلق عليه بالعبرية **سِكّوت** و يعني الظلل.

١٠. **عيد النور** أو ما يعبّر عنه بالعبرية **حنوكة**: وهو ذكرى انتصارهم علىٰ اليونانيين عام ١٦٨ق.م، وتطهيرهم هيكل سليمان من الرذائل والأعداء. ويقع هذا العيد بعد أسبوع واحد من عيد الظلل.

١١. **عيد القرعة** أو ما يعبّر عنه بالعبرية **بوريم**: يقع في شهر مارس، وهو احتفاء بذكرى انقاذ اليهود من مؤامرة هامان وزير الملك خشايارشا لإبادتهم. وقد جاء تفصيل هذه الحادثة في سِفْر أستير من العهد القديم. ووجه تسميته بالقرعة يعود إلىٰ أن هامان تشبث بالقرعة لتعيين يوم إبلاغ خطته للملك.

١٣. الفرق اليهودية

تتفرع من جميع الأديان عقب مرور فترة علىٰ بزوغها فرق متعددة، وتلعب المسائل الإجتماعية والمشارب المتنوعة دوراً كبيراً في تكريسها. بعض هذه الفرق يمتلك نفوذاً كبيراً، وبعضها الآخر يفتقر إلىٰ ذلك، وبعضها كثير الأتباع، وبعضها الآخر قليل الأتباع.

وقد ظهرت الفرق اليهودية المعروفة بعد الرجوع من بابل، وأما الفرق اليهودية الأكثر قدماً، فلا تتوفر معلومات كافية عنها.

١ ـ ١٣. الفريسيون

ظهرت فرقة الفريسيين أي المنعزلين والمنشقين نحو قرنين قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ويدل هذا اللقب علىٰ إنفرادهم وتميّزهم. وهم يشكّلون الآن غالبية اليهود. ويرجع أصل هذه الفرقة إلىٰ فرقة حسيديم (أي الزاهدين).

ظهرت فرقة حسيديم في القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد لمحو آثار الشرك والإنحراف عن المجتمع اليهودي، وشاركوا المكابيين حروبهم، وقاتلوا دفاعاً عن الدين، وكانت مصدر إلهام لأمواج جديدة، ظهرت في أوساط يهود أوروبّا الشرقية خلال القرن الثامن عشر، وعُرفت باسم حسيديم أيضاً.

وقد برز الفريسيون من أوساط حسيديم، وكانت اتجاهاتهم الفكرية تختلف كل الإختلاف عن فرقة الصدوقيين، حيث نزهت الله سبحانه عن الجسم والصفات الجسمانية، واختارت حلاً وسطاً في الإرادة الإنسانية، واعتقدت بالبعث والعدل الإلهي وأولت أهمية للصلاة وسائر العبادات، وكان لها نفوذ واسع في المجتمع اليهودي.

وللفريسيين إضافة إلىٰ العهد القديم (الذي يسمّونه التوراة المكتوبة)، توراة شفوية، تضمّ أقوال ووصايا حاخامات اليهود الذين تناقلوها ـ حسب اعتقادهم ـ جيلاً عن جيل منذ عهد موسىٰ عليه السلام. وقد دوّنت هذه الأقوال في الفترة الزمنية الممتدّة بين القرن الثاني والخامس الميلادي في كتاب ضخم باسم التلمود، الذي شكل اساس عقائد بني إسرائيل وأفكارهم، وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل.

هذا، وقد شيّد الفريسيون دور العلم، وصرفوا فيها أوقاتهم بغية التعمق في التوراة، وتوصلوا إلىٰ حقائق جديدة، وطبقاً لعقيدتهم فإن التوراة لاتضمّ حرفاً زائداً أو ناقصاً، ولا كلمة مبهمة أو فاقدة للمعنى، بل يختزن كل حرف أو كلمة منها أسراراً كامنة و رموزاً خافية.

يُذكر أن حاخامات الفريسيين وأحياناً الصدوقيين أمسكوا بأزمّة الأمور بعد عودة اليهود من بابل وحتى التخريب الثاني لمدينة القدس، كما أنهم أضمروا العداء لعيسىٰ ﷺ، وحاولوا الوشاية به بغية قتله. وقد تكرّر اسم الفريسيين في الأناجيل الأربعة.

وقد انقسموا ـ في القرون الاخيرة ـ نظراً لاختلافهم في بعض المسائل الدينية والثقافية الىٰ فرقتين: اشكنازي وسفاردي،[1] وتضم الفرقة الاولىٰ ٨٠ بالمائة من يهود العالم بما فيهم يهود اوروبا وخاصة المانيا، والفرقة الثانية من اعقاب يهود اسبانيا الذين طردوا من ديارهم وتشتتوا في بلدان مختلفة.

٢ ـ ١٣. الصدوقيون

و هم أتباع صادوق بن اخيطوب الذي عُيّن كاهناً من قبل داود ﷺ،[2] و استمرّ في منصبه علىٰ عهد سليمان ﷺ،[3] و قد أثنى سِفْر حزقيال علىٰ كهنة بني صادوق ومجدهم و مدح أمانتهم.[4]

يُذكر أن الصدوقيين أهتموا بالقربان بدل الصلاة، وإن العديد من كهنة هيكل سليمان وحاخامات سَنْهِدْرين برزوا من هذه الفرقة، وكانوا علىٰ صلة طيبة بحكّام الروم. كما أنهم حافظوا علىٰ السنن القديمة، وخالفوا الفريسيين في إعادة النظر فيها وتفسيرها بالرأي و في عاداتهم وطقوسهم أيضاً.

و مال الصدوقيون إلىٰ الإعتقاد بجسمانية الله سبحانه، وقالوا بأن الهدايا والقرابين التي تهدى إلىٰ الله سبحانه، هي أشبه بالهدايا التي تقدم للحاكم أو الملك، كما انهم أنكروا البعث والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، و رأوا أنّ الإنسان يجازى علىٰ أعماله في الدنيا، فالعمل الصالح يُنتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيئ يسبب

---

١. هذه الاسماء اقتبست من سِفر التكوين: ١٠/ ٣ و عوبديا: ١/ ٢٠.

٢. سِفْر صموئيل الثاني: ٨/ ١٧ و ١٥/ ٢٤.

٣. سِفْر الملوك الأول: ٢/ ٣٤

٤. حزقيال: ٤٤/ ١٥.

لصاحبه المتاعب و الأزملت، و آمنوا في مجال الإرادة الإنسانية بحرية الإختيار المطلقة.

وهذه الفرقة لم تقل عن فرقة الفريسيين في مبلغ عداوتها للمسيح عليه السلام، والكيد له، وقد تكرّر أسمها في الأناجيل الأربعة، ولم يبق لها أثر بعد تدمير أورشليم عام (٧٠م).

٣ ـ ١٣. السّامريّون

اشتُقّ اسم السامريين من مدينة السامرة التي أضحت عاصمة لمملكة إسرائيل بعد تقسيم أرض فلسطين. وقد ظهرت هذه الفرقة بعد العودة من الأسر البابلي. ويعتقد بعض الباحثين أنها لا تنحدر من اصل إسرائيلي محض، بل ربما تكون مزيجاً من أصل إسرائيلي و آشوري.

و هذه الفرقة صغيرة للغاية، آمنت فقط بالأسفار الخمسة من التوراة و أنكرت (٣٤) سِفْراً من العهد القديم، وتختلف توراتها عن التوراة المعروفة اختلافاً يسيراً، كما تختلف لغتها السامرية عن العبرية بمقدار لا يخرجها عن نطاق العبرية.

ويحظى جبل جِرزِيم (الواقع بالقرب من مدينة نابلس) بقدسية لدى السامريين الذين اتخذوه قبلة لهم، زاعمين أنه كان قبلة موسىٰ عليه السلام، إلّا أنّ داود عليه السلام عزف عنها و جعل «هيكل سليمان» قبلة له.

ولهذه الفرقة اهتمام واسع بالأحكام الدينية، ولهم طقوس خاصة يمارسونها.

٤ ـ ١٣. الإسِينيون

يحتمل أن يكون معنى كلمة **إسني** الشافي، لأنهم كانوا بصدد شفاء نفوسهم، وقيلت في وجه تسميتهم بهذا الاسم احتمالات أخرى مثل **المعمّدين** و....

ظهرت هذه الفرقة قبل حدود قرنين من الميلاد، وانقرضت بعد تدمير أورشليم (شأنها في ذلك شأن الصدوقيين وبعض الفرق الأخرى)، ولم يبق منها سوى الإسم. وقد اكتشفت عام (١٩٤٧م) في إحدى مغارات فلسطين علىٰ ساحل البحر الميت

بعض آثارها المكتوبة مرفقة بنسخ من العهد القديم، الأمر الذي أزاح النقاب عن بعض اعتقاداتهم المبهمة.

و من أهمّ ما تتميّز به هذه الفرقة هي أنها تحرّم الملكية الفردية والزواج، وتوجب التبتل والبعد عن النساء، والإغتسال عدّة مرات في اليوم، ولهذا السبب أنشأوا أحواضاً كبيرة، اكتشفت أخيراً خلال عمليات التنقيب. وكان أفراد هذه الفرقة ينهضون من النوم عند طلوع الفجر، ويشتغلون بالعبادة، ثم ينصرفون إلىٰ العمل حتى الظهر، فيتناولون طعام الغذاء جماعة، وكذلك طعام العشاء، ويعطلون جميع أعمالهم يوم السبت، ويعكفون فيه علىٰ العبادة والتفكر ومطالعة التوراة. ويقال كانت قبلتهم الشمس، لاهيكل سليمان، وقد أخذوا ذلك فيما يظهر عن ديانة ميترا.

يُذكر أنّ عدد أتباع هذه الفرقة كان يبلغ في حدود القرن الأول الميلادي ما يقرب من (٤٠٠٠) شخص، وهو رقم كبير نسبياً بالقياس إلىٰ الشروط الصعبة الموضوعةللإنتماء إليها.

ويعتقد بعض المؤرخين أنّ أفكار هذه الفرقة شكّلت البناء الرئيسي للمسيحية الحاضرة، ويحتمل أنّ أتباعها قد اعتنقوا المسيحية برمّتهم. ويقال إنّ يوحنّا المَعمَدان (يحيىٰ بن زكريا عليه السلام) كان من هذه الفرقة. ويمكن أن يُتّخذ تجواله في الصحاري والبراري كما في الأناجيل ـ والأحاديث الإسلامية أيضاً ـ كدليل يعتدّ به في هذا الموضوع.

٥ ـ ١٣. القرّاؤون

اشتق اسم القرّائين من كلمة (قرأ) في العربية والعبرية، وهي إشارة إلىٰ قراءة الكتب السماوية.

ظهرت هذه الفرقة بعد بزوغ الإسلام، وأنكرت **التلمود** (التوراة الشفوية)، والتزمت بحرفية التوراة وظاهرها، ممّا أدّىٰ إلىٰ تفاقم الخلاف بينها وبين فرقة الفريسيين التي جنحت إلىٰ وضع التفاسير بغية فهم نصوص التوراة.

وقد أسس هذه الفرقة عالم يهودي اسمه عَنان بن داود، عاش في عصر المنصور

الدوانيقي ببغداد، وصاحبَ أبا حنيفة، وتعلّم منه اصطلاحات الفقه الإسلامي. ثمّ قام بنشر أفكارها في إيران شخص يُدعى بنيامين النهاوندي، وأجرى فيها سلسلة من التغييرات، وبدّل إسمها من **العنانيين** إلىٰ القرائين (وفي العبرية قَرائيم، ومعناها القرّاؤون).

وكان اكثر القرّائين في القرون الماضية يقيمون في ربوع العالم الإسلامي، أما اليوم فيقطن أغلبهم في إسرائيل و روسيا و أوكرانيا، و دول أخرى.

يُشار الىٰ أن اسم شبه جزيرة كريمه (Crimea) في أوكرانيا مشتق من إسم هذه الفرقة.

وقد برز من بين القرّائين علماء كبار، ظهرت لهم أبحاث هامّة في حقل الإلهيات اليهودية، جلبت أنظار العديد من المحققين. و هم في مباحثهم يعتمدون علىٰ اصطلاحات أصول الفقه الحنفي.

٦ ـ ١٣. الدونمة

أُطلق إسم **الدونمة** الذي يعني باللغة التركية «المنشقين» علىٰ إحدى الفرق اليهودية، وقد يُطلق عليها السبتائية أحياناً، نسبة إلىٰ مؤسسها سبْتاي زيفي الذي ولد في مدينة إزمير (غرب تركية)، وادّعى بعد مطالعة عميقة للإلهيات والعرفان اليهودي أنه هو المسيحا المنتظر المنقذ لليهود، والتفّ حوله العديد من الأتباع لاسيما يهود أوروبّا وتركية والشرق الأوسط، ولقب نفسه ابن الله الأوحد، وأعلن أنه سينهض عام (١٦٦٦م)، و زار أورشليم والقاهرة قبل حلول الموعد المقرر، فاحتفى به اليهود هناك، وغمرهم سرور عارم، و راحوا يطلقون شعارات: يعيش المسيحا الملك، ويحيا السلطان زيفي.

وفي سنة (١٦٦٦م) قصد سبتاي زيفي مدينة اسطنبول بدل أورشليم، فأُلقيَ عليه القبض بأمر السلطان العثماني، وأُشخص في شهر أيلول من السنة المذكورة إلىٰ مجلس السلطان، وعرضوا عليه الإسلام، فأسلم وسمّى نفسه محمد أفندي، واقترن

بأمرأة مسلمة، وأخذ يحث أتباعه علىٰ اعتناق الإسلام.

وعلىٰ الرغم من ذلك كله، فإن الكثير من اليهود يعتبره المسيحا المخلّص، ويذهبون في تبرير هذا الموقف إلىٰ أنّ شبح سبتاي قد أسلم، ولكن حقيقته عرجت إلىٰ السماء بحثاً عن الأسباط العشرة لبني إسرائيل وسيظهر قريباً. قال أحد ناشطي هذه الفرقة: كما أن موسىٰ عليه السلام ترعرع في قصر فرعون، فإن الواجب حتّمَ علىٰ المسيحا المخلِّص أن يمكث في قصر السلطان العثماني لتخليص النفوس الحائرة من المسلمين أيضاً.

لقد احتفظ سبتاي بصبغة المسيحا الموعود، وأجيز له الاتصال بالأوساط اليهودية تحت عنوان الدعوة للإسلام، وتمكّن من إنشاء فرقة، إلتزم أتباعها بالمظاهر والآداب الإسلامية من لبس العمائم وغير ذلك، إلّا أنّ الأمل ظل يراودهم بالعودة السريعة لسبتاي كمخلِّص حقيقي لبني إسرائيل.

توفّي سبتاي سنة (١٦٧٦م)، فالتف أتباعه حول شقيقه، وأخذوا يتقيّدون بالسنن الإسلامية في الظاهر، ويمارسون السنن اليهودية في الباطن. ويعيش منهم الآن في تركية عدّة آلاف.

١٤. انتظار ظهور المسيح

إنّ فكرة انتظار «المسيح» فكرة يهودية محضة، فإن الأقوام الغابرة لما أصيبوا بخيبة أمل مريرة، ويئسوا من المستقبل، راحوا يتشدقون بالماضي الذي وجدوا فيه كمال السعادة الإجتماعية والوطنية. وقد رسم شعراء الملاحم من اليونان والرومان أمثال **هسيودس** (Hesiod) و **افيديوس** (Ovid) صورة دقيقة لهذا الجنوح إلىٰ الماضي، حينما قسّما البشرية إلىٰ خمس مراحل متعاقبة، وقالا: إن البشر في المرحلة الأولى ـ التي أُطلق عليها العصر الذهبي ـ لم تستولِ عليهم المعاناة والمحن، طالما كانوا يتناولون ما تُنبته الأرض دون عناء، ومادام موتهم كان سباتاً هادئاً يعرجون خلاله إلىٰ محفل الملائكة

الموكّلين بهذا العالم، وأما المرحلة الأخيرة فهي العصر الحديدي الذي ساده الإضطراب والفوضى.

أما اليهود، فقد آمنوا أيضاً بأن العالم قد خُلق علىٰ أكمل وجه، و إن الإنسان الأول خُلق مباشرة علىٰ يد الله سبحانه، الأمر الذي يستدعي أن يكون كاملاً وسعيداً. وعلىٰ الرغم من ذلك، فإنهم لا يُمنّون أنفسهم بالسعادة والفضيلة اللتين سادتا العصر الذهبي، بل هم يتطلّعون إلىٰ مستقبل جديد، وقد اشتهرت بين اليهود عبارة الكتاب المقدس: «**فتكون حالتك الأولى وضيعة، وتكون حالتك الأخيرة مزدهرة**».[١]

وكان اليهود بعد التدمير الأول لمدينة القدس ينتظرون قائداً إلهياً فاتحاً، يعيد لهم عظمة وشوكة شعب الله في عهد داود وسليمان، وأطلقوا علىٰ المخلص المنتظر اسم «المسيح» و يعني «الممسوح»، وهو لقب ملوك بني إسرائيل، لأنّ الأنبياء ـ طبقاً لأسطورة قديمة ـ كانوا يمسحون رؤوس الملوك بزيت البركة أمام الملأ، الأمر الذي يُكسبهم نوعاً من القداسة. ثم صار هذا اللقب (المسيح) في العصور اللاحقة للمنقذ المنتظر.

ولما كان مصطلح «**المسيح**» (Christ)[٢] يختص بعيسىٰ ﷺ، مما دعا العلماء الىٰ الاشارة الىٰ موعود اليهود بمصطلح «**المسيحا**» وهو مشتق من الكلمة العبرية «**ماشيحا**»، نظراً إلىٰ أنّ تلفظها باللغة اللاتينية هو (Messiah).

يُذكر أنّ أهمّ بشارة للمسيحا ﷺ وردت في سِفْر إشعيا:

(١) ويخرج غصن من جذع يَسّى [والد داود] وينمى فرع من أصوله (٢) ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة (٣) ويوحي له تقوى الرب، فلا يقضي بحسب رؤية عينيه ولا يسمع بحسب سماع أُذنيه (٤) بل يقضي للضعفاء بالبر ويحكم لبائسي الأرض بالاستقامة، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت الشرير بنفس شفتيه (٥) ويكون البر حزام حقويه، والأمانة حزام خصره

---

١. أيوب: ٨/ ٧.

٢. ورد المصطلح اليوناني christos بمعنىٰ الممسوح بالزيت وهو يعادل «المسيح» مع تغيير طفيف.

(٦) فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي، ويعلف العجل والشبل معاً، وصبي صغير يسوقهما(٧) ترعى البقرة والدب معاً، ويربض أولادهما معاً، والأسد يأكل التبن كالثور (٨) ويلعب الرضيع علىٰ حُجر الأفعى، ويضع الفطيم يده في جُحرِ الأرقم (٩) لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسي، لأن الأرض تمتلىء من معرفة الرب، كما تغمر المياه البحر. [1]

لقد أفعمت قلوب بني إسرائيل بحب المسيحا الموعود، في حين كان الحكام الظلمة يتربّصون به الدوائر. ونطالع في الاصحاح الثاني من إنجيل مَتّىٰ أن هيرودس الكبير ملك فلسطين، همّ بقتل عيسىٰ عليه السلام عقب ولادته، إلّا أنّ هذا الخطر رُفع عنه، بعد أن حُمل إلىٰ مصر بأمر الله سبحانه.

وقد اضفىٰ اليهود مسائل اخرىٰ علىٰ عقيدة المسيحا، كاخراج الارض خيراتها في عهد المسيحا، والتكهن بوقوع حوادث في ذلك العهد لا أثر لها ولا عين حتىٰ في العصر الذهبي لداود وسليمان، نظير جريان السحاب والرياح و الشمس والارض بما يشتهي بنو اسرائيل، وقد دونت هذه التنبؤات في كتب كثيرة، وظهرت من وراء ذلك ادبيات المكاشفة (Apocalyptic Literature)، وما كتاب دانيال من العهد القديم الذي صنف عام ١٦٥ق.م. الا نموذج علىٰ ذلك، وقد عزا جمع من الباحثين هذه العقيدة الىٰ الديانة الزرادشتية ثم سرت الىٰ اليهودية من خلال الاعتقاد بقيام الماشيح.

١ ـ ١٤. مدّعو المسيحا

إن انتظار المخلّص الموعود جعل تاريخ اليهود والنصارى مفعماً بالحيوية والنشاط، وقد تحمّل اليهود في تاريخهم العصيب الذلّ والهوان والعذاب يراودهم الأمل في ظهوره كي يتيح لهم التخلّص من أوضاعهم المزرية، واستعادة مكانتهم الأولى، وجعلهم ملوكاً في الأرض.

---

١. سِفْر أشعيا: ١١ / ١ ـ ٩.

وقد ظهر منذ عهد بعيد المئات ممن ادعوا المسيحا الموعود، وتمكنوا من استقطاب السذج من اليهود حولهم وزادوا بذلك من محنهم، فعلىٰ سبيل المثال: ظهر شخص قبل الميلاد بعدة قرون يدعىٰ موسىٰ من جزيرة كريت وادعىٰ انه المسيحا الموعود وانه سوف يعبر بهم البحر الابيض المتوسط الىٰ فلسطين لينشأ دولة المسيحا، فلاقت دعوته صدىٰ واسعاً بين أوساط اليهود الذين تركوا مهنهم وتدهورت اوضاعهم المعيشية أملاً بان يقودهم المسيحا الجديد الىٰ الارض الموعودة عبر فلق البحر بمعجزته، وقد بذلوا له اموالهم، وراح النساء والرجال والاطفال يتبعون خطاه نحو البحر ولما وصل وقف علىٰ صخرة، وأمر اتباعه بالقاء أنفسهم في البحر لينفلق، وبالطبع يمكن التكهن بالنتيجة، فقد مات بعضهم غرقا وتم انتشال آخرين من الماء بواسطة ملاحين.

وقد حفل تاريخ اليهود بظهور أشخاص حملوا دعوة المخلّص الموعود، وانضوى إليهم السُذّج منهم، إلّا أنّهم لم يجلبوا لهم سوى المتاعب. وفي خِضَمّ ذلك ظهر المسيح بن مريم عليه السلام الذي تمكّن بشخصيّته الفذّة و روحه العظيمة من أن يقيم هذا الدين الكبير، و يهدي به خلائق لايُحصوْن إلىٰ ملكوت السماء، إلّا أنّ معظم اليهود ناصبوه العداء.

٢ ـ ١٤. انتظار المسيحا في العصر الحاضر

وفي عصرنا الحاضر نهض اليهود الصهاينة واحتلّوا فلسطين بغية التخلّص من عقدة الحقارة التي لازمتهم، إلّا أنّ ذلك لم يخمد من جذوة انتظار المخلّص الموعود.

وقد راودت اذهان مفكري اليهود قبل قرن من الزمن، فكرة تأسيس الصهيونية، بذريعة انهم سئموا من انتظار المسيحا كل عام متحملين الذلة والمسكنة في هذا السبيل دون ان يأت منه خبر، ونفد صبرهم، فآن الاوان للنهوض وانهاء الوضع القائم عبر الاستيلاء علىٰ فلسطين عنوة تمهيداً لظهور المسيحا، الا ان هذه الفكرة لم تجد

اذاناً صاغية لدىٰ اليهود، لانها تخالف عقيدتهم الدينية الراسخة المتمثلة في تولي المسيحا الموعود هذه المهمة دون سواه، في حين أصر الصهاينة علىٰ فكرتهم وطالبوا بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين تمهيداً لظهور المسيحا، وكان اقناع بني جلدتهم علىٰ تلك الفكرة امراً صعباً للغاية، الا انهم ظلوا ينشرون افكارهم، فاستجابت لهم جماعات من اليهود وهاجرت الىٰ فلسطين بهدف تأسيس دولة اسرائيل الغاصبة في الاراضي المحتلة.

وقد بادرت أقلّية من اليهود ـ ظلّت محتفظة بآمالها القديمة ـ إلىٰ اتخاذ موقف مناوىء لتأسيس دولة صهيونية، باعتبارها تشكّل عزوفاً عن آمال المسيحا الموعود، بيد أن السواد الأعظم منهم أيّدوا ذلك، زاعمين أنّها تمثّل خطوة ممهدة لظهوره، ويردد الصهاينة الغاصبين لفلسطين في احتفالات العيد الوطني لذكرى تأسيس كيانهم الغاصب، يرددون في الخامس من أيار العبري ـ بالإضافة إلىٰ الأدعية اليومية حول المسيحا ـ الدعاء التالي بعد النفخ في الأبواق:

تعلقت إرادة الربّ (يَهْوَه) أن نشهد طلوع فجر الحرية، وأن نمتّعَ أسماعنا بأنغام صور المسيحا.

ويحسن بنا ان نعلم ان أكثر الفرق تطرفاً في الصهيونية، مثل: «غوش امونيم» واكثرها اعتدالاً، مثل: «نيطوري كارتا» يحدوهما الامل علىٰ حد سواء في ظهور المسيحا.

وقد اعتقد بعض اتباع الحكيم والعارف اليهودي «**مناخيم مندل اشنيرسون**» (Menachem Mendel Schneerson)انه هو المسيحا الموعود وسوف يقوم يوما، الا ان وفاته عام ١٩٩٢م. عن عمر ناهز التسعين باغتت اتباعه الذين اصابهم الخيبة والكآبة.

الخلاصة

آ) ينحدر اليهود من العرق السامي الذي ينتسب إليه الآشوريون والعرب، و قد عاشوا في بداية أمرهم حياة البداوة ثمّ بدأوا في الاستقرار بالمدن في عهد النبي يوسفﷺ، وقد أثّرت حياتهم البدوية تأثيراً بالغاً علىٰ اعتقاداتهم و طقوسهم الدينية.

ولمّا نجّىٰ موسىٰ بني إسرائيل من جور فرعون تاهوا في صحراء سيناء أربعين سنة و كانوا يأكلون فيها المنّ و السلوىٰ النازلين من السماء، و عهد إلىٰ موسىٰ أن يتكلّم معالله سبحانه في وادي طور سيناء، و هناك تلقّىٰ لوحيْن نقشت فيهما وصايا الله سبحانه، و تبرز من بينها عشر وصايا مهمة للغاية و اشتهرت باسم الوصايا العشر.

ب) التوراة كتاب اليهود المقدس، و أطلق النصارىٰ عليه اسم العهد القديم في مقابل عهدهم الجديد.

وقد كتب العهد القديم باللغة العبرية وقليل منه باللغة الكلدانية، و للعهد القديم ٣٩ سِفْراً، ويمكن تقسيم مواضيعه إلىٰ ثلاثة أقسام رئيسية هي:

١. التوراة والقسم التاريخي للعهد القديم.

٢. الحكمة، الأناشيد والشعر.

٣. تنبّؤات الأنبياء.

وأما أسفار ابوكريفا العهد القديم فهي عشرة.

ج) أقيمت دعائم اليهودية في البداية علىٰ التوحيد ونهض جميع انبيائهم من موسىﷺ إلىٰ آخرهم لمكافحة الشرك، والاسم الخاص لله سبحانه في الديانة اليهودية هو «يهوه» و يعني الموجود.

د) وقد وقع بنو إسرائيل في الأسر حينما قاد نبوخذ نصّر ملك بابل هجوما كاسحاً علىٰ اورشليم أسفر عن مقتل سكان يهوذا و إسرائيل و أسر جموع غفيرة منهم، و عرفت هذه الحادثة في التاريخ **بالأسر البابلي**.

وقد تطبع اليهود خلال مدة الأسر بآداب و أخلاق المشركين.

هـ) وقع اليهود مثل سائر الأقوام تحت تأثير المحيط و استعاروا العديد من المفاهيم و المقوّمات الخاصة بالحضارات القديمة التي احتكوا بها بعد أن أضفوا عليها لوناً من الاخلاقيات التوحيدية التي انفردوا بها.

إنّ إحدىٰ معتقدات اليهود الرئيسية التي يرىٰ الباحثون أنّها مقتبسة من الديانة الزرادشتية هي فكرة البعث أو الرجعة، حيث ذهب الإيرانيون القدماء إلىٰ أنّ آهورا مازدا سوف ينتصر في النهاية علىٰ انغرو مئنيو و يقضي عليه، و من ثم ينبعث الموتىٰ، و اكتست هذه الفكرة طابعا معنويا و أصبحت نتاجا أصيلا لإلهامات اليهود.

و) إنّ أهمّ الفرق اليهودية هي: الفرّيسيون، و الصدوقيون، و السامريون، و الاسينيون، و القناؤون، و القراؤون و الدونمة.

ز) إنّ فكرة انتظار المسيحا فكرة يهودية محضة، و كان اليهود بعد التدمير الاول لمدينة القدس ينتظرون قائداً الهيأ فاتحاً يعيد لهم عظمة و شوكة شعب الله في عهد داود و سليمان و اطلقوا علىٰ المنقذ المنتظر اسم المسيحا و يعني الممسوح.

ح) **التلمود** كتاب ضخم جمعت فيه احاديث اليهود و احكامهم، و أطلق علىٰ اسفار التلمود اسم **المشنا** بمعنىٰ المثنّىٰ او المكرّر، لأنه تكرار للتوراة، أطلق علىٰ شروح المشنا اسم **الغمارا**، اي الشرح و التعليق.

وثمّة نوعان للغمارا: **احدهما** الغمارا الفلسطينية، و **الثاني** الغمارا البابلية، و قد قسم التلمود تبعا للغمارا إلىٰ قسمين ايضا: التلمود الفلسطيني، والتلمود البابلي.

و يتألّف التلمود من عنصرين أساسيين:

احدهما **الهالاخاه** و هي عبارة عن تعاليم دينية للحياة الصالحة.

والآخر **الهغادا** و هو عبارة عن احاديث الربابنة التاريخية و الخلقية.

ط) ترك العرفان اليهودي الذي يسمّىٰ «قبالا» بصمات واضحة علىٰ الحياة المعنوية

لبني اسرائيل، و من أشهر الكتب التي ألفت في هذا المـضمار هـو كـتاب «زوهـر»، و يبحث في علم قبالا عن العرش الإلهي، و الإسم الأعظم، و حـوادث آخـر الزمـان، و ظهور المسيحا الموعود، و الرجعة و القيامة.

الاسئلة

١. ما هو العهد القديم، و ما هي مواضيعه الرئيسة؟

٢. ما هي أسفار «ابوكريفا»؟

٣. اشرح الأسر البابلي و اثره علىٰ اليهود.

٤. ما هو التلمود، و ماهي اقسامه؟

٥. اذكر تعريفا للكلمات التالية: المشنا، الغمارا، الهالاخاه، الهغادا، قبالا.

مصادر البحث

١. ابستين، ي، التلمود البابلي، ١٨ مجلداً، لندن، ١٩٦١.
٢. ابستين، ي، اليهودية، ط. عام ١٩٥٩.
٣. انترمان، أ، اليهود... معتقداتهم الدينية وممارساتهم، لندن، ١٩٨١.
٤. ايدسون، أ، الطقوس اليهودية وتطورها، نيويورك، ١٩٦٧.
٥. جاكوبز، ل، اللاهوت اليهودي، لندن، ١٩٧٣.
٦. جاكوبز، ل، مبادىء العقيدة اليهودية، نيويورك، ١٩٦٤.
٧. غرينستون، جوليوس، انتظار مسيحا در آئين يهود (بالفارسية)، ترجمة حسين توفيقي، قم، مركز بحوث الأديان والمذاهب، ١٣٧٧.
٨. فنكلستين، ي، اليهود... ديانتهم وثقافتهم، نيويورك، ١٩٧١.
٩. الكتاب المقدّس، لندن، ١٩٠٤.
١٠. كوهين، أ، گنجينه اي از تلمود، (بالفارسية)، طهران، ١٣٥٠.
١١. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢م.
١٢. هاكس، قاموس كتاب مقدس، طهران، منشورات أساطير، ١٣٧٧.
١٣. هيوم، روبرت، أديان زنده جهان (بالفارسية)، ترجمة عبد الرحيم گواهي، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣هـ.
14 _ Arberry, A.J.(ed.), Religion in the Middle East, Cambridge: Cambridge University Press,1969.

٩
المسيحية

١. عصر ظهور عيسىٰ عليه السلام

ولد المسيح عيسىٰ عليه السلام في إحدىٰ نقاط العالم التي كانت قد خضعت حديثاً لنفوذ الرومان، و فلسطين هي آخر الأراضي التي وقعت تحت سيطرتهم. و في هذا العصر رزح اليهود تحت سلطة الرومان الذين مارسوا ضدّهم ضغوطاً كبيرة، أسفرت عن نشوب اضطرابات و حركات تمرّد في صفوف اليهود في فلسطين، تمّ إخمادها و قمعها بكلّ قسوة.

أما بصدد نهضة عيسىٰ عليه السلام، فيمكن القول بأنها مُنيت في البداية بالفشل، إلّا أنّها انتشرت فيما بعد بعزيمة أتباعها الذين مضوْا قُدُماً في هذا السبيل، و استطاعت أن تستقطب أتباع سائر الديانات السابقة.

٢. التنبّؤ بظهور عيسىٰ عليه السلام

هناك عدّة مجموعات دينية في العالم، منها الأديان الإبراهيمية التي تشكّل مجموعة واحدة، و أديان الهند الصينية التي تشكّل مجموعة أخرىٰ. و كلّ دين متأخر يدّعي أن الأديان السابقة التي تنتمي إلىٰ نفس المجموعة قد تنبّأت بظهوره. و في هذا الإطار سعىٰ المسيحيون دون جدوىٰ إلىٰ البحث ـ و منذ عصور غابرة ـ عن تنبّؤات بظهور

عيسىٰ عليه السلام في العهد القديم، ولكن اسمه عليه السلام لم يرد فيه قط. و لأجل تحقيق ما يـصبون إليه، عمدوا إلىٰ تأويل بعض النصوص الواردة في الكتاب المذكور، بغية استكشاف تنبّؤات لها علاقة بعيسىٰ عليه السلام، و قد كثر هذا النوع من التأويلات في إنـجيل مَـتّىٰ الذي يُقال أنه كُتب لأجل إرشاد اليهود.

يُذكر أنّ مقداراً كبيراً من هذه التنبّؤات يرتبط بـصلب عـيسىٰ عليه السلام، و هـو أمـر نـفاه القرآن الكريم، واعتبره مجّرد وهم و تلبيس.[١]

٣. البحث عن الوجود التاريخي لعيسىٰ عليه السلام

ركَنَ أتباع الأديان الإلهية و بسبب إيمانهم الراسخ إلىٰ الواقـع التـاريخي لأنـبياء الله و رسله و اطمأنوا له، بيد أنّ الشكوك ظلّت تساور بعض العلماء حول ذلك الواقع. و قد كتب المؤرَخ الكبير وِل ديورانت تقريراً عن تاريخ (٢٠٠) سنة من التشكـيك حـول الوجود التاريخي لشخصية عيسىٰ عليه السلام، جاء فيه: هل شخصية عيسىٰ عليه السلام حقيقة واقعية؟ و هل سيرة مؤسّس المسيحية حاكتها هموم الناس و أحزانهم و تخيّلاتهم و آمالهم، اي شخصية أسطورية خرافية كسائر أساطير آلهة المشركين؟

هذا النقاش حول أسطورية عيسىٰ عليه السلام بدأ منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وأول من أثار الشكوك حول سيرة عيسىٰ عليه السلام هو «**هيرمن صاموئيل رايـماروس**» اسـتاذ اللـغات الشرقية في جامعة هامبورغ منذ عام ١٧٢٧ وحـتىٰ ١٧٦٨. وكـان التـصريح بـمخالفة العقائد السائدة آنذاك امراً خطيراً، مما دفع برايماروس الىٰ التكتم عن نشر ابحاثه فـي حياته، وأول من نشرها بعد وفاته شخص يدعىٰ «**ليسينج**». حيث ردّ رايماروس فيها علىٰ المعجزات بعد ان اعتنق مذهب الربوبية[٢] الذي جنح اليه فـلاسفة عـصره، وراح

---

١. النساء، ١٥٧.

٢. مذهب الربوبية deism هو مذهب فكري ظهر في القرن الثامن عشر يـدعو الىٰ الايـمان بـدين طبيعي مبني علىٰ العقل لا علىٰ الوحي، ويؤكد علىٰ الاخلاقية منكراً تدخل الخالق في نـوامـيس الكون (المترجم).

ينتقد الكتاب المقدس، متحررا من كافة القيود، مستخلصاً من ابحاثه ان عيسىٰ احد مدعيي المسيحا،و تمكن من جمع أعوان له عبر تطميعهم، وقُتل في نزاع مع السلطة الحاكمة، فقام أعوانه بسرقة جثته بهدف تحقيق آماله من خلال جعل اسطورة البعث وتأسيس الكنيسة.

وقد أثارت النتائج التي توصل اليها رايماروس زوبعة من الغضب، وجلبت المزيد من المتاعب لليسينج، الا انه تم تأييدها بعد تدارس ادلتها بشكل ناقص ومحدود، وسرعان ما عفىٰ عليها الدهر، عقب تراجع حدة الغضب.

ونهض بعد رايماروس عدة كتّاب لم تربطهم به صلة سوىٰ انكار المعجزات والنزوع نحو التفسير الطبيعي لجذور المسيحية، واغلب هؤلاء الكتّاب كانت لديهم مناصب جامعية وكانوا يرون ان النيل من الدين خلاف المصلحة، لذا لم يترددوا عن القول انه لو تم ازالة عناصر الاعجاز من الاناجيل او تأويلها، لامكن استخلاص سيرة صحيحة لعيسىٰ عليه السلام، وفي هذه الحالة سوف يمكن اعتباره عليه السلام معلماً اخلاقياً عظيماً للبشر، وقد نزعت هذه الثلة من النقاد منزع العقليين (Rationalists)، في اضفاء الطابع العقلاني علىٰ قصص الاناجيل، ومنذ ذلك الحين اخذ هذا المصطلح ابعاداً واسعة ودقيقة.

و قد أثار العالم الفرنسي «**فولني**» هذا الشك في كتابه «**علىٰ أنقاض الإمبراطورية**» عام ١٧٩٠م. وحينما التقىٰ نابليون بونابرت بالكاتب الألماني الشهير «**فيلاند**» عام ١٨٠٨م. لم يسأله عن السياسة أو الحرب، بل سأله عمّا إذا كان يعتقد بواقعية عيسىٰ عليه السلام أم لا؟[1]

٤. سيرة عيسىٰ عليه السلام

ولد عيسىٰ عليه السلام ـ وفقاً لإنجيليْ متّىٰ و لوقا ـ في بيت لحم (علىٰ بعد ٨ كم من أورشليم)، و هي التي وُلد فيها داود عليه السلام قبل حدود ١٠٠٠ عام من الميلاد. و تعتبر سنة ولادة المسيح بداية التاريخ الميلادي، ولكن يصعب تحديد سنة ولادته علىٰ وجه الدقة، و يحتمل أن

---

١. قصّة الحضارة: ٣/الفصل ٢٦

تكون قبل أربع إلىٰ ثمان سنوات من مبدأ التاريخ الميلادي.

و مهما يكن، فإنّ أمّه مريمعليها السلام كانت مخطوبة لنجّار من مدينة الناصرة اسمه يوسف. و قد وردت قصّة ولادته في بداية إنجيليْ متّىٰ ولوقا، إلّا أنّها لم ترد في إنجيلي مرقس و يوحنّا، كما لم يرد فيها ذكر لبيت لحم، و إنّما أشارا فقط إلىٰ مدينة الناصرة.[1]

و نطالع في إنجيل مَتّىٰ:

(١٨) أما ميلاد يسوع المسيح، فهكذا كان. لمّا كانت مريم أمُّه مخطوبة ليوسف، وجدت قبل أن يتساكنا حاملاً من روح القدس (١٩) وكان يوسف زوجها بارّاً، فلم يرد أن يشهر أمرها، فعزم علىٰ أن يطلّقها سرّاً (٢٠) و ما نوىٰ ذلك حتىٰ تراءىٰ له ملاك الرّبّ في الحلم و قال له: «يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأتي بامرأتك مريم إلىٰ بيتك، فإنّ الذي كوِّن فيها هو من روح القدس (٢١) وستلد إبناً فسمِّه يسوع، لأنّه هو الذي يخلّص شعبه من خطايا هم (٢٢) و كان هذا كله ليتمّ ما قال الرّبّ علىٰ لسان النبيّ: (٢٣) «ها إنّ العذراء تحمل فتلد ابناً يسمّونه عمّا نوئيل» أي «الله معنا» (٢٤) فلمّا قام يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الرّبّ فأتىٰ بامرأته إلىٰ بيته (٢٥) علىٰ أنّه لم يعرفها حتىٰ ولدت إبناً فسمّاه يسوع.[2]

و أُطلق عليه بعد ولادته اسم يسوع، و أبدله اليونانيون و الرومانيون إلىٰ يسوس (Iesus, Iesous)، و عُرف في العربية باسم عيسىٰ و لم ترد في الأناجيل أيّة إشارة إلىٰ حياة الطفولة و أوان الشباب لعيسى. و لمّا بلغ من العمر حدود ثلاثين سنة، قصد يوحنّا المعمدان (يحيىٰعليه السلام) للتعميد، ممّا يؤيد احتمال معرفته بفرقة الاسينين من قبل.

و قد ورد في الأناجيل ذكرُ إخوةٍ لعيسىٰعليه السلام و أخوات، و وفقاً لعقيدة المسيحيين الكاثوليك و الأرثذوكس فإنّ مريمعليها السلام ظلّت عذراء إلىٰ آخر عمرها، فمن المستحيل أن يكون لعيسىٰعليه السلام اخوة بالمعنىٰ الدقيق لهذه الكلمة، و لهذا عمدوا إلىٰ تأويل كلام الإنجيل في هذا الصدد. أمّا المسيحيون البروتستانت، فيميلون إلىٰ المعنىٰ الظاهر لهذه

---

١. مرقس: ١/ ٩، يوحنا: ١/ ٤٥-٤٦ و ٧/ ٤٢

٢. متّىٰ: ١/ ١٨-٢٥

الكلمات من خلال القول بأنّ عيسىٰ ﷺ ولد من مريم العذراء، و لكن مريم ﷺ و زوجها يوسف النجار مارسا حياتهما الزوجية بصورة طبيعية عقب ولادته ﷺ، و أنجبا أطفالاً، و نهاية العبارة السالفة الذكر من إنجيل متّىٰ تؤيد وجهة النظر هذه.

يُذكر أن القرآن الكريم أشار إلىٰ بعض معجزات عيسىٰ ﷺ كتكلّمه في المهد، و بعث الحياة في الطيور المخلوقة من الطين. و قد ذكرت ذلك بعض أناجيل أبوكريفا.

٥. يوحنّا المَعْمَدان

ظهر قبل بعثة عيسىٰ ﷺ بقليل و في أرض يهودية نبي شاب هو يحيىٰ بن زكريا، ذاع أمره في بني إسرائيل، و كان يعظ الناس بقوله: «توبوا، قد اقترب ملكوت السموات».[1]

و يُراد بملكوت السموات لدىٰ بني إسرائيل: مملكة السماء، و هي هدفهم النبيل. و لهذا السبب ـ و طبقاً لتصريح الأناجيل في موارد مختلفة ـ فإنّ دعوة يوحنا المعمدان قد أحرزت نجاحاً باهراً، و تركت أثراً عميقاً في نفوس الناس، حتىٰ أن جماعات كثيرة من مختلف شرائح المجتمع كانت تقصده، و تتوب علىٰ يديه، و كان هو يعمّدهم (أي يغسّلهم في نهر الأردن لتطهيرهم من الخطايا و الذنوب).

و كان يحيىٰ ﷺ جريئاً في الحق، يقول ما يعتقد دون خوف أو وجل من سطوة حاكم و طغيان ملك. و قد ندّد بخطايا هيرودس ملك اليهود الظالم و حاكم ولاية الجليل، الأمر الذي لم يُطقه ذلك الملك، فأمر بقطع رأسه في السجن.[2]

٦. نهضة عيسىٰ ﷺ

وتدعي الاناجيل ان عيسىٰ ﷺ شرع في التبشير وهو في سن الثلاثين من عمره،[3] و قام تعليمه الأساسي علىٰ أمرين:

---

١. متّىٰ: ٣ / ٢، مرقس: ١ / ٤، لوقا: ٣ / ٣.

٢. متّىٰ: ١٤ / ١ ـ ١٢، مرقس: ٦ / ١٤ ـ ٢٩، لوقا: ٩ / ٧ ـ ٩.

٣. لوقا: ٣ / ٢٣.

١. توبوا، أي توبوا عن الخطيئة و توبوا إلىٰ الله.

٢. اقبلوا ولاية الله علىٰ حياتكم (أي ملكوت الله).

و لم يقتصر عيسىٰ عليه السلام علىٰ الوعظ و التعليم، بل أخذ:

١. يجري المعجزات و يشفي المرضىٰ بإذن الله.

٢. يحارب الشياطين و يطردهم.

٣. يغفر الخطايا باسم الله.

٤. يعزّي المرضىٰ و المحزونين و الفقراء.

٥. يعاشر الخطاة.

٦. ينتقد بشدّة رؤساء اليهود و علماء الشريعة.

٧. ينبّيء بأزمة عالمية خطيرة، يكون النصر فيها لله.

٨. ينشيء جماعة من التلاميذ يعيشون مثله، و ينقلون تعاليمه إلىٰ الآخرين.

و لما سمع عيسىٰ المسيح عليه السلام بنبأ اعتقال يحيىٰ عليه السلام بارح مدينته الناصرة، و توجّه إلىٰ مدينة كفرناحوم الواقعة علىٰ ساحل بحيرة الجليل.

> **(٢٣) و كان [عيسىٰ] يسير في الجليل كله، يعلم في مجامعهم و يعلن بشارة الملكوت، و يشفي الشعب من كل مرض و علة (٢٤) فشاع ذكره في سورية كلها، فأتوه بجميع المرضىٰ المصابين بمختلف العلل و الأوجاع من الممسوسين و الذين يصرعون في رأس الهلال و المقعدين فشفاهم (٢٥) فتبعته جموع كثيرة من الجليل و المدن العشر و أورشليم و اليهودية و عبر الأردن.** [١]

إنّ عيسىٰ عليه السلام كنظيره يحيىٰ عليه السلام بشّر بقرب ملكوت السماء دون أن يخلق له ذلك متاعب مع الناس.

وأيقن الكثير ممّن آمن أنه سيصبح ملكاً لمملكة السماء، في وقت شعر فيه زعماء اليهود أنّ تعليمات يسوع تهددهم. بعد أن أدركوا أنه لا يلبّي طموحاتهم في ظهور

---

١. متّىٰ: ٤ / ٢٣ ـ ٢٥، مرقس: ١ / ١٤ ـ ١٥، لوقا: ٤ / ١٤ ـ ١٥.

المسيح الفاتح، و أنه ماضٍ في إدانة خطيئاتهم وسوء أخلاقهم، فعمدوا إلىٰ التآمر عليه.

وقد أثنىٰ عيسىٰ عليه السلام علىٰ يحيىٰ عليه السلام غير مرّة، و اقتدىٰ بسيرته الحسنة في نقاشاته و سجالاته مع خصومه.[١]

واصل عيسىٰ عليه السلام مهمّة يحيىٰ عليه السلام و بدأ دعوته مبشّراً بقرب ملكوت السماء، و تصدّىٰ للإرشاد والوعظ في الكنائس، و تبنّىٰ زعامة الأتباع و المؤمنين. يقول لوقا: عاد إلىٰ الخليل، و اشتغل بالوعظ في الكنائس:

(١٨) روح الرّبّ عليّ لأنه مسحني لأبشّر الفقراء، و أرسلني لأعلن للمأسورين تخلية سبيلهم، و للعميان عودة البصرإليهم، و أُفرّج عن المظلومين (١٩) وأُعلن سنة رضا عند الربّ.[٢]

٧. نهاية مطاف عيسىٰ عليه السلام

أشارت الأناجيل إلىٰ سيرة المسيح عليه السلام، و أوردت مقتطفات من كلامه، إلّا أنّ اهتمامها انصبّ بالدرجة الأولىٰ علىٰ تبشيره عليه السلام. و قد جاءت أخبار قتله صلباً في نهاية الأناجيل الأربعة، و خلاصة ما جاء فيها أنه كان زاهداً، ماضي العزم في إصلاح مجتمعه المُمزّق البالي، و قد سعىٰ كل السعي في تنفيذ برامجه الإصلاحية علىٰ نطاق واسع، إلّا أنّ النجاح لم يحالفه كثيراً. و لمّا مضىٰ عليه السلام، و تأسّست الكنيسة و المجتمع المسيحي المتمثّل في عدد من تلاميذه و حواريّيه، أخذ هذا الدين ينهض شيئاً فشيئاً. و يعتقد المؤرخون أنّ خطة بولس ـ الذي اعتنق المسيحية بعد المسيح عليه السلام ـ في التبشير كان لها أكبر الأثر في هذا الشأن، إلّا أنّ الجماعة المسيحية تنسب هذا الدور إلىٰ روح القدس.

و شعر احبار اليهود بأنّ تعاليم عيسىٰ تهدّدهم، فتآمروا عليه ليقتلوه، و خانه يهوذا الإسخريوطي أحد الرسل، فأُسلم إلىٰ السلطات الرومانية بتهمة التآمر عليها لإطاحة حكمها الاستعماري، و في آخر ليلة من حياته تناول العشاء مع رسله، و بعد العشاء

---

١. متّىٰ: ٢١ / ٢٣ ـ ٢٧، مرقس: ١١ / ٢٧ ـ ٣٣، لوقا: ٢٠ / ١ ـ ٨. ٢. لوقا: ٤ / ١٨ ـ ١٩

الأخير القت السلطة الرومانية القبض علىٰ عيسىٰ، الا ان بيلاطس القائد الروماني أبدىٰ تحفظاً من قتله ـ حسب ما ورد في الاناجيل ـ لانـه لم يـرتكب جـرماً يستحق عـليه الاعدام، ولكن اليهود أصروا علىٰ ذلك، زعماً منهم انه سيقرع طبول العصيان والفتنة فيما لو بقي حياً، فاضطر الحاكم الروماني احالته الىٰ القضاء، و حكم عليه بالإعدام، و تعلِّمنا الأناجيل أنّ عيسىٰ صلب و مات علىٰ الصليب و قُبر.

قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذي يدعىٰ المسيح، قال له الجميع: ليصلب، فقال الوالي: وأي شر عمل فكانوا يزدادون صراخـاً قـائلين ليـصلب، فـلما رأىٰ بيلاطس انه لاينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسـل يـديه قـدام الجمع، قائلا: إني بري من دم هذا البار أبصروا انتم، فأجاب جميع الشعب وقالوا: دمه علينا وعلىٰ اولادنا. [١]

وطبقا لما ورد فان عيسىٰ عليه السلام قد قُتل علىٰ صليب ودُفن ثم بُعث من الاموات بعد ايام ثلاثة، وظهر اربعين ليلة لتلامذته ثم عرج به الىٰ السماء، وكل هذه الحوادث ـ حسب السيرة المسيحية ـ قد اتفقت عام ٣٣.

نعم غاب عيسىٰ عليه السلام عن الناس، ولكن جماعة من اتباعه ظلت ملتزمة بعودته زعماً منها انه مات ودفن في التراب ولكنه بُعث من قبره في اليوم الثالث وعُرج به الىٰ السماء وسيعود الىٰ الارض ليحكمها، وقالوا ايـضا: ان عـيسىٰ عليه السلام قـتل فـداءً لـلذنوب التـي يرتكبها الناس وادعوا ان انبياء العهد القديم قـد تـنبؤا بـمحنه ومـصائبه وقـتله عـلىٰ الصليب، يشار الىٰ ان مفردة المسيح قد أُفرغت من محتواها الحقيقي بسبب غياب أي مسح للمُلك ممادعا الرسل الىٰ القول انه ممسوح من قبل الله تعالىٰ (اعمال الرسل ٤: ٢٧).

ولايعتبر المسيحيون عيسىٰ المسيح عليه السلام شهيداً، بل انه وقع ضحية لذنـوب البشـر ويصرون علىٰ ذلك اثناء التبشير، حتىٰ اعتبر التاريخ هذه الفكرة دعامة للمسيحية.

و بعد مرور خمسين يوماً علىٰ حادثة الصليب يحل عيد العَنْصَرَة حيث يحلّ روح

---

١. متىٰ: ٢٧ / ٢٢ ـ ٢٥.

القدس علىٰ التلاميذ، فكون منهم جماعة تحمل رسالة عيسىٰ و تعمل عمله علىٰ مرّ العصور.

٨. الرّسل

اختار عيسىٰ المسيح عليه السلام في بداية الدعوة أتباعاً يستعين بهم علىٰ نشرها، و قد أشار إلىٰ ذلك القرآن الكريم في آخر سورة الصف، و نطالع في الإنجيل:

(١٨) وكان يسوع سائراً علىٰ شاطىء بحر الجليل، فرأىٰ أخوين، هما سمعان الذي يقال له بطرس و اندراوس أخوه يُلقيان الشبكة في البحر لأنهما كانا صيّادين (١٩) فقال لهما: اتبعاني أجعلكما صيّادي بشر (٢٠) فتركا الشِّباك من ذلك الحين و تبعاه.[١]

١ ـ ٨. الحواريون الإثنىٰ عشر

قد عُرف هؤلاء الأتباع بتلاميذ عيسىٰ عليه السلام، و اختار منهم (١٢) تلميذاً سمّاهم الرسل.[٢] و أطلق عليهم القرآن الكريم اسم الحواريين، و ورد بنفس هذا المعنىٰ في اللغة الحبشية.

(٢٨) فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم، أنتم الذين تبعوني متىٰ جلس ابن الإنسان علىٰ عرش مجده عندما يجدّد كل شيّ، تجلسون أنتم أيضاً علىٰ اثني عشر عرشاً لتدينوا أسباط إسرائيل الإثني عشر.[٣]

أما أسماء رسل عيسىٰ عليه السلام الإثني عشر الذين ورد ذكرهم في الأناجيل[٤] فهم كالتالي:

١. شمعون بن يونا (بطرس).

٢. اندراوس (شقيق بطرس).

٣. يعقوب بن زبدىٰ.

---

١. متّىٰ: ٤ / ١٨ ـ ٢٠، مرقس: ١ / ١٦ ـ ١٨. ٢. لوقا: ٦ / ١٣.

٣. متّىٰ: ١٩ / ٢٨.

٤. متّىٰ: ١٠ / ٢ ـ ٤، مرقس: ٣ / ١٦ ـ ١٩، لوقا: ٦ / ١٤ ـ ١٦، أعمال الرسل: ١ / ١٣.

٤. يوحنّا (شقيق يعقوب).

٥. فيليبس.

٦. برتلماوس.

٧. توماس.

٨. متّىٰ العشار.

٩. يعقوب بن حلفى.

١٠. تدّاوس (يهوذا، شقيق يعقوب).

١١. شمعون الغيور.

١٢. يهوذا الإسخريوطي.

٢ ـ ٨. بطرس وسائر الرسل

يُعدُّ شمعون من كبار الرسل، و قد أطلق عليه عيسىٰ عليه السلام اسم بطرس (أي الصخرة)، لأنه يشكّل الحجر الأساس للكنيسة أو المجتمع المسيحي:

(١٨) و أنا أقول لك: أنت صخر و علىٰ الصخر هذا سأبني كنيستي فلن يقوىٰ عليها سلطان الموت (١٩) و سأعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فما ربطته في الأرض ربط في السموات، و ما حللته في الأرض حُلّ في السموات.[١]

وقصد بطرس ـ بعد غياب عيسىٰ عليه السلام ـ مدينة روما عاصمة ايطاليا، ومكث فيها حتىٰ قُتل علىٰ يد نيرون، وقد حاز ضريحه الواقع علىٰ تلّ الفاتيكان في روما اهتماماً ملحوظاً، و أصبح منذ القدم قاعدة للكاثوليك. وتُعدّ كنيسة القديس بطرس وملحقاتها من قصور وحدائق من أروع الآثار الفنّية في العالم.

وأصبح يوحنّا رسولاً في سنّ الطفولة،[٢] و أكمل إنجيله ـ وفق عقيدة المسيحيين ـ في نهاية القرن الأول و هو في سنّ الشيخوخة.

---

١. متّىٰ: ١٦/ ١٨ ـ ١٩، يوحنا: ٢١/ ١٥ ـ ١٩.

٢. يوحنّا: ١٣/ ٢٣ ـ ٢٥ و ٢١/ ٢٠.

وقد كتب متّىٰ الرسول أحد الأناجيل، كما نسبت بعض رسائل العهد الجديد إلىٰ بطرس و يوحنّا و بقيّة الرسل، و نسبت إليهم أيضاً أناجيل و رسائل أبوكريفا ـ يُذكر أن بعض الفرق المسيحية تُرجع تاريخ كنائسها إلىٰ بعض الرسل.

وقد أفادت الأناجيل ـ و كما تنبّأ عيسىٰ عليه السلام ـ بأنّ جميع الرسل انفضّوا من حوله عليه السلام، حينما أُلقي القبض عليه، و كان يهوذا الإسخريوطي قد خانَ المسيح من قبل، و أرشد إليه الفرّيسيين و الرومان، و سهّل لهم صلبه، و تقاضىٰ منهم علىٰ ذلك أجراً.

و لمّا مضىٰ عيسىٰ عليه السلام، و بغية إكمال عدد الرسل الاثني عشر، تمّ انتخاب (متياس) بدلاً عن يهوذا الإسخريوطي.[1]

٣ـ ٨. بولس

و علىٰ الرغم من أنّ عيسىٰ عليه السلام عيّن بطرس خلفاً له، إلّا أنّ رسولاً آخر هو بولس حاز مكانة عليا حتىٰ عُدّ المؤسس الحقيقي للمسيحية.

و كان اسمه في البداية شاؤول، و هو من الأسماء العبرية، و يُلفظ باليونانية (سَولُس)، ثم بدّل اسمه إلىٰ (بولس) بعد اعتناقه المسيحية.

و كان بولس الروماني الجنسية من اليهود المتطرّفين الذين اضطهدوا المسيحيين وعاملوهم بقسوة، ثمّ ادّعىٰ أنه بينما كان يسير في طريقه من مدينة القدس إلىٰ دمشق لإلقاء القبض علىٰ بعض المسيحيين، آنس في الطريق نور عيسىٰ عليه السلام، فاعتنق المسيحية بأمره عليه السلام.[2]

ثم أخذ ـ بعد هذا التحوّل المفاجىء ـ في التبشير للمسيحية، فتحملّ في هذا السبيل ألواناً من المحن، و كان قد ادّعىٰ الرسالة من قبل المسيح عليه السلام، و طاف مدناً عديدة، و نشر المسيحية إلىٰ سواحل البحر الأبيض المتوسط، و وجّه رسائل إلىٰ حديثي العهد بالمسيحية، نُقل بعضها في العهد الجديد.

و قد أثارت الأفكار الجديدة التي طرحها بولس صراعاً عنيفاً بينه و بين بطرس و

---

١. أعمال الرسل: ١ / ١٥ـ٢٦ ٢. أعمال الرسل: ٩ / ١ ـ ٣١.

سائر الرسل، و انعكس جانب من هذا الصراع في سِفْر أعمال الرسل، و في رسائله، فقد كتب يقول:

(١١) و لكن لما قدم صخر [بطرس] إلىٰ أنطاكية، قاومته وجهاً لوجه، لأنه كان يستحق اللوم.[1]

كما أشار بولس عند تعداد فضائله و تذليله للعقبات التي واجهته في التبشير، أشار إلىٰ الإخوة الكذّابين، و يريد بهذا الاصطلاح، الرسل الذين خالفوا أفكاره:

(٢٢) هم عبرانيون؟ و أنا عبرانيّ، هم إسرائيليون؟ و أنا إسرائيلي، هم من نسل إبراهيم؟ و أنا أيضاً (٢٣) هم خدم المسيح؟ ـ أقول قول أحمق ـ و أنا أفوقهم، أفوقهم في المتاعب، أفوقهم في دخول السجون، أفوقهم كثيراً جدّاً في تحمّل الجلد، في التعرّض لأخطار الموت مراراً (٢٤) جلدني اليهود خمس مرّات أربعين جلدة إلّا واحدة (٢٥) ضربت بالعصيّ ثلاث مرّات، رجمت مرّة واحدة، انكسرت بي السفينة ثلاث مرات، قضيت ليلة و نهاراً في عرض البحر (٢٦) أسفار متعددة، أخطار من الأنهار، أخطار من اللصوص، أخطار من بني قومي، أخطار من الوثنيين، أخطار في المدينة، أخطار في البرّيّة، أخطار في البحر، أخطار من الإخوة الكذّابين (٢٧) جهد و كدّ، سهر كثير، جوع و عطش، صوم كثير، برد و عري (٢٨) فضلاً عن سائر الأمور من همّي اليوميّ و الاهتمام بجميع الكنائس (٢٩) فمن يكون ضعيفاً و لا أكون ضعيفاً؟ و من تزلّ قدمه و لا أحترق أنا؟ (٣٠) إن كان لابدّ من الافتخار، فسأفتخر بحالات ضعفي (٣١) إنّ الله أبا الربّ يسوع ـ تبارك للأبد ـ عالم لا أكذب (٣٢) كان عامل الملك الحارث في دمشق يأمر بحراسة المدينة للقبض عليّ (٣٣) و لكنّي دُليت في زنبيل من كُوَّة علىٰ السور، فنجوت من يديه.[2]

و قد دلّت أخبار الأئمة الطاهرين عليهم السلام و أقوال علماء الإسلام و المحققين الغربيين علىٰ أن عقائد المسيحية تبلورت علىٰ يد بولس الذي كتب في رسالته التي بعثها إلىٰ أهل

---

١. رسالة إلىٰ أهل غلاطية: ٢ / ١١.

٢. الرسالة الثانية إلىٰ أهل قورنتس: ١١ / ٢٢ ـ ٣٣.

كولوس «**أن عيسى**ﷺ **هو صورة الله الذي لايرى و بكر كل خليقة**».[1]

أما في رسالته التي بعثها إلىٰ أهل فيلبي، فيقول:

(٦)فمع أنه في صورة الله لم يعد مساواته لله غنيمة (٧) بل تجرد من ذاته متخذا صورة العبد، و صار علىٰ مثال البشر، وظهر في هيئة إنسان (٨) فوضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.[2]

و قد جاء شرح سيرة بولس وأفكاره في سِفْر أعمال الرسل وفي رسائله، و تعرض لانتقاد شديد في أول إنجيل برنابا[3] و آخره، في حين نسبت بعض الأحاديث الإسلامية[4] ضلال المسيحيين إلىٰ بولس (المتوفّى حدود ٦٤أو ٦٧م).

وقد سردت اسفار الرسل وكتبه الموجودة سيرته الذاتية وافكاره، ووجه انجيل برنابا سهام النقد والطعن صوبه، كما تعزو بعص الاحاديث الاسلامية اضلال النصارىٰ اليه.

توفّي بولس ـ كما يقال ـ في روما في حدود الأعوام ٦٤ ـ ٦٧، و يذهب المسيحيون إلىٰ أنّ عدداً من الرسل مثل بطرس و بولس قد استشهدا. هذا و لم تتعرّض الكتب التاريخية المستقلة لرسل عيسىٰ ﷺ بشيء.

٩. عيسىٰ ﷺ ثائراً

كان عيسىٰ ﷺ ـ كما يُستشفّ من مطالعة الأناجيل ـ من الشخصيات الثورية التي سعت جاهدة إلىٰ إنقاذ المستضعفين من مخالب الظالمين، إلّا أنّه ينبغي التذكير بأن المسيحيين كانوا و ما زالوا يردّدونَ أنّ مهمّة المسيح ﷺ اقتصرت علىٰ الهداية إلىٰ ملكوت السماء، و أنّ صلبه جاء تكفيراً عن خطايا البشر، و هذه النظرة لا تنسجم مع الأناجيل، بيْد أنها تتفق و كلمات بولس.

و نستعرض الآن نماذج من مواقفه الثورية و السياسية:

---

١. رسالة إلىٰ أهل كولوس: ١ / ١٥.

٢. رسالة إلىٰ أهل فيلبي: ٢ / ٦ ـ ٨.

٣. ينكر المسيحيون إنجيل برنابا.

٤. راجع في هذا الصدد: بحار الأنوار: ٨ / ٣١١.

١ ـ ٩. اختراق تنظيمات العدو

أوصىٰ عيسىٰ عليه السلام أتباعه و تلاميذه مراراً بالإفصاح عن هويتهم أمام النـاس، إلّا أنـه أذن لأحد تلامذته بالمشاركة في جلسات المجمع اليهودي (سنهدرين) مستخفياً، لأنـه يصبّ في صالح الأهداف العليا للرسالة. و يبدو واضحاً ـ و بحكم طبيعة عمله ـ أنه كان يرفع التقارير لعيسىٰ عليه السلام ليطلّعه علىٰ مؤامرات المجمع و خيانة يهوذا الإسخر يوطي، و قـد ظـل الدور الذي لعـبه التـلميذ المـذكور و الذي تـطلّب مـنه الإنكـار الصـوري لعيسىٰ عليه السلام ظل طيّ الكتمان.

و لما أُلقي ـ في نهاية الأمر ـ القبض علىٰ المسيح عليه السلام، و تمّ صلبه في الظاهر، و تخلّىٰ عنه جلّ أتباعه خوفاً، في تلك الظروف الرهيبة، انطلق التلميذ المذكور إلىٰ الحـاكـم الجائر، و طلب منه جثمان عيسىٰ عليه السلام فأمر الحاكم بتسليمه إليه، فأخذه و دفنه باحترام بالغ، و تروي أسفار الديانة المسيحية بشأنه مايلي:

«و جاء عند المساء رجل غني من الرامة اسمه يوسف، و كان هو أيضاً قـد تـتلمذ ليسوع».[١]

«جاء يوسف الرامي و هو عـضو وجـيه فـي المـجلس، و كـان هـو أيـضاً يـنتظر ملكوت الله».[٢]

«و جاء رجل اسمه يوسف، و هو عضو في المجلس، و امرؤٌ صالح بارّ لم يوافقهم علىٰ قصدهم و لاعملهم، و كان من الرامة، و هي مدينة لليهود، و كان ينتظر ملكوت الله».[٣]

«و بعد ذلك جاء يوسف الرامي، و كان تلميذاً ليسوع يُخفي أمره خوفاً من اليهود».[٤]

٢ ـ ٩. التعميد في الدم

استعمل المسيح عليه السلام مصطلح التعميد المقدس لبيان مبلغ شوقه للشهادة في سـبيل الله (التعميد في الدم). قد جاء التعميد بمعنىٰ الشهادة أيضاً في إنجيل مـرقس: ١٠ / ٣٨ ـ

---

١. متّىٰ: ٢٧ / ٥٧. ٢. مرقس: ١٥ / ٤٣. ٣. لوقا: ٢٣ / ٥٠ ـ ٥٣
٤. يوحنا: ١٩ / ٣٨.

٣٩، كما ورد في الأناجيل التعميد في الماء، و التعميد في النار و روح القدس.[١] و ورد تعبير «صبغة الله» في القرآن الكريم،[٢] و قد فسّرها بعضهم بالتعميد الإلٰهي.

(٤٩) جئت لألقي علىٰ الأرض ناراً، و ما أشدّ رغبتي أن تكون قد اشتعلت (٥٠) و عليّ أن أقبل معمودية، و ما أشدّ ضيقي حتىٰ تتمّ (٥١) أتظنون أني جئت لأحلّ السلام في الأرض؟ أقول لكم: لا، بل الانقسام (٥٢) فيكون بعد اليوم خمسة في بيت واحد منقسمين، ثلاثة منهم علىٰ اثنين، و اثنان علىٰ ثلاثة (٥٣) سينقسم الناس فيكون الأب علىٰ ابنه و الابن علىٰ أبيه، و الأم علىٰ بنتها و البنت علىٰ أمّها، و الحماة علىٰ كنّتها و الكنّة علىٰ حماتها.[٣]

٣ ـ ٩. صليب الشهادة

يقدس المسيحيون الصليب كرمز لصلب المسيح الذي جاء تكفيراً عن خطايا البشر. و قد ورد عن المسيح قوله: «**إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه و يحمل صليبه و يتبعني**». و هذا الكلام يدل بوضوح علىٰ ان تقديس الصليب يرجع إلىٰ عهد حياة المسيح عليه السلام لا أنه رمز لصلبه. و معنىٰ حمل الصليب هو الاستهانة بالحياة و إنكار الذات و الاستعداد للتضحية في سبيل الله. و قد تمثّل ذلك في ارتداء الأكفان من قبل الشعب الإيراني المسلم كتعبير عن الاستعداد للتضحية و الشهادة في سبيل الله إبّان أحداث الثورة الإسلامية، كما تمثّل أيضاً في قول دِعبل شاعر أهل البيت عليهم السلام «**إني أحمل خشبتي منذ أربعين سنة، و لاأجد من يصلبني عليها**».[٤]

(٢٥) و كانت جموع كثيرة تسير معه فالتفت و قال لهم: (٢٦) «من أتىٰ إليّ و لم يفضلّني علىٰ أبيه و أمه و امرأته و بنيه و إخوته و أخواته بل علىٰ نفسه أيضاً لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً (٢٧) و من لم يحمل صليبه و يتبعني لا يستطيع أن يكون لي تلميذاً».[٥]

---

١. متّىٰ: ٢ / ١١، مرقس: ١ / ٨، لوقا: ٣ / ١٦.
٢. البقرة، ١٣٨.
٣. لوقا: ١٢ / ٤٩ ـ ٥٣.
٤. طبقات الشعراء: عبدالله بن المعتز، ١٢٥.
٥. لوقا: ١٤ / ٢٥ ـ ٢٧.

(٣٤) و دعا الجمع و تلاميذه و قال لهم: «من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه و يحمل صليبه و يتبعني (٣٥) لأنّ الذي يريد أن يخلّص حياته يفقدها، و أما الذي يفقد حياته في سبيلي و سبيل البشارة فإنّه يُخلّصها».[١]

٤ ـ ٩. السيف بدل السلام

كان المترفون من اليهود يحملون تصوراً خاطئاً عن المسيح الموعود، الأمر الذي جعل المسيح يعلن عن أهداف رسالته بغية تصحيح مسار أفكارهم و تصوراتهم.

(٣٤) لا تظنّوا أنّي جئت لأحمل السلام إلىٰ الأرض، ماجئت لأحمل سلاماً بل سيفاً (٣٥) جئت لأُفرّق بين المرء و أبيه، و البنت و أمّها، و الكَنّة وحماتها (٣٦)فيكون أعداء الإنسان أهل بيته.[٢]

٥ ـ ٩. الدعوة إلىٰ الكفاح المسلّح

حينما علم المسيح عليه السلام أنّ إلقاء القبض عليه بات أمراً وشيكاً، و علم أيضاً أنه سيعامل معاملة مجرم، سعىٰ إلىٰ الدعوة للكفاح المسلح، إلّا أنّ دعوته هذه لم تجد آذاناً صاغية.

(٣٦) فقال لهم: «...من لم يكن عنده سيف فليبع رداءه و يشتره (٣٧) فإني أقول لكم: يجب أن تتم في هذه الآية و أُحصىٰ مع المجرمين، فإن أمري ينتهي، فقالوا: «يا ربّ، هٰهنا سيفان، فقال لهم: كفىٰ».[٣]

من هنا، و بسبب التصور الخاطىء الذي كان يحمله أصحاب عيسىٰ عليه السلام عن المسيح الموعود، فانهم لم يدركوا عمق الخطر الذي يتهدّده، و لم يُبالوا كثيراً بأمره الأكيد بشراء السيوف، ثمّ ما لبثوا أن وقفوا علىٰ أهمّية السلاح بعد أن باغت المسيح عليه السلام جمعٌ غفير و هم يحملون السيوف و العصيّ، بيد أنّ عدم أخذهم الأُهبة اللازمة للدفاع، حال دون الاستفادة من السلاح في تلك الظروف الحرجة، ممّاحدا بالمسيح عليه السلام إلىٰ مناشدة

---

١. مرقس: ٨ / ٣٤ ـ ٣٥، متّىٰ: ١٠ / ٣٧ ـ ٣٩ و ١٦ / ٢٤ ـ ٢٦، لوقا: ٩ / ٢٣ ـ ٢٥.
٢. متّىٰ: ١٠ / ٣٤ ـ ٣٦.
٣. لوقا: ٢٢ / ٣٦ ـ ٣٨

أصحابه بعدم مواجهة العدو.[١]

(٥١) و إذا واحد من الذين مع يسوع قد مدّ يده إلىٰ سيفه، فاستله و ضرب خادم عظيم الكهنة، فقطع أذنه (٥٢) فقال له يسوع: إغمد سيفك، فكل من يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك.[٢]

٦ـ٩. تحقير الملك

وصف عيسىٰ المسيح عليه السلام هيرودس ملك ولاية الجليل بالثعلب، دون أي خوف أو وجل من ظلمه و قسوته و هو الذي قتل يحيىٰ عليه السلام.

(٣١) في تلك الساعة دنا بعض الفرّيسيين فقالوا له: اخرج فاذهب من هنا، لأنّ هيرودس يريد أن يقتلك (٣٢) فقال لهم: اذهبوا فقولوا لهذا الثعلب: ها إني أطرد الشياطين و أُجري الشفاء اليوم و غداً، و في اليوم الثالث ينتهي أمري (٣٣) ولكن يجب عليّ أن أسير اليوم و غداً و اليوم الذي بعدهما، لأنه لا ينبغي لنبيّ أن يهلك في خارج أورشليم».[٣]

بهذا النحو تعامل المسيح عليه السلام مع ملك ولاية الجليل. أما بولس الذي جاء بعده. فقد أوصىٰ بإطاعة الملوك و الحكام.

(١) ليخضع كل امرء للسلطات التي بأيديها الأمر، فلا سلطة إلّا من عند الله، و السلطات القائمة هو الذي أقامها (٢) فمن عارض السلطة قاوم النظام الذي أراده الله، و المقاومون يجلبون الحكم علىٰ أنفسهم (٣) فلا خوف من الرؤساء عندما يفعل الخير، بل عندما يفعل الشرّ أ تريد ألّا تخاف السلطة؟ افعل الخير تنل ثناءها (٤) فإنها في خدمة الله في سبيل خيرك، ولكن خف إذا فعلت الشرّ فإنها لم تتقلد السيف عبثاً، لأنها في خدمة الله كيما تنتقم لغضبه من فاعل الشرّ (٥) و لذلك لابد

---

١. و هو نظير ما حصل لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله خلال محنة المسلمين في مكّة المكرمة، حيث منع أصحابه من أي إقدام مسلح بسبب عدم توفر مقوّمات الدفاع.

٢. متّىٰ: ٢٦ / ٥١ ـ ٥٢، مرقس: ١٤ / ٤٧، لوقا: ٢٢ / ٥٠ ـ ٥١، يوحنا: ١٨ / ١٠ ـ ١١.

٣. لوقا: ١٣ / ٣١ ـ ٣٣

من الخضوع لاخوفاً من الغضب فقط بل مراعاة للضمير أيضاً (٦) و لذلك تؤدّون الضرائب و الذين يجبونها هم خدم الله يعملون ذلك بنشاط (٧) أدّوا لكلّ حقه الضريبة لمن له الضريبة، و الخراج لمن له الخراج، و المهابة لمن له المهابة، و الإكرام لمن له الإكرام.[١]

٧ـ٩. الله و قيصر

قيل إنه جاء في الأناجيل «أوكلوا عمل قيصر لقيصر و عمل الله لله». ولكن ينبغي أن يُعلم (أولاً) أن العبارة المذكورة في الأناجيل هي على النحو التالي «أدّوا لقيصر ما لقيصر، ولله مالله»، (ثانياً) أن الكلام المذكور فاقد الدلالة، لأن المسيح قاله في حال التقية:

(٢٠) فترصّدوه و أرسلوا جواسيس يظهرون أنهم من أهل الورع، ليأخذوه بكلمة فيسلموه إلىٰ قضاء الحاكم و سلطته (٢١) فسألوه: يا معلّم نحن نعلم أنك علىٰ صواب في كلامك و تعليمك لاتُحابي أحداً، بل تعلّم سبيل الله بالحق (٢٢) أيحلّ لنا أن ندفع الجزية إلىٰ قيصر أم لا؟ (٢٣) ففطن لمكرهم فقال لهم (٢٤) أروني ديناراً! لمن الصورة التي عليه و الكتابة؟ فقالوا: لقيصر (٢٥) فقال لهم: أدّوا إذاً لقيصر ما لقيصر، و لله ما لله».[٢]

٨ـ٩. مخاصمة تجّار الدين

عنّف عيسىٰ عليه السلام زعماء اليهود الدينيين المرائين المتكالبين علىٰ الدنيا، مما أثار سخطهم، فراحوا يتآمرون للقضاء عليه، و إليك مقطعاً من كلامه عليه السلام في هذا الصدد:

(١٣) الويل لكم أيّها الكتبة و الفرّيسيون المراؤون، فإنكم تقفلون ملكوت السموات في وجوه الناس، فلا أنتم تدخلون، و لا الذين يريدون الدخول تدعونهم يدخلون (١٤) الويل لكم أيّها الكتبة و الفرّيسيون فإنكم تأكلون بيوت الأرامل و أنتم تظهرون أنكم تطيلون الصلاة، سينالكم العقاب الأشد (١٥) الويل لكم أيّها

---

١. رسالة بولس إلىٰ أهل روما: ١٣ / ١ ـ ٧.

٢. لوقا: ٢٠ / ٢٠ ـ ٢٥، متّیٰ: ٢٢ / ١٥ ـ ٢٢، مرقس: ١٢ / ١٣ ـ ١٧.

الكتبة و الفرّيسيون المراؤون فإنكم تجوبون البحر و البر لتكسبوا دخيلاً واحداً، فإذا أصبح دخيلاً جعلتموه يستحقّ جهنّم ضعف ما أنتم تستحقّون... (٢٩) الويل لكم أيّها الكتبة و الفرّيسيون المراؤون فإنكم تبنون قبور الأنبياء و تزيّنون ضرائح الصدّيقين (٣٠) و تقولون لو عشنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء (٣١) فأنتم تشهدون علىٰ أنفسكم بأنّكم أبناء قتلة الأنبياء (٣٢) فاملأوا أنتم مكيال آبائكم (٣٣) أيّها الحيّات أولاد الأفاعي، كيف لكم أن تهربوا من عقاب جهنم. [1]

٩ـ٩. إظهار القدرة

قال عيسىٰ المسيح عليه السلام:

(٢٧) سوف يأتي ابن الإنسان في مجد أبيه و معه ملائكته فيجازي يومئذ كل امرء علىٰ قدر أعماله (٢٨) الحق أقول لكم من الحاضرين ههنا من لا يذوقون الموت حتىٰ يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته. [2]

و أخيراً، دخل عيسىٰ عليه السلام في أواخر أيامه مدينة القدس، ممتطياً حماراً مستقبلاً بحفاوة من قبل منتظري ملكوت السموات الذين راحوا يهتفون: «تبارك الآتي، الملك باسم الرب».

(٣٩) فقال له بعض الفرّيسيون من الجمع: يامعلم انتهر تلاميذك (٤٠) فأجاب: أقول لكم: لو سكت هؤلاء لهتفت الحجارة. [3]

ثم دخل الهيكل بكل أبّهة و إجلال و طرد الصيارفة. و لعل بعض الناس كان يعتقد أن المسيح الموعود يقبل علىٰ فرس و يطيح عرش الملوك الظلمة، إلّا أن الخطوة الوحيدة التي قام بها عيسىٰ المسيح عليه السلام، هو أنه امتطىٰ حماراً كان أخذه عارية، و بعد دخوله الهيكل (**قلب طاولات الصيارفة و مقاعد باعة الحمام**). [4]

و أراد المسيح بعد هذا أن يبلوَ المجتمع الإسرائيلي، فلمّا رأىٰ مخالفة الفرّيسيين

---

١. متّىٰ: ٢٣ / ١٣ ـ ٣٣، لوقا: ١١ / ٣٩ ـ ٥٤.
٢. متّىٰ: ١٦ / ٢٧ ـ ٢٨، مرقس: ٩ / ١، لوقا: ٩ / ٢٦ ـ ٢٧.
٣. لوقا: ١٩ / ٣٩ ـ ٤٠.
٤. متّىٰ: ٢١، مرقس: ١١، لوقا: ١٩، و يوحنا: ١٢.

العلنية لمواقفه الإصلاحية، أيقن أن الشرائط لم تتوفر بعد لإجراء تغييرات جذرية، الأمر الذي دعاه إلىٰ مخاطبة مدينة القدس بعد عتاب شديد لها بقوله:

(٣٧) أورشليم، أورشليم يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، فلم تريدوا (٣٨) هوذا بيتكم يترك لكم قفراً (٣٩) فإنّي أقول لكم لا ترونني بعد اليوم حتىٰ تقولوا «تبارك الآتي باسم الربّ».[١]

١٠ ـ ٩. امضاء القصاص و الحث علىٰ العفو

بيّن عيسىٰ عليه السلام الخطوط العريضة لرسالته لما وعظ من علىٰ سفح جبل، و قال:

(١٧) لا تظنوا أنّي جئت لأُبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئتُ لأُبطل بل لأُكمل (١٨) الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتىٰ يتم كل شيء أو تزول السماء و الأرض (١٩) فمن خالف وصيّة من أصغر تلك الوصايا و علّم الناس أن يفعلوا مثله عُدّ الصغير في ملكوت السموات و أما الذي يعمل بها و يعلّمها فذاك يُعدّ كبيراً في ملكوت السموات.... (٣٨) سمعتم أنه قيل العين بالعين و السنّ بالسنّ (٣٩) أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرّير، بل من لَطَمك علىٰ خدّك الأيمن فاعرض له الاخر.[٢]

و قد تصور بعضهم أن معنى العبارة الآنفة الذكر هو التسليم و الخضوع أمام الظلم، و لكن هذا التصور ـ كما يبدو ـ بعيد عن الصحة، لاسيما إذا نظرنا إليها باعتبارها موعظة أخلاقية تؤكّد علىٰ ضرورة العفو و التسامح في الأمور الشخصية، و هي نظير ما جاء في القرآن الكريم و الأحاديث الإسلامية و سيرة الأنبياء و الأولياء من التأكيد علىٰ الصبر و العفو عن المذنبين و السلام عليهم و كظم الغيظ عن أفعالهم القبيحة.[٣]

و من أبرز الصفات الحسنة للإنسان المتّقي عند أمير المؤمنين علي عليه السلام، هي «أن يعفو

---

١. متّى: ٢٣ / ٣٧ ـ ٣٩، لوقا: ١٣ / ٣٤ ـ ٣٥.
٢. متّى: ٥ / ١٧ ـ ٣٩.
٣. راجع علىٰ سبيل المثال: النحل، ١٢٦ ـ ١٢٨؛ المؤمنون، ٩٦؛ الفرقان، ٦٣ و ٧٢؛ و فصّلت، ٣٤ ـ ٣٦.

عمّن ظَلَمه، و يُعطي من حَرَمه، و يصلُ من قَطَعه»،[1] و أشار عليه السلام إلىٰ شيء من هذا القبيل في كتابه الذي بعثه إلىٰ نجله الإمام الحسن عليه السلام، و أضاف:

«إيّاك أن تصنع ذلك في غير موضعه، أو أن تفعله بغير أهله».[2]

و نطالع في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه نسب القول «إنْ لطمَ أحد خدّك الأيمن، فأعطِ الأيسر» إلىٰ المسيح عليه السلام[3] و نقرأ في الإنجيل أيضاً:

(٢١) فدنا بطرس و قال له: يا ربّ، كم مرة يخطأ إليّ أخي و أغفر له؟ أ سَبْعَ مرّات؟
(٢٢) فقال له يسوع: لا أقول لك سبع مرات، بل سبعين مرة سبع مرات.[4]

و ورد في إنجيل يوحنا أنه لّما أُلقي القبض علىٰ عيسىٰ عليه السلام، لطمه أحد الحرّاس، فاعترض عليه عليه السلام و قال له: «لماذا تضربني».[5]

و علىٰ الرغم من أن المسيح عليه السلام وصّىٰ بعدم مقاومة الأشرار، فإن تلامذته و أتباعه لم يرضخوا للظلم، و اعتبروا وصيّته تلك ممّا يتعلّق بالقضايا الشخصية، و كانوا يستمدّون العون من الله في مواجهة الملوك و الأعداء، و يبتهلون إليه تعالىٰ بهذا الدعاء:

(٢٤) يا سيّد، أنت صنعت السماء و الأرض و البحر و كلّ شيء فيها (٢٥) أنت قلت علىٰ لسان أبينا داود عبدك، بوحي روح القدس. لماذا ضجّت الأمم، و إلىٰ الباطل سعت الشعوب؟ (٢٦) ملوك الأرض قاموا، و علىٰ الرب و مسيحه تحالف الرؤساء جميعاً (٢٧) تحالف حقاً في هذه المدينة هيرودس و بنطيوس بيلاطس و الوثنيون و شعوب إسرائيل علىٰ عبدك القدّوس يسوع الذي مسحته (٢٨) فاجروا ما خطّته يدك من ذي قبل و قضت مشيئتك بحدوثه (٢٩) فانظر الآن يا ربّ إلىٰ تهديداتهم، وهب لعبيدك أن يعلنوا كلمتك بكل جرأة.[6]

---

١. نهج البلاغة: الخطبة ١٩٤. ٢. نهج البلاغة: الكتاب ٣١.
٣. بحارالأنوار: ١٤ / ٢٨٧، و قد جاءت عبارة الإنجيل تلك ضمن مواعظ السيد المسيح عليه السلام في آخر كتاب «تحف العقول» لابن شعبة الحرّاني.
٤. متّىٰ: ١٨ / ٢١ ـ ٢٢، لوقا: ١٧ / ٣ ـ ٤. ٥. يوحنّا: ١٨ / ٢٢.
٦. أعمال الرسل: ٤ / ٢٤ ـ ٢٩.

١٠. تأسيس الكنيسة

قد عرفت الجماعة التي جاء وصفها في أسفار العهد الجديد بـ«الكنيسة الرسولية» أي كنيسة الرسل و أجيال المسيحيين الأوائل، و تمتدّ الحقبة المعينة علىٰ وجه التقدير بين سنة (٣٠) و سنة (١٠٠)، أعني بين العنصرة و تدوين آخر سِفْر من أسفار الكتاب المقدس.

لقد وصف سِفْر أعمال الرسل حياة الجماعة المسيحية الأولىٰ علىٰ الوجه التالي:

(٤٢) كانوا يواظبون علىٰ تعليم الرسل و المشاركة و كسر الخبز و الصلوات (٤٣) و استولىٰ الخوف علىٰ جميع النفوس لما كان يجري عن أيدي الرسل من الأعاجيب و الآيات (٤٤) و كان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كل شيء مشتركاً بينهم (٤٥) يبيعون أملاكهم و أموالهم، و يتقاسمون الثمن علىٰ قدر احتياج كل منهم (٤٦) يلازمون الهيكل كلّ يوم بقلب واحد، و يكسرون الخبز في البيوت، و يتناولون الطعام بابتهاج و سلامة قلب (٤٧) يسبّحون الله و ينالون حظوة عند الشعب كله.[1]

و لكن هذه (الحظوة) تحوّلت مع الأيام إلىٰ عداوة من جهة اليهود أولاً ثم من قبل الامبراطورية الرومانية.

و انطلقت في أورشليم و بقيادة يعقوب الرسول جماعة مسيحية من أصل يهودي، فكثر عددها في المدينة ثمّ في نواحي فلسطين، كما انطلق مرسلون من أمثال بولس و برنابا، فحملوا البشارة إلىٰ غير اليهود، و لقد قامت في أعقاب ذلك أولىٰ الأزمات التي واجهت الكنيسة، إذ طرح هذا السؤال:

هل ينبغي للوثنيين المهتدين أن يصبحوا أولاً يهوداً، و يخضعوا للشريعة اليهودية قبل أن يسمح لهم باعتناق المسيحية؟

كان موقف بولس ـ و قد تبنّاه أيضاً بطرس و يعقوب ـ أن الله أقام عيسىٰ من

---

١. أعمال الرسل: ٢ / ٤٢ ـ ٤٧.

الأموات، فأفسح المجال أمام زمن جديد للخلاص، و عليه فلم يَعُد المسيحيون مضطرّين إلىٰ اتباع الشريعة اليهودية.

ثمّ أخذ المهتدون من الوثنية يزدادون عدداً بفضل تبشير الرسل في سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية، فغلب في الكنيسة المسيحية العنصر الآتي من غير اليهودية، و تكوّنت جماعات صغيرة من المؤمنين، توزّعت في مدن الإمبراطورية من سورية إلىٰ مصر، فالأناضول، فاليونان، فإيطاليا. و يشير التقليد إلىٰ أن بطرس اعتبر رئيساً لجماعة الرسل في أورشليم أولاً ثم في أنطاكية، و أخيراً في روما حيث أُعدم في أيام نيرون.

١١. أسباب انتشار المسيحية

ثمّة عاملان رئيسيان يؤثّران في نمو وانتشار أي دين: **أحدهما: تحمّل الضغوط** و المصاعب في سبيله، و **الثاني: التبشير**، فالدين إذا أهمل يموت.

و قد تعرّض المسيحيون طيلة (٣٠٠) سنة من ظهور المسيحية إلىٰ ألوان من المحن و الاضطهاد، و قدّموا ضحايا كثيرة في هذا السبيل، حتى تمكّنوا في هذه المدّة من وضع أسس الدين، ومن نشره بين أقوام مختلفة، ولكن جهودهم لم تكن تخلو من إخفاقات.

إنّ ازدياد عدد المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية أدّى إلىٰ الاعتراف بهذا الدين رسميا في النصف الاول من القرن الرابع، وعلىٰ إثر العامل الثاني، أي التبليغ و التبشير، أخذ ينتشر في أرجاء واسعة من العالم.

إنّ بعض الأديان مثل اليهودية لاتبليغ فيها، إيماناً منها بأن كثرة الأتباع لا يعزّز كيانها، في حين أولت أديان أخرىٰ كالإسلام والمسيحية اهتماماً كبيراً بالتبليغ، فالوفود والهيئات التبشيرية المسيحية بعثت قديماً إلىٰ معظم أرجاء العالم لنشر الدين المسيحي، وفي القرون الأخيرة وعلىٰ إثر ازدهار الحضارة الغربية وظهور الاستعمار والغزو الثقافي أخذت المسيحية تنتشر في الشرق أيضاً.

١٢. ظهور الجدل الكلامي

انتشرت المسيحية في أرجاء الامبراطورية الرومانية، وأخذ المفكّرون يستعملون المصطلحات الفلسفية والمفاهيم السائدة في أيّامهم للتعبير عن العلاقة القائمة بين الله و عيسىٰ، وبهذه الطريقة تبلور علم اللاهوت المسيحي.

بعض المسيحيين الأوائل تأثّروا بالأفكار الغنوصية، فانكروا إنسانيّة عيسىٰ عليه السلام. وكان الغنوصيون يعدّونه ملاكاً حمل معه معرفة سرية لله. وإلىٰ جانب هؤلاء، قام الظاهريون فقالوا بأنّ عيسىٰ ظهر فقط بمظهر البشر، ولم يكن له جسم بشري، ولم يمت علىٰ الصليب. أما الكنائس المسيحية، فقد شجبت في القرن الثاني تعاليم الغنوصيين والظاهريين، وأكدت علىٰ حقيقة الإنسانية في عيسىٰ عليه السلام.

١٣. المسيحية في روما

لما استقامت الكنائس، نهض الأساقفة بإعباء كل كنيسة من الكنائس المحلّية، يعاونهم في ذلك القسّيسون، واهتم الشمامسة بشؤون العجزة و البائسين، و قدّموا ألواناً من أعمال البرّ و الإحسان، و ظهر في المجتمع المسيحي بالإضافة إلىٰ هؤلاء أفراد ذو مواهب خاصة قاموا بخدمة الكنيسة وترسيخها، فكانت ثمّة رسل وأنبياء يتحدّثون بإلهام من روح الله، و مبشّرون، و دعاة، و معلّمون.

أما موقف السلطات الرومانية من الكنيسة، فكان متسامحاً في بعض الأحيان، ولكن غالباً ما لجأ الولاة إلىٰ اضطهاد الأتباع و قتل الكثيرين منهم، بما فيهم بطرس و بولس. و مع مرور الزمن بدأت بعض المراكز كروما و أورشليم و الإسكندرية و أنطاكية تكتسب أهمية خاصة و قدرة متميّزة. و كان لهذه المدن الأربع بطاركة يرعون شؤونها. كما أنشئت في مناطقهم مقاطعات عرفت باسم «**الابرشيات**» يتولىٰ أمورها الأساقفة.

و لما بنىٰ قسطنطين عاصمته الجديدة القسطنطينية (**اسطنبول**) في القرن الرابع، اصبحت هذه المدينة من المراكز الهامّة التي يرعىٰ كنيستها أحد البطاركة.

وقد تحول المسيحيون في أيام قسطنطين (المتوفىٰ ٣٣٧م) من مجموعة تضطهدها سلطات الامبراطورية الرومانية إلىٰ كيان ذي شأن عبر الاعتراف الرسمي بالكنيسة، الأمر الذي أسفر عن تحولات كبيرة في حياتها، ففي ظل الامبراطوريتين البيزنطية والرومانية أصبح أغلب الناس ـ باستثناء اليهود ـ مسيحيين. ولما تمّ الانشقاق بين الكنائس الشرقية والغربية، فإن كلاً من الجانبين اتخذ أسلوباً مستقلاً في المراسم العبادية والفلسفية و اللاهوتية.

و لمّا ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن السابع الميلادي و راح الولاة المسلمون يديرون شؤون المناطق التي سبق ان كانت مسيحية في مصر وبلاد الشام وما بين النهرين وشمال إفريقيا، اضطرّ المسيحيون إلىٰ أن يأخذوا بعين الاعتبار الاسلام ديناً والمسلمين رفاقاً في الإيمان والمواطنة لا بل حكّاماً في أغلب الأحيان، وفي العصر الأموي ألّف يوحنّا الدمشقي أول كتاب مسيحي يبحث في المعتقدات الإسلامية.

و في القرن الحادي عشر وحتىٰ الثالث عشر، شنّت الدول الأوروبيّة الحروب الصليبية، فكان من آثارها العداء و التوجّس الذي استمرّ إلىٰ اليوم لا بين المسلمين و المسيحيين فحسب، بل بين مسيحيي غرب أوروبّا ومسيحيي الديار البيزنطية أيضاً. وكان لأعمال التدمير والتنكيل والتقتيل التي مارسها الصليبيون في هجومهم علىٰ القدس (١٠٩٩م) والقسطنطينية (١٠٢٤م) أسوأ الأثر سواء عند المسلمين أو المسيحيين الشرقيين.

١٤. المسيح اسوة للمتقين

لقد اصبح عيسىٰ المسيح ٧وسيرته وزهده اسوة للمتقين من النصارىٰ، حيث يقول ﷺ عن نفسه: «**ولطيور السماء أوكار واما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه**»،[1] ويقول بطرس وهو من أبرز تلامذته: «**وابتدأ بطرس يقول له هانحن قد تركنا كل شيء و تبعناك**».[2]

---

١. متىٰ :١٩/ ٢٠، لوقا: ٩/ ٥٩. ٢. متىٰ: ١٩/ ٢٧، مرقس: ١٠/ ٢٨، لوقا: ١٨/ ٢٨.

وعلىٰ هذا الاسلس فقد اتخذه المسيحيون اسوة لهم، واختاروا حياة الرهبنة والتبتل.

وقد أمر ﷺ اتباعه بتعزير آواصر الاخوة فيما بينهم وحثهم علىٰ التواضع والتنزه عن الالقاب التي تجلب التكبر كالاب او المعلم.

«واما انتم فلا تدعوا سيدي لان معلمكم واحد المسيح، وانتم جميعا اخوة ولاتدعوا لكم أبا علىٰ الارض لان اباكم واحد الذي في السموات ولاتدعوا معلمين لان معلمكم واحد، المسيح واكبركم يكون خادما لكم فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع» [1]

واخيرا فانه ﷺ غاب عن المسرح الاجتماعي، وترك مسؤولية ثقيلة علىٰ عاتق الرسل الذين استقاموا علىٰ نهجه في تلك الظروف العصيبة، ولم يرضخوا للطغاة واوامرهم قط، بل ظلوا معتصمين بحبل الله سبحانه وتعالىٰ، مثلا أعلن بطرس ويوحنا موقفهما امام خصومهم صراحة، وقالا: **«إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا... ينبغي ان يطاع الله أكثر من الناس».** [2]

وقد سارت الاجيال المتعاقبة علىٰ نفس النهج الذي اختطه لهم واستقبلوا كل الاخطار برحابة صدر وقاوموا الحكام الرومانيين المشركين، بل حتىٰ في ظل القياصرة الذين اعتنقوا المسيحية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية عام ٣١٣م، فحينما اراد ثيودوسيوس الامبراطور الروماني الدخول الىٰ كنيسة في مدينة ميلان لاجراء مراسم عيد الفصح في آواخر القرن الرابع الميلادي، لم يأذن له القديس امبروز بالدخول احتجاجاً علىٰ ممارساته القمعية التي أودت بحياة الكثير من أهل سالونيك، داعياً اياه الىٰ التوبة، فاستجاب الامبراطور وتاب.

١٥. البابوات

ولم يدم الوضع طويلاً علىٰ هذا المنوال، فقد كتب جان جاك روسو يقول:

اتفق ان وقع ما خشي منه الوثنيون حيث تغير لحن كلام المسيحيين وتحولت

---

١. متىٰ: ٢٣/ ٨ـ ١٢. ٢. اعمال الرسل: ٤/ ١٩ و ٥/ ٢٩.

السلطنة التي كانت ذات ابعاد اخروية، الىٰ سلطنة استبدادية دنيوية علىٰ يد مَلك داعر.[1]

وما إن اعتنق قسطنطين قيصر الروم المسيحية في مطلع القرن الرابع الميلادي، حتىٰ أخذ نفوذ الكنيسة يتفاقم بالتدريج، وبدأ تدخّلها في السياسة يأخذ منحىً تصاعدياً. و في عام (٨٠٠م) توّج البابا زعيم المسيحيين شارلمان ملك فرنسا، فكانت هذه الخطوة مقدمة لتأسيس الامبراطورية الرومانية المقدسة. ومنذ ذلك الحين أصبح تدخّل رجال الكنيسة في السياسة أمراً علنياً. أعقبه اندلاع الحروب الصليبية وإنشاء محاكم التفتيش، واستمر ذلك التدخل حتىٰ عام (١٨٠٦م)، اذ اعلن فيه رسمياً عن إنهاء تدخّل الكنيسة في الشؤون السياسية.

وقد لقب زعماء الدين بلقب الاب خلافاً لوصية المسيح ﷺ، كما راج بينهم مناصب والقاب اخرىٰ، نظير الاسقف والقديس، وكان يطلق علىٰ اسقف مدينة روما باباس، والتي تعني «الاب» باليونانية، والبابا «pope» بالفرنسية.

وقد تولىٰ اكثر من ٢٦٠ بابا زعامة المسيحية الكاثوليكية، كما ظهر طول التاريخ بابا معارض عُرف بـ« antipope»، و كان البابا يتقلد سيفين في بعض الاوقات كدليل علىٰ زعامته الدينية والدنيوية، الىٰ جانب الصليب الذي يتقلده، في حين لم يحدثنا التاريخ قط ان ملكاً تقلد سيفين، وقد وجد في صفوف البابوات ـ كسائر الزعماء ـ الصلحاء والطلحاء، ففي عام ٨٩٦م أمر البابا **«اسطفانس السادس»** بنبش قبر البابا السابق **«فورموسوس»** الذي لم يمض علىٰ موته سوىٰ بضعة شهور واخراج جثته ووضعها علىٰ كرسي الاتهام ثم حُكم عليه، وقُطعت جثته إرباً إرباً، ورُمي بها في نهر تيبر الواقع في مدينة روما، وبعد مضي ايام قام راهب بجمعها ودفنها في التراب، كما ان ما قام به البابا **اسكندر السادس** (١٤٩٢ـ١٥٠٣) من فسق وفجور وجرائم بشعة مشهورة في

---

١. العقد الاجتماعي: الكتاب الرابع، الفصل الثامن.

التاريخ، وكل هذه الامور لاتستدعي ـ عند الكاثوليك ـ اطلاق عنوان البابا المعارض علىٰ البابوات الطالحين.

جدير بالذكر ان المنصب البابوي لايتحدد بزمن معين، فاذا توفي البابا يقوم كبار الاساقفة (الكردينالات) بعقد جلسات في الفاتيكان لانتخاب بابا جديد. ويتبادلون النظر فيما بينهم، فان اكتمل النصاب لانتخاب البابا يحرقون اوراق التصويت مع التبن في مداخن خاصة حتىٰ يتصاعد دخان ابيض ايذاناً بانتخاب بابا جديد، ثم يعقب ذلك ظهور احد الكردينالات امام الملأ في شرفة، ويقرأ هذه الجملة باللغة اللاتينية «Habemus Papam» وتعني لدينا بابا، ثم يقوم بتعريف البابا الجديد، عندئذ يخرج البابا المنتخب الىٰ الملأ ويقوم بتحيتهم، و ان لم يكتمل النصاب اللازم فانهم يحرقوناوراق التصويت مع العلف في مدخنة خاصة ليتصاعد دخان رصاصي كتعبيرعن عدم التوافق علىٰ بابا معين حتىٰ الان.

وكان البابوات منذ الف عام يغيرون اسمائهم عندما يتصدون لمنصب البابا، فقد أُطلق اسم يوحنا علىٰ ٢٣ من البابوات وبولس علىٰ ٦ منهم، ولما مات البابا **يوحنا الثالث والعشرون** عام ١٩٦٣م، حل محله البابا **بولس السادس**، وبعد وفاته عام ١٩٧٨م، تم انتخاب بابا يحمل ـ لاول مرة ـ اسماً مركباً هو **يوحنا بولس الاول**، كتعبير عن المضي علىٰ نهج سابقيه من البابوات، ولكنه ارتحل عن الدنيا بعد ٢٨ يوما وتم انتخاب الكارديىنال البولندي **كارل فيتيولا** «karol vojtyla» في السنة ذاتها، وقد سمىٰ نفسه **يوحنا بولس الثاني** احتراماً لاهداف البابوات الثلاثة الذين سبقوه، وكان من البابوات الذي نال نجاحاً منقطع النظير، اذ قام بجولات رسمية كثيرة قاربت المائة الىٰ بلدان مختلفة خلال ٢٧ سنة من تصديه لهذا المنصب، وهو أول بابا ينحدر من اصل غير ايطالي بعدما كان منصب البابا حكراً علىٰ الايطاليين الذين تناوبوا عليه منذ عام ١٥٢٢.

١ ـ ١٥. البابا والامبراطور

وقد رسم «يوستينيانس» الذي كان امبراطوراً للدولة البيزنطية (٥٢٧ ـ ٥٦٥م)، ملامح العلاقة بين الدين والدولة، بقوله:

> **الكنيسة والامبراطورية نعمتان كبيرتان، حبىٰ الله سبحانه بهما البشر، حيث تتصدىٰ الكنيسة للامور الاخروية، والامبراطورية للامور الدنيوية، وكل منهما يصدران عن معين واحد ولا تستقيم حياة البشر بدونهما، من هنا فليس لدىٰ الاباطرة ما هو أهم من احترام القساوسة الذين يدعون لهم بالتوفيق والنصرة دوماً، واذا خلت الكنيسة من نقص وعيب وواظبت الامبراطورية علىٰ العدل والانصاف، فسوف يجلب ذلك المزيد من الخير للرعية، لذا فمن الاجدر احترام الكنيسة ورعاية التربية الصحيحة التي تدور حول محور الله، لما في ذلك من فوائد جمة، يمنحنا اياها الله، ويثبت اقدامنا فيما بايدينا، ويزودنا بما يعوزنا، وكل هذه الامور تتحقق في ظل اطاعة قوانين الكنيسة المقدسة، لانها قوانين نقلها لنا رسل متقين، وأُمناء علىٰ كلمة الله، وشرحها آباؤنا المقدسون، وحفظوها لنا.** [١]

وقد طرأ علىٰ المنصب البابوي الضعف والهزال منذ الاعوام (٨٦٧ ـ ١٠٤٩) اي مايقرب ٢٠٠ سنة بنحو ان بعض البابوات قد تم تعيينهم لهذا المنصب من قبل فتاة تدعىٰ ماروزيا وهي من الاسر الغنية في اوروبا، التي كانت تختار ممن يقيم معها علاقات غير مشروعة، وفي ذلك العهد كانوا يرتكبون كل ما من شأنه نيل هذا المنصب من قتل ورشوة، بنحو ان بنديكتس التاسع اصبح بابا وهو في سن الثانية عشرة، وانغمس في حياة ماجنة غير طاهرة حتىٰ أطلق العديد من القساوسة علىٰ ذلك العهد بعهد الفسق والفجور.

وبعد اصلاح المنصب البابوي، راح النفوذ السياسي للبابوات يتفاقم علىٰ حساب نفوذ الملوك الذين اصبحوا في الهامش، واليك نص الرسالة التي بعثها البابا اينوسنت الثالث (١١٩٨ ـ ١٢١٦) جواباً لرسالة ملك بريطانيا، والتي تدل علىٰ نظرته الاستعلائية.

---

1. R. Schoel Corpus Luris Civilis VOI III , Novellae (Berlin ,1912) pp.35-36.

من اينوسنت اسقف وعبد عبيد الله الىٰ الابن المحبوب في المسيح جـون مـلك بريطانيا والىٰ ورثته القانونيين وابنائه الىٰ الابد.

سيظل ملك الملوك عيسىٰ المسيح ﷺ كاهن في رتبة ملك صدق الىٰ الابـد، وقد أسس ملكوته وكهانته في الكنيسة بنحو صار احدهما مملكة الكهنة والاخر كهنة الملوك، وقد عين الله الافضل وجعله خليفته علىٰ الارض كما بيّن ذلك موسىٰ في التوراة (سفر الخروج ١٩: ٦)، وبطرس في رسالته الاولىٰ (٢: ٥ ـ ١٠)، وعلىٰ هذا فكل ما في الارض والسماء انحنت لعيسىٰ،لذلك ينبغي علىٰ الجميع لاسيما الملوك اطاعة خليفته الذي لو أعرض عنهم لزالت شرعية ملكهم.

ابني المحبوب والعزيز، إعلم انك بذلت العناية بهذاالامر وعقَدت العزم علىٰ وضع نفسك ومملكتك من الناحية الدنيوية ـ إلهاماً من رحمانية الله الذي بـيده قلوب الملوك ويتصرف بها كيفما يشاء ـ بيد من علمت أنك ومـن اتـبعك، مـن رعاياه في المعنويات، وبذلك يتم اتحاد الملك والكهنة في شخص خليفة المسيح، مثل اتحاد الجسم والروح من أجل جلب المزيد من النفع والخير لبعضنا البعض، وقد قام عيسىٰ بعمل مدهش لما جعل الكنيسة الرومانية المقدسة معلماً مـناسباً للامور المعنوية، واليوم فاجعل الكنيسة حاكماً خاصاً عليك في الامور الدنيوية، لانك انتُخبت من قبل الله سبحانه خادماً لائقاً لتنفيذ هذه الاوامر، فأوصـيك انت ومملكتك بريطانيا وايرلندا وكافة توابعهما، بدفع الف مـارك سـنوياً الىٰ اللـه ورسله المقدسين بطرس وبولس والكنيسة الرومانية المقدسة والينا وخلفائنا من بعدنا عن اخلاص ورغبة، طبقا لما جاء في كتابك المذيل بخاتمك الذهبي ليكون ملكاً وحقاً لنا.[1]

و قد بحثت العـلوم السـياسية فـي أوروبـا فـي القـرون الوسـطىٰ عـن دور الكـنيسة الكاثوليكية الرومانية أو الامبراطورية الرومانية المقدسة، وعمّن يقدّم علىٰ الاخـر، و احتدم الجدل حولهما، فتوما الاكويني (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م) دافـع فـي كـتابه «**الخـلاصة**

---

1. W stubbs Select Charters(Oxford, Clarndon, 1885)

اللاهوتية» عن دور الكنيسة، في حين دافع **دانته أليـاري** (١٢٦٥ ـ ١٣٢١م) فـي كـتابه «**حول السلطنة**» عن المسيحية المتحدة تحت لواء الامبراطور والبابا.

٢ ـ ١٥. النزاع علىٰ منصب البابا

و في عام (١٣٠٩م) انتقل الكرسي البابوي من روما بإيطاليا إلىٰ مدينة افينيون بفرنسا إثر الضغوط التي مارسها الامبراطور فيليب الرابع، واستمر هذاالوضع حتىٰ عام (١٣٧٧م) أي مايقرب من سبعين عاماً، و أطلق علىٰ هذه الحقبة بالجلاء البابلي للبابوات، تشبيهاً لها بجلاء اليهود إلىٰ بابل في القرن السادس قبل الميلاد.

و لما أعيد الكرسي البابوي إلىٰ روما، عارض ذلك بابوات افينيون و أصرّوا عـلىٰ إبقائه في مدينتهم، فكان هذا الأمر بداية للانشقاق الكبير الذي برز عام (١٣٧٧م) و دام أربعين سنة، أي حتىٰ عام (١٤١٧م).

و في مطلع القرن الخامس عشر احتدم الصراع علىٰ الكرسي البابوي بين ثلاثة من البابوات، و هم: **غريغوريس الثانيعشر** بابا روما، ومعارضه **بنديكتس الثالث عشر** بابا أفينيون، و **يوحنا الثالث والعشرون** مرشّح الامبراطور، و بهذا واجهت الكـنيسة و فـي وقت واحد نزاعاً بينالبابوات المذكورين الذين ادّعىٰ كـل واحـد مـنهم أنّالحـقّ إلىٰ جانبه. ولأجل بحث هذه المسألة ومسائل أخرىٰ تمّ تشكيل **مجمع كونستانس** (١٤١٤ ـ ١٤١٨م) الذي تقرّر فيه عزل البابوات الثلاثة، وتعيين البابا **مرتينس الخـامس**، و بـهذا الإجراء وُضِعَ حدّ للانشقاق المذكور.

وقد نهض في هذه الدورة بابوات مقتدرون، مثل البابا **اسكندر الســادس** (١٤٩٢ ـ ١٥٠٣) الذي قدم خدمات جليلة للمسيحية ادت الىٰ انتشارها علىٰ الرغم مما اقـترفه من اعمال غير اخلاقية

٣ ـ ١٥. الحد من النفوذ السياسي للبابا

إنّ إحدىٰ أفجع الحوادث التي مُنيت بها الإنسانية في القرون الأخيرة، هـي صـيحات

الاعتراض التي رفعها رجال الكنيسة بوجه العلماء والمفكرين الغربيين في سعيهم الدؤوب نحو التقدم والرقيّ. هذا السلوك غير اللائق أساء إلىٰ الوجه المشرق للدين، و دفع بالناس إلىٰ إعلان رفضهم للكنيسة.

و علىٰ اثر تدخّل الكنيسة في الشؤون السياسية والاجتماعية، وصل علماء الغرب و مفكروهم إلىٰ هذه النتيجة، وهي انّ تدخّل الدين في السياسة يحقق المنافع لرجال الدين، ويجلب المضار للناس كافة. وقد نالت هذه الفكرة تأييداً واسعاً من قبل قطاعات كبيرة من الشعب الذي ضاق ذرعاً بالكنيسة وممارساتها، وخاض نضالاً فكرياً و مسلحاً ضدها، انتهىٰ إلىٰ التحرر من قيودها.

ففي القرن السادس عشر الميلادي بحث **نيكولا ماكيافيلي** (١٤٦٩ ـ ١٥٠٠م) في كتابه «**الامير**» المعايير اللازم توفّرها في الحاكم المقتدر، و أوصىٰ أصحاب النفوذ بضرورة طمس القيم الأخلاقية في سبيل الوصول إلىٰ الحكم، تطبيقاً لمبدأ: «**الغاية تبرّر الوسيلة**».

و في القرن السابع عشر، كتب **توماس هوبز** في كتابه «**لاوثيان**» أي التنين، يقول: لايجب الحد من صلاحية الحاكم و قدرته، لأنها نشأت من عقد اجتماعي، و بناءً علىٰ ذلك فإنّ من واجبات الحكومة توفير الأمن الاجتماعي و الاستجابة لمطالب الشعب. و أكّد جون لوك علىٰ هذا الموضوع بقوله: إذا تنصلت حكومة ما للوعود التي قطعتها علىٰ نفسها قبال الشعب فلابد من تنحيتها عن الحكم.

و في أواخر القرن الثامن عشر، و بعد سنوات من الهدوء، آل النفوذ السياسي للبابا إلىٰ الضعف، حيث عمد ملوك فرنسا و ايطاليا و بموافقة الرأي العام إلىٰ الاستيلاء بالقوة علىٰ قصور و أملاك البابا و مصادرتها، و بذلك قوّضوا النفوذ السياسي للكرسي البابوي، و أطاحوا به.

إنّ اخضاع البابوات لهذا الوضع لم يكن بالأمر الهيّن، ولهذا أعادت إيطاليا طبقاً

لقانون الضمانات الصادر في (١٨) أكتوبر عدداً من قصور البابا، ومنحته قدرة سياسية محدودة، إلّا أن البابا لم يوافق علىٰ القانون المذكور، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ قطع العلاقات الدبلوماسية بين الفاتيكان وإيطاليا، واستمرت القطيعة (٦٠) عاماً. وأخيراً وبعد محادثات طويلة استغرقت (٣) سنوات، تمّ عقد معاهدة لاتران (١١ شباط ١٩٢٩م)، الّتي حلّت فيها مسألة روما، وفي عام (١٩٨٤م) تمَ التوقيع علىٰ معاهدة جديدة بين الطرفين كبديلة عن معاهدة لاتران.

١٦. سائر الانظمة المسيحية

انقسمت الامبراطورية الرومانية منذ عام ٣٩٥م الىٰ غربية وعاصمتها روما، وشرقية وعاصمتها القسطنطينية،التي سقطت امام ضربات الخليفة العثماني محمد الفاتح عام ١٤٥٣م، وكانت الامبراطورية الشرقية خصما عنيدا للامبراطورية الغربية التي يتزعمها البابا، هذه المخاصمة انتهت بظهور الكنيسة الارثوذكسية عام ١٠٥٤م، ويدور محور النزاع مع الكنيسة الكاثوليكية حول مسالة الزعامة اذ لم ينصاع الارثوذكس لزعامة اسقف روما كزعامة موحدة للمسيحيين، بل اعتقدوا بتعدد الزعامات.

ويطلق علىٰ العلاقة القائمة بين الامبراطور البيزنطي والزعامة الدينية بـ«سمفونيا» (Symphonia) هذا النظام الذي تبلور علىٰ يد«**يوسبيوس**» من اهل قيصرية فوض الامبراطور صلاحيات واسعة تفوق صلاحيات الكنيسة.

وكانت العلاقة قائمة بين الدين والدولة في روسيا وكان القيصر يتسلم تاجه من الاسقف الاعظم في مراسم تتويج خاصة تقام في كنيسة «صعود» بموسكو.

واما الكنيسة الانجليزية فانها انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية عام ١٥٣٥م. برغبة من الملك هنري الثامن وبعض الاساقفة، واصبح الملك يتمتع بأعلىٰ سلطة دينية ودنيوية، وكان هنري الثامن مؤسس الكنيسة الانكليكانية ملكا واسقفا اعظما، ولكن خلفاءه فوضوا امر الزعامة الدينية الىٰ اسقف اخر انطلاقاً من سلطتهم الدينية العليا.

وقد احتدم الصراع إبان القرن السابع عشر بين اتباع السلطنة في انجلترا الذين يرون ان اعمال الملك لسلطته حق الهي واتباع المجلس الذين يرون ان اعماله لنفوذه السياسي ناشئ من ارادة الشعب.

هذا وتعتبر حكومة لوي الرابع عشر منذ سنة ١٦٤٣ وحتىٰ ١٧١٥ (اي ٧٢ عاما وهو أطول مدة حكم عرفها تاريخ اوروبا) نموذجاً جيداً لتمسك الملك بحقه الالهي التي كانت أحد عوامل قيام الثورة الفرنسية.

١٧. العهد الجديد

يتألّف الكتاب المقدّس من قسمين: **العهد القديم**، و **العهد الجديد**، و يرجع سبب هذه التسمية ـ حسب التصور المسيحي ـ إلىٰ أن الله تعالىٰ أخذ من الإنسان ميثاقين: أحدهما **الميثاق القديم**، و يعود إلىٰ الأنبياء قبل عيسىٰ المسيح عليه السلام، و قد بيّن فيه سبل النجاة من خلال الوعد و الوعيد و القانون و الشريعة، و الآخر **الميثاق الجديد** الذي بدأ بظهور المسيح عليه السلام، و بيّن فيه أن النجاة تكمن في المحبّة. و يعتقد المسيحيون أنّ الإله الابن تجلّىٰ بشكل إنسان مجسّم، تبنّىٰ خطايا البشر، و تحمّل الصلب تكفيراً لذنوبهم. هذه العقيدة ـ مع بُعدها عن العقل و المنطق ـ شكّلت أساس المسيحية. و في هذا الصدد نطالع في إنجيل يوحنّا:

> **(١٦) فإنّ الله أحبّ العالم حتىٰ أنه جاد بابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية (١٧) فإن الله لم يرسل ابنه إلىٰ العالم ليدين العالم بل ليخلّص به العالم.**[١]

إن القسم الذي تحدّث عن الميثاق القديم في الكتاب المقدس أُطلق عليه العهد القديم، أما القسم الذي تحدّث عن الميثاق الجديد، فأطلق عليه العهد الجديد.

و يعتبر العهد القديم ـ في الحقيقة ـ الكتاب السماوي لليهود، و يحظىٰ باحترام

---

١. يوحنّا: ٣/ ١٦ ـ ١٧.

المسيحيين، الذين جعلوه في بداية كتابهم المقدّس.

وتتلخص الرؤية المسيحية في ان الله اخذ من البشر عهدين مختلفين: العهد القديم الذي بلغه الانبياء قبل المسيح ﷺ عن طريق الوحي اللفظي بينما العهد الجديد بلغه المسيح ﷺ لا عن طريق اللفظ بل عن طريق جسمية بعد من ابعاد الالوهية وحضوره في اوساط الناس، وهنا يقول المسيحيون: حينما تم ابلاغ هذاالعهد قبل عشرين قرنا تجلىٰ الله بصورة البشر وحل في انسان هو عيسىٰ ﷺ وعلىٰ هذا الاساس فالتعبير الرائج بين النصارىٰ هو ان الكلمة صارت جسما وقد اشتق تعبير الكلمة في اللاهوت المسيحي من هذا المصطلح الفلسفي القديم.

وحسب عقيدة المسيحيين فان الهدف من تجسم الله للبشر لم يكن الحديث عن الشريعة والبحث في الحلال والحرام بل الهدف هوان الله بعد التجسم يكون قربانا لذنوب البشر وقد اصبحت هذه المسالة محور المسيحية كما دل علىٰ ذلك التاريخ.

ان الفرق بين العهد القديم والجديد هو ان العهد القديم يتضمن احكاما وشرايع وامرا ونهيا، أي يقول افعل ولاتفعل، وهذا جائز وذاك غير جائز، هذا اللحم حلال وذاك حرام وامثال ذلك، واما العهد الجديد فلم تطرح فيه هذه المسائل بل طرحت مسالة الاعتقاد بان الله ظهر للبشر بلباس انسان محبة بهم، وبعد تحمله لصنوف من العذاب والمصائب قتل صلباً من اجل غفران ذنوب البشر.

ويصر المسيحيون علىٰ عدم استعمال تعبير «الشهيد» و«الشهادة»ويقولون ان المسيح اصبح قربانا وفدىٰ نفسه لذنوب البشر، وقد اقتصر هذا التعبير علىٰ العديد من الحواريين مثل بطرس وبولس دون ان يشمل عيسى المسيح ﷺ.

وقد دُوّن العهد الجديد باللغة اليونانية، و تصدّرته أربعة أناجيل، و تعني كلمة **«الإنجيل»** اليونانية: البشرىٰ، أي البشرىٰ بقرب ملكوت السموات أو بالميثاق الجديد.

و يُعدّ العهد الجديد الذي يخلو من أسفار أبو كريفا موضع اتفاق جميع

المسيحيين، ثم أخذت هذه الأسفار تحظىٰ بالقبول تدريجياً خلال القرون الثلاثة الأولىٰ.

يُذكر أنّ عدد أسفار أبو كريفا العهد الجديد يفوق نظائرها في العهد القديم.

و قد تُرجم الكتاب المقدّس إلىٰ لغات كثيرة من قبل منظّمات عديدة أنشئت لهذا الغرض في جميع أنحاء العالم، منها جمعية الكتب المقدسة التي أُسست في لندن عام (١٨٠٤م)، و أنشأت لها فروعاً في أكثر الدول.

و يبلغ مجموع أسفار العهد القديم و العهد الجديد (٦٦) سِفْراً، منها (٣٩) سِفْراً تعود للعهد القديم (سبق الحديث عنها في اليهودية)، و (٢٧) سِفْراً تخصّ العهد الجديد، الذي يمكن تقسيمه موضوعياً إلىٰ أربعة أقسام:

١. **الأناجيل.**

٢. **أعمال الرسل.**

٣. **رسائل الرسل.**

٤. **الرؤيا و المكاشفة.**

١ ـ ١٧. الأَناجيل

أقدمت نخبة كبيرة من تلاميذ و حوارييّ عيسىٰ عليه السلام علىٰ تدوين سيرته و دعوته، و أُطلق علىٰ مدوّناتهم فيما بعد اسم الأناجيل. و قد نالت أربعة منها اعترافاً رسمياً، و هُجرت بقية الأناجيل.[١] و الأناجيل المعتمدة، هي:

١. **إنجيل متّىٰ** (يستعرض سيرة و مواعظ المسيح مع الإشارة إلىٰ تنبؤات العهد القديم).

٢. **إنجيل مرقس** (و هو أقدم و أوجز سِفْر لمواعظ المسيح و سيرته)

---

١. لم يعترف المسيحيون بإنجيل برنابا ـ الذي حاز اهتمام المسلمين، و فيه بشارات عديدة بظهور الرسول الخاتم ﷺ ـ و اعتبروه إنجيلا مجعولاً. قد ورد اسم إنجيل برنابا في الفهرس الذي نشره البابا جلاسيوس الأول قبل بعثة النبي محمد ﷺ، لكن المسيحيين يزعمون أن الإنجيل المذكور قد فُقد ولا صلة له بإنجيل برنابا الحالي. و يوجد لدىٰ المسيحيين أيضاً مكتوب حظي باحترامهم، يُعرف برسالة برنابا. تجدر الإشارة إلىٰ أنّ الرسالة المذكورة هي غير إنجيل برنابا.

٣. **إنجيل لوقا** (يستعرض سيرة و مواعظ المسيح استناداً إلىٰ شهود عيان).

٤. **إنجيل يوحنّا** (و هو أحدث سِفْر لمواعظ المسيح و سيرته، و فيه تأكيد علىٰ ألوهيته).

يُذكر أن مصنّفي الإنجيليْن الأول و الرابع كانا من حواريـيّ عيسىٰ عليه السلام، و مصنفي الإنجيليْن الثاني و الثالث كانا من حواريِيّ حواريّيه عليه السلام، و هم أشبه بالتابعين.

و يغلب علىٰ الأناجيل الثلاثة الأولىٰ طابع الانسجام فيما بينها و تسمّىٰ بالاناجيل الإزائية.

٢ ـ ١٧. أعمال الرسل

دوّنت في القرن الأول كتب كثيرة عن سيرة رسل المسيح عليه السلام، إلّا أنه لم يُقَرّ إلّا واحد منها، عُرف بسِفْر أعمال الرسل الذي دوّنه لوقا مؤلف ثالث الأناجيل حول سيرة الرسل لاسيما بولس.

٣ ـ ١٧. رسائل الرسل

اكتسبت الرسائل التي وجّهها بعض رسل المسيح إلىٰ المجتمعات و الأفراد علىٰ أهمية بالغة، ثمّ أخذت شيئاً فشيئاً طريقها إلىٰ العهد الجديد الذي ضمّ (٢١) رسالة، منها (١٣) رسالة لبولس و فيها الإشارة إلىٰ مواعظه و نقاشاته و سجالاته، و رسالة واحدة لمجهول، و رسالة أخرىٰ ليعقوب الذي كان كثير الانتقاد لبولس، و نُسبت بقية الرسائل إلىٰ بطرس و يوحنا و يهوذا و إليك عناوين جميع الرسائل التي اشتمل عليها هذا القسم:

١. رسالة بولس إلىٰ أهل روما.

٢. رسالة بولس الأولىٰ إلىٰ أهل قورنتوس.

٣. رسالة بولس الثانية إلىٰ أهل قورنتوس.

٤. رسالة بولس إلىٰ أهل غلاطية.

٥. رسالة بولس إلىٰ أهل أفسوس.

٦. رسالة بولس إلىٰ أهل فيلبّي.

٧. رسالة بولس إلىٰ أهل كولوس.

٨. رسالة بولس الأولىٰ إلىٰ أهل تسّالونيقي.

٩. رسالة بولس الثانية إلىٰ أهل تسّالونيقي.

١٠. رسالة بولس الأولى إلىٰ تيموثاوس.

١١. رسالة بولس الثانية إلىٰ تيموثاوس.

١٢. رسالة بولس إلىٰ تيطس.

١٣. رسالة بولس إلىٰ فيليمون.

١٤. رسالة إلىٰ العبرانيين.

١٥. رسالة يعقوب (إلىٰ المسيحيين كافّة).

١٦. رسالة بطرس الأولىٰ (إلىٰ المسيحيين كافّة).

١٧. رسالة بطرس الثانية (إلىٰ المسيحيين كافّة).

١٨. رسالة يوحنّا الأولىٰ (إلىٰ المسيحيين كافّة).

١٩. رسالة يوحنّا الثانية (إلىٰ المسيحيين كافّة).

٢٠. رسالة يوحنّا الثالثة (إلىٰ المسيحيين كافّة).

٢١. رسالة يهوذا (إلىٰ المسيحيين كافّة).

٤ ـ ١٧. الرؤيا و المكاشفة

راجت قبل ظهور المسيح عليه السلام كتب مكاشفات عديدة في أوساط اليهود، و أبرز نموذج لها هو سِفْر دانيال في العهد القديم، و قد دوّن المسيحيون أسفاراً في شكل رؤيا أو كشف إلىٰ جانب صياغة سِفْر الرؤيا في العهد القديم بنحو ينسجم مع أهدافهم.

واستأثرت رؤيا يوحنّا التي جاءت في آخر العهد الجديد باهتمام واسع، وجرى التقليد المسيحي علىٰ الاعتقاد بأنّ يوحنّا الذي هو أصغر حواريي عيسىٰ عليه السلام سنّاً، قد فصّل و شرح رؤياه و ختمها بانتصار المسيحية علىٰ قوىٰ الشرّ.

و يشتمل هذا القسم علىٰ سِفْر واحد، هو رؤيا يوحنّا اللاهوتي.

١٨. مكانة الكتاب المقدس

يمكن البحث في مكانة الكتاب المقدس من خلال رؤيتين:

١. رؤية أهل الكتاب؛

٢. رؤية المفكّرين.

وتختلف رؤية المسلمين في هذا الباب عن الرؤيتين السابقتين وهذا ما سنتناوله في الفصل العاشر.

١ ـ ١٨. رؤية أهل الكتاب

حظي الكتاب المقدس بعهديه القديم و الجديد بتقديس المسيحيين، و أطلقوا عليه أسماءً و ألقاباً ـ من قبيل كتاب الله أو الوحي ـ لا تُطلق إلّا علىٰ كتاب سماويّ.

و في هذا الصدد، كتب العالم المعاصر توماس ميشال اليسوعي يقول:

يعتقد المسيحيون أنّ أسفار الكتاب المقدس كتبها الله بواسطة مؤلفين من البشر، و عليه فإنهم يقولون بأن للأسفار المقدّسة مؤلِّفا إلٰهياً و مؤلِّفا بشرياً.

أو بعبارة أخرىٰ: يعتقد المسيحيون أنّ الله ألّف الكتاب المقدس بواسطة إلهامات روح القدس، دافعاً المؤلفين البشر إلىٰ الكتابة، و موفّراً لهم العون في الكتابة، بحيث عبّروا عن كل ما عناه الله دون سواه.

و يلاحظ المسلمون أنّ المسيحيين يخالفون في ذلك موقف الإسلام، فالله في المعتقد المسيحي هو المؤلف الأخير للكتاب المقدس، إلّا أنه ألّفه من خلال مؤلّف بشري كان عاملاً له تعالىٰ، و هذا المؤلّف البشري هو إنسان عاش في عصر معيّن، و طُبع بطابعه، وقُيِّد بحدود المعرفة و اللغة التي تُقيِّد سائر الآدميين. و المسيحيون علىٰ وجه الإجمال لا يقولون بأن الله أملىٰ الكتب المقدّسة علىٰ المؤلّف البشري، بل إنه أتاح له أن يعبّر عن الرسالة الإلٰهية بطرقه الخاصة، وفنونه الأدبية الخاصة وأسلوبه الشخصي.[١]

---

١. مدخل إلىٰ العقيدة المسيحية: توماس ميشال اليسوعي: ١٨، دار المشرق، بيروت، ط ١٩٩٢م.

يعتقد اليهود والمسيحيون أنّ التوراة من تأليف موسىٰ عليه السلام، وأنّ أسفار الأنبياء التي ورد ذكرها في العهد القديم بأسمائهم، هي من تأليفاتهم.

ويؤمن المسيحيون أيضا بأنّ الأناجيل الأربعة قد دوّنت بعد سنوات من مضي عيسى عليه السلام وأن كتاب الله أطلق منذ ظهور المسيحية علىٰ أسفار العهد القديم فحسب، ولكن أسفار العهد الجديد تغلغلت إلىٰ المجامع المسيحية شيئاً فشيئاً، و اكتسبت صبغة إلهية.

ويذهب المسيحيون قاطبة إلىٰ أنّ الأناجيل الحاضرة التي تتناول سيرة المسيح عليه السلام و كلماته هي من تدوين متّىٰ ومرقس ولوقا ويوحنّا. جاء في مطلع إنجيل لوقا:

(١) لما أن أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأمور التي تمت عندنا (٢) كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا عاملين لها(٣) رأيت أنا أيضا، وقد تقصيتها جميعاً من أصولها، أن أكتبها لك مرتبة يا تاوفيلس المكرّم (٤) لتتيقّن صحّة ما تلقيت من تعليم.[١]

جدير بالذكر إنّ الأناجيل الحالية تناولت كلمات عيسىٰ عليه السلام دون أن تنسب ما جاء فيها من معارف وحكم إلىٰ الوحي، خلافا للتوراة الحالية التي نسبت بعض نصوصها إلىٰ الوحي، إلىٰ جانب استعراضها لسيرة موسىٰ عليه السلام وكلماته.

ويبدو جلياً أن الذكر الحكيم نصّ صراحة علىٰ أن الإنجيل الحقيقي نزل علىٰ عيسى عليه السلام[٢] و هو لايشبه سائر الأناجيل البتة.

ويتّضح تاريخياً أنّ المسيحيين لم يكونوا يعتقدون بأنّ لعيسىٰ عليه السلام كتاباً، بل أن الأناجيل تمحّضت لبيان سيرته وكلماته فحسب،[٣] وفي هذا الصدد كتب توماس ميشال، يقول:

---

١. لوقا: ١ / ١ ـ ٤.

٢. آل عمران، ٣ـ ٤؛ المائدة، ٤٦ـ٤٧؛ مريم، ٣٠؛ الحديد، ٢٧.

٣. خلافا للمسلمين الذين يعتقدون بأن النبي صلى الله عليه وآله مبين للقرآن الكريم.

و قد سبق الأناجيل المكتوبة تقليد شفهي، فيسوع مات بحسب المعتقد المسيحي حوالي السنة (٣٠)، وأتباعه الذين عرفوه وشاهدوا أعماله، وسمعوا أقواله، حفظوا ما تذكروه عن يسوع، ولمّا أخذ المسيحيون الأوائل يجتمعون للصلاة، استعادوا في حلقاتهم روايات تلك الأعمال والأقوال، و راحت هذه الروايات تتبلور و تزداد حجما. [1]

إنّ عدم وجود كتاب لعيسىٰ عليه السلام لا يذكر صراحة في أي موضع، لوضوح هذه المسألة عند المسيحيين، و لا يخطر ببال المسيحي قطّ أنّ له عليه السلام كتابا، بل هم يصرّون علىٰ إنكار ذلك أحياناً عند حواراتهم مع المسلمين. يقول توماس ميشال:

إنّ المسيحيين لا يدّعون البتة أنّ يسوع حمل كتابا هو الإنجيل. فيسوع في رأيهم لم ينقل وحياً علىٰ نحو ما نقل محمد القرآن في رأي المسلمين، بل يعتقد المسيحيون بأن يسوع نفسه هو تجسّد وحي الله للبشرية، ولا يحمل رسالة، بل أنه هو الرسالة ونتيجة لذلك لا نبتغي إنجيلاً خطّه يسوع بيده أو أملاه علىٰ أحد تلاميذه. ولمّا كان المسيحيون يؤمنون بأنّ يسوع هو تجسيد لكلمة الله أو رسالته، فإنهم يعتقدون بأنّ الأناجيل هي ثمرة جهود تلاميذه الملهمة لإعلان إيمانهم بالمسيح ولبيان ما يعنيه هذا الإيمان لجماعة أتباعه. كل من الأناجيل الأربعة يؤدّي شهادة خاصة به، مميّزة للمسيح، وفي حين يختلف بعضها عن بعض بوجهة النظر والتفاصيل، فجميعها متفق جوهرياً في شأن هوية يسوع وماهية رسالة الله إلىٰ أتباعه بواسطته. وعليه فالمسيحيون لا يختارون إنجيلاً فيتبعوه بمعزل عن الأناجيل الأخرى، لأنّ إيمانهم مبني علىٰ التعاليم الأربعة معاً ويهتدي بهديها. وهم يعتقدون بأنّ إيمانهم غير كامل إن هم تخلوا عن أيٍّ من هذه الأناجيل. و هذا مايقودنا إلىٰ أمر ثان يعكس هو أيضاً الفرق بين المفهومين المسيحي و الاسلامي للوحي. فالمسيحيون يعترفون بأربعة أناجيل، وبأربعة فقط، ويقرّون بأن هذه الأربعة هي الصحيحة دون سواها، لأن الجماعة المسيحية الأولى اعتبرتها آتية من لدن الله. ومن الثابت أنّ الإيمان المسيحي مبني علىٰ إيمان الرسل الحواريين، والمسيحيون الأوائل آمنوا بأن روح الله وفّر الهداية لجماعتهم، أي للكنيسة.

---

١. مدخل إلىٰ العقيدة المسيحية: ٣٤.

ومن ذلك نفهم أن الله كان يهدي الجماعة و يلهمها بواسطة روح القدس طوال السنين الثلاثين المصيرية (٣٠ ـ ٦٠) التي لم يكن فيها أناجيل مكتوبة، بل كانت أقوال يسوع وأفعاله تنقل مشافهة، والروح بذاته ألهم الإنجيليين الأربعة فكتبوا أناجيلهم، وأودعوها مااختاروا من أقوال يسوع و أفعاله الكثيرة، و ممّا حققه الروح نفسه بنوع خاص أنه كوّن و هدى نظره الإنجيليين اللاهوتية في شأن مايريد الله أن ينقله إلىٰ البشرية من خلال حياة يسوع وموته وقيامته.

وأخيراً و بهدي من الروح نفسه اعترفت الجماعة المسيحية الأولى، من بين كتابات مسيحية كثيرة بـ (٢٧) كتاباً بما فيها الأناجيل الأربعة، وقررت بأنها حررت بإلهام من الله، و سُمّيت هذه الأسفار كتب العهد الجديد، وهي المرجع الأساسي الجازم للإيمان المسيحي علىٰ مدى الأزمان. و مثل هذا المفهوم للعلاقة بين الكتب المقدسة و الوحي، يختلف عن مفهوم الإسلام لها. فالمسلمون يؤمنون بأن الله أرسل محمداً وأوحى إليه القرآن، وأنّ الأُمة الاسلامية تكوّنت بموجب تعاليم القرآن، أما المسيحيون فيقولون بأن الجماعة المسيحية انتجت و كوّنت بهدي من روح الله، إقرارها الخاص بإيمانها، و كتبها التي تشير إلىٰ وحي الله في يسوع، و علىٰ النحو ذاته، فإن الجماعة هي التي قررت أنّ كتبها المقدسة هي كتاب اليهود المقدس والأسفار السبعة والعشرون المذكورة دون سواها. أما كيف تمّ هذا التحديد، فبنوع من الإجماع، وقد حصل هذا الإجماع باكراً إذ ظهرت أولى لوائح الأسفار الكتابية بين السنة (١٥٠) والسنة (٢٠٠). وبعد عدّة قرون حددت الكنائس تحديداً رسمياً كما فعلت الكنيسة الكاثوليكية في المجمع التريدنتينيّ عام (١٥٤٦م) أي الأسفار تعتبر من أسفار الكتاب المقدّس، إلاّ أنّ تلك القرارات المتأخرة لم تكن سوى تأكيد لما بات اعتقاد المسيحين التقليدي).[١]

إنّ عقيدة أهل الكتاب بالكتب السماوية جاءت بالنحو الذي ذكرها القرآن الكريم:

﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ

١. مدخل إلىٰ العقيدة المسيحية: ٣٩ ـ ٤١.

قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[1]

و قد فسّرت الآية المذكورة في كتاب «التفسير الأمثل» مع أخذ وجهة نظر أهل الكتاب حول التوراة والإنجيل.

٢ ـ ١٨. رؤية المفكّرين

قطعت العلوم الحديثة كل صلة لها بالأديان. فلم يعد الإيمان بما وراء الطبيعة يتمتّع بمنزلة رفيعة في العلوم المختلفة كالتاريخ والاجتماع وعلم الآثار. ويرى العلماء الغربيون أن الكتاب المقدس أثر قديم له جذور تاريخية عميقة، و أنّه أُلّف علىٰ يد البشر، و ذهبوا أيضاً إلىٰ أنّ العلاقة بين الإنسان و خالقه لاتنضوي تحت أيّة مقولة من المقولات العلمية، و أنه من العسير إثبات المعجزة بالعلم. من هنا ساورتهم الشكوك حيال المفاهيم الدينية و الوجود التاريخي للأنبياء، إذ لم تفصح عنهم المصادر التاريخية المستقلة.

و يذهب العلماء إلىٰ أنّ العهد القديم يرجع إلىٰ (٢٥٠٠) سنة، والعهد الجديد إلىٰ (١٩٠٠) سنة، وهو قريب من تاريخ الكنيسة التقليدي.

١٩. العقائد

يعني المسيحيون بعلم اللاهوت (أو اللاهوت اختصاراً) سائر مظاهر اجتهاداتهم الفكرية لفهم إيمانهم. و يؤكّد اللاهوتيون الأرثوذكس علىٰ أنهم لايعرفون عن الله عزّوجلّ إلّا ما أوحاه لهم هو نفسه. وعليه فعلم اللاهوت علىٰ وجه الدقة: (علم الوحي)، وهو يشمل لدى المسيحيين مجالاً من الدراسات الدينية أوسع من مجال الكلام في الاتجاه الإسلامي.

---

١. الأنعام، ٩١.

و من جملة الامور التي تدخل في حدود البحث عن الإلهيات الموضوعات التالية:

ـ الدراسات المر تبطة بتعليم الكتاب المقدس.

ـ الاجتهادات لفهم مجموع الحقائق في ضوء التعاليم المسيحية.

ـ التطورات التاريخية في صيغ التعبير عن الإيمان المسيحي علىٰ مر العصور.

ـ صيانة ما نعرفه عن الله بواسطة العقل وحده.

ـ تبيان معنى القداسة المسيحية وطرق الوصول اليها.

ـ مبادىء الأخلاقيات، وتطبيق التعاليم المسيحية عملياً في حياة المسيحيين.

إنّ المسيحية تحاول أن تنأى بنفسها عن وصمة الشرك، وإذا ما وجدت عبارات لا تليق بالذات الإلهية المقدسة في مصادرهم الدينية القديمة كالتوراة والإنجيل، فإنهم يحاولون تبريرها أو صرف الألفاظ عن معانيها الظاهرة.

يشار إلىٰ أنّنا نواجه شحّة في الألفاظ عند الحديث عن الله و ماوراء الطبيعة، الأمر الذي لايمكن معه مؤاخذة تلك الكتب، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنّ هذه الكتب لما كانت من تأليف البشر، فأننا نحن ـ المسلمين ـ غير معنيين بتبرير عباراتها، وما علىٰ المسلم إلا أن يسلك طريق الإنصاف في تعامله مع أهل الكتاب لاسيما وأن القرآن الكريم قد أكدّ علىٰ ذلك. وأمرنا بمجادلتهم بالتي هي أحسن.[1]

كما تنبغي الإشارة إلىٰ أنّ ثمّة عبارات مماثلة وردت في القرآن الكريم (كنسبة المكر والكيد والانتقام) إلىٰ الله سبحانه و تعالىٰ، مع هذا الفارق، وهو أن هذه العبارات صادرة عن الله سبحانه، و لهذا فإن الواجب الشرعي والعقلي للمسلمين يحتم عليهم تبريرها وتفسيرها بنحو يليق به سبحانه، في حين يعتقد أهل الكتاب أنّ العبارات الواردة في كتابهم السماوي صادرة عن بشر ضعيف، كثير الزلاّت والهفوات، و علىٰ الرغم من هذا الاعتقاد فإنهم لم يهملوها، بل بذلوا الوسع في سبيل تبريرها وحلّ رموزها.

ويشتمل الميراث الديني لأهل الكتاب علىٰ بعض المسائل العرفانية الدقيقة، و من

---

١. العنكبوت، ٤٦.

أروعها اللاهوت السلبي (Apophatic Theology) الذي يسعىٰ جاهداً إلىٰ سلب الصفات البشرية عن الله المتعال، حتّىٰ بلغ به الأمر إلىٰ القول بأن الله ينبغي أن ينزّه عن اطلاق كلمات مثل (وجود) و (موجود) في حقه، علىٰ الرغم من وجوده القطعي.

ونحن كمسلمين نرحب بكل الجهود المبذولة لتنزيه الله سبحانه، ونعتبرها من الشروط اللازمة لفتح باب الحوار مع أهل الكتاب والتعاون معهم.

١ ـ ١٩. الخلفيات

ورد في القرآن الكريم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [١]

لاحظ المفكرون الغربيون في القرون الأخيرة أنّ ثمّة تشابهاً عجيباً بين المسيحية و الأديان الهندية، و رأوا أنّ كثيراً من عقائد المسيحية كالتثليث والفداء وقصة الصلب هي بعينها موجودة في الأديان الوثنية دون أن يكون لها جذور تاريخية في عقائد بني إسرائيل.

و ممّا زاد في حيرتهم و دهشتهم أنهم عثروا علىٰ جمل في الإنجيل تشبه إلىٰ حد كبير جملاً في كتب الهندوس والبوذيين، كما أنّ بعض الألقاب التي أطلقت علىٰ المسيح مثل حمل الله، وابن الله، والفادي وغيرها كانت تطلق علىٰ غيره في تلك الأديان.

وعلىٰ ضوء ذلك أكّدوا هذه الحقيقة، وهي أن العقائد والاصطلاحات المسيحية في هذا الباب قد اقتبست من أديان أخرى، باعتبار أنّ جذورها التاريخية أقدم من المسيحية بمراحل.

و قد اكتشفت عام (١٩٤٧م) طوامير في صحاري فلسطين وفي مغارات ساحل البحر الميّت، أدّت إلىٰ نشوء حركة فكرية حول المسيحية، فقد اشتملت تلك الطوامير علىٰ مقاطع من الكتاب المقدس والتفاسير والأدعية يعود تاريخها إلىٰ ماقبل (٢٠٠٠) سنة، أي إلىٰ عصر المسيح عليه السلام تقريباً.

---

١. التوبة، ٣٠.

و قد ذهب العلماء بعد مطالعة تلك الطوامير إلىٰ أنّها تتعلق بفرقة الأسينيين ـ التي مرت الإشارة إليها في مبحث اليهودية ـ الذين غلبت عليهم حياة التصحر، و راجت بينهم أفكار عرفانية، واستبدّ بهم الشوق لرؤية مسيح بني إسرائيل، و قد أودعوا كتبهم في جرار، و أخفوها في مغارات بالقرب من البحر الميّت ثم جُهل مصيرها و انقطعت أخبارها.

إنّ كشف هذه الطوامير انعكس بشكل عجيب علىٰ المحافل العلمية في العالم لاسيما بعد أن أثبتت التجارب أنها صحيحة و معتبرة وليست مزيفة كما تصور ذلك بعضهم في بداية الأمر.

قال بعض العلماء: إنّ الطوامير المكتشفة ستغيّر رؤيتنا العلمية تجاه المسيح عليه السلام و بداية المسيحية.

و قد أُلّف العديد من الكتب حول تلك الطوامير، من بينها كتاب «**مفهوم طوامير البحر الميّت**» لعالم مسيحي متفتح الذهن هو أ. **باول. ديفيس**، وهو كتاب جدير بالاهتمام. ومما جاء فيه بعد تحليل دقيق لما تضمنته تلك الطوامير:

> **إنّ اعتقاد أي مسيحي بالمسيحية يتلخّص في أنّ المسيح بشّر بها، ومات كمسيح و منقذ، ثمّ نهض من بين الأموات، و أسس الكنيسة المسيحية التي انتشرت بجهود حوارييه في أرجاء العالم، وأنّه عليه السلام كان يهودياً ورث السنن و الثقافة اليهودية و يعتقد المسيحي أيضاً أن الرسل كانت لهم مدوّنات من بشارة عيسىٰ عليه السلام، و قاموا بنشر تعاليمه، و يقول بأنهم و بسبب صحبتهم لعيسىٰ عليه السلام و ماشاهدوه و ماسمعوه منه وما اكتسبوه من تجارب شخصية قد آمنوا بأنه كان المنقذ و رب البشر و ابن الله. و علىٰ أية حال، فمعتقدات أي مسيحي لاتتجاوز هذا المقدار، دون أن يخطر بباله أبداً أن معظم معتقداته كانت رائجة قبل المسيحية، أو أن كثيراً من أصولها لايوجد في الكتاب المقدس.**
>
> **هذا الشي يجهله عامة المسيحيين تماماً، أما العلماء منهم فهم يعلمون أنّ الوثنيين في عصر المسيح عليه السلام و مابعده كانت لديهم آلهة يعبدونها، و أنّ أسماءها جاءت بعينها في العقيدة المسيحية، فميترا كانت منقذة للبشرية، و كذلك تموز و أدونيس و أوزوريس.**

إنّ إطلاق الفادي علىٰ المسيح ﷺ والتي تسرّبت أخيراً إلىٰ المسيحية لم تكن عقيدة يهودية، ولم يؤمن بها المسيحيون الأوائل الذين عاشوا في فلسطين.

إنّ المسيح الذي كان ينتظره اليهود و النصارى القدامىٰ ليس هو ابن الله، و إنما هو نبي مبعوث من قبل الله تعالى، و لم يكن من المقرر أن يُقتل تكفيراً عن خطايا البشر، بل كان من المقرر أن يؤسس حكومة علىٰ الأرض ينقذ بها البشر، و لم يتطلع المسيحيون القدماء إلىٰ عيسى ﷺ باعتباره منقذاً يمنحهم الإذن بالدخول إلىٰ السموات، بل باعتباره مؤسساً لنظام سياسي جديد علىٰ الأرض، وهذا هو غاية آمالهم.

و قد راجت العقيدة المسيحية في أوساط الوثنيين حينما نادت بعيسىٰ ﷺ كإله منقذ. و هذه العقيدة توائم تماماً ماسبقها من أديان خرافية لاسيما ديانة ميترا. فكما يحتفل في (٢٥) كانون الأول (الانقلاب الشتوي) بذكرى مولد ميترا، فإن المسيحيين يحتفلون فيه بذكرى مولد المسيح ﷺ، و حتى يوم السبت الذي هو سابع الأيام لدى اليهود و الذي حظي في شريعة موسىٰ (التوراة) بتقديس الله سبحانه، قد تمّ استبداله بيوم الأحد نتيجة التأثر بالأفكار الميترائية التي تذهب إلىٰ اعتبار اليوم الأول (الأحد) يوم الشمس الفاتح. و في زمن انتشار المسيحية لم يبق صقع في حوض البحر المتوسط إلّا و راج فيه التفكير بالأم العذراء وابنها الذي قتل تكفيراً عن خطايا البشر، واقتبس بأسلوب ماهر من أسطورة الهة الأرض العذراء ونجلها فاكهة الأرض الذي يخرج إلىٰ الدنيا لكي يموت ثم يتحول في التراب إلىٰ بذر للفاكهة القادمة، و تبدأ عندها دورة جديدة.

إنّ اختلاف الفصول علىٰ الأرض يرتبط باختلاف يماثله في السماء، ذلك أن آلهة برج السنبلة العذراء التي يقترن طلوعها بمرور نجم شعراء اليماني من المشرق معلناً عن ولادة جديدة للشمس،.... و بهذا النحو تفاعلت أسطورة الأرض مع أسطورة السماء، و تفاعلا معاً بحكايات الأبطال الأسطوريين في التاريخ الأثري لتنبثق منها أسطورة البطل الفادي. و زعم أن الكهف الذي ولد فيه عيسىٰ ﷺ هو نفسه الذي ولد فيه حوروس، ذلك الإله الذي ذهب ضحية روح

الشر، فغشي أمه إيزيس حزن عميق، وقد زخرت الأديان القديمة بأسطورة الفداء و الفادي، و أسهب في شرحها المؤلفون أمثال: فريزر في كتابه الغصن الذهبي (The GoIden Bough)، و غيلبر موري الأستاذ المتخصص في اداب اليونان والرومان.

و في المسيحية طقوس غلب عليها الطابع المسيحي علىٰ الرغم من اقتباسها من أديان قديمة، فالعشاء الرباني مثلاً اقتبس من ديانة ميترا ثمّ دمج بالعشاء المسيحي الفلسطيني. و لم يقتصر الأمر علىٰ هذا الجانب، بل جاوزه إلىٰ اقتباس مجموعة من العقائد كتقديس دم الحمل (او الثور) من عقائد ديانة ميترا، واقتباس مجموعة من التعاليم الأخلاقية من أقوام وثنية اعتنقت المسيحية، و من تعاليم الرواقيين. فالمسيحية كدين ليست بعيدة في أسسها عن العقائد الوثنية وهناك تشابه كبير بينهما في كثير من الوجوه. يذكر أنه من النادر إطلاق لقب المعلم علىٰ عيسىٰ ﷺ، واشتهر بألقاب أخرى كالمسيح، و المخلص، و الرب.[1]

ثم يضيف مؤلف الكتاب قائلاً:

إنّ ثمّة عاملاً رئيسياً رجح كفة الاعتقاد بالمسيح الفادي عند المسيحية علىٰ سائر الأديان التي تؤمن بالفداء، وهو بولس، ذلك القديس اليهودي الذي ظهرت براعته في التوفيق بين المسيحية والوثنية التي كان علىٰ دراية تامّة بها. وهو أول من احتضن فكره توثيق الصلة بين إسرائيل و معبد أثينا، معبد اورشليم بمذبح ميترا، ويهوه إله الإسينيين بالإله المجهول لتل أورباغوس.

وقد ألّف علماء الغرب العديد من الكتب في هذا الصدد، وجاءت خلاصة مباحثهم في كتاب «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» لمحمد طاهر التنير، وضم الكتاب العديد من الصور، منها صورة تمثال من تماثيل الديانة الهندية، له رؤوس ثلاثة كرمز للتثليث. و أطلق علىٰ عيسىٰ ﷺ لقب الكلمة (Logos) الذي استل من فلسفة اليونان القديمة،

---

1. Davies, A.poweII, The Meaning of the Dead Sea Scorlls: New york, New American Library, 1956, pp. 89 - 91.

ويؤمن المسيحيون ـ استناداً إلىٰ إنجيل يوحنّا خاصة ـ بان يسوع انسان تحيا فيه كلمة الله: هذه الرسالة الأزلية التي بها خلق الله الحكيم كل شيء، «نصبت خيمتها» بين البشر، متجسّدة في يسوع الانسان، بيسوع عاشت الرسالة الأزلية في إنسان يعمل لتحصيل لقمة العيش و يأكل و يشرب، له اصدقاء و اقارب، يتألّم و يموت.

٢ ـ ١٩. الإله، الرب، و ابن الله

تطلق كلمة «الإله» في الاسلام علىٰ نطاق محدود لاتعرفه سائر الأديان، مثلاً ورد في التوراة الحالية:

فقال الرب لموسىٰ انظر قد جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك. [١]

و ما ذكرناه يختص بلفظ (الإله)، أما الرب فهو أعم من الخالق و المخلوق، و لذا أطلقه يوسف عليه السلام علىٰ ملك مصر ﴿يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾.[٢] فهو بمعنى مولى، ومالك.

و قد أطلق (ابن الله) في الأديان المختلفة علىٰ الأنبياء والصالحين، ونطالع في هذا الصدد ماجاء في حق سليمان عليه السلام: «**لأني إياه اخترت لي ابناً وأنا أكون له أباً**».[٣]

و نقرأ عن بني إسرائيل: «**قال الرب: إسرائيل هو ابني البكر**».[٤]

و تكرّر استعمال هذا الاصطلاح في الأناجيل الأربعة، وسائر أسفار العهد الجديد، كالنص التالي المنقول عن عيسىٰ عليه السلام:

(٤٤) أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم وصلّوا من أجل مضطهديكم (٤٥) لتصيروا بني أبيكم الذي في السماوات، لأنه يطلع شمسه علىٰ الأشرار والأخيار، وينزل المطر على الأبرار والفجّار. [٥]

---

١. الخروج: ٧ / ١.
٢. يوسف، ٤١، ٤٢.
٣. سِفْر الأخبار الأول: ٢٨ / ٦.
٤. الخروج: ٤ / ٢٢.
٥. متّىٰ: ٥ / ٤٤ ـ ٤٥.

ويقول يوحنّا، مصنّف الإنجيل الرابع عن حواريي عيسىٰ عليه السلام:

«أما الذين قبلوه، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم أن يصيروا أبناء الله».[١]

ونقرأ أيضاً في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ... ﴾[٢،٣]

إنّ الاسلام مع قبوله لبعض المعاني الرمزية مثل يد الله، و بيت الله، إلّا أنّه حرّم استعمال لقب «ابن الله»، لأنه أوجب ضلال أهل الكتاب.

و قد طرأ هذا التحريم بعنوان ثانوي، نظير تحريم جملة ﴿...رَٰعِنَا... ﴾.[٤]

٣ـ١٩. الوهية المسيح في الاناجيل

و وفقا لعقيدة المسيحيين فإن الأناجيل (الإزائية) التي يسودها طابع الانسجام دونت قبل إنجيل يوحنّا بعدة عقود، ودون انجيل يوحنا حدود عام (١٠٠م) أي بعد (٣٠) سنة من وفاة بولس.

و يتضح من خلال مقايسة إجمالية بين محتوى الأناجيل الثلاثة الأولى وإنجيل يوحنّا، أن الأناجيل المذكورة لم تغال كثيرا في عيسىٰ عليه السلام خلافا لإنجيل يوحنّا الذي شحن بالغلو، كالقول بألوهيته عليه السلام، فقد جاء فيه: **«إن سبب مخالفة اليهود لعيسى عليه السلام يعود إلىٰ أنه عليه السلام جعل من نفسه إلها».**[٥]

يشار إلىٰ أن الكلام المثبت للسيد المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة، تضمّن و لمرّات عديدة تعبير (إلهي) عند ذكره عليه السلام لله عز وجل، مثال ذلك ما جاء في إنجيل يوحنّا:

«إني صاعد إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».[٦]

---

١. يوحنّا: ١ / ١٢.

٢. وفي القرن الأخير تفقد غاندي زعيم ثورة الهند طبقة المنبوذين واصفاً إيّاهم بأبناء الله.

٣. المائدة، ١٨. ٤. البقرة، ١٠٤. ٥. أنظر: يوحنّا: ١٠ / ٣١ – ٣٨.

٦. يوحنّا: ٢٠ / ١٧.

و هذا مشهود في صلاته و عبادته و تضرّعه إلىٰ الله، و نطالع في متى: ٢٧ / ٢٦، و مرقس: ١٥ / ٣٤، أنّ آخر صرخة لعيسىٰ ﷺ كانت: «إلهي، إلهي، لماذا تركتني».

٤ ـ ١٩. الثالوث

لم ترد كلمة «**ثالوث**» في الكتاب المقدّس قطّ، و أول استعمال معروف لها في تاريخ المسيحية كان علىٰ لسان ثاوفيلس الأنطاكي عام (١٨٠)، بيد أن أسس مفهوم الثالوث تلمس في العهد الجديد، وقد أفصحت عنها عبارة إعطاء حق التعميد الوارد في انجيل متى: «**عمّدوهم باسم الأب، و الابن، والروح القدس**».

و قد دأب مؤلفو الكتب المقدّسة علىٰ تسمية الله بالأب، و هي الكلمة التي ورثوها عن اليهودية، كما علّم عيسى ﷺ تلاميذه أن يصلّوا قائلين: «**أبانا الذي في السماوات**».[1]

و قال ﷺ أيضا: «**إنه يرجع إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**».[2]

و قد ركن المؤلّفون المسيحيون العرب ـ لأجل وصف العلاقة بين الله و عيسىٰ إلىٰ مفهومي الحلول و الاتحاد المذكورين في كتابات الصوفيين. و بسبب هذه العلاقة الخاصة، دُعي عيسىٰ ابن الله، و لا يفهم من ذلك بتاتاً أنه ولد ولادة جسدية، لأن فهماً من هذا القبيل تكرهه المسيحية علىٰ نحو ما يكرهه الإسلام، و غالباً ما يطلق العهد الجديد اسم روح القدس علىٰ روح الله، و لكن مفهوم المسيحية لروح القدس يختلف عنه في الإسلام، فالكتب المقدسة عندهم لا تقول أن روح القدس هو الملك جبرائيل، أو أنّه خلقٌ من خلائق الله، بل تذهب إلىٰ أنه الله نفسه، و أنه يحيا في قلوب البشر و العالم المخلوق و يعمل فيها، أي أنه وجود الله القادر الفعّال في العالم، و عيسىٰ حملت به أمّه بقوة روح القدس، و قاده الروح إلىٰ البرية قبيل انطلاقه للتبشير، كما أن الأناجيل تظهر روح القدس حالاً علىٰ عيسىٰ في صورة حمامة ساعة تعميده في نهر الأردن، وهو (روح القدس) يرشد المجتمع المسيحي ويعلمه، و يكشف عن أسرار الله، ويلهم

---

١. متّىٰ: ٦ / ٩.
٢. يوحنّا: ٢٠ / ١٧.

محرري الكتب المقدسة، و يدّعى في أسفار العهد الجديد: المعزّي، وروح الحكـمة والايمان، و روح الشجاعة، والمحبّة والسرور.

و يدّعي المسيحيون علىٰ مر العصور وطوال تاريخ الكنيسة أنّ طبيعة الله الثالوثية هي سرّ من الأسرار، لا يمكن تبيينه بعبارات بشرية. و مع أن الكتّاب و المـتصوفين و المتكلمين المسيحيين حاولوا الاستعانة بمعطيات العـهد الجـديد لإدراك بـعض مـا يمتّ إلىٰ طبيعة الله، إلّا أنهم اعترفوا جميعاً بأنّ جهودهم مهما عظمت، ستظل قاصرة.

و قد لجأ المفكّرون المسيحيون علىٰ مرّ الأجيال إلىٰ المـفاهيم والنـظم الفـلسفية السائدة في أيّامهم للتعبير عن سرّ الثالوث، وأقرّ البابوات والمجامع الكنيسيّة أنّ بعض صيغ التعبير مغلوطة، ولكنهم لم يقصروا صيغ التعبير الأخرى علىٰ ما حددوه.

و لما كان المسيحيون يؤمنون بأن روح القدس لا ينفك يرشد الكنيسة، فإننا نقول مؤمنين بأن تفهمنا سرّ الثـالوث سـيظل يـنمو ويـتطور بـفضل مسـاهمة البـابوات و المجامع والمفكّرين والمتصوفين، وقد أعلنت المجامع الكنيسية الأولى التي انعقدت في نيقيا وأفسوس وخلقيدونية والقسطنطينية أنّ الله واحد في ثلاثة أقانيم، ويـمكن تعريب كلمة «أقنوم» اليونانية الأصل بعبارة (طريقة للوجود)، وعلىٰ هـذا الأسـاس، فالأقانيم الثلاثة في الله تعني ثلاث طرق أو ثلاث حالات لوجود الله وعمله.

و لأجل إيصال مفهوم الثالوث، استفاد الكـتّاب المسـيحيون العـرب مـن الكـلمة اليونانية الأصل «أقنوم» و من كلمة صفة (ميزة،مظهر) وتساوي كلمة «أقـنوم» كـلمة (persona) اللاتينية، و تعني القناع.

٥ ـ ١٩. تحريف العهد الجديد بداعي اضافة التثليث

و ليس ثمّة نص علىٰ التثليث في كتاب العهد الجديد، وعبارات مثل «**الأب و الابن و روح القدس**»[١] لاتعطي هذا المدلول، لأي شخص لا يحمل هذه الفكـرة مسـبقا، و لا

١. متّىٰ: ٢٨ / ١٩.

تخدش بألاف الشواهد (في العهدين القديم والجديد) التي تؤكد علىٰ التوحيد، نظير اقتران اسم الله بالنبي و الملائكة في القرآن الكريم، فإنه يخلو من أي دلالة علىٰ التثليث.

إن عدم وجود النص علىٰ التثليث في العهد الجديد، حدا ببعض الجهّال إلىٰ بذل الوسع لتحريف الأناجيل بغية جعل التثليث فيها، ولكن لم يتيسّر لهم ذلك، لأنّ مضامينها كانت معروفة، الأمر الذي دعاهم إلىٰ تحريف رسالة يوحنّا الاولى [٥ / ٧ - ٨]، وتضمينها نصا يدل علىٰ وحدة الأب والابن وروح القدس.

و قد أثبت المحققون الغربيون (بعد مقارنة النسخ الخطية بعضها ببعض) أن النسخ الخطية المتأخرة تشتمل علىٰ النص المذكور دون النسخ المتقدمة. واليك هاتين النسختين:

٥ [١]كُلُّ مَن آمَنَ بِأَنَّ يسوعَ هو المسيح
فهو مَولودٌ لله
وكُلُّ مَن أَحَبَّ الوالِد
أَحَبَّ المَولودَ له أَيضًا[(١)].
[٢]ونَعلَمُ أَنَّنا نُحِبُّ أَبناءَ الله
إِذا كُنَّا نُحِبُّ اللهَ ونَعمَلُ بِوَصاياه[(٢)]
[٣]لِأَنَّ مَحبَّةَ اللهِ أَن نَحفَظَ وصاياه
ولَيسَت وَصاياه ثَقيلَةَ الحَمْل
[٤]لِأَنَّ كُلَّ ما وُلِدَ للهِ يَغلِبُ العالَم[(٣)].
وما غَلَبَ العالَمَ هٰذه الغَلَبة هو إِيمانُنا.

٣٠/
٣٣/

أصل الإيمان

[٥]مَنِ الَّذي غَلَبَ العالَم
إِن لم يَكُنْ ذاكَ الَّذي آمَنَ
بِأَنَّ يسوعَ هوَ آبنُ الله؟
[٦]هٰذا الَّذي جاءَ بِسَبيلِ الماءِ والدَّم يو ١٩/٣٤
يسوعُ المسيح.
لا بِسَبيلِ الماءِ وَحْدَه
بل بِسَبيلِ الماءِ والدَّم.
والرُّوحُ يَشهَد يو ١/٣٣
لِأَنَّ الرُّوحَ هو الحَقّ[(٤)]. و ١٤/٢٦
[٧]والَّذينَ يَشهَدونَ ثلاثة: ١ يو ٢/٢٠ و٢٧
[٨]الرُّوحُ والماءُ والدَّم[(٥)]
وهٰؤُلاءِ الثَّلاثةُ مُتَّفِقون.
[٩]إِذا كُنَّا نَقبَلُ شَهادةَ النَّاس
فشَهادةُ اللهِ أَعظَم يو ٥/٣٢ و٣٧
وشَهادةُ اللهِ هي أَنَّه شَهِدَ لِآبنِه.
[١٠]من آمَنَ بِآبنِ الله

(١) بالإيمان بيسوع المسيح، ابن الله (الآية ٥)، يصبح الإنسان ابن الله (١/٣-٦ وراجع يو ١/١٢-١٣) وبالتالي أخًا لمن يحب الله، لأن الإنسان لا يمكنه أن يدّعي محبة الله من دون محبة اللذين هو أبوهم.

(٢) في هذه الآية الأساسية تظهر الوحدة الوثيقة بين بعد المحبة الأفقي، وهو محبة الاخوة، وبعدها العمودي وهو محبة الله. ان محبة الاخوة تنتج عن محبة الله وهي تعبير عنها. ذلك بأن المسيحي يحب اخوته لأنهم «أبناء الله» (الآية ١)، فمحبته تتأصّل إذًا في إيمانه. ومن جهة أخرى، فإن مقياس صحة محبة الله لا بدّ أن يكون دائمًا العمل بمشيئة الله وحفظ وصاياه، علمًا بأنها تفرض على المسيحي المحبة الأخوية (٢٣/٣).

(٣) راجع ٤/٤ +.

(٤) فُسّر معنى ذكر «الماء» و«الدم» في هذه الآية على وجهين: ١) قيل ان الماء يذكّر باعتماد يسوع وان الدم يذكّر بموته على الصليب، ٢) وقيل ان الماء والدم يشيران إلى الحادثة المروية في يو ١٩/٣٤. ان ما ورد في النص يدعو إلى التوفيق بين التفسيرَين. على البدعة التي كانت تفرّق بين المسيح المجيد الذي تجلّى في الأردن (الماء) والإنسان يسوع الذي مات على الصليب (الدم)، ردّ يوحنا مؤكّدًا حقيقة ذبيحة يسوع، «المسيح وابن الله». لكن هذين الحدثَين التاريخيَين يُذكران من خلال رمزية الماء والدم على الصليب، وقد رأى الكاتب فيهما علامتَين لحقيقتَين كنسيتَين (راجع الآية ٨). أمّا الشهادة الباطنية التي يؤدّيها الروح، فقوامها أن تُظهر للمؤمن ما في الحدثين المشار إليهما هنا من قيمة خلاصية، من «حق»، وان توصله بذلك إلى معرفة يسوع المسيح. فالروح هو الحق، إذ لا يخفى علينا أن الحق الذي أتى به يسوع يصبح بالروح حاضرًا ونشيطًا.

(٥) الترجمة اللفظية: «وهؤلاء الثلاثة نحو الواحد». في الآية ٦، استند الكاتب إلى الماضي، في حين انه يتكلّم هنا على «شهادة» دائمة في حياة الكنيسة. التفسير الشائع هو ان المقصود هنا هو المعمودية (الماء) والافخارستيا (الدم). وهذه الشهادة المزدوجة تُضاف إلى شهادة الروح. يقول يوحنا ان هناك «ثلاثة شهود» يشهدون ليسوع (بحسب المبدأ الشرعي الوارد في العهد القديم: تث ١٩/١٥ وراجع عد ٣٥/٣٠)، ويريد بهذا القول ان الله أيّد ابنه أمام الناس، في الدعوى القائمة بينه وبين العالم. وفي آخر الأمر، يؤدّي هؤلاء الشهود الثلاثة شهادة واحدة، وهي الشهادة التي يكشف لنا الله بها حياته الإلهية ويهبها لنا (الآية ١١).

والروح هو الذي يشهد ،
لأن الروح هو الحق .
[٧]والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد . [٨]والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة : الروح والماء والدم . وهؤلاء الثلاثة هم في الواحد .
[٩]إذا كنا نقبل شهادة الناس ،
فشهادة الله أعظم .
وهذه هي شهادة الله التي شهدها لابنه :
[١٠]من يؤمن بابن الله . فله تلك الشهادة .
ومن لا يصدق الله جعله كاذباً ،
لأنه لا يؤمن بالشهادة التي شهدها لابنه .
[١١]وهذه الشهادة هي أن الله أعطانا الحياة الأبدية ،
وأن هذه الحياة هي في ابنه .
[١٢]من يكون له الابن فله الحياة .
من لا يكون له ابن الله ، فلا تكون له الحياة .

الحياة الأبدية

[١٣]أكتب اليكم بهذا لتعرفوا أن الحياة الأبدية لكم ، أنتم الذين يؤمنون باسم ابن الله . [١٤]والثقة التي لنا عند الله هي أننا إذا طلبنا شيئاً موافقاً لمشيئته استجاب لنا . [١٥]وإذا كنا نعرف أنه يستجيب لنا في كل ما نطلبه منه ، فنحن نعرف أننا ننال كل ما نطلبه منه .
[١٦]وإذا رأى أحد أخاه يرتكب خطيئة لا تؤدي الى الموت ،

٦ ـ ١٩. تثبيت التثليث في مجمع نيقيا

إنّ فقدان النص الدال علىٰ التثليث، وإجمال العبارات المتعلقة بألوهية عيسىٰ عليه السلام، دعا المسيحيين إلىٰ توسيع لقب «ابن الله»، ونقله من معناه الرمزي إلىٰ معناه الحقيقي، وظلّت مسألة ألوهية عيسىٰ عليه السلام خلال القرون الثلاثة الاولى من ظهور المسيحية، ظلت موضع اختلاف وجدل إلىٰ أن نهض في أوائل القرن الرابع الاسقف آريوس، فوقف بوجه الإعتقاد بألوهية عيسىٰ عليه السلام، ثمّ ازدادت المواجهة حدة، ممّا دعا **قسطنطين** (وهو أول امبراطور مسيحي) إلىٰ عقد اجتماع في مدينة نيقيا بآسيا الصغرى عام (٣٢٥م) حضره (٣٠٠) أُسقفٍ، ناقشوا خلاله رسائل تمّت إلىٰ الايمان والسلوك، وتمت فيه المصادقة علىٰ ألوهية عيسىٰ عليه السلام بأغلبية ساحقة، والإعلان عن شجب رأي **آريوس**، وإصدار القانون النيقاوي المعروف، وها نحن نورد منه الفقرة التي تتعلق بعيسى عليه السلام.

«نؤمن باله واحد، أب، ضابط الكل، خالق كل الاشياء ما يرىٰ و مالا يرىٰ و برب واحد يسوع المسيح ابن الله المولود فى الأب المولود الوحيد أي من جوهر الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للأب في الجوهر الذي به كان كل شيءٍ في السماء و علىٰ الأرض الذي من أجلنا نحن البشر و من أجل خلاصنا نزل و تجسّد و تأنس و تألم، وقام أيضاً في اليوم الثالث وصعد إلىٰ السماء و سيأتي من هناك ليدين الأحياء والأموات و بالروح القدس.

وأما الذين يقولون انه كان زمان لم يوجد فيه و انه لم يكن له وجود قبل أن وُلِد و أنّه خُلِق من العدم أو أنّه من مادة أخرىٰ أو جوهر آخر أو أن ابن الله مخلوق أو أنه قابل التغيير أو متغير فهم ملعونون من الكنيسة الجامعة الرسولية».[١]

٧ ـ ١٩. الفداء

يعتقد المسيحيون ان عواقب الخطيئة لا تبقىٰ خارج طبيعة الانسان، لقد ورد في زبور

---

١. نظام التعليم في علم اللاهوت القويم: جيمس أنس الأميركاني: ١ / ١٢٢، بيروت، ط الثانية، ١٨٩٠م.

داود النبي ادعية متكررة الىٰ الله تقول: «**إغسلني من إثمي**»،[١] والناس يشعرون انهم ملوثون ملطخون بفعل انغماسهم في بشرية خاطئة، وفي اغلبية الديانات يرمز غسل الجسد الىٰ الاعتراف بوصمة الخطيئة وعدواها، والحاجة الىٰ قوة الله المطهرة ونعمته.

الا انه يبقىٰ بعد ذلك فظاعة الإساءة الموضوعية التي تلحقها الخطيئة بصلاح الله عز وجل وبخليقته وبالنظام الخلقي، فهذا الامر يتعدىٰ الخاطئ بمفرده وينقل عدواه الىٰ العنصر البشري بأجمعه، وهو اساس الشعور بعدم الطهارة والحاجة الىٰ ان تعاد تلك الطهارة. وتجاهل الضرر الذي يصيب النظام الخلقي من جراء الخطيئة للتركيز علىٰ الذنب الشخصي فقط، هو في نظر المسيحيين استرخاص ما يمنحه الله من غفران ويكاد يكون استخفافاً بالشر.

وكما ان جميع الناس يشاركون في الخلل الموضوعي الناتج عن الخطيئة، فممثل واحد للبشرية يمكنه ان يكفّر عن هذا الخطأ. والمسيحيون يؤمنون بان يسوع حقق التكفير عن ذلك الخلل مرة واحدة لجميع الأزمات، وانه باستسلامه الكامل وطاعته التامة هدم الحاجز الذي رفعته الخطيئة بين الله اللامتناهي في الصلاح والانسان المتمرد. وعمل الهدم والتكفير هذا لا أحد يستطيع القيام به سوىٰ واحد هو نفسه بلا خطيئة ومتحد كامل الاتحاد بالحكمة الالهية.

حدث في بعض الاحيان ان عدداً من الوعاظ المسيحيين رأوا في عمل التكفير الذي قام به يسوع شفاءً لغليل إله غاضب أراد موت مختاره. هذه النظرية تشويه للمفهوم المسيحي للتكفير ولا اساس لها في تعليم العهد الجديد وهي تجعل من الله سبحانه وحشا يتصرف بروح الانتقام والشراسة. أما ما تعلمه المسيحية فهو ان يسوع قبل آلامه وموته بملء حريته ليمثل الجنس البشري فيكفر عن سائر الخطايا التي اقترفت فاهانت الله عز وجل.

---

١. المزامير: ٥١ / ٢.

يقول المسيحيون في بعض الاحيان ان موت يسوع هو ذبيحة، فماذا كانت ذبائح اليهود في العهد القديم ؟لم يكن الهدف منها ارضاء إله غضوب او رشوة الله لدفعه الىٰ القيام بما لم يكن ليقوم به لولا ذلك التدخل فهذا المفهوم للذبيحة هو مفهوم وثني. اما في الكتاب المقدس فالمبادرة هي من عند الله لا من عند الانسان. والله هو الذي يحدد الشعائر التي تمكن الانسان من ان يتحد به تعالىٰ. والتي توفر للناس فرصاً تسهل العيش والموت في طاعته.

كان كهنة اليهود لدىٰ قيامهم بالذبائح، يرشون دم الذبيحة علىٰ المذبح – وهو يرمز الىٰ الله – وعلىٰ الشعب. وفي ذلك اشارة الىٰ ان الذبيحة وحدة حياة بين الله تعالىٰ وشعبه وهي سواء والعهد اذ بها وبه يصبح الله إلههم ويصبحون هم شعبه.

ويرىٰ المسيحيون في موت يسوع إقامة العهد الجديد بين الله والبشرية جمعاء، لا بينه تعالىٰ وبين الشعب اليهودي وحده. ففي اثناء العشاء الاخير، قال يسوع: «خذوا واشربوا، هذا هو دمي، دم العهد الجديد، الذي يهراق عنكم وعن الجميع لمغفرة الخطايا». والحياة الجديدة الناتجة عن ذلك هي حياة لم يعد فيها مجال لتكون الخطيئة الموضوعية عائقاً، فالجنس البشري بأجمعه تصالح بواسطة ممثله، مع الله عز وجل.

٢٠. الأسرار السبعة

يؤمن المسيحيون بأنّ المسيح القائم من الأموات يحيا في مجتمعه و معه، و أنه ما زال ينجّز الأعمال التي كان ينجّزها مدّة حياته في بلاد فلسطين من تعليم، و صلاة، و خدمات، و شفاء المرضى، و إطعام الجياع، و مسامحة الخطاة، و تكبد الآلام والموت، تلك الأعمال غير المنظورة التي قام بها المسيح تصبح منظورة في الحياة التي تحياها الكنيسة بالأسرار، أو بعبارة أخرى؛ عندما يشترك المسيحي في أحد الأسرار فإنه يؤمن إذ ذاك بأنه يلتقي المسيح الذي قام من الموت ومنحه نعمة الله المخلّص.

هذا، و يتفق جميع المسيحيين تقريبا علىٰ أن السرّيْن الأساسيين هما **التعميد** و

العشاء الرباني، وثمّة خمسة أسرار أخرى يعتقد بها المسيحيون الأرثوذكس و الكاثوليك، فيكون مجموع الأسرار سبعة.

أما البروتستانت فإنهم يختلفون في عدد الاسرار التي يعتقدون بها باختلاف طوائفهم، علىٰ الرغم من أن السواد الأعظم منهم يقبل السّريْن الأساسيين التعميد والعشاء الرباني. وثمة كنائس بروتستانتية قليلة لا أسرار عندها مثل «الكويكرز» و «جيش الخلاص».

١ - ٢٠. التعميد

أول الأسرار وأساسها الذي لابدّ منه، هو سرّ التعميد، انه الدخول في الجماعة المسيحية، وبه يأخذ الفرد علىٰ عاتقه رسالة الكنيسة عبر الأجيال، ألا وهي الشهادة لأعمال الله الخلاصية في عيسى، ويؤمن المسيحي بأن التعميد هو الوسيلة التي بها يمنحه الله سائر المفاعيل الناتجة عن حياة عيسىٰ و موته، و المسيحي، لايعمد إلّا مرّة واحدة، وذلك حينما يدخل في الجماعة المسيحية.

أما كيفية التعميد، فهي ترتبط دائما بنوع من الغطس في الماء، ففي بعض الكنائس يتم سكب الماء علىٰ رأس من يطلب التعميد، وفي بعضها يغطس المتعمد في حوض من الماء ثم يخرج منه، ويتم التعميد في عدد من الكنائس باللجوء إلىٰ المياه في وسط الطبيعة، أي إلىٰ الأنهار أو البحيرات، ويقرأ القسيس عند التعميد هذه العبارة المقتبسة من إنجيل متّىٰ: «**إني أعمدك باسم الأب والابن و روح القدس**». وتعمد بعض الكنائس البروتستانتية باسم يسوع فقط.

و يقام عيد الفصح في أول يوم أحد من صيرورة القمر بدراً عقب الاعتدال الربيعي في ٢٢ آذار إلىٰ ٢٥ نيسان، ويقام عيد الفصح اليهودي ـ وهو ذكرى نجاة بني إسرائيل من يد الفراعنة ـ علىٰ مدار الأسبوع من ١٦ إلىٰ ٢١ (وفي خارج فلسطين إلىٰ ٢٢) نيسان العبري، ويتزامن في بعض السنين مع عيد الفصح المسيحي.

و تجري في هذا العيد مراسم خاصة، مثل: الأسحار، تلاوة الكتاب المقدس، المناجاة، الدعاء، إقامة العشاء الرباني، البحث الرمزي عن جسد عيسىٰ عليه السلام و اعلام بعثه، الاحتفالات والمهرجانات، وإهداء البيض الملوّن....

و ثمّة مراسم مفصّلة تقام قبل عيد الفصح وبعده، ولأجل الوقوف علىٰ جانب منها، يجب السفر في الزمان المناسب إلىٰ بعض الدول المسيحية كإيطاليا لمشاهدتها عن كثب، وإلّا فإن شرح هذه المراسم في الكتب أو مشاهدة الأفلام الخاصة بها يثير كثيرا من التساؤل والاستفسار.

و قد درجت العادة منذ غابر الازمان أن يعمّد أعضاء الجماعة الجدد في أثناء أهمّ أعياد المسيحيين و هو يوم الفصح، و يستمر هذا العيد ثلاثة أيام، و يحل في الربيع غير بعيد عن عيد فصح اليهود، وقوام العيد أعمال عبادية ثلاثة، يركز كل منها علىٰ حدث من الاحداث التي جرت في حياة عيسىٰ عليه السلام والتي يستند إليها الإيمان المسيحي:

١. في مساء يوم الخميس، يقام تذكار عشاء عيسىٰ الأخير.

٢. يوم الجمعة (عند الظهر تقريبا) يتذكّر المسيحيون موت عيسى عليه السلام علىٰ الصليب.

٣. بين مساء السبت وصباح الأحد يتمّ الاحتفال الفصحي بقيامة عيسى، وعودته إلىٰ حياة جديدة.

و أهمّ تلك الأعياد هو الاحتفال الفصحي، و كان يقام في السابق مساء يوم السبت، و يستمر ليلا إلىٰ أن ينبلج فجر يوم الأحد، و هو وقت قيامة المسيح بحسب رواية الأناجيل. أما في عصرنا الحاضر، فتتراوح مدّة الاحتفال بين ساعتين إلىٰ أربع ساعات، يعلن في أثنائها المنتمون الجدد إلىٰ الجماعة المسيحية إيمانهم و يعمّدون، في حين يقوم الاعضاء القدماء بتجديد إعلان إيمانهم والالتزام بحياة مسيحية حقة.

٢ – ٢٠. التثبيت

السرّ الثاني التثبيت، وهو القسم الثاني من طقس التدرج في المسيحية، ففي التعميد يكون التركيز علىٰ الخلاص من الخطيئة، إذ يصالح الله تعالىٰ الخاطئ ويدعوه إلىٰ

حياة الإيمان والطاعة، أما في التثبيت، فيكون التشديد علىٰ الناحية الايجابية في تأدية الشهادة لما حققه الله من أجل البشرية في عيسى، وعلىٰ استمداد القوة من روح القدس للقيام بهذا الواجب. ولما كان الخلاص غير مقتصر علىٰ غفران الخطايا، بل هو دعوة لمتابعة رسالة عيسىٰ بتبديل العالم علىٰ نحو ما يريده الله سبحانه و تعالى، فإن التثبيت يقوي مَنْ يتقبله ليتحمل أعباء مسؤولياته في المجتمع علىٰ ما يليق بالمسيحي الراشد.

التثبيت يمنحه الأسقف أو من ينوب عنه، وقوامه أن يمسح طالبه بالزيت في حين يقال له: «**تقبل روح القدس لتستطيع تأدية الشهادة للمسيح**». وقد تختلف تلك العبارة الأساسية اختلافا بسيطا باختلاف الكنائس مع المحافظة علىٰ جوهرها.

و إذا كان الداخلون في الكنيسة من البالغين، فإنهم يتقبّلون سري التعميد و التثبيت معا علىٰ أنهما قسمان في طقس واحد، أما إذا كان المعمّدون أطفالا، فيتم تثبيتهم في وقت لاحق وهم علىٰ عتبة البلوغ بين الثالثة عشر و السادسة عشر، و بعض الكنائس البروتستانتية لا تعمّد الأطفال لقولها بأن التعميد يجب أن يسبقه قرار واع باتباع المسيح.

٣ - ٢٠. الزواج المسيحي

يرى المسيحيون أن الزواج ليس من الامور الدنيوية، فهو يرمز إلىٰ حب الله للبشرية، ولما كان الزواج وحده حب بين شخصين يلتزمان العيش معا في الأمانة المتبادلة و التعاون، و يسعيان لخلق جو يساعد علىٰ انجاب الأولاد وتربيتهم بحيث يعيشون في الإيمان و حب الله، فإن المسيحيين يعتبرونه رمزا بشريا للطريقة التي يعامل الله بها الإنسانية. ذلك بأن الله سبحانه يحب الناس و يهتمّ بهم و يظل أمينا لوعوده لهم. و في الزواج يعد المسيحيون بأن يجعلوا من اتحاد الرجل بامرأته علاقة حبه لحب الله للبشر و لحب المسيح لجماعة تلاميذه. و لهذا السبب يرون أن الزواج التزام مدى الحياة، ولا يوافقون علىٰ الطلاق وإعادة الزواج مادام القرين حيّا.

٤ – ٢٠. الدرجات المقدسة

بهذا السر يكرس المرء حياته لخدمة الجماعة المسيحية، ومن خلالها جميع بني البشر، و هناك ثلاث درجات أساسية:

الاولى: **المطران**، يمثل المسيح في منطقة معينة تدعى الابرشيّة، فينوب عنه معلماً، وإماماً لمراسم العبادة، وخادماً.

الثانية: **الكاهن** أو **القسيس**، يعاون المطران في مهامّه الثلاث المذكورة علىٰ صعيد جماعة واحدة.

الثالثة: **الشمّاس**، يبشّر بكلمة الله، ويساعد الفقراء والمسنين والمرضى والمحتضرين.

أما سائر الالقاب الكنيسية، مثل البابا، والبطريرك، ورئيس الأساقفة،[1] والكردينال، والأرشمندريت، والمونسنيور، وسواها، فهي تشير إلىٰ وظائف معينة في الجماعة، ولا مدلول لها علىٰ صعيد الأسرار.

٥ – ٢٠. المصالحة

في سرّ التوبة أو المصالحة يتقبل المسيحيون غفران الله، و هم يؤمنون بأنه إذا ما تابوا غفر لهم تعالى، كما أنه يغفر للمسلمين واليهود وغيرهم عندما يتوبون عن خطاياهم. ويأتي المسيحيون إلىٰ سرّ المصالحة ليسمعوا كلام الغفران الالهي، و ليتذكروا كيف أن الله حقق مغفرته هذه الحاضرة أبدا، بواسطة أفعال الخلاص التي أجراها المسيح في أثناء حياته. و حيث أنّ الخطيئة إهانة لا تمس الله وحده، بل لها مضاعفات ونتائج علىٰ الصعيد الإجتماعي، فالمسيحيون يتقبّلون علامة غفران الله في إطار جماعة الكنيسة.

و قد اتخذ سر التوبة وجوها مختلفة علىٰ مر القرون، ففي العصور الاولى من تاريخ الكنيسة كانت التوبة تتم علىٰ نحو علني. ثم في العصور المتأخرة درجت عادة

---

١. جمع أسقف، و هي كلمة يونانية الأصل، معناها الناظر.

الاعتراف الفردي بالخطايا. واليوم يتم التشديد في سر التوبة على الناحية الجماعية.

٦-٢٠. مسحة المرضى

إن كانت الخطيئة (وهي مرض النفس) تهدد علاقة المرء بالله، فمرض الجسد هو أزمة بشرية تهدد بوضع حد للحياة الأرضية نفسها، وفي كلتا الحالتين يأتي المسيح لسماع رسالة الله الخلاصية، و هو يؤمن بأن الله أرسل المسيح ليكون إلى جانب المرضى فيعزيهم و يشفيهم و يهيّئهم لساعة الموت، و سرّ مسحة المرضى علامة تشير إلى وجود الله و حبه، وتذكر أنّ الله لم يتخل عن الممتحنين بالأمراض.

و بعبارة أخرى، إنّ الغاية من هذا السر، مواجهة العزلة الأليمة التي غالبا ما يشعر بها المرضى، لا سيما إذا ما راح الجسد يذوب شيئاً فشيئاً في طريقه إلى الموت. مسحة المرضى بالزيت المقدس تؤكد للمريض أنه ليس وحده، بل إن المسيح معه يقوده إلى الله تعالى، و أنّ ثمّة جماعة من إخوانه المؤمنين تدعو له ومعه.

٧-٢٠. العشاء الرباني (الإفخارستيّا)

ليس العشاء الرباني في نظر المسيحي واحدا من الأسرار السبعة فحسب، بل هو العمل الأساسي في الإيمان المسيحي و شعائر العبادة المسيحية، وأنه في الوقت نفسه ذكرى لعشاء المسيح الأخير مع تلاميذه في الليلة التي سبقت موته، في أثناء ذلك العشاء أعطى المسيح تلاميذه الخبز و الخمر على أنهما جسده و دمه، ويؤمن المسيحيون أنهم حين يشتركون في هذا العشاء، يكون المسيح موجودا معهم وجوداً جسديا، و يؤمنون أيضا أنه كما أبرم العهد بين الله والشعب اليهودي بدم الذبائح على جبل سيناء، فكذلك يبرم العهد الجديد بين الله والبشر بدم عيسى المسيح.

لقد ابتكرت كل الكنائس المسيحية طقوسها أو شعائرها الخاصة للاحتفال بالعشاء الرباني، إلّا أنّ هناك عنصرين أساسيين ثابتين في سائر تلك الطقوس، هما:

١. القراءات في الكتاب المقدس (اثنتان أو ثلاث).

٢. تناول القربان المقدس.

في أثناء مباركة الخبز و الخمر يتلو المترئس كلمات المسيح في العشاء الأخير، و في الكنائس الأرثوذكسية و الكاثوليكية لا يترأس الاحتفال إلّا الأسقف أو من ينوب عنه، أي الكاهن. وبالإضافة إلىٰ القراءات والتناول ثمّة تراتيل وصلوات للتوسل والشكران، وعظة قوامها شرح مقاطع الكتاب المقدّس التي تليت، وتطبيقها علىٰ حياة المسيحيين اليومية، وتبادل السلام.

يشعر الكثير من البروتستانت بأن العشاء الرباني بالغ الخطورة، بحيث ينبغي التهيّؤ له علىٰ أتم وجه، فلا يحتفل به إلّا في بعض المناسبات، و بناء علىٰ ذلك يقيم الكثيرون منهم عشاء الرب أربع مرّات في السنة أو مرّة واحدة في الشهر، أما الأرثوذكس فيحتفلون به في أيّام الأحد والأعياد، في حين يرى الكاثوليك أن العشاء الرباني قلب عبادة الله اليومية، وهذا ما يحدوهم إلىٰ الاحتفال به في كل يوم.

٢١. الاعياد المسيحية

للمسيحية اعياد كثيرة، نشير الىٰ بعضها:

الكريسمس «christmas» بمعنىٰ «احتفال المسيح»، ويقام بمناسبة ولادته في ٢٥ كانون الاول، وبعد مضي سبعة ايام يقام احتفال رأس السنة الميلادية (المعروف بحفلة ليلة كانون الثاني) في اليوم الاول من الشهر ذاته.

عيد الفصح (Easter) وهو اهم احتفال ديني لدىٰ المسيحيين يقام بمناسبة انتصار عيسىٰ المسيح ﷺ علىٰ الموت وبعثه من الاموات بعد ثلاثة ايام علىٰ صلبه.

يُشار الىٰ ان مصطلح «الفصح» الفرنسي هو نفس الكلمة العبرية «بسح» التي انتقلت من اليونانية واللاتينية الىٰ الفرنسية، ثم تقمصت هذا الشكل بمرور الزمان، وحسب الاناجيل فان صلب المسيح وبعثه تم في عيد الفصح اليهودي.

ويتفق عيد الفصح في يوم الاحد بعد حصول اول بدر للاعتدال الربيعي، وعلىٰ هذا الاساس، فمن المحتمل وقوعه مابين ٢٢ آذار الىٰ ٢٥ نيسان.

ويقام عيد الفصح اليهودي (بمناسبة نجاة بني اسرائيل) طيلة اسبوع من ١٦ وحتىٰ ٢١ نيسان العبري (وفي خارج فلسطين الىٰ ٢٢)، وفي بعض السنوات يتقارن مع عيد الفصح المسيحي.

وتتلخص مراسم عيد الفصح في: السهر ليلاً، وتلاوة الكتاب المقدس، والمناجاة والدعاء، واقامة مراسم العشاء الرباني، والبحث الرمزي عن جسد عيسىٰ عليه السلام واعلام بعثه، واقامة الاحتفال ونصب المصابيح الملونة، واهداء البيض الملون.

وثمة طقوس اخرىٰ تقام قبل عيد الفصح وبعده، فمن اراد الاطلاع عليها فعليه شدّ الرحال الىٰ بعض البلدان المسيحية كايطاليا ليقف عليها عن كثب، والا فتفصيلها هنا خارج عن عهدة هذا الكتاب.

وعلىٰ اية حال فمراسم عيد الفصح يغلب عليها الطابع الديني أكثر من اعياد الكريسمس واول كانون الثاني، وتقام حسب الترتيب التالي:

١. ذكرىٰ العشاء الاخير لعيسىٰ عليه السلام في يوم الخميس حين غروب الشمس.

٢. ذكرىٰ صلب المسيح في يوم الجمعة ظهراً.

٣. احتفال عيد الفصح بمناسبة بعث عيسىٰ وعودته الىٰ الحياة مابين غروب يوم السبت وصبح يوم الاحد.

وكانت تقام مراسم عيد الفصح في الماضي في يوم السبت حين الغروب وتستمر الىٰ الليل وتنتهي فجر يوم الاحد، وهو زمان بعث عيسىٰ من الاموات حسب الاناجيل، الا انها اختزلت في العصر الحاضر واقتصرت علىٰ ساعتين او اربع ساعات، حيث يعلن فيها الاعضاء الجدد انضمامهم الىٰ المجتمع المسيحي ويتم تعميدهم، كمايجدد الاعضاء القدماء ايمانهم من خلال التعهد بالمضي علىٰ حياة مسيحية واقعية.

٢٢. الانشقاق في الكنيسة

تدلّ كلمة «الانشقاق» علىٰ انقسام لاعلاقة له بالعقيدة بين جماعتين من المسيحيين، و أهمّ الانشقاقات في تاريخ الكنيسة، هو ذلك الذي حصل بين كنيستي القسطنطينية و روما، وقد عرف أحياناً بـ «**الانشقاق بين الشرق والغرب**»، فقد ذهبت الكنيسة الرومانية إلىٰ أن الذين يرعون الكنائس ويسوسونها، هم أساقفة العالم، عاملين معاً في جسم واحد يشرف عليه أسقف روما، أما كنيسة القسطنطينية فترىٰ أنّ خمسة مراكز للمسيحية تتساوىٰ في السلطة، و هي: أورشليم و أنطاكية و روما و الإسكندرية والقسطنطينية.

و علىٰ الرغم من هذا الاختلاف في مفهوم السلطة، ظلّ المسيحيون التابعون لروما و القسطنطينية متحدين حتىٰ القرن التاسع عندما حصل أول انقسام مؤقت في زمن فوتيوس بطريرك القسطنطينية. و في القرون اللاحقة تصالحت الكنيستان لفترات معينة، كانت تعقبها الانقسامات إلىٰ أن تمّ الانشقاق الأخير بين روما والقسطنطينية سنة (١٠٤٥م).

و مما لاشكّ فيه أن أغلب الانشقاقات كانت تنشأ لأسباب سياسية، إلّا أنّ عنصراً عقائدياً دخل في الانشقاق الأخير، وقوامه استعمال عبارة «والابن» في قانون الإيمان. فالكاثوليك و كذلك البروتستانت يستعملون هذه العبارة للدلالة علىٰ إيمانهم بأن روح القدس منبثق من الله الأب ومن عيسىٰ الابن العاملين معاً.

أما الأرثوذكس فإنهم يتمسكون بالصيغة الأصلية، ولا يستخدمون عبارة «والابن» و يقولون بأن روح القدس منبثق من الله الأب فحسب.

و علىٰ الرغم من أن تلك المسألة كانت موضع نقاش محتدم بين المسيحيين الشرقيين والغربيين في العصور المتقدمة، فانّها في الحقيقة ليست سبباً هامّاً للخلاف، والمسيحيون الغربيون يقبلون بالصيغة التقليدية التي يتمسك بها الشرقيون،

والمشكلة لا تعني في الواقع إلّا علماء اللاهوت، أما عامة المسيحيين فهم بعيدون عن هذا الجدال.

وفي العقود الأخيرة نشط السعي إلىٰ الوحدة بين كنيستي القسطنطينية و روما، و في هذا الإطار زار الباباوات: يوحنّا الثالث والعشرون، وبولس السادس، و يوحنا بولس الثاني، البطريركين المسكونييّن أثيناغوراس و ديمتريوس في اسطنبول، وقد ردّ هذان الزيارة بالذهاب إلىٰ روما. كما أنشأت الكنيستان لجاناً أنيط بها حل المشاكل بطريق يمكن معها تحقيق الوحدة.

٢٣. الفرق المسيحية

ظهرت في المسيحية كسائر الأديان فرق ومذاهب متعددة، كان بعضها قديماً وبعضها الآخر متأخراً نسبياً، وكثر أتباع بعض منها، وقلّ أتباع بعض آخر.

ويطلق المسيحيون علىٰ الفرقة اسم الكنيسة، وثمّة ثلاث فرق أو كنائس كبرىٰ في المسيحية إلىٰ جانب فرق صغيرة، والإختلاف بين بعضها كالكاثوليك والارثوذكس جزئي للغاية، وبين بعضها الآخر كالكاثوليك والبروتستانت كبير. وقد مرّ الحديث عن بعض الفرق لدىٰ استعراض مبحث الإصلاح الديني. وفيما يلي نشير إلىٰ الفرق أو الكنائس الثلاث الكبرىٰ في المسيحية.

٢٣ـ١. الكنيسة الكاثوليكية

و هي قديمة للغاية، يعود تاريخها إلىٰ عصر الحواريين (اي نحو ٢٠٠٠ سنة). وللكاثوليك رئيس روحي واحد هو البابا (pope) أي الأب. وظهرت لهم منذ تبشير رسل عيسىٰ عليه السلام خمس كنائس كبرىٰ أقيمت في كل من: أورشليم والإسكندرية وأنطاكية والقسطنطينية و روما.

و قد تمّ تأسيس كنيسة روما علىٰ يد بطرس، وتزعّمها بولس لبرهة من الزمان. وقد

اعتبرت كنيسة روما نفسها أفضل من سائر الكنائس، وبالفعل أصبح تفوقها أمراً واضحاً. وللكنيسة الكاثوليكية أسقف أعظم هو البابا. يقضي في الخصومات والمرافعات التي تجري بين الكنائس، ويسلّم إلىٰ رأيه و فتواه. و كان يطلق علىٰ أساقفة الكنائس الخمس الآنفة الذكر ـ وقبل انتقال كرسي الامبراطورية إلىٰ بيزنطة ـ اسم بطريرك. إلاّ أن أسقف روما لم يرتض هذا اللقب، واكتفىٰ بعنوان البابا كامتياز له. يشار إلىٰ أنّ معنىٰ الكاثوليكية (Catholic) في اللغة اليونانية: الجامع.

٢ ـ ٢٣. الكنيسة الأرثوذكسية

ظهرت هذه الفرقة قبل ألف سنة، وهي لا تختلف في عقائدها عن فرقة الكاثوليك، غير أنها لاتعترف بسلطة روحية واحدة، بل تذهب إلىٰ أنّ أسقف روما (البابا) هو كسائر الزعماء الروحيين.

وتضمّ الكنائس الأرثوذكسية البطريركيات الأربع القديمة: القسطنطينية، و الإسكندرية، و أنطاكية، و أورشليم إلىٰ جانب البطريركيات الحديثة: روسيا، وصربيا، ورومانيا، و بلغاريا، و جيورجيا فضلاً عن الكنائس الأرثوذكسية في قبرص و اليونان، و الجمهوريتين التشيكية و السلوفاكية، و بولونيا و ألبانيا.

و ينضوي المسيحيون الأرمن في عداد الأرثوذكس في العقائد. و كانت أرمينيا أول دولة في التاريخ تعتنق المسيحية ديناً رسمياً لها، و ذلك لما تنصّر ملكها «تريدات الثاني» سنة (٣٠١م) علىٰ يد القدّيس غريغوريوس المنوّر. ولم تقبل الكنيسة الأرمنية بمجمع خلقيدونية ولذا فهي ليست متحدة بالكنائس الكاثوليكية أو الأرثوذكسية، والزعيم الروحي لتلك الكنيسة هو كاثوليكوس (جاثليق) إتْشمِيدَزين.

و يختلف الأرثوذكس عن الكاثوليك في بعض المسائل الكلامية، فهم يعتقدون مثلاً أنّ روح القدس صادر عن الأب فقط، في حين يعتقد الكاثوليك و البروتستانت أنه صادر عن الأب والابن معاً. وينكر الأرثوذكس وجود المَطْهَر و هو مكان تطهر الانفس فيه

بعد الموت يشار إلىٰ أن معنىٰ أرثوذكس (Orthodox) في اللغة اليونانية: المستقيم الرأي.

٣ ـ ٢٣. الكنيسة البروتستانتية.

منذ حوالي (٥٠٠) سنة و حتّىٰ اليوم، برزت في المسيحية فرق بروتستانتية لاحصرلها. والكنيسة البروتستانتية لا تعترف بزعامة روحية و مركزية، و لاتقيم وزناً للرهبنة، و ترفض عقائد الفرق الأخرىٰ. و تؤمن بمسيحية معرّاة منها، كما أنها حافظت علىٰ عقائد غير عقلانية كالتثليث والفداء. يشار إلىٰ أن البروتستانت (Protestant) إصطلاح فرنسي مشتقّ من اللاتينية، معناه المحتج.

٢٤. الحركة الرهبانيّة

منذ أيام الرسل كان هناك بعض المسيحيين قد اختاروا اتّباع المسيح في حياة التبتّل والتقشّف، فعيسىٰ عليه السلام نفسه لم يتزوّج قطّ و قد علّم أنّ ثمّة من يظلون علىٰ البتولية في سبيل «ملكوت الله). علماً إنّ أغلبية الرسل بمن فيهم بطرس كانوا متزوّجين في حين كان بولس بتولاً، وحالته نادرة. وفي البداية كانت البتولية مرتبطة بالاعتقاد بعودة عيسىٰ الوشيكة، وبمجيء اليوم الأخير، إلّا أنه مع مرور الزمن ولما تبيَن أنَ مجيء عيسىٰ الثاني لم يكن وشيكاً، اختار بعض المسيحيين البتولية علامة للحياة الجديدة التي ينبغي إيجادها في المسيح، وللعلاقات الجديدة ضمن الجماعة المسيحية، وهي علاقات مبنيّة لا علىٰ وشائج الدم والقرابة، بل علىٰ الإيمان بالله.

و لابدّ من التذكر أنه منذ أيام الرسل كانت الحياة الزوجية في نظر المسيحيين الحالة الطبيعية لاتّباع المسيح وتأدية الشهادة لتعاليمه. والبتولية كانت ومازالت طوال تاريخ المسيحية سبيلاً استثنائياً لعدد محدود من المسيحيين يشعرون بأنهم مدعوون دعوة خاصة إلىٰ السير فيه ليحيوا حياتهم الإيمانية.

و في القرون الأولىٰ حيث عصفت الاضطهادات الهوجاء، كوّن المسيحيون جماعة

صغيرة مشدودة الروابط، اتبعت طريق الإنجيل وسط المخاطر الجسيمة التي أحاطت بكل الأفراد. و لكن لما أصبحت المسيحية في زمن قسطنطين دين الدولة، و اعتنقها أغلبية سكان الامبراطورية الرومانية، بات من الطبيعي أن تتدنىٰ المستويات، و راح الكثير من المسيحيين يعيشون علىٰ نحو لا يعكس تعاليم عيسىٰ، و من هذا الوضع الاجتماعي المتبدّل نتجت الحركة في اتجاه الترهّب في الصحراء. و معلوم أن اليهود سبقوا المسيحيين في هذا المجال إذ قامت عندهم قبل المسيح جماعات الإسينيين، و كان لها أديرة بالقرب من قمران علىٰ شاطيء البحر الميت. و كانت تلك الجماعات ترىٰ أن المجتمع العلماني شرير لايمكنه الخلاص، و تحاول أن تُبعد أعضاءها عن التجارب وفساد المجتمع باللجوء إلىٰ طريقتهم الخاصة و العيش في الصحراء.

و في القرنين الثالث والرابع سلك بعض المسيحيين تلك الطريقة نفسها، فتركوا المدن كالإسكندرية و أنطاكية، و طلبوا العزلة في البرّيّة ليعيشوا فيها عيشة التوحد و الصلاة و التقشف، و ما كاد يذيع صيت أحد الرهبان القدّيسين المقيمين في خلوة الصحراء، حتىٰ يتوافد عليه الكثيرون بغية استرشاده، والتتلمذ عليه، وامضاء الوقت معه في الصلاة. وكان بعضهم يختار البقاء معه ليعيش علىٰ غراره مقتدياً بمثاله. و هكذا قامت حول صوامع النساك والمتوحدين أولىٰ الجماعات الرهبانية ذات الحياة المشتركة.

و هذه الظاهرة بدأت أول ما بدأت في برّية مصر، ثم سرعان ما انتشرت في المناطق الصحراوية بسورية و الجزيرة العربية و من أوائل النسّاك انطونيوس (المتوفّىٰ ٣٥٦م) و مكاريوس (المتوفّىٰ ٣٩٠م)، و قد مارسا أشدّ صنوف التقشّف. أما باخوميوس (المتوفّىٰ ٣٤٦م) فقد استقطب حوله رفاقاً وتلاميذ، وبنىٰ تسعة أديرة في كل منها مائة راهب.

و كان باخوميوس أول من دوّن قانوناً لتنظيم الحياة الرهبانية الجماعية.

في مقابل ذلك اختلف مفهوم الحياة الرهبانية في رأي الآباء القيادوقيين: باسيليوس وغريغوريوس النزينزي وغريغورس النيصيّ، فإنهم قالوا بعدم فساد المجتمع

البشري، وبعدم الحاجة إلىٰ نبذه. و كلّ من هؤلاء الأساقفة الثلاثة كان كثير الانشغال ملتزماً فعّالاً في المجادلات اللاهوتية و الأوضاع السياسية الراهنة، إلّا أنّهم واظبوا جميعاً علىٰ العودة حيناً بعد حين إلىٰ الصحراء للصلاة و التفكير، و بذلك شعروا أنهم يستطيعون كبح جماح الأشغال، والتذكّر أن هدف الحياة إنما هو اتباع تعاليم الإنجيل علىٰ أكمل وجه.

و قد سنّ باسيليوس قانوناً للرهبان مازال متبعاً في الكنائس الشرقية، وأنشئت الأديار «الباسيلية» في سائر أنحاء البراري السورية والعربية وفي المناطق القليلة السكان بالاناضول و اليونان و كان الرهبان يسدون الإرشاد و النصائح في أمور الدين إلىٰ أهل المدن الوافدين عليهم، كما أنهم كانوا يوفرون الضيافة والملجأ و إمكانية الإخلاد إلىٰ الهدوء للمسافرين الذين يضلّون طريقهم في الصحراء أو للمضطهدين والواقعين في بعض المشاكل.

٢٥. المجمع المسكوني الثاني

انعقد آخر المجامع المسكونية في الكنيسة بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين. و كان يهدف إلىٰ تجديد الكنيسة الكاثوليكية بمقتضىٰ حاجات العصر الحديث. وقد شارك في المجمع أساقفة كاثوليك من جميع أرجاء العالم، وحضر إلىٰ جانبهم مراقبون من الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية. فضلاً عن ضيوف ينتمون إلىٰ الإسلام واليهودية وديانات أخرىٰ.

وقد صدرت عن المجمع الفاتيكاني هذا ست عشرة وثيقة، كانت الغاية منها تجديد سائر مظاهر الإيمان المسيحي و ممارساته. و إليك أهمّ تعاليم المجمع:

١. مكانة الكتاب المقدّس المميّزة في إيمان الكنيسة.

٢. كهنوت جميع المسيحيين.

٣. الالتزام بمتابعة العمل في سبيل الوحدة المسيحية.

٤. الالتزام الفعّال بالنضال من أجل العدالة و السلام و حقوق الإنسان.

٥. إقامة شعائر العبادة باللغات المحلّيّة.

٦. خلاص الله لاتباع سائر الديانات.

و ثمّة وثيقة صادرة عن المجمع بعنوان «تصريح حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية» والفصل الخاص منها بالاسلام، هو أول كتابة عالجت فيها الكنيسة موضوع المسلمين معالجة رسمية، و فيما يلي مختصر لمضمون التصريح:

ـ على المسيحيين أن يحترموا المسلمين ويولوهم كل الاعتبار.

ـ المسلمون والمسيحيون يعبدون الإله الواحد، خالق السماء والأرض، القدير، الرحيم، المكلّم البشر.

ـ المسلمون والمسيحيون على السواء يجتهدون في أن يخضعوا لأوامره تعالىٰ.

ـ كلا الفريقين يستند في إيمانه إلىٰ إيمان إبراهيم.

ـ المسلمون يجلّون عيسىٰ ﷺ نبيّاً ويكرمون مريم العذراء.

ـ المسلمون والمسيحيون ينتظرون يوم الدين وقيامة الأموات.

ـ المسلمون يولون الحياة الأخلاقية اهتماماً خاصّا.

ـ و يعبدون الله لاسيما بالصلاة والصوم والزكاة.

و اختتم المجمع تصريحه حول الإسلام بهذا الكلام:

«و لئن نشأت علىٰ مرّ القرون منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين، فالمجمع يحضّ الجميع علىٰ أن يتناسوا الماضي، و ينصرفوا باخلاص إلىٰ التفاهم، و يصونوا ويعززوا معاً السلام والحرية والعدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية لصالح جميع الناس».

و في سنة (١٩٦٥م) أنشأ البابا بولس السادس أمانة للحوار مع الأديان في الفاتيكان، ألحقها بعد ذلك بلجنة للحوار مع الإسلام، كان من مهامّها: تعزيز الاحترام المتبادل و

التفاهم بين المسيحيين و المسلمين عن طريق المحاضرات الأكاديمية و الدراسات و المشاريع المشتركة في ميادين الشؤون الاجتماعية وقضايا التنمية والأخلاق.

٢٦. الإصلاح الديني

أفرزت حياة الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطىٰ الكثير من الآفات، لعل أبشعها و أخبثها السيمونية، وهي بيع الوظائف الدينية والامتيازات الكنسية، إلىٰ ذلك كان البابوات و الأساقفة و الكهنة يستأثرون بالأدوار الأساسية في حياة الكنيسة في حين لا دور يذكر للعلمانيين الذين ظلّوا في جهل مطبق إزاء الإيمان و الدين، إلّا أنّ كنيسة العصور الوسطىٰ لم تعدم الحركات الإصلاحية فبعضها قبل بسلطة البابا و حاول استئصال الفساد الذي شوّه وجه الكنيسة، و بعضها الآخر نبذ الكنيسة الكاثوليكية وحاول أن يحيا حياة مسيحية أفضل وأنقىٰ فبرزت عنده في بعض الاحيان عناصر لاتوافق الإيمان التقليدي في الكنائس فاتّهم بالهرطقة وقد تعقبت الكنيسة والدولة معاً تلك البدع و حاربتها بكثير من القساوة في أغلب الأحيان.

١ ـ ٢٦. الإنتفاضات القديمة

و أشهر تلك الإنتفاضات كانت حركات البُوكوميل في البلقان (من القرن العاشر إلىٰ القرن الثاني عشر)، و الألبيجيّن في جنوب فرنسا (بين القرنين الثاني عشر و الثالث عشر) و الفَلديّن في شمال إيطاليا (منذ القرن الثاني عشر و حتّىٰ هذه الأيّام)، و ويكْلِف في انكلترا (القرن الرابع عشر) و هوس في بُوهيميا (القرن الخامس عشر)، و أنشئت محاكم التفتيش سنة (١٢٣٢م) للتحقيق في البدع القائمة، و إصدار حكم الإعدام علىٰ كل من وُجد علىٰ ضلالة، و لم يكن مستعدّاً للتوبة.

٢ ـ ٢٦. مارتن لوثر

في وقت كان الكثيرون في الكنيسة يدعون إلىٰ الاصلاح تفجّرت قضيّة (صكوك

الغفران) و راحت تدقّ إسفين الانقسام في كنيسة أوروبّا الغربية. ذلك أنّ عدداً من الوعّاظ المتحمّسين أخذوا يجوبون الأقطار الأوروبيّة مدّعين أنّ كل مؤمن يستطيع النجاة من عقاب الخطيئة في حال تبرّعه للكنيسة بقدر من المال. فهبّ مارتن لوثر (المتوفّىٰ ١٥٤٦م) و نشر عام (١٥١٧م) لائحة أدرج فيها (٩٥) فقرة، خالف فيها الكاثوليكية. و إليك نص بعض هذه الفقرات:

ـ الخلاص يتمّ بالإيمان وحده.

ـ الكتاب المقدّس هو المرجع الوحيد للإيمان المسيحي.

ـ لا يجب الاعتقاد بأن العشاء الربّاني قرباناً.

ـ بطلان الرهبانية والنذر لأجلها.

ـ إضطلاع العلمانيين بدور أهم في طقوس العبادة وشؤون الرعاية.

ـ استقلال الكنيسة المحلّية عن روما.

ـ رفض بعض ممارسات الكاثوليك كالحج والصوم والاعتراف بالخطايا.

ـ معارضة التجاوزات كبيع صكوك الغفران، والسيمونية.

و كان لوثر يبتغي إصلاح الكنيسة بحسب تعاليم الكتاب المقدس الأصلية (لذا سمّيت حركته بالإصلاح الإنجيلي)، وكذلك العودة إلىٰ إيمان الجماعة المسيحية الأولىٰ. وقد حثّ لوثر الأمراء الألمان علىٰ نبذ سلطة البابا وفرض إصلاحه الإنجيلي. و في العصر الحاضر تنتشر الكنائس الإنجيلية الإصلاحية في بلاد أوروبّا الشمالية (ألمانيا، النرويج، السويد، الدانمارك، و فنلاندا).

٣ ـ ٢٦. المصلحون الآخرون

ما إن انبثقت حركة الإصلاح، حتّىٰ ظهرت الاختلافات بين أتباع لوثر في عدّة أمور تمّت إلىٰ الإيمان، وراح بعضهم يؤسّس كنائس خاصّة به. ففي سويسرا تزعم زفينكلي (Zwingli) (المتوفّىٰ ١٥٣١م) حركة الإصلاح فيها. و انفصل عن لوثر في مسألة

حضور المسيح في العشاء الرّباني. أما جان كلفان (Calvin) (المتوفّىٰ ١٥٦٤م) وهو أحد ألمع المصلحين، فقد رفض مفهوم الكهنوت و أدخل فكرة الاختيار المسبق، و برز تأثيره أكثر مابرز في سويسرا و هولندا و فرنسا واسكتلندا.

أما (الأناباتيست) **أي تجديديّو التعميد**، فلم يكونوا حركة واحدة، بل عدّة نزعات بروتستانتية رفضت تعميد الأطفال، و ركّزت علىٰ القبول الشخصي بعيسىٰ مخلّصا، وشدّدت علىٰ التقوىٰ الباطنة، و عمل روح القدس في المسيحي، وبساطة العيش و المسالمة، و رفض العنف، و نبذ السلطة الدينية و المدنية، والكنائس المنبثقة عن هذا التيار هي كنائس الكويكرز (جمعية الأصدقاء الدينية) والموراقيين والمنّونيّين والمعمدانيّين.

٤ ـ٢٦. الإصلاح في إنجلترا

بدأ الإصلاح البروتستانتي في إنجلترا مع انشقاق حصل في أيّام هنري الثامن، فقد رفض هذا الملك سلطة روما، في حين ظلّ محافظاً علىٰ العقيدة الكاثوليكية. و مازالت كنيسة إنجلترا تتّسم بهذا الطابع و كوّنت مع شقيقات لها في بلدان أخرىٰ (كنائس الشركة الأنكليكانية). و في عهد ابنة هنري الثامن الملكة اليزابث. وجد الكثير من عناصر البروتستانتية طريقه إلىٰ كنيسة انجلترا. و علىٰ وجه التحديد ظهرت الأوجه الإنجليزية للإصلاح عند الطهوريين (puritans) الذين أرادوا تطهير كنيسة إنجلترا علىٰ نحو ما فعل كلفان و أتباعه، و الميثوديين (Methodists) الذين انطلقوا بهمّة جون ويزلي (j.wesley) و ركّزوا علىٰ التقوىٰ الباطنة في معارضة الإيمان المبني علىٰ الصيغ اللاهوتية.

يُذكر أنّ جميع تلك التيارات البروتستانتية انتقلت إلىٰ الولايات المتحدة الإميركية (وهي اليوم أعظم دولة ذات أغلبية بروتستانتية في العالم) و إلىٰ أستراليا و نيوزلندا و إفريقيا الجنوبية، كما نقلها المرسلون إلىٰ آسيا و الشرق الأوسط و إفريقيا.

٥ ـ ٢٦. الإصلاح الكاثوليكي المضاد

اضطرّت الكنيسة الكاثوليكية إلىٰ الاعتراف بصواب العديد من التّهم التي وجّهها إليها المصلحون، و رأىٰ الكثيرون من أبنائها أنّ التجاوزات التي اعترض عليها المصلحون هي حقيقة راهنة، و ينبغي الكفّ عنها دون إبطاء، و من جهة ثانية لاحظ الكاثوليك أن المصلحين أهملوا باندفاعهم الإصلاحي عناصر أساسية من الإيمان المسيحي ومن ثم انطلقت حركة تسعىٰ إلىٰ إصلاح الكنيسة الكاثوليكة من الداخل، سمّيت بـ«**الإصلاح المضاد**». و كانت الخطوة الأولىٰ في هذه الحركة دعوة وجّهها البابا لعقد مجمع إصلاح إلتأم بين عامي ١٥٤٥م، و ١٥٦٣م، وعرف بالمجمع التريدنتينيّ (نسبة إلىٰ المدينة التي استضافته)، ولم يشترك فيه لا الارثوذكس ولا البروتستانت.

و قد وضع المجمع التريدنتيني حدّاً لأغلب التجاوزات التي ندّد بها المصلحون، كما أنه أعلن مجدداً و دحضاً للمصلحين، التعليم الكاثوليكي التقليدي. ومن الذين عملوا بنشاط لإرساء الإصلاح المضادّ أعضاء رهبانيّات حديثة التأسيس كالكبّوشيين واليسوعييّن، وسعىٰ الجميع إلىٰ إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من الداخل بالانصياع إلىٰ سلطة البابا لابالخروج عنها. و البلدان التي طالها نشاط الإصلاح المضاد هي التي يغلب فيها الكاثوليك كاسبانيا و إيطاليا و بولونيا و ايرلندا.

٦ ـ ٢٦. الكنائس الأرثوذكسية والإصلاح

ازدهرت الدراسات اللاهوتية في الكنيسة الأرثوذكسية طوال قيام الامبراطورية البيزنطية، واستمرّت علىٰ ازدهارها بعد سقوط القسطنطينية، متأصلة في تقاليد عريقة. وفي القرن السادس عشر رأىٰ الأرثوذكس أنه يجب عليهم توضيح موقفهم من المسائل العالقة بين الكاثوليك والبروتستانت. وعلىٰ الرغم من أن أحد بطاركة القسطنطينية المدعو كيرلّس لوكاريس (المتوفّىٰ ١٦٣٨م) كان ميّالاً إلىٰ مواقف كلفان، فأنَّ الكنائس الأرثوذكسية أقرّت بأنها تتمسك في أغلب المسائل المطروحة بالمواقف التقليدية علىٰ نحو ما فعلت الكنيسة الكاثوليكية.

٢٧. الآخرة في المسيحية

ان الآخرة هي ميراث اليهودية للمسيحية وهي تعادل الرجعة والقيامة في المعارف الاسلامية.

نعم ظهرت المسيحية علىٰ اساس انتظار مسيحا اليهود وبعد ذهاب عيسىٰ المسيح عليه السلام ظل المسيحيون في شوق الىٰ عودته مرة اخرىٰ، ويتفاقم هذا الشوق في اوساط المسيحيين كلما اقتربت الالفية الاولىٰ والثانية، واليوم ونحن قد طوينا الالفية الثانية، فقد اعترت طائفة من المسيحيين رغبة عارمة بظهوره في الالفية الثالثة وعلىٰ وجه التحديد عام ٢٠٣٠م، ظناً منها انه سينزل من السماء وتقوم القيامة علىٰ الارض ثم يحكم بين الناس يسوق قسماً منهم الىٰ الجحيم، وقسماً آخر الىٰ النعيم.

وقد اذعن المجتمع المسيحي منذ البداية بعودة عيسىٰ قريباً ظافراً غانماً، ولهذا السبب ينتظر اليوم الاخر بفارغ الصبر، و انعكس هذا الانتظار وهذا الشوق في الرسائل المتقدمة للعهد الجديد، كالرسالة الاولىٰ والثانية لاهل تسالونيكي.

ولكن الرسائل المتأخرة اهتمت بتاسيس المجتمع والحياة المسيحية في العالم كالرسالة الاولىٰ والثانية لتيموطاوس و رسالة الىٰ تيطس ورسائل بطرس.

و وضع المسيحيون كتب مكاشفة جديدة، كما حرفوا كتب مكاشفة اليهود لتنسجم مع أُمنياتهم، و حاز كتاب مكاشفة يوحنا اهتماماً فائقاً لدىٰ المسيحيين، و كان يوحنا اصغر الحواريين سناً حيث راح يشرح حلم كهولته في هذا الاثر، ويقول في الختام:

> **يقول الشاهد بهذه الامور: نعم، أنا آت سريعاً، آمين. تعال، أيها الرب يسوع، فلتكن نعمة ربنا يسوع معكم أجمعين. آمين.**[١]

وقد ورد في كتاب مكاشفة يوحنا مطالب معقدة ورمزية كثيرة شغلت بال الناس لمدة ٢٠٠٠ عام وتبلور علىٰ إثرها معرفة الآخرة (Eschatology)لدىٰ المسيحيين.

ومع ان اكثر المسيحيين قد تفطنوا بمرور الزمان الىٰ ان عودة المسيح عليه السلام ليست بقريبة الا ان اقلية منهم ظلت محتفظة بتلك الآمال، وانه سيظهر قريباً وقاموا بتاويل

---

١. رؤيا يوحنا: ٢٠ ـ ٢١.

مكاشفة يوحنا حول القتال بين الشر والخير تأويلاً لفظياً، ولهذا السبب ظلوا ينتظرون عودة عيسىٰ عليه السلام لتأسيس مملكة الله الالفية، التي تنتهي الىٰ يوم الفصل، ومنذ عهود بعيدة ظهرت فرق في المسيحية، نظير: المجيئيين والالفية، حيث بذلت وسعها لتمهيد السبيل لقدومه عليه السلام.

وثمة مصطلحات جمة في هذا الباب، نظير:

المجيء الثاني للمسيح عليه السلام (The Second Coming of Jesus)

انتظار المسيح عليه السلام (Messianism)

يوم الله (The Day of the Lord)

المكاشفة (Apocalypse)

المحنة (Tribulation)

الظهور (Epiphany)

الحضور (Parousia)

الجذبة (Rapture)

التقديرية (Dispensationalism)

ماران اتا (Maran _ atha) جاء الله.

٢٨. شوق عودة عيسىٰ المسيح

ساور الوهم فرقاً وجماعات من المسيحيين نتيجة الرغبة العارمة بمجيء عيسىٰ المسيح عليه السلام، ووضعوا تاريخاً لهذا المجيء، وقد حذر زعماء الدين من عاقبة مثل هذه التنبؤات المزيفة، ومن الفرق المسيحية التي استقام عودها علىٰ تلك الاوهام، فرقة **المجيئيين** (adventists) التي تأسست علىٰ يد شخص يدعىٰ ويليم ميلر (William Miller) في أوائل عام ١٨٤٠، فقد اعلن ان المسيح سيظهر عام ١٨٤٣ او ١٨٤٤، ولم تتحقق نبوءته فتعهد بعدم اشاعة مثل هذه الاكاذيب، وبرغم ذلك فقد

ظهرت علىٰ اثرها فرقة **مجيئيي اليوم السابع** (the seventh - day adventists) ومازالت الىٰ عصرنا.

و قامت فرقة اخرىٰ تدعىٰ **(الأناباتيست) أي تجديديّو التعميد**[1] (anabaptists) في القرن السادس عشر، بالاستيلاء علىٰ بعض المدن لفترات محدودة تمهيداً للسلطنة الالفية لعيسىٰ ﷺ، الا انه سرعان ما تم القضاء عليها بمنتهىٰ القسوة والوحشية. كما قامت فرقة الارفينجيين irvingites[2] بتعيين اثنا عشر حوارياً من أجل التسريع بظهوره ولكن دون جدوىٰ وماتوا واحداً تلو الاخر، وتلتها فرقة اخرىٰ تدعىٰ الارفينجيون الجدد (neo _ irvingites) التي قررت تعيين خلفاء لهؤلاء الحواريين واستمرت في نشاطها، كما قام شهود يهوه jehovahs witnesses بتحضير مبنىٰ لاستقبال عيسىٰ والانبياء الماضين في أمريكا. ومن الفرق الاخرىٰ المورمون (Mormons) والدلفينيين المسيح (christadelphians)،[3] وثمة فرق من المسيحية المتصهينة دعت ـ قبل تأسيس الصهيونية ـ الىٰ عودة اليهود الىٰ فلسطين وتأسيس دولة لهم اعداداً للمجيء الثاني للمسيح، كما تقدم ذكره.

---

١. هي من الفرق البروتستانية التي نشأت في اوروبا بُعيد عام ١٥٢٠م، وتميزت بالشروط القاسية التي وضعتها لعضوية الكنيسة، وباصرارها علىٰ إعادة تعميد البالغين ورفض عماد الاطفال. (المترجم)

٢. تأسست هذه الفرقة علىٰ يد ادوارد ارفينج عام ١٨٣٢م، ويعتقد بقرب المجيء الثاني لعيسىٰ وحاول تنظيم الكتاب المقدس في الكنيسة تمهيداً لعودة المسيح. (المترجم)

٣. أسسها هربرت ارمسترونج عام ١٩٣٤. (المترجم)

الخلاصة

آ) ولد عيسىٰ ﷺ في بيت لحم و هي التي ولد فيها داود قبل حدود ١٠٠٠ عام من الميلاد، و يشكل تاريخ ولادة المسيح بداية التاريخ الميلادي، ولكن يصعب تحديد سنة ولادته علىٰ وجه الدقة.

وكان ﷺ قد شرع في التبشير وهو في الثلاثين من عمره و قام تعليمه الأساسي علىٰ أمرين:

١. توبوا، أي توبوا عن الخطيئة و توبوا إلىٰ الله.

٢. اقبلوا ولاية الله علىٰ حياتكم.

ب) اختار عيسىٰ ﷺ في بداية الدعوة اتباعاً يستعين بهم علىٰ نشرها، و اختار منهم ١٢ تلميذاً سمّاهم الرسل و أطلق عليهم القرآن اسم الحواريين.

و يعدّ شمعون من كبار الرسل و قد أطلق عليه المسيح اسم بطرس، اي الصخرة.

ج) و علىٰ الرغم من أنّ عيسىٰ ﷺ عيّن بطرساً خلفاً له إلّا أنّ رسولاً آخر هو بولس حاز مكانة عليا حتّىٰ عدّ المؤسس الحقيقي للمسيحية.

كان اسمه في البداية شاؤول ثمّ بدّل اسمه إلىٰ بولس بعد اعتناقه المسيحية، وقد أثارت الأفكار الجديدة التي طرحها صراعا عنيفاً بينه و بين بطرس وسائر الرسل، توفّي بولس في روما في حدود الأعوام ٦٤ ـ ٦٧.

د) يعتبر العهد الجديد الكتاب المقدّس للمسيحيين و قد دوّن باللغة اليونانية، و يضمّ ٢٧ سِفْراً.

و ينقسم موضوعياً إلىٰ أربعة أقسام: الأناجيل ـ أعمال الرسل ـ رسائل الرسل ـ الرؤيا و المكاشفة.

هـ) يؤمن المسيحيون بأنّ الأناجيل أربعة و هي: إنجيل متّىٰ ـ إنجيل مرقس ـ إنجيل لوقا ـ إنجيل يوحنّا قد دوّنت بعد سنوات من مضي عيسىٰ ﷺ و هي تتناول سيرته و

كلماته، و لم يكونوا يعتقدون بأنّ لهﷺ كتاباً، و لم يكونوا يختارون انجيلا فيتبعونه بمعزل عن الأناجيل الأخرىٰ، لأنّ ايمانهم مبني علىٰ الإناجيل الأربعة معاً، و هم يعتقدون بأنّ إيمانهم غير كامل ان هم تخلوا عن أيّ من هذه الأناجيل.

و) يعني المسيحيون بعمل اللاهوت سائر مظاهر اجتهاداتهم الفكرية لفهم إيمانهم و يؤكّد اللاهوتيون الأرثوذكس علىٰ أنهم لا يعرفون عن الله إلّا ما أوحاه لهم هو نفسه. و عليه فعلم اللاهوت علىٰ وجه الدقة علم الوحي، و هو يشتمل لدىٰ المسيحيين مجالاً من الدراسات الدينية أوسع من مجال الكلام في الإتجاه الإسلامي.

ز) لاحظ المفكّرون الغربيون في القرون الأخيرة أنّ ثمّة تشابها عجيباً بين المسيحية و الأديان الهندية و رأوا أنّ كثيراً من عقائد المسيحية كالتثليث و الفداء و قصة الصلب هي بعينها موجودة في الأديان الوثنية دون ان يكون لها جذور تاريخية في عقائد بني إسرائيل.

ح) لم ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدّس و أوّل استعمال معروف لها في تاريخ المسيحية كان علىٰ لسان ثاو فيلس الأنطاكي عام ١٨٠م. بيد أنّ أسس مفهوم الثالوث تلمس في العهد الجديد و قد افصحت عنها عبارة إعطاء حق التعميد في إنجيل متّىٰ «عمدوهم باسم الأب و الإبن و روح القدس».

ط) يتفق جميع المسيحيين علىٰ أنّ السرّين الأساسيين هما التعميد و العشاء الرباني، و ثمّة خمسة أسرار أخرىٰ يعتقد بها المسيحيون الأرثوذكس و الكاثوليك فيكون مجموع الأسرار سبعة، و هي: التعميد، التثبيت، الزواج المسيحي، الدرجات المقدسة، المصالحة، مسحة المرضىٰ و العشاء الرباني.

ي) إنّ أهمّ الفرق أو الكنائس المسيحية هي: الكنيسة الكاثوليكية، الكنيسة الارثوذكسية و الكنيسة البروتستانتية.

الاسئلة

١. ما هو العهد الجديد، و ما هي أقسامه الرئيسية؟

٢. لماذا عُدّ بولس المؤسس الحقيقي للمسيحية؟

٣. اذكر تعريفا للكلمات التالية: الثالوث، أقنوم، الكويكرز، الافخارستيا و السيمونية.

٤. ما هي الأسرار السبعة؟

٥. اشرح باختصار الإمبراطورية المقدسة؟

٦. ما هو الإصلاح الكاثوليكي المضاد؟

مصادر البحث

١. أبلنغ، غ، لوثر، مدخل إلىٰ فكره، لندن، ١٩٧٠.

٢. إمرسون، هري، مارتن لوثر (بالفارسية)، ترجمة: فريدون بدرهاي، طهران، منشورات الثورة الإسلامية، ١٣٦٨.

٣. أولمان، و، تاريخ مختصر للبابوية في العصور الوسطىٰ، لندن، ١٩٧٢.

٤. بولتمان، س، يسوع المسيح والأساطير، نيويورك، ١٩٥٨.

٥. ترجمة الكتاب المقدّس، لندن، ١٩٩٥.

٦. التنير، محمد طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣.

٧. تيسن، هنري، إلهيات مسيحي، ترجمة: ط، ميكائيليان، منشورات الحياة الأدبية.

٨. جانيل، ب الإصلاح الكاثوليكي، لندن، ١٩٧١.

٩. الدر، جون، إصلاحات كليسا (بالفارسية)، طهران، منشورات نور جهان، ١٣٢٦.

١٠. روبرتسون، آ، عيسىٰ: أسطورة يا تاريخ (بالفارسية)، ترجمة حسين توفيقي، قم، مركز بحوث الأديان والمذاهب، ١٣٧٨.

١١. سايكس، س، المسيح: العقيدة والتاريخ، كمبردج، ١٩٧٢.

١٢. فورتمان، ي، الإلٰه المثلث: دراسة تاريخية لعقيدة التثليث، لندن، ١٩٧١.

١٣. فيرمس، غ، مخطوطات البحر الميت، نيويورك، ١٩٦٧.

١٤. فيلسون، ف، كليد عهد جديد (بالفارسية)، ترجمة: مسعود رجب نيا، منشورات نور جهان، طهران، ١٣٣٣.

١٥. كيللي، ج، المذاهب المسيحية القديمة، لندن، ١٩٥٨.

١٦. ماكواري، ج، مبادىء اللاهوت المسيحي، لندن ١٩٦٦.

١٧. مولند، أ، جهان مسيحيت (بالفارسية)، ترجمة: مسيح المهاجري ومحمد باقر الأنصاري، طهران، منشورات امير كبير، ١٣٦٨.

١٨. ميشال، توماس، المدخل إلىٰ العقيدة المسيحية، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م.

١٩. ميلر، ويليم، تاريخ كليساى قديم (بالفارسية)، ترجمة: علي نخستين، طهران، منشورات الحياة الأبدية، ١٩٨١.

٢٠. نوس، جون، ديانات الانسان، نيويورك، ط السادسة، ١٩٨٢م.

٢١. ولف، ك، إنجيلها (بالفارسية)، ترجمة: محمد القاضي، طهران، ١٣٤٨.

٢٢. هوردرن، ويليم، إلهيات پروتستان (بالفارسية)، طهران، شركة المنشورات العلمية والثقافية، ١٣٦٨.

٢٣. هيوم، روبرت، أديان زنده جهان (بالفارسية)، ترجمة: عبد الرحيم كواهي، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٣.

24. Arberry , A.J. (ed) , Religion in the Middle East, Cambrige Cambrige University press , 1969.
25. Cross, F.L. (ed) , The Oxford Dictionery of the Christian Church, London: Oxford Uneversity Press, 1974.
26. Kang , Hans, Christianity , New York : The continum publishing Company, 1995.
27. Mcmanners, John (ed) , The Oxford illustrated History of Christianity , Oxford : Oxford University press, 1992 .
28. Noll, Mark A, History OF Christianity in the United States and Canada Grand Rapids Michigan: William B. Eerdmans Company , 1992.
29. Rahner, Karl , Theological Investigation, London: Patron, Longman and todd, 1974.
30. Van Voorst, Robert , E., Readings in Christianity, Belmont CA: Wedsworth Publishing Company , 1997.

١٠
الاسلام والاديان[١]

١. النور والظلمة

تصنف الاديان الىٰ توحيدية وغير توحيدية، فالاديان غير التوحيدية لاتتفق مع الاسلام في التوحيد والنبوة والمعاد، لانها أحلّت الشرك محل التوحيد، والحكمة ذات الصبغة الوثنية محل النبوة،[٢] والتناسخ محل المعاد، وعليه فليس من المنطقي اجراء مقارنة بينها وبين الاسلام.

اما الاديان التوحيدية اعني (الاسلام واليهودية والمسيحية والزرادشتية) فتقر باصول ثلاثة هي التوحيد والنبوة والمعاد، ومن هذا الوجه ترتبط مع بعضها البعض بصلة قرابة (كما هو الحال في اديان الهند) لكن يبقىٰ التوحيد المسيحي يقارن التثليث، والتوحيد الزرادشتي يلازم الثنوية، مما حدا بهما الىٰ بذل تأويلات بهدف اقرار سلطان التوحيد.

نعم في نطاق الاديان التوحيدية، تتفق الديانة اليهودية في بعض الاصول والاحكام

---

١. عُقد هذا الفصل للمقارنة بين الاسلام وسائر الاديان من خلال سَوق نماذج وامثلة.

٢. من المعروف ان البراهمة ابطلت النبوة زعماً منها ان تعاليم الانبياء اما ان تطابق العقل او لا. دون ان يكون هناك شق ثالث في البين، فاذا طابقت العقل، فيصبح العقل جديراً بالاخذ ولا حاجة لقدوم نبي، واذا لم تطابق العقل عندئذ تنتفي الحاجة اليها، واما من جنح الىٰ النبوة فقد طرح شقاً ثالثاً في مقابل هذا الادعاء، وهو ان تعاليم الانبياء ﷺ فوق العقل.

مع الاسلام، واذا كان المسلمون في صدر الاسلام قد واجهوا مشاكل حادة من اليهود، فهذا يرجع بدرجة كبيرة الىٰ ممارساتهم الخيانية لا الىٰ عقائدهم، ومع ذلك لا ينبغي ان ننسىٰ ان الله تعالىٰ ذكرهم في القرآن المجيد بانهم اول من كفر بهذا الكتاب.[١]

من هنا قام علماء الاسلام بتفسير «المغضوب عليهم» في الآية «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» من سورة الحمد ـ التي هي ام الكتاب اي خلاصة القرآن الكريم ـ باليهود، وتفسير «الضالين» بالنصارىٰ مع انه كان بالامكان نسبة كلا الوصفين اليهما، هذا الفصل نلمسه بوضوح عبر مراجعة نصوص الذكر الحكيم، فقد ورد فيها ان غضب الله تعالىٰ علىٰ اليهود يعود الىٰ اقترافهم الذنوب وارتكابهم المحرمات،[٢] و ضلال النصارىٰ يعود الىٰ الاعتقاد بالتثليث والوهية عيسىٰ المسيح عليه السلام.[٣]

هذا الىٰ جانب ان اليهود والمشركين ألد اعداء المسلمين في حين ان النصارىٰ اقرب مودة اليهم،[٤] وبناء علىٰ ذلك فالآية الاخيرة من سورة الحمد قد فسرت علىٰ ضوء هذه المعارف.

وقد نسب القرآن الكريم العقائد الباطلة الىٰ اليهود وذمهم عليها، نظير: ١. عزير ابن‌الله[٥] ٢. الله فقير ونحن أغنياء[٦] ٣. يدالله مغلولة.[٧] وقد تنكرت اليهود لهذه الموارد، الا ان هذا لم يمنع المفسرين من الذهاب الىٰ ان ما ورد هو قول بعض اليهود والله سبحانه نسب كل ذلك اليهم قاطبة،[٨] نظراً لموافقة البقية لهم وعدم الاعتراض عليهم، وعلىٰ كل حال فاليهود يتبرئون من هذه العقائد الثلاثة الباطلة، كما يتبرئون ايضا مما نسب اليهم من عداوة جبرئيل.[٩]

من جهة اخرىٰ نسب القرآن الكريم الىٰ النصارىٰ عقائد باطلة وذمهم عليها، نحو:

---

١. البقرة، ٤١.
٢. البقرة، ٦١، ٩٠؛ آل‌عمران، ١١٢؛ المائدة، ٦٠؛ الاعراف، ١٥٢.
٣. النساء، ١٧١؛ المائدة، ١٧، ٧٢ – ٧٣، ٧٧، ١١٦؛ التوبة، ٣٠ – ٣٢.
٤. المائدة، ٨٢.
٥. التوبة، ٣٠.
٦. آل عمران، ١٨١.
٧. المائدة، ٦٤.
٨. التوبة، ٣٠.
٩. البقرة، ٩٧.

١. المسيح ابن الله.[١] ٢. الله هو المسيح بن مريم[٢] ٣. الله ثالث ثلاثة،[٣] وقد ابدت النصارىٰ موافقة لهذه الموارد الثلاثة واصرت عليها ما خلا الوهية مريمﷺ.[٤]

وتقترب اليهودية من الاسلام في بعض الاحكام الىٰ جانب الاصول الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، وحتىٰ ان اسماء بعض الملائكة كجبرئيل وميكائيل وردت بالعبرية في القرآن الكريم،[٥] حيث يلفت بذلك أنظار المشركين الىٰ ان انسجام معارفه مع ما يعلمه علماء بني اسرائيل، آية علىٰ صحته.[٦]

هذا الىٰ جانب اننا نحن ـ المسلمين ـ لابد ان نلمّ بعقائد بني إسرائيل سواء الحقة منها ام الباطلة للوقوف بشكل أفضل علىٰ تفسير بعض آيات الذكر الحكيم التي تمت اليهم بصلة، فقد ورد فيها اسم موسىٰﷺ ١٣٦ مرة وأشار الىٰ قضايا كثيرة لبني إسرائيل.

وعلىٰ اية حال فان أتباع الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والزرادشتية ينعمون تحت ظلال الاسلام بحياة هادئة ورغيدة، حتىٰ وصل الحال بهم الىٰ دعوتهم لانتخاب ممثلين عنهم يشاركون في تدوين القانون الاساسي للجمهورية الاسلامية في إيران والدفاع عن حقوقهم وتشريع قوانين في مجلس الشورىٰ الاسلامي.

٢. الاسم التعيّني والتعييني

ان الاسماء القديمة لاكثر الشعوب والقبائل والاسر والمدن والبلدان تتعين بصورة طبيعية ومع مرور الزمن دون عمد او قصد، وهكذا الحال في سائر الاديان، فاسم اليهودية التعيّني (Judaism) يدل علىٰ ان هذه التسمية جاءت لهم من اسلافهم الذين سكنوا مملكة يهودا واطلق علىٰ كلٍ منهم يهودي، واسم المسيحية التعيّني (christianity) يطلق علىٰ من انتسب الىٰ المسيحﷺ، وعنوان المسيحي انما ظهر بعد

---

١. التوبة، ٣٠. ٢. المائدة، ١٧ و ٧٢. ٣. المائدة، ٧٣.

٤. المائدة، ١١٦.

٥. جبرئيل بمعنىٰ الانسان الالهي وميكائيل بمعنىٰ اي انسان مثل الله، ومن الواضح انه يمكن اطلاق اية تسمية علىٰ الملائكة باية لغة كانت. ٦. الشعراء، ١٩٧.

عروج المسيح عليه السلام الىٰ السماء،[١] كما اطلقت «**الطريقة**» علىٰ هذه الديانة الجديدة.[٢]

ولايكاد يظفر بمصطلحي اليهودية والمسيحية في الكتاب المقدس في حين تكرر مصطلح الاسلام ومشتقاته في القرآن الكريم،[٣] ذلك لان الاسلام دين بلغ كماله في عهد رسول‌الله صلى الله عليه وآله، وللسبب ذاته كان له اسم تعييني منذ البداية ليتمايز عن سائر الاديان.

ويدل الاسم التعييني وخلافاً للاسم التعيّني علىٰ معنىٰ هادف وجميل واختيار مصطلح الاسلام اي التسليم لخاتمة الاديان، له هذا المدلول.[٤]

٣. الخاتمية او البشارة

تطلق الاديان الابراهيمية (Abrahamic Religions) والاديان الوحيانية (Revealed Religions) علىٰ اليهودية والمسيحية والاسلام، وهي ميراث الانبياء الالهيين عليهم السلام، وتعتقد تلك الاديان: اولا: ان اثبات صحتها يستند الىٰ الاديان التي سبقتها عبر البشارة الىٰ ظهورها، وثانيا: ان القول بخاتميتها يبطل سائر الاديان اللاحقة، واليك التفصيل:

أولاً: تعتقد اليهودية ان في ظهورها تحققاً للوعد الالهي لابراهيم عليه السلام، كما تعتقد المسيحية انها وارثة لذلك الوعد عبر طرح نظرية الخلافة (Supersession) وراحت تمضي قدماً للبحث عن بشارة ظهور عيسىٰ عليه السلام والعهد الجديد في العهد القديم، وقد أبدىٰ الاسلام عنايته بأنبياء بني إسرائيل وبالكتب السماوية الماضية، وأعلن صراحة ان البشارة بظهور نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وردت في التوراة والانجيل.[٥]

---

١. اعمال الرسل: ١١ / ٢٦. ٢. اعمال الرسل: ٢/٩ و ٤/٢٢.

٣. يُطلق الاسلام أحياناً ويُراد به كافة الاديان التوحيدية، واما عناوين اليهودية والمسيحية انما هي من مبتدعات اتباعها، هذا الاعتقاد علىٰ الرغم من امكان اثباته في علم الكلام، الا انه متعذر في علم الاديان.

٤. يطلق النصارىٰ الحاقدون مصطلح muhammadanism و muhammadan علىٰ الاسلام والمسلم منذ العصور الوسطىٰ.

٥. الاعراف، ١٥٧.

ثانياً: ان اليهودية تنكر النسخ، والمسيحية لاتنتظر عهداً آخر بعد العهد الجديد،[١] وخاتمية الاسلام وردت في القرآن الكريم والاحاديث النبوية بنحو لا يشوبه لبس ولا غموض[٢] بل هي من ضروريات الاسلام حسب اعتقاد المسلمين.

هذا الىٰ جانب ان الموعود الذي بشر به كل دين من الاديان انما يظهر ليقوي شوكة ذلك الدين، لا ان ينسخه ويأتي بدين آخر.

ولا شك ان الاعتقاد بالخاتمية يوصد الباب بوجه الشرائع اللاحقة، مما يدفعها الىٰ فتحه عبر البحث عن البشارة بظهورها في بعض عبارات الكتب التي سبقتها وتأويلها بما ينسجم والهدف الذي تتوخاه، وعلىٰ هذا الاساس راحت النصارىٰ تأول بعض عبارات العهد القديم لتأكيد وجود البشارة فيه بعيسىٰ المسيح ؑ، كما قام المسلمون بتأويل بعض عبارات العهدين: القديم والجديد للتدليل علىٰ ورود البشارة فيهما بمحمد ﷺ.

وطبعاً فان الظفر باسم النبي المبشّر به وذكر خصوصياته علىٰ وجه الدقة تبقىٰ امنية صعبة المنال الا ان هذا لا يمنع من ورود بشارات لأناس غير معروفين. فقد عثر النصارىٰ[٣] علىٰ البشارة بعمانوئيل[٤] في العهد القديم، والمسلمون علىٰ البشارة بظهور شيلو[٥] في العهد القديم، والبشارة ببعثة فارقليط[٦] في العهد الجديد.

وهكذا اتخذ المدعون بعدهم الاسلوب ذاته مع العهدين القديم والجديد، والقرآن، وقاموا بتأويل الكتب المقدسة للامم السالفة وفق اهوائهم لا علىٰ ضوء تأويل وتفسير تلك الامم.

---

١. وينكر النصارىٰ النسخ ويعتقدون ان شريعة العهد القديم مقدمة للعهد الجديد، لذلك فليس الغاء احكام التوراة في المسيحية نسخ، بل انتهاء امدها وفقاً للبرنامج المعد لها سابقاً، وحسب تعبير بولس: «اذا قد كان الناموس مؤدبنا الىٰ المسيح لكي نتبرر بالايمان ولكن بعد ما جاء الايمان لسنا تحت مؤدب لانكم جميعاً ابناء الله بالايمان بالمسيح يسوع». (رسالة الىٰ اهل غلاطية: ٣ / ٢٤ـ٢٦) وليس هذا الا النسخ عند المسلمين.

٢. الاحزاب، ٤٠.

٣. راجع: متىٰ: ١ / ٢٣.

٤. اشعيا: ٧ / ١٤.

٥. التكوين: ٤٩ / ١٠.

٦. يوحنا: ١٤ / ١٦.

وقد ساد الاعتقاد بين أتباع كل دين من تلك الاديان ان طريق الخلاص يكون فقط في الايمان بذلك الدين، لاعتقادهم بانتهاء أمد الاديان السابقة وبطلان وزيف الاديان اللاحقة، يُذكر ان اليهودية دين قومي لايُعنىٰ بالتبليغ، مما حمّل اليهود علىٰ دعوة العالم الىٰ الصهيونية بدل اليهودية بينما اهتمت المسيحية والاسلام بالتبليغ والترويج لتعاليمهما، وقد أطلق عنوان التبشير علىٰ التبليغ المسيحي، وعنوان الدعوة علىٰ التبليغ الاسلامي.

ومما يستحسن ذكره ان اطلاق عنوان النبي والرسول في اليهودية والمسيحية علىٰ اشخاص مثل دانيال وبولس لايدل علىٰ الاتيان بدين جديد.

٤. الأحقية

هنالك رؤىٰ ثلاث معروفة حول أحقية الاديان مع الاخذ بنظر الاعتبار التنوع الحاصل فيها:

١. رؤية الانبياء الالهيين عليهم السلام والكتب السماوية التي تذعن بأحقية سلسلة من الاديان السابقة علىٰ عصرها مما دعاها الىٰ اعطاء امتيازات لاتباع تلك الاديان، وانحصار تلك الاحقية بها في زمانها.

٢. رؤية جمع غفير من العرفاء والصوفيين، و تستند الىٰ أحقية كافة الاديان باعتبارها سبيل الخلاص، وقد وشّحت هذه الرؤية بحلة قشيبة من قبل بعض مفكري عصرنا ودعوا اليها، ويعتقد البعض اعتقاداً جازماً بصواب دينهم، الىٰ جانب صواب سائر الايان مادامت تتفق معها في المشتركات، ويجدر بهذا الوجه ان يجعل في عداد الرؤية الاولىٰ.

٣. رؤية الملحدين والشكاكين والربوبيين، التي أطلت برأسها من خلال ابطال سائر الاديان وانكار ما وراء الطبيعة او الاعتقاد بصعوبة الاتصال به.

٥. المنظومة الكلامية

لابد ان يُعلم ان حوار الاديان بل أي حوار لايؤول الىٰ نتيجة مطلوبة، خاصة فيما لو استولىٰ الشعور بامتلاك ناصية الحقيقة المطلقة علىٰ طرفي الحوار حين الدخول في

البحث،واتهم كل منهما الاخر بالقصور او التقصير في فهم الحقيقة، ولما كانت النفس الانسانية تستأنس بما لديها من مفاهيم وتعتبرها مطلقة، فان المشاركين في الحوار يجدون انفسهم ـ انطلاقاً من ذلك ـ امام مهمة تنحصر في تطبيق تلك المفاهيم على المصاديق بهدف اثبات الموضوع، ولكن ينبغي الالتفات الى ان العديد من المفاهيم التي تشتمل عليها الاديان ليست مطلقة ابداً، لكي يتيسر على ضوئها المقارنة بينها وبين ديننا والرجوع اليها لاثبات معارفنا.

كما يجدر ان نعلم ان احتمال رضوخ الطرف الاخر يبقى ضئيلاً للغاية، حتى لو كان منطقنا يتفق مع منطق الانبياء، لان الواجب كان يحتم عليه الرجوع الى العالم حينما يُفحم لو كان من عامة الناس، او الرجوع الى الاعلم لو كان عالماً.

من البداهة بمكان ان كل دين ومذهب ينسق منظومته الكلامية على ضوء أحقيته وابطال سائر الاديان، وهكذا الحال عند اتباعه حيث يجدون في انفسهم المهارة في البحث دون سواهم، ويقدمون على التأويل دون ان يتيحوا الفرصة للطرف الاخر للقيام بالتأويل.

ان كل دين يرى ان المقولات غير المشتركة لا معنى لها وباطلة، مثلا حينما يقول الكاثوليكي عن حياته الدينية: «انه يأكل الله» فهذا الكلام خال من معنى لدى غير المسيحي، ولكنه في الوقت نفسه له معنى عند الكاثوليكي انطلاقاً من اعتقاده، ١. ان خبز وشراب العشاء الرباني هو في الحقيقة[1] لحم ودم المسيح ٢. المسيح هو الله حقيقة، وعلى هذا فمن تناول الخبز والشراب فقد تناول الله حقيقة، والهدف من تناول الله الاتحاد به، وهذا العمل في نظر اليهودي او المسلم ليس سوى خرافة، وأما المقولات المشتركة فهي مقبولة ما دامت في نطاق الاشتراك، نظير اعتقاد المسلم واليهودي والنصراني بتغيير ارادة الله من خلال الدعاء كما في قصة أمر ابراهيم بذبح

---

١. ومجازاً حسب عقيدة البروتستانت.

ولده. وقد تصدىٰ علماء الاديان لبيانها بنحو يمكن هضمها واستيعابها بشكل أفضل.[١]

لاشك ان كل دين يجلب القناعة لاتباعه، وهذه الحقيقة يمكن ان نستشفها من الاثار القيمة لكبار العلماء مثل «**الامام الخميني**» والفيلسوف «**محمد الغزالي**» و«**الشهيد المطهري**».

وقد أشار «الامام الخميني» في مبحث المكاسب المحرمة الىٰ حقائق هامة حول أتباع سائر الاديان مما يدل علىٰ عمق افكار هذا النادرة في الزمان، فهو يقسم أتباع الاديان الىٰ عوام وغير عوام، ويقول:

اما عوامهم فظاهر لعدم انقداح خلاف ماهم عليه من المذاهب في اذهانهم بل هم قاطعون بصحة مذهبهم وبطلان سائر المذاهب نظير عوام المسلمين، فكما ان عوامنا عالمون بصحة مذهبهم وبطلان سائر المذاهب من غير انقداح خلاف في اذهانهم لاجل التلقين والنشوء في محيط الاسلام، كذلك عوامهم من غير فرق بينهما من هذه الجهة، والقاطع معذور في متابعة قطعه ولا يكون عاصياً وآثماً ولا تصح عقوبته في متابعته.[٢]

ولا يختلف غير العوام ـ لدىٰ الامام ـ عن العوام من جهة التلقين والجزم بمذاهبهم الباطلة سوىٰ انهم لا يعذرون، ولعل ذلك من جهة ثقل اعباء المسؤولية الملقاة علىٰ عاتق العالم، ولذا قال الامام الصادق: «**يُغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل ان يُغفر للعالم ذنب واحد**»،[٣] وحول أتباع غير العوام سائر الاديان، يقول:

واما غير العوام فالغالب فيهم انه بواسطة التلقينات من اول الطفولية والنشوء في محيط الكفر صاروا جازمين ومعتقدين بمذاهبهم الباطلة، بحيث كل ما ورد علىٰ

---

١. كعقيدة الشيعة بحصول البداء في حق الله تعالىٰ وهو أمر يُنكره السنة، الا ان هذاالانكار سرعان ما يزول اذا تم تبيان ذلك لهم وان المقصود من حصول البداء في ذات ذي الجلال كحصول الرضا والغضب في الذات القدسية، وايضا يزول استبعاد غيبة الامام المهدي(عج) عند السنة اذا ذكّرناهم بعدم استحالة غيبة الخضر حسب عقيدتهم.

٢. المكاسب المحرمة: ١ / ١٣٣، المطبعة العلمية، قم، ١٣٨١ هـ. ٣. الكافي: ١ / ٤٧.

خلافها ردوها بعقولهم المجبولة علىٰ خلاف الحق من بدو نشوئهم، فالعالم اليهودي والنصراني كالعالم المسلم لا يرىٰ حجة الغير صحيحة وصار بطلانها كالضروري له لكون صحة مذهبه ضرورية لديه لا يحتمل خلافه، نعم فيهم من يكون مقصراً لو احتمل خلاف مذهبه وترك النظر الىٰ حجته عناداً او تعصباً كما كان في بدو الاسلام في علماء اليهود والنصارىٰ من كان كذلك.[1]

وقد أوجز الامام وجهة نظره بقوله:

وبالجملة ان الكفار كجهال المسلمين، منهم قاصر وهم الغالب، ومنهم مقصر والتكاليف اصولاً وفروعاً مشتركة بين جميع المكلفين عالمهم وجاهلهم قاصرهم ومقصرهم، والكفار معاقبون علىٰ الاصول والفروع لكن مع قيام الحجة عليهم لا مطلقاً، فكما ان كون المسلمين معاقبين علىٰ الفروع ليس معناه انهم معاقبون عليها سواء كانوا قاصرين ام مقصرين، كذلك الكفار طابق النعل بالنعل بحكم العقل واصول العدلية.[2]

وتاييداً لنظرة الامام ﷺ هذه، ننقل كلمات الفيلسوف الغزالي والشهيد مرتضىٰ المطهري ﷺ، يقول الغزالي:

«أكثر الناس آمنوا في الصبا، وكان سبب تصديقهم مجرد التقليد للآباء والمعلمين لحسن ظنهم بهم وكثرة ثناءهم علىٰ انفسهم، وثناء غيرهم عليهم، وتشديد النكير بين أيديهم علىٰ مخالفيهم، وحكايات أنواع النكال النازل بمن لا يعتقد اعتقادهم، وقولهم: ان فلاناً اليهودي في قبره مُسخ كلباً....او حكايات منامات وأحوال هذا الجنس، ينغرس في نفوس الصبيان النفرة عنه والميل الىٰ ضده، حتىٰ ينزع الشك بالكلية عن قلبه، فالتعلم في الصغر كالنقش في الحجر، ثم يقع نشوءه عليه، ولا يزال يؤكد ذلك في نفسه، فاذا بلغ استمر علىٰ اعتقاده الجازم وتصديقه المحكم الذي لا يخالجه فيه ريب، ولذلك ترىٰ أولاد النصارىٰ والروافض والمجوس والمسلمين كلهم لا يبلغون الا علىٰ عقائد آبائهم واعتقاداتهم في الباطل والحق جازمة لو قطعوا إرباً إرباً لما رجعوا عنها، وهم قط لم يسمعوا عليه دليلاً،

---

١. المكاسب المحرمة: ١ / ١٣٣.

٢. المصدر نفسه.

لاحقيقياً ولا رسمياً. وكذا ترىٰ العبيد والإماء يسبون من المشـرك ولا يـعرفون الإسلام فاذا وقعوا في أسر المسلمين، وصحبوهم مدة ورأوا ميلهم الىٰ الاسلام، مالوا معهم واعتقدوا اعتقادهم وتخلقوا بأخلاقهم، كل ذلك لمجرد التقليد والتشبيه بالتابعين وبالطباع مجبولة علىٰ التشبيه لاسيما طباع الصبيان وأهـل الشـباب، فبهذا يعرف أن التصديق الجازم موقوف علىٰ البحث وتحرير الأدلة». [١]

ويقول الشهيد المطهري ﵀ في الفصل التاسع من كتاب العدل الالهي تحت عنوان (فعل الخير الصادر من غير المسلمين):

عندما نطلق ـ عادة ـ عنوان المسلم او غير المسلم، لاننطلق في هذه التسمية من جهة الواقع، بل من جهات اخرىٰ كالنشوء في بيئة اسلامية او التبعية للوالديـن، وهذه الجهات عارية عن أية قيمة، اذ ان الكـثير مـنّا مسـلمون بـالتبعية للـبيئة وللوالدين، نعم متىٰ ما انبثق الاسلام عن ايمان ويقين و خضوع كامل للحقيقة قلباً وقالباً اينما وجدت عندها يصبح ذا قيمة، وعلىٰ هذا فكل من حاز هذه الخصلة الا انه لسوء حظه لم يقف علىٰ حقيقة الاسلام، فليس بمقصر من هذا الباب ولعله يكون في زمرة الناجين يوم الحشر. [٢]

وفي ختام بحثه الطويل والعسير اخذ يسـهب فـي تـبيان كـيفية النـجاة مـن العـذاب واستحقاق الثواب لاكثر القاصرين من غير المسلمين عند القيام بالصالحات، ويقول:

ان اكثر من لا يرضخ للحقيقة قاصر وليس بمقصر ـ وفقاً لنظرية حكماء الاسـلام كابن سينا وصدر المتالهين ـ فلا يعذب ولا يحشر فـي الجـنة ان لم يكـن مـن الموحدين، وسوف ينال جزاء عمله ان كان موحداً يؤمن بالمعاد، ويتقرب الىٰ الله باعمال خالصة، انما الشقي هو المقصر لا القاصر. [٣]

٦. سقوط الانسان ومقولة الخلاص

ان الهاجس الاساسي للاديان يتعلق بخلاص الانسان من السقوط، وفتح باب النـجاة

---

١. الجام العوام عن علم الكلام: ١١٥ ـ ١١٦، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦ هـ.
٢. مجموعة آثار (بالفارسية): ١ / ٢٩٣.
٣. نفس المصدر: ٣٤٢.

رهن بمعرفة الحق والباطل، ولهذا السبب فان للاديان قائمة من العقائد الحقة والباطلة تجعلها في متناول يد اتباعها لكي ينظمون علىٰ اساسها حياتهم العملية، ومن هنا ظهر علم الاديان.

ان كل ما قيل كان نظرة الىٰ الاديان من الداخل، اما علم الاديان فليست مهمته بيان احقية او بطلان العقائد الدينية بل الاكتفاء بتقرير تلك العقائد.

وقد ساقت الاديان المختلفة الحديث عن سقوط الانسان «The Fall of Man» وحاجته الىٰ الخلاص، كما أشار الله تعالىٰ في سورة التين الىٰ سقوط الانسان وارجاعه الىٰ أسفل سافلين.

ومع طرح اصالة الانسان «Humanisme» في العصر الحاضر، يفقد مبحث السقوط أهميته السابقة وتوجه أنظار الاديان المتنوعة الىٰ جوانب اخرىٰ من الحياة الانسانية، اذ راح اليهود والنصارىٰ يؤكدون علىٰ خلق الانسان بصورة الله،[١] والمسلمون علىٰ مقام الخلافة الالهية والكرامة الانسانية.[٢]

لاشك ان كل دين يصدر عن ادلة عقلية ونقلية لاثبات انحصار الخلاص به، ويتنازل عن هذا الامر عند الضرورة لكي يكسب الرأي العام الىٰ جانبه، وكانت النصارىٰ علىٰ الدوام، تقول: «**لاخلاص خارج الكنيسة**»، ونقل عن بطرس قوله وهو يدعو بني إسرائيل الىٰ اتباع المسيح عليه السلام: «**وليس بأحد غيره الخلاص لانه ما من اسم آخر تحت السماء أطلق علىٰ أحد الناس ننال به الخلاص**».[٣]

وننطلق نحن ـ المسلمين ـ عن يقين قائم علىٰ مبادىء ثابتة وهو أن الفوز الاخروي مختص بالاسلام «**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**».[٤]

---

١. «خلق الله ادم علىٰ صورته» (التكوين: ١ / ٢٧) وقد ورد ما يقرب من هذه العبارة في بعض الروايات «ان الله خلق آدم علىٰ صورته» لمعرفة التفاسير المطروحة حول هذه الرواية، راجع كتاب بحار الانوار: ٤ / ١١ ـ ١٤ والحديث ٣٨ من كتاب الاربعين حديثاً للامام الخميني قدس سره.

٢. البقرة، ٣٠؛ والاسراء، ٧٠. ٣. اعمال الرسل: ١٢/٤. ٤. آل عمران، ٨٥.

٧. التهذيب

تدعو الاديان الىٰ حياة اخلاقية، وتقرر ارشادات بهدف اصلاح البشر، ويتم عبر تطبيق هذه الارشادات في الدنيا الوصول الىٰ التهذيب. صحيح ان الانسان ـ إثر كيد الشيطان ومكره ـ يؤله الحيوانات (من الصرصور وحتىٰ الفيل) ويعبدها، ولكن تبقىٰ حياته الدينية تحظىٰ بمسحة اخلاقية، واليوم هي كذلك.

روىٰ الامام الرضا عليه السلام عن الامام السجاد عليه السلام، انه قال:

قامت امرأة العزيز [1] الىٰ الصنم فالقت عليه ثوباً فقال لها يوسف، ما هذا؟ فقالت: استحي من الصنم ان يرانا، فقال لها يوسف: أتستحين من لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يأكل ولا يشرب ولا استحي انا ممن خلق الانسان وعلمه. [2]

وعلىٰ اية حال فقد راج الاعتراف بالذنب عند القساوسة الارثوذكس والكاثوليك للحد من الذنوب والخطايا في المجتمع، وكان القساوسة والاساقفة بل حتىٰ البابا يقيمون طقوس الاعتراف مرات عديدة، ولا يجوز ذلك في الاسلام واليهودية والمسيحية البروتستانية، حيث ينحصر الاعتراف بالذنوب امام الله تعالىٰ ويطلب منه الاستغفار.

وقد وصمت بعض الاديان الدنيا بالحقارة والظلمة، [3] ودعت الناس علىٰ مراحل الىٰ العزوف عنها، الامر الذي أدىٰ الىٰ تسرب الرهبانية الىٰ كافة الاديان، و مع ان الاسلام لايعترف بها، [4] الا ان بعض المسلمين أقبلوا عليها منذ القدم وقد نهاهم عنها أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلماء الدين. [5]

من المعروف ان المسيحية لا شريعة فيها، ومع ذلك فهي كأي دين آخر تحرم قتل النفس والسرقة والزنا والكذب والغيبة والتهمة وغيرها، وتبدي حساسية تجاهها، نعم

---

١. اسمها في الروايات الاسلامية زليخا. ٢. بحار الانوار: ١٢ / ٢٦٦.

٣. وفي نفس الوقت، هناك مصادر مالية للاديان تستعين بها لاجل تحقيق ما تصبو اليه من اهداف، هذه المصادر تصرف في موارد مختلفة.

٤. «انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله» (بحار الانوار: ٨ / ١٧٠).

٥. راجع نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٩.

بعض الاحكام كحرمة لحم الخنزير لا تتعبد بها المسيحية وبعض الاديان.

يُذكر ان عقيدة الفداء وتضحية المسيح بنفسه للتكفير عن خطايا البشر لاتعتبر مجوزاً لارتكابها، كما ان العفو والرحمة الالهية وشفاعة اولياء الله في الاسلام لا تفتح الباب علىٰ مصراعيه امام الخطايا.

وقد أدىٰ الاحتراز عن الخطايا والذنوب ببعض النصارىٰ الىٰ بلوغ مراتب عالية من التهذيب، والىٰ ذلك أشار المفكر الشهيد مرتضىٰ المطهري في كلام له نشر تحت عنوان الحق والباطل، حيث راح يؤكد علىٰ تقوىٰ بعض القساوسة، ويقول:

اذا نظرتم الىٰ هذه المسيحية المحرفة وذهبتم الىٰ القرىٰ والمدن، فهل تجدون كل قسيس فاسد ومنحط؟كلا، فبين هؤلاء ثلة تتمتع بشعور ايماني وتقوىٰ واخلاص، دفعها الىٰ نشر الصدق والتقوىٰ والطهارة بين الناس باسم المسيح ومريم عليهما السلام، ولعلها بذلك تدرك النجاة يوم الحشر. [١]

٨. تغيير الديانة

تضم الاديان والمذاهب بحراً زاخراً من المؤمنين الذين قامت الحوادث الاجتماعية والسياسية والعسكرية والعاطفية بصقل وجودهم التاريخي والجغرافي، وقد تترشح قطرات من هذا البحر الىٰ بحر آخر، فيحتضنها كجواهر ويفتخر بوجودها، هذه القطرات هي الاتباع الجدد.

ان البحث عن خلفيات هؤلاء الاتباع الجدد يدل علىٰ ان اغلبهم من طبقة العوام وليسوا متضلعين في دينهم، من جهة اخرىٰ فان عزوف العالم الديني عن دينه حالة نادرة للغاية، وقد كتب توماس ميشال، يقول:

وفي الواقع يبين التاريخ ان عدد المسيحيين أو المسلمين المخلصين لدينهم وضميرهم، الذين تحولوا الىٰ دين آخر، هو أقل من القليل فان بعض الافراد انتقلوا

---

١. مجموعة اثار: ٣ / ٤٣٩.

في الماضي، ومازالوا ينتقلون اليوم من دين الىٰ آخر لاسباب تمت الىٰ الزواج أو المصلحة المهنية أو التكيف الثقافي أو الضغط الاجتماعي غير أن عدد الذين يهتدون الىٰ ديانة أخرىٰ ممن هم مقتنعون راسخون في ديانتهم، ليس بالكثير. [١]

من الواضح ان تفسير الخروج من دين والدخول في آخر، امر لايمكن قبوله في علم كلام الاديان البتة، لان مسار تغيير الدين في علم الكلام يقرر علىٰ اصل احقية الدين المتبع وبطلان ما سواه.

ومن انتحل ديناً لا يجد اجابة شافية عما فعل، امام زملائه الذين لهم رغبة لمعرفة السبب الذي دعاه الىٰ انتحال الدين الجديد، بسبب عجزه عن المقارنة وعدم الاطلاع الكافي علىٰ الدين المبدأ والدين المنتحل، وبالتأكيد فكما ان الاتباع ينطلقون من أدلة للبقاء علىٰ دينهم التقليدي فكذلك الاتباع الجدد ينطلقون من ادلة تبيح لهم انتحال ذلك الدين.

وتفتح اغلب الاديان احضانها للاتباع الجدد، ولكن ثمة اديان لاتعترف بهم فيما لو حاولوا الانضمام الىٰ صفوفها، مثل: الدروز في لبنان، والصابئة في إيران والعراق، ففي نظر تلك الاديان ينحصر الانتماء اليها بمن ترعرع في اسرة تعتنق ذلك الدين.

وهناك اديان تقوم علىٰ التبليغ لاسيما لمن تحتضن اتباعاً جدد، وهناك اخرىٰ لا تهتم به، ورغم ذلك تحتضن من أراد اعتناقها كاليهودية.

وتعتمد المسيحية منذ البداية وحتىٰ الان اعتماداً كلياً علىٰ التبشير، اذ أخذ المبشرون ينتشرون في ارجاء العالم وحازوا سهماً وافراً من النجاح والموفقية، وبذلوا جهوداً كبيرة بهدف تعلم ألسنة اقوام اخرىٰ وترجمة الكتاب المقدس واعداد كراسات تبشيرية متنوعة، كما نالوا دعم الدول الاستعمارية في هذا المضمار.

ان اكثر المبشرين المسيحيين هم من البروتستانت حيث يقومون بالتبشير من

---

١. المدخل الىٰ العقيدة المسيحية: ١٦ ـ ١٧.

خلال إنشاء مستشفيات و مراكز تعليمية وترفيهية، كما استعانوا ايضاً ببرامج الراديو والتلفاز لخدمة هذا الهدف.

٩. الدين قدرة الله، الدين محبة الله، الدين رحمة الله

كانت النصارىٰ تعتقد بأن اليهودية قد استأثرت باهتمام الله تعالىٰ، الىٰ حين ظهور المسيح عليه السلام اي ما قبل ٢٠٠٠ عام، وبعد ظهوره، مال الفيض الالهي اليهم واختص بهم، وقد امضىٰ الاسلام صحة الشرايع السالفة في عصورها التي نزلت فيها، ولكنه اعتبرها منسوخة بعد ظهوره.

هذا، وقد قيل ان اليهودية دين قدرة الله، والمسيحية دين محبة الله، والاسلام دين رحمة الله.

فاليهودية دين قدرة الله ذلك لان الله تعالىٰ أمدّ اتباعها بعونه في مواطن عصيبة، منها: الموطن الذي تعرضوا فيه لملاحقة فرعون وجنوده، حيث أنجاهم منه بأن مكّن لهم عبور البحر الاحمر، في حين اغرق فرعون ومن اتبعه، كذلك انزل عليهم سبحانه المن والسلوىٰ من السماء في صحراء سيناء وكانوا يومذاك في أشد الحاجة الىٰ الطعام.

والمسيحية دين محبة الله، لان الله ـ حسب عقيدة المسيحيين ـ تجلىٰ للبشر بوجه المحبة، ومن الطريف انهم يسوقون الحديث عن محبة الله للبشر بدل محبة البشر لله تعالىٰ، حيث ورد تلميح الىٰ ذلك وان الله عاشق والانسان معشوق في الشعر والادب العرفاني المسيحي.

والاسلام دين رحمة الله لان الله بعث رسوله صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين.[1]

١٠. الالهيات

يطلق تعبير التوحيد في علم الكلام الاسلامي علىٰ مطلق الالهيات، ومن ثم علىٰ الالهيات التوحيدية.

---

١. الانبياء، ١٠٧.

وتؤمن اكثر الاديان (ولعل الاديان الحالية برمتها) بوجود الله، وتجعل له مسميات، وأحياناً يتم تناسي الاسم الخاص لله في دين او عند جماعة. والاسم الخاص له في الهندوسية «برهما»، وفي اليهودية «**يهوه**»، وفي الزرادشتية «**آهورامزدا**»، وفي الاسلام «الله»، ولايوجد في المسيحية اسم خاص له، نعم ورد في كتاب العهد الجديد اسمه العام، وفي النسخة اليونانية اسم هوثيوس.

وقد تختلف لغة الدين عن اللغة المحلية فتصطدم اللغة المحلية بعقبات، مثلاً الاسم العام له في اللغة الفارسية هو «خدا» وهو في الواقع معادل «اله»، ويطلق على «الله» ايضا، ذلك لان مسلمي الفرس الاوائل لم يجوزوا استعمال الاسم الخاص آهورامزدا محل الله، ولهذا السبب واجهت ترجمة «**لا اله الا الله**» صعوبة، ومن حسن الحظ فقد استعملت مفردة «**تانري**» في اللغة التركية محل الاسم العام «**اله**»، والاسم الخاص «**الله**» بقي على حاله، ولايوجد اسم خاص «**لله**» في العديد من اللغات الاخرى كاللغات الاوروبية، مثلا في الانجليزية مفردة «God» هو اسم عام واسم خاص ايضاً، مع هذا الفارق لو اريد الاسم الخاص فيكتب «God» دون حذف، ولم يكن هذا الاسلوب مؤثراً لانه لايعم الاستعمالات الشفوية التي هي اكثر من الاستعمالات المكتوبة.

وقد خلف الاحترام لاسم الله تعالى انواعاً عديدةً من التبو، فاليهودية وكما ذكرنا سابقاً حسب مفاد الوصية الثالثة من الوصايا العشر التي تقول «لاتذكر اسم الله باطلاً»، تحرم اطلاق اللسان باسم يهوه حين قراءة التوراة وتأتي بدله بمفردة «ادوناي» اي سيدي، هذا التبو الذي يدل على كتابة اي اسم يدل على الله تعالى سرى الى الكتابة ايضا، فبعض اليهود يكتبون (ا ـله) بدل الله و (G - d) بدل (God)، والنصارى وسائر الامم لديهم الامر نفسه، وقد اتبعت الاسلوب ذاته دائرة معارف اكسفورد، التي تضم عشرين مجلداً، حيث أوردت عشرين شكلاً لمفردة (God) الانجليزية في مدخل (God)، وأغلبها يعود الى القرنين ١٧ و ١٨.[١]

١. يضع بعض المسلمين بدل الله ثلاث نقاط، وبدل اسم الله، بسم ا... او بأسمه تعالى.

١ ـ١٠. التوحيد والشرك

يتجلىٰ ايمان البشر بالله علىٰ نحوين: التوحيد والشرك، وطبعاً يمكن استعراض كلا منهما بنحو يتفق مع الاخر.

والتوحيد في المسيحية يقترن بالتثليث، والنصارىٰ الىٰ جانب ايمانهم بالله الواحد يؤمنون بالتثليث ايضاً، وقد وجدوا انفسهم في مأزق فحاولوا جاهدين تنسيق عقائدهم دون ان تلحق خدشة بالتوحيد والتثليث، ولكن النجاح لم يحالفهم مما دعاهم الىٰ القول بان التثليث سرّ من الاسرار، هذا من جهة.

ومن جهة اخرىٰ، فان من يعتقد بتعدد الآلهة راح يبين العلاقة القائمة بينها علىٰ اساس رفع مكانة احدها (مثلا الله في العصر الجاهلي) والحط من مكانة سائر الالهة، بان تكون ملائكة او وسائط فيض لها.هذا الاعتقاد: وهو ان الصنم ليس قادراً علىٰ ان يكون معيناً لله تعالىٰ وشفيعاً للانسان، يختص بالاديان الابراهيمية التي ترىٰ ان الاصنام «**ما انزل الله بها من سلطان**»،[1] والانسان دون اعتماده علىٰ الوحي لايمكنه تبيين حدود التوحيد والشرك «**من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه**».[2]

ويؤمن الموحدون باله متعالٍ ومنزه وفوق تصور البشر ذي علم وقدرة مطلقة، واذا ورد في النصوص الدينية خلاف ذلك فلابد من تأويله.

يعتقد بعض المشركين ان الله لعظمته وتنزيهه لايرتبط بالعالم المادي. ومن هنا لابد من الرجوع الىٰ شركائه لطلب الحاجة منهم، وهذه الموجودات ـ كما يعتقدون ـ هي التي تدبّر أمر العالم، والرجوع اليها كالرجوع الىٰ الاسباب والوسائل لتوفير الحاجات الضرورية، وكان الانبياء يصرحون ان هؤلاء الشركاء لم يتم تعيينهم من جانب الله تعالىٰ، ولهذا السبب هم يفتقدون لاية قدرة ولايستحقون العبادة والتوسل اليهم.

---

١. يوسف، ٤٠. ٢. البقرة، ٢٥٥.

٢ ـ ١٠. التشبيه والتنزيه

نظرت الايان الابراهيمية في اول الامر الىٰ الفلسفة نـظرة الشك والريـبة، فـقد حـذر بولس الرسول اتباعه منها، وقال:

«انظروا ان لا يكون احد يسبيكم بالفلسفة وبغرور بـاطل حسب تـقليد النـاس، حسب اركان العالم، وليس حسب المسيح». [١]

وكان **تـرتوليانس** « tertulianus» (المـتوفىٰ نـحو ٢٢٠م) ـ وهـو مـن الرهـبان الاوائـل للكنيسة ـ يقول: **«ماهي علاقة اثينا باورشليم».** [٢]

ولم تمض فترة طويلة حتىٰ أقبل أتباع الاديان الابراهيمية علىٰ الفـلسفة واقـبلت الفلسفة عليهم، الامر الذي ادىٰ الىٰ نشوء مباحث جديدة في علم الكلام أثارت حفيظة طوائف من المسلمين، [٣] ثم ما لبثت الاديان ان خاضت هذا الميدان، الذي أسـفر عـن ظهور الفلسفات اليهودية والمسيحية والاسلامية وخلق جو مشحون بالتوتر، ومن ثم عكـف الكـثير مـن أتـباع الاديـان الابـراهـيمية عـلىٰ دراسـة المـباحث الالهـية مـن نافذةالفلسفة.

ويُطرح عادة في الفلسفة الوجود المادي وغير المادي، والانسان قادر بطبيعته علىٰ تصور المادة والطبيعة المحسوسة، واما غير المادي وما وراء الطبيعة فانه لا يـتيسر له ذلك الا من باب التصديق دون التصور، ويعبر عن ذلك العـالم المشـحون بـالاسرار والرموز بالفاظ السلب، وما ذلك الا لاننا نشعر بنقص شديد في الالفاظ التي لاتسعفنا حين الحديث عن الله تعالىٰ والامور الروحية والعقلانية، و نستخدم ـ فـي الحـقيقة ـ الالفـاظ المـتداولة فـي الحـياة البشـرية حـين التـعبير عـنها، وقـد تـرك هـذا الامـر صعوبات ومشاكل جمة.

---

١. رسالة بولس الرسول الىٰ أهل كولوسي: ٢ / ٨.

٢. الرد علىٰ أهل البدع (بالفارسية): ٧.

٣. مازال بعض المسلمين كالسلفية تضمر العداء لعلم الكلام.

وفي الواقع يستلزم كل تصور حول الله تعالىٰ كتصور وجود الذات المقدسة، وكل سلوك كعبادته، وكل تعبير كتعبير «مولىٰ وعبد» او «اب وابن» بهدف بيان علاقته سبحانه بالانسان، يستلزم التشبيه او خلع الصفات الانسانية عليه سبحانه « anthropomorphism» وينحصر ادراك هذه المفاهيم من خلال قياسها بالحالات البشرية.[١]

ويبدو ان كتب اليهود والنصارىٰ لا تتحرّج عن نسبة فعل المصارعة الىٰ الله تعالىٰ،[٢] والقرآن الكريم ينسب الىٰ الذات المقدسة المكر والخداع والكيد والانتقام، ويلمح الىٰ مجازاة من يؤذيه وضرورة نصرة المؤمنين له، والاحتراز عن خيانته و عبارات، نظير: جلوس الله علىٰ العرش،و وجوده في السماء،و مجيء الرب والنظر اليه يوم القيامة، ونسبة اليد والعين والوجه والجنب الىٰ الذات المقدسة الواردة في الآيات الشريفة، كل هذه النسب والعبارات اصبحت ذريعة لاهل التجسيم، الىٰ التشبث بظواهر النصوص والتصريح بأن كل ما ليس بجسم ليس موجوداً. في حين عمد الشيعة والمعتزلة اقتداءً بأمير المؤمنين عليه السلام الىٰ تأويل مثل هذه العبارات وايجاد معان تنسجم وتنزيهه سبحانه[٣] كما راح الاشاعرة ايضا عبر التاريخ بالابتعاد تدريجياً

١. لايمكن للفكر المادي تفسير الحوادث الطبيعية للعالم (كالفرح والحزن. والسعادة والشقاء، والسمعة الحسنة والسيئة، والغنىٰ والفقر، والصحة والمرض، وقصر العمر وطوله، وسعة الرزق وضيقه، وايضا العمران او السيل، والزلزلة، والجفاف، وغياب الامن وامور اخرىٰ)علىٰ ضوء قاعدة تاخذ بنظر الاعتبار علاقة الانسان بالله تعالىٰ دون الاستعانة بالوحي، فالكتب السماوية لليهودية والمسيحية والاسلام لاسيما القرآن الكريم قامت بتأويل الحوادث المذكورة بالاجر والثواب مستمدة العون من الحكمة البشرية، والعذاب والعقاب، والابتلاء والاملاء والاستدراج وقامت بربطها بالاخلاق والمعنويات.

٢. سِفْر التكوين: ٣٢ / ٢٤ ـ ٣٢.

٣. مال اكثر المتكلمين الذين ناهضوا أهل الحديث الىٰ سلب الجسمانية عن الله فقط واثباتها لسائر الموجودات كالملائكة، واكثر الآيات المتعلقة بالمعاد وعالم الآخرة بحاجة الىٰ تأويل في الظاهر، الا ان اغلب المسلمين يجتنبون الخوض في ذلك وهم يذعنون بالمعاد الجسماني، اما المعاد الروحاني فقد تم شجبه في المجتمع الاسلامي.

عن عقيدة أهل الحديث والنزوع نحو عقيدة الشيعة والمعتزلة،[١] وتلك الاتجاهات ماتزال ماثلة الىٰ العصر الحاضر.[٢]

وقد أُطلق علىٰ الله تعالىٰ في التوراة «النار»،[٣] وفي الانجيل «الروح»،[٤] وفي القرآن الكريم «النور»،[٥] ودعت ضرورة تنزيهه تعالىٰ بأتباع الكتب السماوية الىٰ تأويل هذه العبارات، واستعان علماء الدين في هذا الصدد بادلة عقلية ونقلية كثيرة، واذا تجاوزنا الادلة العقلية، فان من الادلة النقلية لاهل الكتاب في هذا الباب هي عبارة من التوراة، تقول: الله ليس بانسان،[٦] ومن الادلة النقلية للمسلمين الآية القرآنية الكريمة «ليس كمثله شيء».[٧]

وقام «فيلون» «philon» (المتوفىٰ ٥٤م) ذلك الفيلسوف اليهودي بشرح العهد القديم بعبارات فلسفية، وانتقل الميراث العلمي لفيلون الىٰ المسيحية علىٰ يد «اكليمنضس الاسكندري» «Clement of Alexandria» (المتوفىٰ عام ٢١٥م)، وقام «اوريجينس» «origenes» (المتوفىٰ عام ٢٥٤م) بتشذيبه وتأهيله.

وبلغت أهمية التنزيه لدىٰ متكلمي الاديان مبلغاً انهم سلبوا الكيفية عن الله وادعوا بان «الله لا كيف» بدل «الله كيف»، هذه الرؤية بلورت اتجاهاً في اليهودية والمسيحية اطلق عليه اللاهوت السلبي «Apophatic Theology» والذي علىٰ اساسه تم نفي الصفات البشرية قاطبة عن الله تعالىٰ ونفي استعمال مفردات كالوجود والموجود في حقه، ولما كان الله تعالىٰ دل علىٰ نفسه للبشر، فاللاهوت السلبي لا يؤول الىٰ اللاأدرية.

---

١. لمزيد من الاطلاع علىٰ اقوال المفسرين بشأن آيات الصفات، راجع: المفسرون بين التأويل والاثبات في آيات الصفات، بقلم الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩.

٢. لمزيد من الاطلاع علىٰ عقائد أهل الحديث، راجع: موسوعة أهل السنة: عبد الرحمن دمشقية، الرياض، دار المسلم، ١٩٩٧م، وقد ورد في هذا الكتاب ١ / ٥٦٧، ان تأويل يد الله بقدرة الله يعد بدعة باطلة.

٣. سِفْر التثنية: ٤ / ٢٤.

٤. انجيل يوحنا: ٤ / ٢٤.

٥. النور، ٣٥.

٦. سِفْر الاعداد: ٢٣ / ١٩.

٧. الشورىٰ، ١١.

ويجب علينا كمسلمين ان نرحب بكل محاولة ترمي الىٰ تنزيه الله تعالىٰ، وهي من الشروط اللازمة لفتح افاق التعاون مع أهل الكتاب.

ويمكن ان نستخلص من كل ما قيل ان نقد المصادر الدينية للاخرين لاجل شحة الالفاظ بعيد عن مواضع الانصاف، ولكن لابد من أخذ هذه النكتة بنظر الاعتبار وهي ان هذه الكتب لما كانت من وجهة النظر الاسلامية قد حُررت بأيدي البشر، فلا تقع اية مسؤولية علىٰ عاتق المسلمين حيال تبرير بعض عباراتها التي هي مدعاة للشبهة، الا انه يجب علىٰ كل مسلم ان ينتهج سبيل الانصاف لاسيما وان القرآن الكريم يحث علىٰ أتباع أفضل السبل للحوار مع أهل الكتاب.[1]

٣ ـ ١٠. التصوف والعرفان

التصوف والعرفان في الاديان رد فعل للشريعة والتعقل (الفقه والفلسفة)، والعرفان الذي يصدر من الذوق لايمكن اثباته او نفيه، ويرتبط بعلاقة وثيقة بالفن، والعرفان كالنار الموقدة تلتهم كل ما يعترض سبيلها وتسري الىٰ الامام بهدوء، وتتسم اديان الهند والشرق الاقصىٰ عامة بالطابع الصوفي، وقد تمكنت هذه الاديان في عصرنا الحاضر بفضل الدعاية من استقطاب قلوب عدد كبير في امريكا واوروبا.

وقد كتب «**العلامة الطباطبائي**» في القسم الثاني من كتاب «**الشيعة في الاسلام**» يقول:

> **«العرفان طريق من طرق العبادة (عبادة للحب والاخلاص، لا للخوف والرجاء)، وهو طريق لدرك وفهم حقائق الاديان، في قبال طريق الظواهر الدينية وطريق التفكر العقلي. كل الاديان الالهية وحتىٰ الوثنية لها اتباعها، فهم يسلكون هذا الطريق أيضاً، فلكل من الوثنية، واليهودية، والمسيحية، والمجوسية، والاسلام، لها اناس عارفون وغير عارفين».**

نعم العرفان ينبت في كل ارض ويكيف نفسه مع الدين الرائج في كل زمان ومكان،

---

١. راجع: آل عمران، ٦٤.

فهذه الاندلس انجبت بعد ثمانية قرون من الحكم الاسلامي انجبت صوفياً نظير «**ابن عربي**» (المتوفىٰ ٦٣٨هـ الموافق ١٢٤٠م) الا انها اصبحت منذ عام ١٤٩٢م. مسيحية بالكامل وقدمت صوفيين امثال «**اغناطيوس دي لويولا**» (المتوفىٰ ١٥٥٦م).[١]

وقد وصل الينا العرفان الاسلامي من أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي تنتهي اليه سلسلة عقد العرفان.

وقد يتحد استعمال مصطلحي العرفان والتصوف في المصادر الاساسية للاسلام وفي البلاد الاسلامية. وقد يطلق العارف او الصوفي علىٰ شخصيات، امثال: «**الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي**» و«**جلال الدين الرومي**» و«**الامام الخميني** قدس سره».

ويطلق علىٰ العرفان اليهودي «**قبالا**» كما تقدمت الاشارة اليه، وكانت المسيحية في البداية نوع من انواع العرفان اليهودي الذي اطلق عليه اتباعها بـ«**الطريقة**»،[٢] ثم اخذت تنحو منحىٰ مستقل، وظهر لها عرفان عميق وعرفاء كبار (وهذا الدين تبلور اثر الاعتقاد بظهور الموعود الذي مازال منتظراً) وقد مر سلفاً ان اديان الهند والشرق الاقصىٰ عرفانية بحتة ولها عرفاء.[٣]

والعرفان المسيحي يتوافق مع عرفان اديان الهند والشرق الاقصىٰ في ممارسة رياضات شاقة وتأملات، وتعتمد بعض الاديان علىٰ العرفان النظري وبعضها الاخر علىٰ العرفان العملي، ولكن يمكن القول ان العرفان بكلا شقيه حاضر في الاديان المعروفة، وحسب وجهة نظر المسلم فان عرفان المسيح عليه السلام المشاهد في المواعظ

---

١. القديس اغناطيوس دي لويولا (١٤٩١ ـ ١٥٥٦) ولد في لويولا اسبانيا وتوفي في روما، مؤسس الرهبانية اليسوعية عام ١٥٤٠، له مصنفات. (المترجم)

٢. اعمال الرسل: ٢/٩ و ٤/٢٢.

٣. معنىٰ كلام العلامة الطباطبائي رحمه الله الذي نُقل في النص هو ان للوثنية والكليمية والمجوسية والاسلام عرفاء وغير عرفاء، ونضيف عليه لو سألنا عارفا وثنيا، ما هي علاقة الوثنية بالعرفان؟ لاجاب: ان تهذيب عامة الناس يتم عبر هذه الاوثان، ولكن لايقتصر العارف علىٰ التفكير حتىٰ بمقولة ان برهمن خالق العالم، بل يذهب الىٰ أبعد من ذلك.

والارشادات علىٰ سطح جبل[1] والذي قُيّد بضرورة العمل وفق التوراة،[2] عرفان صائب. وعرفان بولس الذي انعكس في رسائله التي وصىٰ فيها اتباعه بترك العمل بشريعة التوراة،[3] عرفان غير صائب،[4] وقد ادغم العرفان بكلا شقيه في المسيحية، الامر الذي ادىٰ الىٰ افتقاد التفكيك لمعناه لدىٰ المسيحي.

٤ ـ ١٠. الوحي

يمكن ان نلمس اثار الوحي بمعنىٰ الاتصال الالهي بالبشر في كل دين الهي المنشأ.

ويعادل المصطلح الاسلامي «وحي» المصطلح المسيحي «Revelation» مع اختلاف طفيف.

الوحي لغة بمعنىٰ الاشارة ويدل علىٰ الهداية الربانية في المصطلح الاسلامي. وقد استعمله القرآن الكريم مرات عديدة في الهداية التكوينية للموجودات والهداية التشريعية للبشر، وسائر انواع الهداية كالوحي الىٰ السماء (فصلت / ١٢)، والىٰ النحل (النحل / ٦٨)، والىٰ الملائكة (الانفال / ١٢)، والىٰ الانبياء (النساء/ ١٦٣) والىٰ ام موسىٰ للحفاظ علىٰ حياة ولدها (القصص / ٧).

وقد اشتق «Revelation» من الاصل اللاتيني «Revelare» بمعنىٰ الظهور والكشف، ويدل في المصطلح المسيحي علىٰ ظهور الله للبشر من اجل خلاصهم، دون ان يقتصر علىٰ عالم الخلقة الذي هو مظهر الصانع، بل يتعداه الىٰ نجاة بني إسرائيل عبر فلق البحر لهم، واحكام التوراة، وسيرة المسيح عليه السلام التي تعد من مصاديق الوحي المسيحي.

---

١. متىٰ: ٥ ـ ٧.　　٢. متىٰ: ٥ /١٧.

٣. رسالة الىٰ اهل الروم: ٤ /١٣ ـ ١٥.

٤. يطلق علىٰ العرفان المزيف التصوف، ومن تلبس به الصوفي، وادعت بعض الصوفية الضالين الوصول الىٰ مقام اليقين والثمالة في العشق الالهي استناداً الىٰ الآية المباركة «واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين» (الحجر، ٩٩) و «لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ» (النساء، ٤٥) مما حدا بهم الىٰ ترك العبادات.

الوحي في اليهودية كالاسلام تقريباً، مع هذا الفارق وهو ان الوحي والنبوة قد انقطع قبل الميلاد بنحو اربعة قرون.

وهناك وحي لاكثر الاديان في العالم، ولكن هل يمكن مشاهدة آثاره في الاديان البدائية؟ هذا يعتمد الىٰ حد بعيد علىٰ التعريف المطروح له.

٥ ـ ١٠. الكتب السماوية

ان الصورة المادية للوحي التي بقيت في الادوار اللاحقة، هي الكتب المقدسة التي نقلها الوحي الىٰ الاجيال القادمة، ويطلق عليها أتباع الاديان اسم الكتب السماوية والمقدسة نظير: «**الفيدات**» و«**تري بيتكا**» و«**افستا**» و«**العهد القديم**» و«**العهد الجديد**» و«**القرآن الكريم**»، ولها طابع مقدس والادب المتداول فيها متنوع، يشار الىٰ ان الكتاب المقدس قد يكون خرافياً لدىٰ دين آخر وبالعكس.

وقد ظلت بعض الكتب المقدسة محفوظة في الصدور لقرون متمادية، عبر تناقلها شفوياً من جيل الىٰ جيل حتىٰ تم تدوينها، وبعضها الاخر دُونت منذ البداية.

٦ ـ ١٠. القرآن والكتاب المقدس

دُون العديد من الكتب المقدسة بدايةً دون الاخذ بنظر الاعتبار منشأها السماوي، وقد تم الاذعان بسماويتها بعد مرور حقبة من الزمان، في حين أكد القرآن الكريم منذ نزوله علىٰ انه كتاب الهي منزل بواسطة الوحي، وقد أشار الىٰ ذلك مرات عديدة.

لاشك ان المقارنة بين القرآن الكريم وبين الكتب السماوية تكشف لنا بوضوح ان هذا الكتاب الالهي يضم بين دفتيه معارف توحيدية واخلاقية تفوق ما ورد في التوراة والانجيل كثرة ورصانة، وكشاهد علىٰ ذلك يكفيك اجراء مقايسة بين قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم مع القصة ذاتها في سِفْر التكوين ٣٧ ـ ٤٦، وهكذا الحال في قصة ابراهيم عليه السلام وموسىٰ عليه السلام و قصة داود عليه السلام التي وردت بشكل مخجل في العهد القديم، وهو

يتحدث عن العلاقة التي اقامها داود مع امرأة اوريا (سِفْر صموئيل الثاني: ١١).

ومن الواضح ان اليهود والنصارىٰ والمسلمين وأتباع سائر الاديان يستلهمون ارشادات اخلاقية من كتبهم المقدسة.

ويعد القرآن الكريم الحجر الاساس للاسلام، بينما اتفق ظهور الاناجيل وسائر كتب العهد الجديد ـ حسب اعتقاد النصارىٰ ـ بعد تاسيس المسيحية بعقود، وكان للمسيحية كيان قائم يومذاك.

۷ ـ ۱۰. قدم كلام الله

ان الاعتقاد بقدم كلام الله في اليهودية، ساق الىٰ الاعتقاد بعدم مخلوقية المسيح عليه السلام عند النصارىٰ استناداً الىٰ مجمع نيقيا، اما في الاسلام فقد راج الاعتقاد بقدم القرآن الكريم عند أهل السنة، وقالوا: ان القرآن، كتابته وحفظه وتلاوته كلام الله، غير مخلوق له سبحانه، ولكن كتابتنا وحفظنا وتلاوتنا له مخلوقة.

وساد بين اليهود الاعتقاد بان التوراة كانت قبل الخلق وكتبت باحرف من نار بيضاء وسوداء، ثم املاه الله تعالىٰ علىٰ موسىٰ عليه السلام الذي دوّنها بدموعه[1] (اي ان تدوينها رافقت احاسيسه).

۸ ـ ۱۰. مؤلفو الكتب المقدسة

لاشك ان البحث عن مؤلفي الكتب المقدسة له اهميته لاسيما تلك التي تخلو من الوحي، ولاشك ان القرآن الكريم برمته ومقاطع من التوراة الحالية هي وحي مباشر من الله تعالىٰ، الا ان مقدمة انجيل لوقا تدل علىٰ ان مؤلفها جمع مادة انجيله، التي تضمنت سيرة السيد المسيح وكلماته عن طريق الرجوع الىٰ مقربيه عليهم السلام، وأشار ايضا الىٰ محاولات عديدة بُذلت في هذا الشأن، وفي الحقيقة فقد تمكن النصارىٰ من اعداد

١. تلمود اورشليم: شقاليم: ١/٦.

كتب العهد الجديد من بين ركام من المكتوبات بعد جهد جهيد التهم زمناً طويلاً.

ومن راجع القرآن الكريم يلمس هذه الحقيقة وهي ان هذا الكتاب الالهي هو جمع محض لكلمات الله دون ان نشاهد عنصراً آخر فيه.

وقد دونت كلمات الله في القرآن بمنتهىٰ الدقة والحيطة، حتىٰ ان مفردة **«قل»** في الآية **«قل هو الله احد»** بقيت علىٰ حالها مع الخطاب ونقلت الىٰ الاجيال القادمة، ويرددها المسلمون علىٰ السنتهم حين تلاوة الآية.

ان التوراة الحالية هي في الواقع تقرير لتاريخ بني إسرائيل وماضيهم و سيرة موسىٰ عليه السلام وتدوين للوحي الذي انزل عليه من قبل الله تعالىٰ.

اما الاناجيل الاربعة للعهد الجديد فقد تناولت سيرة عيسىٰ عليه السلام وكلماته ولم تتضمن كلمات الوحي التي نزلت مباشرة، وتعتقد المسيحية ان المسيح عليه السلام هو الله و له رسل، فقام بعضهم بتأليف الاناجيل وبعضهم الاخر بتاليف سائر اقسام العهد الجديد.و من هنا فان جميع هذه الكتب هي وحي الهي حسب زعمهم.

ويشترك العهد القديم والعهد الجديد في عدد من رسائل المناجاة والحكمة والشعر والنبوة والمكاشفة كالزبور وهي مناجاة داود عليه السلام.

وثمة ٢١ رسالةً للرسل فيالعهد الجديد ذات طابع ادبي جديد قلّ ان نراه في العهدالقديم.

٩ ـ١٠. اعتبار الكتب السماوية

لو القينا نظرة علىٰ الكتب السماوية للاديان الابراهيمية من الداخل لوجدنا ان اعتبارها ليس علىٰ حد سواء، فقد انكر اليهود سماوية الانجيل والقرآن الكريم، وانكر النصارىٰ سماوية القرآن، اما المسلمون فهم لايقرون بان كتابي التوراة والانجيل المتداولين هو نفس الكتابين المصدقين من قبل القرآن، واللذين نزلا علىٰ قلب موسىٰ عليه السلام وعيسىٰ عليه السلام (آل عمران ٣ ـ ٤ وآيات اخرىٰ) في حين يذهب أهل الكتاب الىٰ الاعتقاد عن جزم بان

التوراة قد اُلفت من قبل موسىٰ عليه السلام، ويعتقد النصارىٰ انه لا يوجد كتاب لعيسىٰ عليه السلام، وما الاناجيل الا سيرته واحاديثه لا انها تدوين للوحي المنزل عليه، والاناجيل ذاتها لا تدعي انها تدوين للوحي الالهي النازل علىٰ عيسىٰ عليه السلام، واسلوب كتابتها لا يدل علىٰ ذلك ايضاً، يُشار الىٰ أن اليهود والنصارىٰ يعتبرون التوراة والانجيل وحيانية ومقدسة وسماوية بسبب محتواهما.

وفي ظل غياب تعريف مشترك للكتاب الوحياني والمقدس والسماوي، يذهب كل من اليهود والنصارىٰ والمسلمين ـ حسب مقتضىٰ دينهم ـ الىٰ قدسية كتبهم.

واما لو القينا نظرة اليها من الخارج، فنجد ان للقران الكريم تاريخاً حافلاً بسبب وقوعه في متناول ايدينا في اطار الحضارة الاسلامية، وكل باحث يقطع ببلوغ هذا الكتاب حد التواتر لدىٰ المسلمين خلافاً للتوراة والانجيل اللذين اطلا علينا من ظلمات التاريخ ودياجيره فلا يحفلان بتاريخ ساطع، وليس بالامكان ادعاء تواتره حتىٰ زمان موسىٰ عليه السلام وعيسىٰ عليه السلام الامر الذي حدا باليهود والنصارىٰ الىٰ طرق ابواب اخرىٰ لاثبات الهية هذه الكتب.

وقد افصحت التوراة والانجيل ـ حسب ما ورد في القرآن الكريم ـ عن اسم نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله ولكن أهل الكتاب في عصرنا انكروا أية اشارة اليه صلى الله عليه وآله في كتبهم اعتماداً علىٰ نسخ قديمة من التوراة والانجيل توجد في المتاحف والمكتبات المهمة في العالم، ويعود تاريخها الىٰ ما قبل الاسلام، ولم يشاطروا المسلمين تاويلاتهم في هذا الباب، وكما كان متوقعاً فانهم تحاشوا تصديق من ترك دينه بموجب هذه البشارات واعتنق الاسلام، ونستخلص من مجموع هذه الفروق ان القرآن يتحدث عن التوراة والانجيل اللذين فُقدا كصحف ابراهيم.[1]

وبالطبع فان القول بوجود توراة وانجيل آخرين لايجد صدىٰ ـ مثل سائر معارف القرآن الرفيعة ـ الا عند المسلمين وكل من انقاد لهذا القول، فهو مسلم.

---

١. الاعلىٰ: ١٨ ـ ١٩.

١٠ ـ١٠. هل الكتاب المقدس محرّف

إنّ إحدى المسائل التي كانت مثاراً للجدل بين الكلام الإسلامي والمسيحي، هي مسألة التحريف، فقد صرّح القرآن الكريم في العديد من آياته بنزول التوراة والإنجيل (وليس الأناجيل) ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۞ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾.[1]

و يعتقد المسلمون أنّ التوراة و الإنجيل المنزّلين من الله سبحانه قد طرأ عليهما التحريف، و حذفت منهما مسائل من قبيل البشارة بظهور نبي الإسلامﷺ، و أضيفت إليهما خرافات و أوهام كجسمانية الله تعالى، ولكن أهل الكتاب رفضوا فكرة تحريف كتبهم المقدّسة بشدّة، وأظهروا مشاعر الغضب إزاء هذا الإدعاء، ولفتوا الأنظار إلىٰ النسخ الخطية للعهد القديم التي يعود تاريخها إلىٰ (٢٠٠٠) سنة، وإلىٰ النسخ الخطية للعهد الجديد التي يرجع تاريخها إلىٰ (١٦٠٠) سنة، والتي تحتفظ بها المتاحف والمكتبات الهامّة في العالم، وراحوا يتساءلون عن زمن التحريف وعن مكانه و مغزاه؟

و قد ردّ علماء و محققو الإسلام علىٰ هذه التساؤلات بإجابات تستند في معظمها إلىٰ الاعتقاد بنزول التوراة والإنجيل، الأمر الذي أثار دهشة المسيحيين الذين لم يؤمنوا قطّ بأن لعيسىٰ عليه السلام كتاباً.

إنّ إلقاء نظرة سريعة علىٰ التوراة والأناجيل تكشف بسهولة أنّ هذه الكتب مغايرة للطابع العام للقرآن الكريم، بل هي بالكتب التاريخية أشبه. يُذكر أنّ الأناجيل الأربعة لم تنسب أيّ نص من نصوصها إلىٰ الوحي، بل نسبت الأحاديث والحكم الواردة فيها إلىٰ عيسىٰ عليه السلام.

و يعتقد المسيحيون أنّ الأناجيل دوّنها البشر، و أضفوا عليها صبغة إلهية وفقاً

---

١. آل عمران، ٣، ٤.

لمعاييرهم الكلامية الخاصة، و ادّعوا أنه ليس ثمّة كتاب سماوي وراء هذه الكتب.

إنّ الحقيقة التي ينبغي أنّ نعيها لئلّا نكون أكثر كاثوليكية من البابا نفسه، هي أن المسيحيين حين يعرضون الأناجيل الأربعة للمسلمين للإيمان بمضامينها لا يدّعون أنها لعيسىٰ عليه‌السلام كما تقدّم سلفاً، بل يعتقدون أنها دوّنت بعده عليه‌السلام لأجل تبيان رسالته. فالنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله مبيّن للكتاب في الاسلام، في حين ان الكتاب مبيّن للنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله في المسيحية.[1]

١١ ـ ١٠. الذكر الحكيم والتحريف

علمنا ان الاعتقاد بتحريف التوراة والانجيل ساد في أوساط المسلمين الذين يستضيئون بنور القرآن الكريم، ووجود كلمات الوحي في بعض كتب العهد القديم لايغير من حقيقة ذلك الاعتقاد مثلما لاتغير وجود آيات من القرآن الكريم في كتب السيرة النبوية من حقيقة هذه الكتب، هذه الآيات علىٰ الرغم من كثرتها لاتُحوّل كتب السيرة الىٰ قرآن كريم.

قد يقال إن مسألة تحريف التوراة والإنجيل وردت في القرآن الكريم. ولكنها لم ترد فيه بنحو صريح. والآيات التي تمّ الاستناد إليها لإثبات التحريف، هي:

الآية الأولى: **«أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون»**.[2]

الآية الثانية: **«و إن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عندالله و ما هو من عندِاللهِ و يقولون علىٰ الله الكذب و هم يعلمون»**.[3]

الآية الثالثة: **«من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا و عصينا واسمع غير مسمع و راعنا ليّاً بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا**

---

١. يعتقد عامة المسيحيين ان عيسىٰ عليه‌السلام هو إله ونبي.

٢. البقرة، ٧٥.

٣. آل عمران، ٧٨.

واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهمالله بكفرهم فلايؤمنون إلا قليلاً».[١]

الآية الرابعة والخامسة: «**فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلبوهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً ممّا ذكروا به ولاتزال تطلع علىٰ خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين**».[٢]

و قبل أن نلقي نظرة عامة علىٰ الآيات المذكورة، لابدّ من الإشارة إلىٰ أنّ هذه الآيات قد نسبت التحريف إلىٰ اليهود فيما يرتبط بالتوراة فحسب، ومن الصعب بمكان أن نقول للمسيحيين أنّ اليهود حرّفوا إنجيلكم.

ويبدو أنّ القرآن الكريم لم يض علىٰ تحريف كتب اليهود والنصارى صراحة، لأنه:

أولاً: إن الآيات المذكورة لم تصرح بتحريف التوراة والإنجيل، بل جاء فيها ـ كما رأينا في أحد الموارد ـ تعبير «كلام الله» الذي أجمع المفسّرون علىٰ أنّه إشارة إلىٰ عمل أحبار اليهود في عصر موسىٰ عليه السلام، و لاعلاقة له بتحريف التوراة والإنجيل بعد بعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولعلّ الآية ناظرة إلىٰ السلوك غير المناسب ليهود صدر الإسلام تجاه كلام الله (القرآن الكريم)، حيث كانوا يحرّفون الآيات التي يسمعونها عند نقلها إلىٰ الآخرين بغية النيل منه.[٣]

و جاء في الموارد الثلاثة المذكورة تعبير «كلم» الذي سنلقي الضوء عليه من خلال الاستعانة بالآية (٤٦) من سورة النساء.

ثانياً: إنّ التحريف المذكور في الآيات عزي إلىٰ السمع واللسان (يسمعون كلام الله ثمّ يحرّفونه)، (يلوون ألسنتهم بالكتاب)، (ليّاً بألسنتهم) و قيل إن القرآن الكريم نص في ثلاثة مواضع علىٰ تحريف الكلم، وردت جميعها في الآية (٤٦) من سورة النساء. وإليك هذه التحريفات مشفوعة بشكلها الصحيح:

---

١. النساء، ٤٦.
٢. المائدة، ١٣؛ ومثلها في ٤١.
٣. نظير حيلة بعض اليهود بالإيمان بالاسلام وجه النهار والكفر به آخره بهدف زعزعة إيمان المسلمين [آل عمران، ٧٢].

١. (سمعنا و عصينا) بدل (سمعنا و أطعنا)، ذلك أنّ بعض اليهود كان يحرّف اللفظ العبري (عسنو) الذي يعني فعلنا إلىٰ عصينا بالعربية استهزاءً.

٢. (اسمع غير مسمع) بدل «اسمع» فحسب.

٣. (راعنا) بدل «انظرنا» و (راع) في اللغةالعبرية تعني الشرير...، فراعنا أي شريرنا.

إن التلاعب بالألفاظ و الكلمات لأهداف خاصة كان واحداً من عادات اليهود المذمومة، و تجد نماذج كثيرة من ذلك في التلمود؛ و تحدّثت كتب السير عن أنّ بعض اليهود كان يُحيّي النبي بقوله: السام عليك (أي الموت عليك)، فيرد ﷺ عليهم: عليك.

و نستشف من هذا كله أنّ القرآن الكريم لم ينص علىٰ تحريف التوراة والإنجيل بشكل صريح، و إنما تحدث عن تحريف الكلم، و هذا التحريف وقع في الكلمات المتداولة في حوارهم مع الآخرين، ولا علاقة له بالتوراة والإنجيل. إضافة إلىٰ أنّ التحريف المذكور لم يتجاوز مرحلة القول والسمع إلىٰ مرحلة التدوين. كما أنّ آيات التحريف ليست ناظرة إلىٰ كتب التوراة والإنجيل المتواجدة حالياً. وللبتّ في ذلك يجب صرف النظر عن هذه لآيات.

وينبغي لنا كمسلمين ان نكون حذرين من اتهام كتب التوراة والانجيل التي يعرضها أهل الكتاب بالتحريف.

أليس من المناسب التصريح بان كتب التوراة والانجيل الواقعية قد فُقدت مع صحف ابراهيم وحلت محلها هذه الكتب البشرية العارية من اي اعتبار ؟ ان العثور علىٰ جمل من التوراة الواقعية في التوراة الحالية لايضع حداً للمشكلة ذلك انه يمكن الظفر بآيات من القرآن في السيرة النبوية دون ان تجعلها قرآناً.

يقول الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1]

وروي عن النبي ﷺ انه قال: «**ان بني إسرائيل كتبوا كتاباً فتبعوه وتركوا التوراة**».[2]

---

١. البقرة، ٧٩. ٢. سنن الدارمي: المقدمة، ح ٤٨٠.

١٢ ـ ١٠. فهم الكتب السماوية

حينما نمعن النظر في محتوىٰ المتون المقدسة نجد ان ثمة اساليب أربعة متداولة فيها، تتدرج من البساطة الىٰ التعقيد ومن العينية الىٰ الذهنية، ومن الشائعة الىٰ النادرة، وهي كالتالي:

١. الترجمة وهي محاولة نقل محتوىٰ النص المقدس من لغة المبدأ الىٰ لغة المقصد وعادة ما يكون ادبياً وموجزاً.

٢. التفسير اي توضيح جوانب غامضة من النص المقدس وازاحة الابهام والتناقض عنه من خلال الاستعانة بمقاطع اخرىٰ من النص ذاته او سائر المصادر العقلية والنقلية والعلمية.

٣. التأويل وهو عبارة عن تلطيف وتعميق وتعميم النص المقدس دون الاخذ بنظر الاعتبار المعنىٰ الظاهري للالفاظ لاجل التغلب علىٰ بعض الاشكاليات المعرفية او تقرير بعض المفاهيم المتعالية.

٤. تقرير مفاهيم ذوقية لاتمت بصلة الىٰ المعنىٰ الظاهري او الباطني للمتون المقدسة عن طريق التامل في وضع الكلمات وحروف النص المقدس وعددها وحسابات اخرىٰ، ويفتقد هذا الاسلوب الىٰ مصطلح خاص في المعارف الاسلامية ويعد من اقسام التأويل، و يسميه أهل الكتاب «Anagogy» (التأويل الروحي والصوفي).

ان فصل هذه الاساليب عن بعضها البعض ليس بالامر الهين، ذلك ان الاساليب البسيطة بحاجة ماسة الىٰ الاساليب المعقدة، مثلا الترجمة بحاجة الىٰ التفسير أحياناً والىٰ التأويل اخرىٰ، والتفسير ايضا ينتهي الىٰ التأويل في موارد. هذا من جهة، ومن جهة اخرىٰ فان الاساليب المعقدة لاتلغي الاساليب البسيطة بل تكون عنصراً مكملا ومعمقاً لها.

ومن الواضح ان هذه الاساليب لم تكن قائمة عند ظهور الكتب المقدسة، لان كلام الوحي كان علىٰ قدر فهم المخاطبين الاوائل، ولم تبدر مشكلة في الفهم حتىٰ في الحروف المقطعة للقرآن الكريم.

وانما أطلت المشكلة برأسها في الاجيال اللاحقة التي اختلفت مع الجيل الاول زماناً ومكاناً وفهماً، مما اضطرهم الىٰ اللجوء الىٰ الترجمة والتفسير والتأويل من اجل التخلص منها.

وسنشير لاحقاً الىٰ ان معضلة الآيات المتشابهة هي في الوعود التي وردت في هذه الآيات لا في فهم معانيها.

وليس من اليسير التميز بين التأويل والتفسير ذلك ان بامكان المرء ان ينطلق من خلفياته الذهنية ليطلق علىٰ بعض التأويلات تفسيراً وعلىٰ بعض التفاسير تأويلاً.

فعلىٰ سبيل المثال يمكن ان يُقال: ان القسم الوارد في أول سورة «الليل» و«الفجر» و«الضحىٰ +الشرح»[١] و «العصر» يتعلق بأجزاء من الليل والنهار لاسيما مع الاخذ بنظر الاعتبار ان ترتيب نزولها يشبه الىٰ حد بعيد ترتيب أجزاء الليل والنهار، وقد روعي نفس الترتيب في هوية السور المذكورة عند طباعة المصحف الشريف.

وعليه يكون تفسير و«العصر» بالقسم حين الغروب، وسائر المعاني المقترحة للعصر مثل «الزمان» و «عصر النبي ﷺ» و«عصر الظهور» و«صلاة العصر» و«اليوم» و«الضغط »و«خلاصة عالم الخلقة» هي مجرد تأويلات ليس الا، تأويلات جميلة وممتعة ويمكن ان تعتبر تفسيراً، وقد مال اليها أغلب المفسرين.[٢]

من جهة اخرىٰ يطلق علىٰ التفسير أحياناً التأويل، وثمة مجازات كثيرة نظفر بها في النصوص المقدسة حسب مقتضىٰ البلاغة مثل: النور والظلمة، والحياة والموت،

---

١. سورة «الضحىٰ» وسورة «الشرح» في حكم سورة واحدة، حتىٰ قيل: ان المصلي لو اختار قراءة احداهما في الصلاة فلابد من الحاق الاخرىٰ بها، وهكذا الحال في سورة «الفيل» وسورة «قريش».

٢. وقد اختار في الميزان «عصر النبي ﷺ» كما رجح التفسير الامثل «زمان وتاريخ البشر» و «عصر النبي ﷺ» مع الاشارة الىٰ امكان جمع كل الوجوه المذكورة وزجها في الآية دون ان يقع التعارض بينها، ويكون القسم شاملا لها جميعاً. ثم يضيف:«ان ماقيل يدل بوضوح علىٰ عظمة آيات الذكر الحكيم وسعة مفاهيمها بنحو ان أي كلمة منها تتمتع بغزارة المعنىٰ مما يؤهلها الىٰ وضع تفاسير دقيقة ومتنوعة لها».

واليقظة والنوم، والحذر والغفلة، والعمىٰ والبصر، والسمع والصم، ويتيسر فهمها لدىٰ الجميع اي انه لا أحد يجهل بالمرة معنىٰ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾،[١] ولا يبعد عن الصواب فيمالو قام بتأويلها، وهكذا تأويل هو في الواقع تفسير.

١٣ ـ١٠. تأويل الكتب السماوية

التأويل لغة من أوّل بمعنىٰ أرجع، وقد ورد هذا اللفظ (١٧) مرة في القرآن الكريم، والمقصود منه تحقق الامر الذي تهيأت مقدماته، نظير: حلول الوعد القرآني في الثواب والعقاب،[٢] وتعبير الاحلام،[٣] وتبرير الاجراءات التي قام بها الخضر ﷺ،[٤] وظهور عاقبة الاعمال الدنيوية في الآخرة.[٥]

والتأويل اصطلاحاً هو غض الطرف عن المعنىٰ الظاهري لالفاظ النص المقدس واقتراح معنىٰ جديد لا يفهم لاول وهلة من ظاهر تلك الالفاظ.[٦]

وقد ورد التأويل في النصوص الاسلامية في مقابل التنزيل، حيث اعتبرت التنزيل مصاديق عينية دقيقة لآيات الذكر الحكيم، والتأويل تعميم لتلك المصاديق.[٧]

وقد استوحىٰ علماء الدين مصطلح التأويل من الآية السابعة لسورة آل عمران، ولكن من الواضح ان هذا المصطلح الوارد في الآية وسائر الآيات لا يمت بصلة الىٰ ذلك المصطلح الاسلامي المتأخر عن عصر النزول.

يُشار الىٰ انه لو استعمل كلام المخاطب في مجال آخر ليكتسي معنىٰ جديداً، عندئذ يطلق علىٰ هذا الاسلوب «**اقتباس**» ولا علاقة له بالتأويل.

---

١. البقرة، ١٨.

٢. آل عمران، ٧ (وردت مرتين)؛ الاعراف، ٥٣ (وردت مرتين)؛ ويونس، ٣٩.

٣. يوسف، ٦، ٢١، ٣٦، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ١٠٠، ١٠١.

٤. الكهف: ٧٨ و ٨٢

٥. النساء، ٥٩؛ الاسراء، ٣٥.

٦. التأويل في القرون الاولىٰ للاسلام بمعنىٰ التفسير.

٧. وقد ورد في أحاديث كثيرة ان رسول الله ﷺ قال في حق علي بن أبي طالب ﷺ: «ان منكم من يقاتل بعدي علىٰ التأويل كما قاتلت علىٰ التنزيل».

وعند التأويل يصرف النظر عن ظاهر الالفاظ، وهذا يعني ان المعنىٰ المقترح لاهل التأويل لايستند بشكل مباشر الىٰ النص وانما يُصار اليه بمقتضىٰ الضرورة، وقد قيل: «**ان الضرورات تبيح المحظورات**».

وتعود ضرورة التأويل الىٰ ان لغة النصوص الدينية التي يرجع عهدها الىٰ عهد بساطة الدين قد انتهىٰ أمدها نتيجة عامل الزمان (تراكم المعارف والتجارب البشرية)، وعامل المكان (انتشار الدين في مناطق واسعة من العالم)، مما أدىٰ الىٰ تحول محكمات الكتب السماوية بالتدريج الىٰ متشابهات، وظهور افكار عميقة ودقيقة، يجب ان تستند ـ مهما كلف ـ الىٰ المتون الاصلية لتكتسب بذلك القيمة والاعتبار ويكون محتواها في مستوىٰ عقول مخاطبيها.

ان الميراث الثقافي للمجتمعات اليهودية والمسيحية والاسلامية يدل بوضوح علىٰ ان النخب في كل من هذه المجتمعات قد لمسوا هذه الحقيقة وهي ان النصوص التي تحظىٰ بقدسية واعتبار رفيع و أتباع، قد تحدثت خلافاً لرغباتهم ومقاصدهم.

من هنا لم يهدأ بال فريق منهم الا بالاعراض عن النصوص المقدسة، الامر الذي أدىٰ الىٰ اثارة سخط جموع غفيرة من المؤمنين عليهم، واذكاء عداوة الاجيال الماضية من اليهود والنصارىٰ والمسلمين للفلسفة.

كما بذلت شريحة واسعة من هذه النخب جهوداً كبيرة لرفع مستوىٰ عقول الناس والتأكيد علىٰ ضرورة التأويل من خلال لفت الانظار الىٰ بطون النصوص المقدسة، وتلبية مقاصدهم منها بالاعتماد علىٰ التأويل، وقد اسفرت جهودها اخيراً عن تبديل الفلسفة الىٰ عرفان والىٰ تمكن الاجيال اللاحقة من مدّ جسور الوئام والوفاق مع الفلسفة.

ويظهر من كل ماقيل ان التأويل وبسبب عدم تمتعه بدعم من ظاهر النص له حالة ذهنية، والتفسير الذي يدعمه ظاهر النص له حالة عينية.

ان افتقاد التأويل لدعم مباشر من النص حدا بأهل التأويل الىٰ ايجاد تأويلات

اصلاحية الىٰ جانب التفسير، ولكن يظهر ـ بقليل من التأمل والإمعان ـ ان عـامة أهـل التأويل قد لمسوا عدم جدوىٰ التفاسير الظاهرية، فطرحوا تاويلات علىٰ أمل ان تلقىٰ آذاناً صاغية وتحسب تفسيراً صائباً وقطعياً للـنصوص المـقدسة وذلك عـند تكـامل وعي الناس.

وهذا ما اتفق، فان عقول النـاس قـد أخـذت بـالتكامل رويـداً رويـداً وراح أتـباع اليهودية والاسلام يدركون بـالتدريج ضـرورة تأويـل الصـور المـادية التـي اضـفتها النصوص المقدسة علىٰ الله تعالىٰ والملائكة والحشر والقيامة والجـنة والنـار، عـلىٰ ضوء وضع درجات للتجرد، والاعتقاد بتجرد الله تعالىٰ كان اول خطوة اتخذت علىٰ هذا السبيل، وبالطبع فان بعض علماء هذه الاديان اقـتصروا عـلىٰ هـذه الخـطوة ولم يذهبوا أبعد من ذلك.[1]

اما الذين رفضوا فكرة تـجرد اللـه وأي مـوجود، فـقد عـرفوا بـ«**أهـل الحـديث**» و«**المجسمة**» و«**المشبهة**»، والسلفيون في عصرنا هم بقايا هذا الفكر.

ولما نهض العلم من كبوته ازداد ترقب الناس مما تتضمنه الكـتب السـماوية مـن علوم، واعتقد الكثير منهم ان العلوم المعاصرة في الوقت الحاضر كالفيزياء والكيمياء تندرج في بطون الآيات، وفي هذه الاجواء طُرحت استفسارات جديدة واستعرضت لها اجابات مقنعة انطلاقاً من التأويل.

وهكذا الحال في تقدم الافكار الاجتماعية حيث حفّز مفكري الاديان علىٰ السعي من اجل التوفيق بين تلك الكتب السماوية وبين هذه الافكار عبر التأويل.

١٤ ـ ١٠. مخالفة التأويل

لقد تعرض التأويل ـ علىٰ الرغم من فوائده وانتشاره علىٰ نطاق واسع ـ الىٰ التهميش، وذلك لافتقاره الىٰ دعم مباشر من النص، كما لم يدع الخوف مـن التـفسير بـالرأي او

---

١. لا يظهر من الاخبار وجود مجرد سوىٰ الله تعالىٰ.(بحار الانوار: ١ / ١٠١)

الاتهام به مجالاً لاهل التأويل للخلود الىٰ الراحة، فبادر بعضهم الىٰ الحد من اعمال التاويل، وتبرأ غيرهم في أواخر عمرهم من التأويلات التي مارسوها، وأشاروا الىٰ ذلك أحياناً في وصاياهم لكي يؤدوا ما عليهم من واجب تجاه الكتب السماوية.

والحقيقة هي انه قلّ من وُجد من يدافع عن التأويل في الماضي، كما دافع الاسماعيليون عنه بشجاعة وبسالة، وشيدوا علىٰ ضوئه معالم مذهبهم بكل جرأةوصراحة، وفي العصر الحاضر فقد تكفل علم الهرمينوطيقيا ببذل تأويلاتللنصوص دون اي حرج.

وكان للتاويل مناهضون اعتبروا التأويل عملية بعيدة عن الصواب والاخلاق، دون ان يأخذوا في الحسبان درجات التأويل التي كانت لديهم، وقد اجاب مناصرو التأويل ان خلود النصوص الدينية يقتضي تكامل معارفهم بموازاة تكامل الافكار، وعلىٰ ضوء ذلك ترشح التأويل.

يقول ابن ميمون:

> **انقسم الناس في التأويلات قسمين: قسم تخيل انهم قالوا ذلك علىٰ جهة تبيين معنىٰ ذلك النص، وقسم استخف بها واتخذها ضحكة. اذ هو بيّن واضح ان ليس هذا هو معنىٰ النص وذلك القسم ضارَب وكابَر علىٰ تصحيح التأويلات بزعمه والمحامات لها وظن ان ذلك هو معنىٰ النص وان حكم التأويلات حكم الاحكام المروية ولم يفهم الفريقان انها علىٰ جهة النوادر الشعرية التي لا يلبس امرها علىٰ ذي فهم وشهرت تلك الطريقة في ذلك الزمان واستعملها الكل كما يستعملون الشعراء الاقاويل الشعرية.**[١]

وكان «**ابن ميمون**» يمارس التأويل كلما وقع التعارض بين آيات من التوراة وبين العقل، وبذلك ترك اثاراً قيمة وخالدة لليهود، وقد خالفه جماعة من الربانيين اليهود بزعامة «**يهود ابن الفخار**» (المتوفىٰ ١٢٣٥م)، حيث أثار زوبعة ضد نزعته التأويلية،

---

١. دلالة الحائرين: ٣ / ٤٣.

وكان يخصص التأويل بآيات من الكتاب السماوي تعارض الكتاب ذاته.

وهناك من دعا في المسيحية ـ التي هي دين ينزع منزع التأويل ـ الىٰ الحد من الافراط في التأويل. وقيل ان «**جروم**» (المتوفىٰ عام ٤٢٠م) قد قام بترجمة لاتينية للكتاب المقدس المعروف بـ«**فولغاتا**» من اجل مناهضة التأويلات الافراطية في عصره، وفي القرون الوسطىٰ قامت جماعة من الروحانيين المسيح بمخالفة تأويلات القديس «**توما الاكويني**» (المتوفىٰ ١٢٧٤م).

وقد حذر «**الغزالي**» في كتاب «**إلجام العوام عن علم الكلام**» الذي صنفه في أواخر عمره، من أخطار التاويل، ولـ«**ابن رشد**» في كتاب «**فصل المقال**»، بحث مفيد ومسهب حول انواع التأويل الواجب او الحرام او الذي ينتهي الىٰ الكفر عبر بيان من يتصدىٰ للتاويل وفي اي باب من الكتاب والسنة.

وقد بذل «**صدر المتالهين**» الوسع في آثاره لتفسير متشابهات القرآن الكريم بعيداً عن تأويلات المعتزلة ـ علىٰ الرغم من ان ميزان نجاحه في الابتعاد عن مطلق التأويل كان محل تامل ـ وراح يدعم المعاد الجسماني عبر نقد تأويلات «**ابن سينا**» في «**الرسالة الاضحوية**»، ويقول:

> **ان من الفلاسفة الاسلاميين من فتح علىٰ قلبه باب التأويل فكان يأول الآيات الصريحة في حشر الاجسام ويصرف الاحكام الاخروية علىٰ الجسمانيات الىٰ الروحانيات، قائلاً: ان الخطاب للعامة وأجلاف العرب والعبرانيين وهم لا يعرفون الروحانيات، واللسان العربي مشحون بالمجازات والاستعارات.** [1]

وينقل العلامة المجلسي ﷺ كلاماً لحكيم هندي في ذم التأويل ويؤيده، وحاصله ان تأويل النصوص بعيد عن الصواب علىٰ كل حال، ذلك ان المعنىٰ الحاصل من التأويل ان لم يكن مقصود المتكلم، فقد نُسب اليه شيء كذباً وافتراءً وان كان مقصوداً له فمن

---

١. الأسفار الأربعة: ٩ / ٢١٤ ـ ٢١٥.

الواضح انه تم بذلك نقض الغرض الذي كان من وراء اخفاء المعنىٰ.[1]

وقد ذم «**العلامة الطباطبائي**ﷺ» التأويل ايضا في مقدمة كتابه «**الميزان**» ولمح الىٰ ان اسلوبه التفسيري لايدع مجالاً للتأويل.

وكان الامام الخميني ﷺ يشكو من ممارسات تأويل الآيات الدنيوية بالاخروية وبالعكس، ويقول:

ابتلينا منذ أمد طويل بالصوفية، وقد ابتلي الاسلام بهم ايضا، جراء إرجاع كل ما وقعت عليه انظارهم من آية الىٰ القيم الروحية والروحيات علىٰ الرغم من الخدمات التي أسدوها.. كما ابتلينا بجماعة اخرىٰ باشرت تفسير كل القيم الروحية بالمادية والماديات دون ان تأبه بالروحيات.[2]

ان اقبال كبار العلماء علىٰ التأويل أدىٰ الىٰ اتهامهم بفساد العقيدة ورميهم بالكفر ومن هؤلاء: «**ابن ميمون**» من اليهود و«**توما الاكويني**» من المسيحيين و«**الغزالي**» و«**ابن رشد**» و«**ابن عربي**» و«**صدر المتالهين**» من المسلمين.

من جهة اخرىٰ أثبتت تأويلات هؤلاء النوابغ حيوية الاديان الالهية وخلودها وغناءها وتكيفها مع متطلبات الزمان، وهم بذلك أسدوا خدمات كبيرة للاخلاق والقيم الروحية والفكر والحضارة والثقافة البشرية، وتبوؤا مقاماً رفيعاً لدىٰ الاجيال المتعاقبة في كل من هذه الاديان التي استوعبت افكارهم، وأصبح وجودهم مبعث فخر واعتزاز ومباهاة لأُممهم «**والعاقبة للمتقين**».

١١. معرفة النبي

يعتقد المسلمون استناداً الىٰ ما ورد في الاحاديث بوجود ١٢٤٠٠٠ نبي، في حين

---

١. بحار الانوار: ٥٨ /١٥٣، ويدعي أهل التأويل ان التأويل لاينقض غرض المتكلم، ولما كانت عقول الماضين عاجزة عن ادراك المعاني الدقيقة واللطيفة، مما يبعث المتكلم علىٰ اخفاء مراده الاصلي تحت الفاظ بسيطة حتىٰ يتيح المجال للاجيال المتعاقبة التي تتكامل عقولها لفهم المغزىٰ الواقعي لكلامه.

٢. صحيفة النور: ٨ / ٧١ و ١ / ٢٣٥ ـ ٢٣٩.

لايكاد يعثر حتىٰ علىٰ اسماء ١٢٤ نبياً منهم، وكان لـ٣١٣ منهم كتاب، ولخمسة منهم شريعة وقد عرف هؤلاء الخمسة بأولي العزم، وهم: نوح، وابراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد ﷺ،[١] وكانت دعوتهم عالمية، ولا أثر يُذكر لهذه المعتقدات عند أهل الكتاب.

ويبدو من القرآن الكريم ان نبي الاسلام ﷺ يتميز عن اصحاب الشرائع الخمسة بان دعوته عالمية[٢] ودعوة سائر الانبياء منحصرة باقوامهم،[٣] ويعتقد المسيحيون ان عيسىٰ ﷺ وان كان يردد القول: «**لم أرسل الا الىٰ خراف بني إسرائيل الضالة**»[٤] الا انه أمر حوارييه بعد البعث من القبور وقبل العروج الىٰ السماء، أمرهم بجمع الامم من أجل التلمذ عنده والتعميد باسم الاب والابن وروح القدس.

١ ـ ١١. الانبياء المشتركون

ورد اسم ٢٦ نبياً في الذكر الحكيم، وورد اسم ٢٠ منهم في الكتاب المقدس وهم: آدم، ونوح، وابراهيم، ولوط، واسماعيل، واسحاق، ويعقوب، ويوسف، وموسىٰ، وهارون،

---

١. الشورىٰ، ١٣.

٢. «قل يا أيها الناس اني رسول‌الله اليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون» (الاعراف، ١٥٨)، هذه الاية مكية، وقد بعث رسول‌الله ﷺ ـ بعد استقرار الحكومة الاسلامية في المدينة المنورة ـ بكتب الىٰ ملوك ايران، والروم، ومصر، والحبشة وغيرها يدعوهم الىٰ الاسلام لكي يفسحوا المجال امام شعوبهم لاعتناق الاسلام، هذا الامر لم يحدث للانبياء الماضين قط.

٣. ثمة آيات عديدة في القرآن الكريم تشير الىٰ انحصار رسالة هؤلاء الانبياء بأقوامهم، مثلا نطالع حول نوح «انا ارسلنا نوحاً الىٰ قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب اليم. قال ياقوم اني لكم نذير مبين»(نوح، ١ ـ ٢) وايضا غرق قومه بالطوفان (العنكبوت، ١٤) وكلمة الارض الواردة في بعض الايات المتعلقة بالطوفان والتي يشير بعضها الىٰ دعاء نوح ﷺ عليهم (نوح، ٢٦) لاتعني كل الارض، كما في سورة يونس، ٧٨ وانما تعني ارض مصر، ولعل دعاءه علىٰ الكافرين يعم الكافرين علىٰ وجه الارض أجمع، الا ان الله عذب قومه فقط.

وقد وردت آيات تدل علىٰ بعث ابراهيم ﷺ لقومه، كما في سورة الانعام، ٨٣؛ والحج، ٤٣؛ والعنكبوت، ١٦؛ والزخرف، ٢٦. وكذلك وردت آيات في موسىٰ ﷺ وعيسىٰ ﷺ، مثل: الصف، ٥ ـ ٦؛ وآل عمران، ٤٩.

٤. متى: ١٥ / ٢٤.

وداود، وسليمان، والياس، واليسع، وعزير (عزرا)،[1] وايوب، ويونس، وزكريا، ويحيىٰ، وعيسىٰ.[2] وستة منهم لا يظفر باسمائهم في الكتاب المقدس، وهم: ادريس،[3] وشعيب،[4] وذو الكفل، وهود، وصالح، ومحمد ﷺ.

والنبوة في اليهودية والمسيحية وخلافاً للاسلام لاتنطوي تحت ضوابط معينة بل يتقلدها اي كان من الناس، بدءاً بالمعروفين كابراهيم عليه السلام وانتهاءً بعامة الناس.

٢ـ١١. عصمة الانبياء

ان اليهودية والمسيحية لاتعتقدان بعصمة الانبياء، بل تنسب اليهم الذنوب الكبيرة، نظير: امر هارون بصنع العجل (الخروج ٣٢) واتهام داود بالزنا (سِفْر صموئيل الثاني/١١) وإنشاء سليمان عليه السلام معابد للاوثان (سِفْر الملوك الاول / ١١: ١ـ١٣). وقد وردت نبوة هارون مرات عديدة في التوراة في حين وردت نبوة داود عليه السلام مرة واحدة في اعمال الرسل ٢: ٣٠. اما نبوة سليمان عليه السلام فقد وردت تحت عنوان «**كتاب امثال سليمان النبي**».

ويعتقد النصارىٰ بعصمة عيسىٰ عليه السلام فحسب، ذلك لانهم يعتقدون بالوهيته فضلاً عن نبوته، والإله لايذنب ولا يرتكب المعاصي.

٣ـ١١. الوجود التاريخي للانبياء

وحول الوجود التاريخي للانبياء ينبغي ان يعلم ان علم التاريخ المعاصر و بسبب طابعه العلمي المحض ليس معنياً باثبات وجودهم عن طريق التسليم بالكتب السماوية،

---

١. لم تثبت نبوة عزير في الذكر الحكيم.

٢. قد ورد ذكر لزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ عليهم السلام في العهد الجديد فقط، وزكريا في العهد القديم لايتفق مع زكريا الوارد في القرآن الكريم.

٣. ولعله ورد بأسم «خنوخ» في سِفْر التكوين: ٢٤/٥.

٤. ولعله ورد بأسم «رعوئيل» في سِفْر الخروج: ١٨/٢ او باسم «يترون» في سِفْر الخروج: ١/٣ لو قلنابان شعيب عليه السلام هو أبو زوج موسىٰ عليه السلام.

فالكتاب السماوي في نظر علم التاريخ المعاصر يمكن ان يعكس الحوادث التي اتفق وقوعها في زمانه، ففي مسألة وأد البنات في الجاهلية ـ مثلاً ـ يستند هؤلاء المؤرخون الىٰ تقرير القرآن الكريم،ولكنهم لايستندون اليه في مسألة قتل اطفال بني إسرائيل الذكور في زمن فرعون، وتقرير التوراة في هذا الصدد غير مثمر، ذلك لان التوراة حسب اعتقاد المؤرخين قد دونت بعد قرون من وفاة موسىٰ عليه السلام.

هذا ويشك علم التاريخ المعاصر في أصل وجود مؤسسي الاديان (بسبب سكوت المصادر المستقلة وانحصار معلوماتنا حولهم بمصادر الاديان ذاتها) كالشك في وجود نوح، وابراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وزرادشت، ومهاويرا، وبوذا، و لاوتسو، ولو أذعن بهم أحياناً فانه لم يذعن بمعجزاتهم قط.

وقد خصص التاريخ مساحة واسعة من اهتماماته بالملوك وبلاطهم، دون الانبياء الذين هم جزء من عامة الناس، واليوم فان في حوزة المؤرخين معلومات كافية عن ٢٦ سلالة فرعونية في مصر، واما عن ابراهيم عليه السلام ويوسف وموسىٰ عليه السلام الذين كان لهم حضور سياسي فعال في مصر طبقاً للمصادر المقدسة للاديان الابراهيمية، فتخلو كتب التاريخ من اية إشارة لذلك، في حين ان مومياء بعض الفراعنة وأزواجهم وحتىٰ بعض انواع القطط والقردة والتماسيح في زمانهم مازال يحتفظ بها في متاحف مصر، تقول التوراة حول موسىٰ عليه السلام: «ولم يعرف انسان قبره الىٰ هذا اليوم»،[١] وثمة قبر خال في اورشليم (القدس) يعتقد النصارىٰ انه قبر المسيح عليه السلام وقد شيدوا عليه كنيسة فاخرة.

من جهة اخرىٰ لم يراود العلماء قاطبة ادنىٰ شك في الوجود التاريخي لرسول الله صلى الله عليه وآله وصحة مرقده المطهر في مسجد النبي[٢] والميراث الذي خلفه للمسلمين والمتمثل بالقرآن الكريم.

ويعود سبب هذا السقف العالي من اليقين بشأن الوجود التاريخي للرسول

---

١. التثنية: ٣٤/٦.

٢. مال جمع من علماء الاسلام الىٰ غياب اي تحديد وتعيين دقيق لقبور الانبياء سوىٰ نبي الاسلام.

الخاتمﷺ الىٰ انه وخلافاً للاخرين قد أسس حكومة الهية مقتدرة في المدينة المنورة امتد نفوذها الىٰ كافة ارجاء العالم بعد برهة قصيرة من الزمن، الامر الذي جعل له قدماً راسخاً في التاريخ علىٰ نحو ان آخر تحقيق علمي أُجري في امريكا عام ١٩٧٨م. بهدف تعيين مائة شخصية كان لها أكبر الاثر في التاريخ الانساني، فكان ذلك النور الساطع في صدر هذه القائمة.

كما لايشك المؤرخون في الوجود التاريخي لقورش والاسكندر اللذين كانت لهما حكومة واسعة قبل الميلاد.

وقد أثار المستشرقون عبر تشبثهم بالمنهج المذكور ـ والذي يطلق عليه أحياناً النقد التاريخي ـ أثار سخط اتباع الاديان المختلفة.

٤ ـ ١١. الادوار الثلاثة لسيرة الانبياء

يمكن تقسيم سيرة الانبياء الىٰ ثلاثة أدوار:

١. من الولادة وحتىٰ البعثة.

٢. من البعثة وحتىٰ تأسيس الحكومة.

٣. من تأسيس الحكومة وحتىٰ الوفاة.

وحسب ما نعلمه فقد مرّ موسىٰ عليه السلام ونبي الاسلامﷺ بهذه الادوار الثلاثة، ولكن عيسىٰ عليه السلام لم يوفق لاجتياز الدور الثالث ولم يؤسس حكومة.

وكان الانبياء يناهضون الشرك والظلم بلسانهم في الدور الثاني، وبيدهم في الدور الثالث، وكانوا يقدمون ارشادات اخلاقية وعقائدية في الدور الثاني ولم يكونوا يقيمون الحدود، فقد خلت السور المكية من احكام الجهاد والقصاص والديات في حين حفلت بها السور المدنية، نظير:البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة.

وليست للمسيحية شريعة مستقلة ذلك ان عيسىٰ المسيح عليه السلام لم يؤسس حكومة، بل كان عليه السلام تابعا ومروجاً لشريعة التوراة،[١] التي أعرض عنها المسيحيون فيما بعد إثر

---

١. آل عمران، ٤٩؛ متى: ٥ / ١٧.

محاولات بولس واختاروا لانفسهم شريعة ذات مسحة اخلاقية، وبعد تعاقب الزمان قاموا بإنشاء حكومة مسيحية، الامر الذي حدا بهم الىٰ بذل الوسع بغية ملء الفراغ في مجال الاحكام.

٥ ـ ١١. النبوة والحرب

اتهم اليهود والنصارىٰ الاسلام ـ منذ قرون خلت ـ بالعنف والسعي وراء الحروب، مما دعا المسلمين الىٰ الدفاع عن دينهم الالهي، وقد اثبت كبار علماء المسلمين في مصنفاتهم ان هذه التهم الرخيصة لاتتفق مع الاسلام بل تتفق أكثر مع تلك الاديان، وكتبها غير المعتبرة هي خير شاهد علىٰ ذلك.

وبعد حادثة ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، ارتفعت وتيرة هذه الاتهامات، وهذا مايدفعنا الىٰ استعراض جانب من ابحاث هؤلاء العلماء.

لقد اظهر المسيحيون بعد مضي سنوات طويلة من الحروب الصليبية[١] انهم لايعتقدون بان المسيح والمسيحية رسل سلام ومحبة،[٢] وقد عززوا موقفهم بادعاء ان المسيح جاء للسلام الا ان النجاح لم يحالفه في تاسيس حكومة.

وبالطبع فان سائر الزعماء الالهيين من موسىٰ عليه السلام الىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وحتىٰ الامام الخميني رحمه الله لم يخوضوا حروباً قبل تأسيس الحكومة، ولكن بعد تأسيسها لم يكن لهم بُد منها خاصة بعدما جهز المشركون جيشاً جراراً بهدف القضاء علىٰ الاسلام في المدينة المنورة او لما شنّ صدام حرباً علىٰ إيران واحتل اجزاء منها ومارس القتل والدمار.

وقد اضفىٰ الكتاب المقدس علىٰ الحرب هالة من التقديس، بقوله: «الرب رجل

---

١. نشبت الحروب الصليبية بدعوة من البابوات و القساوسة.

٢. يبدو انهم عملوا بما روي عن عيسىٰ المسيح عليه السلام،انه قال:«لاتظنوا اني جئت لاحمل السلام الىٰ الارض ما جئت لاحمل سلاماً بل سيفاً» (متى: ١٠ / ٣٤).

الحرب»[1] وهناك ثلاث شخصيات معروفة في العهد القديم، وهم: موسىٰ ويوشع وداود، كانت وجوهاً مقدسة و ابطال حرب في آن واحد.

وهذا الرب الذي هو (رجل حرب) يلقن بني إسرائيل في التوراة، الوحشية في الحروب و شنّ الغارات وسفك الدماء، ويقوم بتقسيم الشعوب الىٰ شعوب عامة، وشعوب مغلوبة علىٰ أمرها لابد من احتلال أرضها ومدنها من قبل بني إسرائيل، فالاولىٰ يجب ان تبقىٰ علىٰ قيد الحياة لدفع الجزية لهم وتكون في خدمتهم، والثانية منها يجب محوها من الوجود.

حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الىٰ الصلح (١١) فان اجابتك الىٰ الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبد لك (١٢) وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها (١٣) واذا دفعها الرب الهك الىٰ يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف واما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك و تأكل غنيمة اعدائك التي اعطاك الرب الهك (١٥) هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا (١٦) واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة ما (١٧) بل تحرمها تحريماً الحثيين والاموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما امرك الرب الهك (١٨)لكي لا يعلموكم ان تعملوا حسب جميع ارجاسهم التي عملوا لآلهتهم فتخطئوا الىٰ الرب الهكم.[2]

ونطالع عن أحد المعارك التي خاضها داود ﷺ في الكتاب المقدس:

فجمع داود كل الشعب وذهب الىٰ ربة وحاربها وأخذها (٣٠) وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وكان علىٰ رأس داود وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جداً (٣١) وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في اتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ثم رجع داود وجميع الشعب الىٰ اورشليم.[3]

---

١. الخروج: ١٥ / ٣. ٢. التثنية: ٢٠/ ١٠ ـ ١٨.
٣. سِفر صموئيل الثاني: ١٢/ ٢٩ ـ ٣١.

هذا الاسلوب المفجع والوحشي للقتل والدمار يعتبره الكتاب المقدس عملاً صائباً تعلق به رضا الرب، ذلك لان الرب ما فتىء يذكر داود ذكراً حسناً بعد مضي سنوات علىٰ وفاته، ويقول بشأنه:

الذي حفظ وصاياي والذي سار ورائي بكل قلبه ليفعل ما هو مستقيم فقط في عيني.[١]

ويتجاهل المسيحيون كل هذا العنف والارهاب المدمر للحرث والنسل الذي يُنسب الىٰ أنبياء الله في كتاب العهد القديم وينتقدون الحروب الدفاعية التي خاضها رسول الله ﷺ.

ويكفيك في هذا الصدد هذه المقارنة:ان الاسير الكافر في الاسلام وحسب ما ورد في الذكر الحكيم (محمد، ٤) يطلق سراحه بفدية او بدونها، بل ان تبادل الاسرىٰ كان قائماً علىٰ قدم وساق، اما التوراة الحالية فهي تصرح ان بني إسرائيل كانوا يقتلون الرجال ويأسرون النساء والاطفال ويقتادوهم الىٰ موسىٰ عليه السلام الذي كان يغضب اذا وقع بصره عليهم ويأمر بقتلهم وسبي فتياتهم، وحينما جمعت الغنائم ـ حسب نص التوراة ـ بلغ عدد الفتيات ٣٢ ألفاً.

فتجندوا علىٰ مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر.... (٩) وسبىٰ بنو إسرائيل نساء مديان واطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل املاكهم (١٠) وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار (١١) وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم (١٢) وأتوا الىٰ موسىٰ وألعازار الكاهن والىٰ جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة الىٰ المحلة الىٰ عربان موآب التي علىٰ اردن أريحا (١٣) فخرج موسىٰ وألعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم الىٰ خارج المحلة (١٤) فسخط موسىٰ علىٰ وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب (١٥) وقال لهم موسىٰ هل ابقيتم

---

١. سِفْر الملوك الاول: ١٤/٨.

كل انثىٰ حية (١٦) ان هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور [١] فكان الوباء في جماعة الرب (١٧) فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها (١٨) لكن جميع الاطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهنّ لكم حيات....(٣٢)وكان النهب فضلة الغنيمة التي اغتنمها رجال الجند من الغنم ست مائة وخمسة وسبعين ألفاً (٣٣) ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً (٣٤) ومن الحمير واحداً وستين ألفاً (٣٥) ومن نفوس الناس من النساء اللواتي لم يعرفنّ مضاجعة ذكر جميع النفوس اثنين وثلاثين ألفاً.[٢]

وقد مدح العهد الجديد القتل الوحشي وشن الغارات واضرام النيران الذي مارسه بنو إسرائيل في كتب «يوشع» و«الحكام» و«صموئيل»، كما مدح ايضاً مرتكبيها، مثل: جدعون، وباراق، وشمشون، ويفتاح، و داود، وصموئيل.

وماذا أقول ايضاً لانه يعوزني الوقت ان أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء (٣٣) الذين بالايمان قهروا ممالك صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا افواه اسود (٣٤) اطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا أشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء.[٣]

٦ـ١١. النبوة والطاعة

لاريب ان الانبياء فرضوا علىٰ الناس الطاعة،[٤] هذه الطاعة يجب ان تصدر عن حبٍ ورغبةٍ او خوفٍ وخشيةٍ من العقاب الاخروي، وقد قُررت لبعض انواع العصيان عقوبة دنيوية كالضرب بالسياط وقطع الاعضاء والقتل، ولا تأبه منظمات حقوق الانسان في عصرنا بهذه العقوبات الدنيوية بل تطرح ـ كبديل عنها ـ السجن والجرائم المالية.

وتسعىٰ المسيحية الىٰ نسيان ماضيها الاسود والتكيّف مع حقوق البشر الغربية،

---

١. اسم جبل نصب عليه وثن «بعل فغور» حيث يسجد له بنو اسرائيل ويمارسون الزنا بمن يطفن حوله من النساء(سفر الاعداد: ٢٥ / ١ـ٣).

٢. الاعداد: ٣١/ ٧ ـ ٣٥.

٣. رسالة الىٰ العبرانيين: ١١/ ٣٢ ـ ٣٤.

٤. «وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله» (النساء، ٦٤).

وقد راح المتألهون الذين قرروا الوهية المسيح عليه السلام وتركوه ميراثاً للاجيال اللاحقة، راحوا يقننون انواعاً من التعذيب والقتل لأهل البدع من المسيحيين وبسطوا يد الحكام في اجرائها، يقول القديس توما الاكويني (المتوفىٰ ١٢٧٤م):

«ثمة نكتتان حول أهل البدع لابد من الاخذ بهما: الاولىٰ تتعلق بأهل البدع والثانية تتعلق بالكنيسة، فاما أهل البدع فقد اقترفوا ذنباً كبيراً، وبسببه يجب ان لا يطردوا من الكنيسة فحسب بل لابد من قتلهم، لانهم افسدوا الايمان الذي هو حياة الروح وهذا الذنب أكبر اثماً من تزوير الاموال التي هي عماد الحياة المادية، فلو حُكم علىٰ اللصوص وأهل التزوير بالقتل، فثمة دليل أقوىٰ علىٰ ان الحكم ذاته لابد ان يصدر بحق أهل البدع بمجرد اثبات بدعهم.

اما الكنيسة ففيها رحمة تنظر الىٰ عودة الضالين ولا تتعجل بالحكم عليهم بل «بعد نصيحتين» (رسالة الىٰ تيطس: ٣ / ١٠) كما ارشد الىٰ ذلك بولس الرسول، وعندئذ فلو صدر منهم ذنب مرة اخرىٰ عن عناد، لقطعت الكنيسة املها بعودتهم واتجهت نحو خلاص اخرين، ومن ثم تلصق بهم تهمة الكفر وتفصلهم عن صفوفها، وتخبر عنهم المحاكم لكي تبتّ في امرهم وتحكم عليهم بالقتل».[1]

١٢. الحكومة

التفت البشر ـ بالتدريج ـ مع اتساع المجتمعات البشرية وتعقيد العلاقات الاجتماعية،الىٰ ضرورة تأسيس حكومة، وبلغت هذه الضرورة حداً ان الناس غضوا الطرف عن بعض حرياتهم الفردية فداء للمصلحة العامة، وأفضىٰ ذلك الىٰ تحكم الطغاة المستبدين بهم غالباً. ومضت حقبة طويلة حتىٰ أدرك البشر ان الحكم المنتخب أفضل من الحكم الوراثي، ولكن الوصول الىٰ حكم عادل خال من اي نقص سوف يبقىٰ أمنية صعبة المنال، واليوم فقد اتيح للنساء أيضاً التعبير عن آرائهن، واصبح لغالبية الناس الحق في المشاركة في الانتخابات، حيث يدلون بآرائهم في صناديق الاقتراع، و

---

١. اجمال اللاهوت: ٢ / ٢، المسالة ١١، المقالة ٣.

اذا حاز احد المرشحين نصف تلك الاراء انتُخب رئيساً للجمهورية، وبالطبع فان حجم المشاركة يرتبط الىٰ حد كبير بالدعاية والاعلام، وقد شهدنا في هذا العصر وصول الديموقراطية في امريكا ـ التي كانت ومازالت تتبجح بهاـ الىٰ طريق مسدود، الامر الذي استدعىٰ تدخل الجهاز القضائي كي يصوّب رئاسة بوش الابن للولايات المتحدة الامريكية.

ان تأسيس حكومة رسول‌الله ﷺ في المدينة المنورة كان آخر نماذج الاحساس بضرورة تأسيس حكومة ولم يكن لها اثر من قبل في الحجاز، ولم يكن رؤساء القبائل وأصحاب النفوذ كابي جهل وابي لهب وابي سفيان ملوكاً وأُمراء، خلافاً لايران والروم واصقاع اخرىٰ.

وقد كان ارتباط الدين بالسلطة في المجتمعات القديمة طبيعياً بنحو لايمكن تصور الفصل بينهما، وكانت السلطة تستمد شرعيتها من الدين، وكان الزعماء يجمعون بين الزعامة الدينية والدنيوية، وقد تم في بعض الاحيان الفصل بينهما، كما هو الحال في النظام الطبقي في الهند، ومجتمع بني إسرائيل في عصر الملوك، والمسيحية الكاثوليكية في اروبا، والارثوذكسية في روسيا، والخلافة العثمانية، واصبحت الزعامة الدينية فوق الزعامة الدنيوية وكان كبار رجال الدين يتولون نصب الحكام وعزلهم.

ولم تكن العلاقة الثابتة والقديمة بين الدين والسلطة بخافية عن أعين المفكرين الذين أشاروا اليها في مصنفاتهم، فقد كتب المفكر الفرنسي جان جاك روسو يقول في هذا الصدد:

«كانت الآلهة قد بثت سلطتها ردحاً طويلاً من الزمن، ولم يكن للشعب علم بنظام حكم آخر سوىٰ التيوقراطية».[1]

وكتب المؤرخ الفرنسي فوستل دوكو لانج:

---

١. العقد الاجتماعي: الكتاب الرابع، الفصل الثامن.

«اقترن الحكم بالدين منذ عصور غابرة، وكانت كل جماعة تعبد إلهــاً، وكــل إله يفرض سيطرته علىٰ اتباعه».[١]

كما كتب الفيلسوف الالماني «هيغل» في القرن التاسع عشر والذي حاول فيه اضـفاء العقلانية علىٰ التاريخ،كتب يقول:

لاشك ان الدولة انبثقت من دين، لانهما صدرا عن أصل مشترك، والدين لم ينشأ بعيداً عن الدولة لكي يحدد مسؤولياتها وواجباتها تجاه الشعب، بل هو ركن ركين ذاتي نبع من صميمها وتمتع بديناميكية وحركة، نعم يجب تلقين ظاهرة التـدين للبشر من خلال التربية والتعليم كالعلم والفن، وعليه يـجب ان لا تـفسر العـلاقة القائمة بين الدين والدولة علىٰ اساس تكميل بعضهما لبعض بـل عـلىٰ اسـاس الصدور عن أصل واحد، ومنه استمدت الدولة قوامها السياسي والاقتصادي والعلمي.[٢]

ولم تكن الحكومات القديمة ذات طابع ديني فحسب، بل ان الاديان في العهود القـديمة كانت لها ابعاد سياسية واجتماعية، والاديان الحالية مازالت تحمل روح الدول القديمة مثلها كمثل نور النجوم التي انفجرت وتلاشت الا ان نورها ـ لبعدها ـ ما يزال يصل الينا.

ويعتقد الفيلسوف الاسلامي الكبير ابن سينا ان النبوة عنصر ضروري لسيادة النظم والانسجام في المجتمع، وحكمة العبادات والمناسك ـ حسب اعتقاده ـ هـي جـلب انتباه الناس الىٰ ذلك علىٰ الدوام، وعلىٰ أية حال فالتأثير الذي تركه الانبياء لا يـجاريه تاثير الحكام دواماً ودهشةً.

١ ـ ١٢. الحكومة الدينية فـي المـجتمعات الزرادشـتية واليـهودية والمسـيحية والاسلامية

قلنا فيما سبق ان زرادشت بعد ان بُعث توجه الىٰ شاه عصره گشتاسب ودعـاه الىٰ دينه الجديد، فلم يتوان الشاه عن القبول، يشار الىٰ ان ملوك إيران الاسطوريين جمعوا

---

١. الحضارة القديمة: الكتاب الخامس، الفصل الثالث.

٢. العقل في التاريخ (بالفارسية): ١٤٢ ـ ١٤٣، طهران، ١٣٥٦.

بين الزعامة الدينية والسياسية، وقد ورد ذلك في «الشاهنامه»،حيث أطلق عليهم أحياناًعنوان «الموبذ» وهو لقب كبار كهنة الديانة الزرادشتية، مثلا نطالع حول جمشيدفي الشاهنامة:

قال لي: اصبحت ـ بحول الله ـ شاهاً وموبذاً

اقطع دابر المفسدين واهدِ النفوس الىٰ النور [1]

وحول منوتشهر نطالع:

كل شجعان الارض هتفوا لك بالتحية

ولما شاهد أجدادك الاماجد سيرتك العطرة أهدوا لك العرش والتاج

فليخلد لك العرش وهو التاج وزعامة الموابذة[2]

وكان اردشير بابكان مؤسس السلالة الساسانية من الموابذة الزرادشتيين، وكان ينعت نفسه في اوامره الرسمية بـ«اردشير موبذ» وقد عهد بالمناصب الحساسة الىٰ الموابذة مما أدىٰ الىٰ تعزيز الديانة الزرادشتية، واليك جانباً من افكاره السياسية:

اذا صدر كل شاه عن الدين فسوف يتآخىٰ المُلك والدين

وقد يبلغ الوئام بينهما حداً يُخال انهما ينضويان تحت خيمة

ولا ينال الدين هدفه دون عرش ولايقوم عمود العرش دون دين

كانهما حريران نُسجا علىٰ قدّ واحد وصدرا عن حكيم حاذق

لايستغني الدين عن شاه ولاتدوم سطوة الشاه دون دين

---

١. الشاهنامه: ٢٧

منم گفت بافرهٔ ایزدی — هم شهریاری وهم موبدی

بدان را زبد دست کوته کنم — روان را سوی روشنی ره کنم

٢. الشاهنامه: ٤٨.

همه پهلوانان روی زمین — بر او یکسره خواندند آفرین

که فرخ نیای تو این دید راه — تورا داد آیین تخت وکلاه

تو را باد جاوید تخت روان — همان تاج وهم فرهٔ موبدان

شريكان متفقان لا غنىٰ لاحدهما عن الاخر

وقد ينال المؤمن الدارين لانه ذو رأي ثاقب وعقل صائب

واذا اصبح الشاه راعياً للدين فلا تنعتهما الا شقيقين.[١]

ونطالع المنشور السياسي لاردشير بابكان:

اعلموا انه اذا احتدم الصراع بين زعيم ديني مستور وشاه ظاهر، فسيكون النصر **حليف ذلك الزعيم الديني وتقع في قبضته كل ما في يد الشاه، ذلك لان الدين عماد الحكم، ومن مَلك العماد فقد مَلك الحكم.**[٢]

وقد دامت العلاقة الوثيقة بين الدين والسياسة في إيران القديمة حتىٰ عصر ظهور الاسلام، واليك كلمة اعيان إيران في حضور خسرو برويز:

هتف لك العظماء بالتحية والتمجيد فلادامت الارض دون تاجك وعرشك

يكثر الاحسان ويسود الارض بهمتك اذااحسنت

لايدوم شاه وموبذ وطالح الا اذا انتشر ظل الله علىٰ الارض.[٣]

---

١. الشاهنامه: ٣٨٠

چو بر دین کند شهریار آفرین	برادر شود پادشاهی ودین
چنان دین وشاهی به یکدیگرند	تو گویی که در زیر یک چادرند
به بی‌تخت شاهی بود دین به‌جای	نه بی دین بود شهریاری به پای
دو دیبای بر یکدیگر بافته	بر آورده پیش خرد تافته
نه از پادشا بی نیاز است دین	نه بی دین بود شاه را افرین
نه‌ان زین نه این زان بودبی نیاز	دو انباز دیدمشان نیک ساز
دو گیتی همه مرد دینی برد	چو باشد خداوند رای وخرد
چو دین را بود پادشا پاسبان	تواین هر دو را جز برادر مخوان

٢. عهد اردشير: الفقرة الخامسة.

٣. الشاهنامه: ٥٢٥.

همه مهتران خواندند آفرین	که بی تاج وتختت مبادا زمین
بهی زان فزاید که تو به کنی	مه آن شد به گیتی که تو مه کنی
که هم شاه وهم موبد وهم ردی	مگر بر زمین سایه ایزدی

وبعد مرور بضع سنين علىٰ انقراض السلالة الساسانية علىٰ يد المسلمين قام أحد الموابذة ويدعىٰ «رادوي» ببيان العلاقة بين الدين والسياسة بقوله:

إعلم ان المُلك والنبوة هما فصّا خاتم.[1]

وأخيراً تم ترسيم العلاقة القائمة بين الدين والسياسة في النصوص الزرادشتية القديمة.

ان المُلك دين، والدين مُلك، وعظمة المُلك في ظل إطاعة الديانة المزدكية، وعظمة الديانة المزدكية في ظل المُلك، وباتحادهما يعم الرخاء ويعتلي العرش شاه مقتدر.[2]

ان فكرة نظام الحكم كان لها حضور فعال في اليهودية، وقد بدأ موسىٰ نشاطه السياسي بالضغط علىٰ فرعون باساليب شتىٰ للكف عن ظلم بني إسرائيل، وبعد ان انقذهم من جور فرعون أسس نظام حكم في صحراء سيناء وتصدىٰ للزعامة الدينية والسياسية الىٰ آخر عمره، وقد ورد شرح ذلك في كتاب التوراة، وجاء بعده «**يوشع بن نون**» وأصبح زعيماً لبني اسرائيل، وجاء بعده عدد من القضاة الذين وجهوا اهتمامهم الىٰ فض النزاعات الداخلية، ولم يكن لبني إسرائيل في هذا الدور ملوك لكي يجنّدوا امكانياتهم لدفع حملات من جاورهم من الاقوام، ومن هنا توجهوا الىٰ نبيّ عصرهم وهو «**صموئيل**» وطلبوا منه ان يعيّن لهم ملكاً، فاختار لهم شاباً يدعىٰ «**شاؤول**» (طالوت) ملكاً وكان يمسح بالزيت، هذا المسح اضفىٰ علىٰ الملك قداسة وجعل طاعة المسيحا (الماشيح) واجبة شرعاً علىٰ الجميع، وجاء عقب شاؤول «**داود**» ومن ثم نجله «**سليمان**» ولما توفي «سليمان» خلفه ابنه «**رحبعام**» واستمر المُلك في نسله، يُذكر ان عشرة من نقباء بني إسرائيل الاثني عشر رفضوا زعامة رحبعام ونصبوا احد قواد سليمان عليه السلام ويدعىٰ «**يُربعام بن نباط**» ملكاً عليهم، ومنذ ذلك الحين انقسم بنو إسرائيل

---

١. الشاهنامه: ٥٤٤.

چنان دان كه شاهى وپيغمبرى   دو گوهر بود در يک انگشترى

٢. دينكرد: ٤٧.

الىٰ دولتين دولة يهودا بزعامة رحبعام في الجنوب ودولة إسرائيل بزعامة يربعام في الشمال، ودام الملك في نسلهما حتىٰ سقوط دولة إسرائيل عام ٧٢٢ق.م. علىٰ يد الآشوريين، ودولة يهودا عام ٥٨٧ ق.م. علىٰ يد البابليين، وقد تعرض سكانهما الىٰ القتل والاسر، ولا يُعرف علىٰ وجه التحديد مصير اسراء دولة اسرائيل، ولكن اسراء دولة يهودا تم تحريرهم علىٰ يد قورش بعد سقوط بابل، وعودة طائفة منهم الىٰ فلسطين.

وفي خضم هذه الاحداث ظهرت افكار المسيح الموعود في اذهان بني إسرائيل واخذت تنضج بالتدريج وتمكن بنو إسرائيل بواسطتها من التغلب علىٰ اليأس والقنوط الذي راودهم، والسير في ركب البقاء والخلود.

وقد أعرض اليهود منذ اكثر من ٢٠٠٠ عام عن اتخاذ اجراءات جدية بهدف احياء حكومتهم الدينية التي ذهبت ادراج الرياح، لانهم يرون ان إنشاء دولة يعد خرقاً فاضحاً لسنة الانتظار، وقد ادعىٰ الكثير منهم في اصقاع مختلفة من العالم بانهم المسيح الموعود الا ان محاولاتهم باءت بالفشل الذريع.

وقد تمكن الصهاينة قبل قرن مضىٰ من اقناع اليهود بضرورة تأسيس حكومة مستقلة وإنشاء دولة علمانية وعنصرية هي إسرائيل علىٰ ارض فلسطين المغتصبة عام ١٩٤٨م.

وفي المسيحية ـ كما تقدم ـ كان البابوات يتمتعون بالزعامة الدينية والدنيوية لمدة تزيد عن الف سنة (٨٠٠ ـ ١٨٠٦) وكانوا يتقلدون سيفين كتعبير عن هاتين الزعامتين، وقد بلغ الاقتدار الذي تمتعت به هذه الزعامة حداً ان البابا غريغوري السابع لما استشاط غضباً علىٰ هنري الرابع ملك المانيا، لفق ضده تهمة الكفر وعزله عن منصبه، الامر الذي كلفه مشقة وعناء كبير، اذ مكث ثلاثة أيام امام قصر البابا حافياً علىٰ الثلج بثياب بيضاء، حتىٰ نال رضا البابا وأعاد له عرشه وتاجه، وبعد ثلاث سنوات ما لبث البابا ان كفّره وعزله عن عرشه، الا ان هنري ـ هذه المرة ـ قاد جيشاً الىٰ روما، مما حدا بغريغوري الىٰ الهرب منها وتعيين آخر محله.

وفي الوقت الحاضر فقد وُضعت قيود على البابا في الفاتيكان، وقُلصت صلاحياته منذ اكثر من ٢٠٠ سنة خلت في حين دامت الخلافة الاسلامية حتى طوي بساطها ـ كما سيأتي ـ منذ ٨٠ سنة مضت.

وكان النبي الاعظمﷺ قد أسس حكومة مقتدرة في المدينة المنورة، وحينما رحل الى الرفيق الاعلى، كانت خلافته أهم مسالة شغلت بال المسلمين، ولهذا السبب حرصت ثلة من اصحابه على الحضور في سقيفة بني ساعدة بدل تجهيزهﷺ الى مثواه الاخير، وبعد أخذٍ وردٍ، حُسم الامر لصالح ابي بكر بن ابي قحافة، وتعتقد الشيعة ان الرسول الاكرمﷺ وبأمر من الله تعالى نصب أمير المؤمنين عليعليه السلام خليفة له قبل سبعين يوماً من هذه الواقعة، وفي مكان يعرف بغدير خم، فليس من الصواب تعيين خليفة آخر.

وقد شيد بعض الصحابة الذين شاركوا في السقيفة بعملهم هذا دعائم جهاز الخلافة، وتعتبر الخلافة الاسلامية ـ مثل مقام البابا ـ مقدسة، واذا تمكن بعض كآل بويه من الاستيلاء على مقاليد الحكم، فانهم لم يدّعوا الخلافة ولم يتعرضوا لها بسوء بل ابدوا لها احتراماً.

وبالطبع فان أهل الحل والعقد كانوا يمارسون ضغوطاً كبيرة على الخليفة من اجل اقصائه واذا حالفت مساعيهم النجاح فانهم ينصبون خليفة آخر، وقد قاوم الخليفة الثالث هذه الضغوط ولم يتخل عن الخلافة حتى قُتل، ولكن أكثر الضغوط التي مورست نجحت في تحقيق مآربها في اغلب الموارد، كما هو الحال في عدد من الخلفاء العباسيين، وأحياناً كانت تُسمل عينا الخليفة المخلوع حتى يصل لحالة يُرثى لها تنتهي به الى التسول، وعلى الرغم من ان الخلافة قد زالت على الظاهر بعد حملة هولاكو خان على بغداد، الا ان قدسيتها حالت دون زوالها حيث أعيد احياؤها من جديد في تركيا، وعلى اية حال فقد استمرت ١٣ قرناً حتى ألغيت عام ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤م. على يد كمال آتاتورك.

في هذه الاثناء ساورت المسلمين الحيرة بشأن الاسم الذي يجب ان يذكر في خطب الجمعة، وكان الدارج وجوب ذكر اسم الخليفة في خطب الجمعة السياسية والعبادية والدعاء له، وقد سعت بعض الدول الاسلامية الىٰ احلال اسم ملكها كخليفة للعالم الاسلامي الا ان جهودها باءت بالفشل، وحُلّت هذه المشكلة عبر ذكر اسماء ملوك كل منها في خطب الجمعة بدل الدعاء لخليفة المسلمين.

وقد رفعت حكومات مستقلة لواءها في إيران والاندلس وشمال افريقيا ومناطق اخرىٰ من العالم الاسلامي، هذه الحكومات كانت في بعض الاوقات تدور حول فلك الخلافة، وفي اوقات اخرىٰ تعلن انفصالها تماماً، وكان للخوارج والشيعة الزيدية والاسماعيلية حكومات دينية متعددة في اماكن مختلفة من العالم الاسلامي.

وكانت الخلافة أرفع منصب ديني ودنيوي في العالم الاسلامي ويمكن مقايستها بمقام بابوات النصارىٰ.

وقد ظهرت ثلاثة مذاهب سياسية مختلفة في باب الامامة اي خلافة رسول‌الله ﷺ بين المسلمين:

١. مذهب أهل السنة القائم علىٰ ضرورة نصب الامام من قبل المسلمين.

٢. مذهب الشيعة القائم علىٰ ضرورة نصب الامام من قبل الله تعالىٰ.

٣. مذهب الخوارج القائم علىٰ عدم ضرورة نصب الامام.

وقد أُثيرت فيما بعد خلافات اخرىٰ بينها، نظير: الجبر والاختيار، والتفاصيل المتعلقة بالصلاة والصوم.

٢ ـ ١٢. التيارات المناهضة

كان التنافس بين الدين والدولة قائماً عبر التاريخ الىٰ جانب الوئام، فقد كتب هيغل بعد الاشارة الىٰ ذلك التنافس، يقول:

«عند احتدام الجدل بين الكنيسة والدولة، تنسحب الدولة لصالح الكنيسة،

وتصرف النظر عن حقوقها في اغلب الاحيان دون فرق بين الكنيسة البروتستانية والكاثوليكية».[١]

وقد ظهرت تيارات تمكنت من الهيمنة علىٰ أروقة الفكر ومناهضة الدين في القرون الاخيرة، نظير: اصالة الانسان، والليبرالية، والاشتراكية، والحداثة، والعلمانية، والمساواة بين الرجل والمرأة، وادعت الجدارة والأهلية في تسلم الدور الريادي الذي يضطلع به الدين في قيادة المجتمعات ودعم الانظمة السياسية، وقد نهضت الكنيسة بوجه كل هذه التيارات الجارفة ولكن دون جدوىٰ، اذ شقت تلك التيارات طرقها في المجتمعات الغربية، والحقيقة التي يجب ان تقال ان هذه التيارات قد تم بلورتها من قبل مفكرين جدد، تمكنوا من التفوق علىٰ الفكر الاجتماعي الكلاسيكي للمسيحية الذي دعا اليه اصحاب الكنيسة في العصور الغابرة.

وقد لايلزم ان نذكر ان هذه الافكار لا ترتبط بافكار ميكافيلي باية رابطة ولايوجدمفكر يدعم هذا الفكر الذي كان يستغله أصحاب السياسة في طول التاريخلتحقيق مآربهم.

نعم كبلت الاديان والمذاهب المزيفة الشعوب والدول التابعة لها بقيود واغلال علىٰ طول التاريخ، وقد أدىٰ كسر تلك القيود من قبل التيارات الحديثة في كل نقطة من نقاط العالم الىٰ ارتياح عام، مثلاً: كان الهندوس يعانون من الخرافات التي طرأت علىٰ دينهم، وتتمثل في وضع نظام اجتماعي صارم، حوّل حياتهم الىٰ جحيم، ولم تكتب لهم النجاة منه الا باقامة نظام علماني حيث تمكنوا من تنفس الصعداء واصبح دور هذا الدين هامشياً في المجتمع الا ان تأثيره السلبي مازال باقياً، ويتجلىٰ ذلك في المجازر الوحشية التي ارتكبت بحق المسلمين بذرائع مختلفة مثل تخريب مسجد بابري.

ومع رواج هذه التيارات تحسن وضع الاقليات الىٰ حد كبير، نظراً لأخذ هذه

---

١. استقرار الشريعة في الديانة المسيحية (بالفارسية): ٨٣، طهران، ١٣٦٩.

الحقيقة بنظر الاعتبار، وهي ان الانحصار ميزة ذاتية لكافة الاديان والمذاهب في العالم، وان الشر أمر نسبي، فقد يكون الدين خيراً علىٰ مجتمع ونقمة علىٰ مجتمعات اخرىٰ خاصة فيما لو أُسيء استغلاله.

٣ ـ ١٢. فصل الدين عن السياسة

اعلنت الانظمة السياسية في العالم واحدة تلو الاخرىٰ، فصل الدين عن السياسة، هذا الامر قد تم التصويت عليه في اول عملية اصلاح للقانون الاساسي في الولايات المتحدة في ١٥ دسمبر عام ١٧٩١ م، والغىٰ مجلس فرنسا في عام ١٩٠٥م. المعاهدة التي ابرمت بين البابا ونابليون عام ١٨٠١م. وأعلن فيها فصل الدين عن السياسة.

وهكذا حدث الامر نفسه في ايطاليا حيث تم الغاء معاهدة عام ١٩٢٩ الداعية الىٰ رسمية المذهب الكاثوليكي وفرض تعليم الدروس الدينية في المدارس، وحلت محلها معاهدة عام ١٩٨٤ م، وأُلغيت بموجبها رسمية ذلك المذهب و تعليم الدروس الدينية.

كما اعلنت تركيا فصل الدين عن السياسة في اول اصلاح لها علىٰ القانون الاساسي عام ١٩٧٣، وقد ناهض السياسيون فيها العمل وفق القوانين الاسلامية والقرآن الكريم.

وحينما كتب علي عبد الرازق كتاب «**الاسلام واصول الحكم**» عام ١٩٢٥م، مدعياً ان الاسلام يفتقد الىٰ نظام سياسي، ثارت ثائرة دولة مصر والقت القبض عليه وحاكمته، الا ان سرعان ما انقلبت الموازين بعد مضي عدة عقود وراحت ترمي بنفسها في احضان العلمانية و تتفقد علي عبد الرازق.

وقام النظام البهلوي بتعليق العمل بملحق القانون الاساسي للنهضة الدستورية في إيران الذي يتضمن وحدة الدين والسياسة، واصبحت الدولة علمانية بصورة غير رسمية

نعم وجدت انظمة لم تعترف قط بفصل الدين عن السياسة مثل النظام السعودي، ودولة الفاتيكان.

٤ ـ١٢. وحدة الاخلاق والسياسة

لاريب ان الاخلاق قد ملأت الفراغ الحاصل في العلمانية، ذلك انها دين عالمي، وكل المجتمعات تنعم بخيراتها علىٰ حد سواء، ومنها انبثق القانون الذهبي القائل «**كل ما لا تحبه لنفسك لاتحبه لغيرك**»، وأمضتها كافة الاديان سواء الحقة منها ام الباطلة.

وأدىٰ استقبال الشعوب الواسع للعلمانية الىٰ اثارة حفيظة كبار زعماء المسيحية مما دفعهم الىٰ مسايرة الواقع الموجود بغية الحفاظ علىٰ البقية الباقية من الدين، وتمسكوا بعبارة من الانجيل لاتمت الىٰ الموضوع بصلة مفادها: «**ادوا القيصر ما لقيصر ولله ما لله**».[1]

وتمكنوا أيضاً ـ عبر ارشاد الناس ـ من الابقاء علىٰ مصباح الدين منيراً ومتوهجاً، ومن نشر الاخلاق الدينية بنحو انه ما زال يُحلف في المجالس ومحاكم الدول العلمانية بالكتاب المقدس، ولكن سوء استغلال الدين للسلطة وسوء استغلال السلطة للدين لايزال قائماً.

٥ ـ١٢. القدرة والقيمة

قُدر لعدد من الاديان والمذاهب البقاء والاستمرار بفضل اعتمادها علىٰ مبدأ القدرة والسلطة وبعضها الاخر علىٰ مبدأ القيمة، فبعد ان اعتنق قسطنطين المسيحية التي اصبحت دينا رسمياً للامبراطورية الرومانية، استحكم الدين فيها واخذ القياصرة والبابوات يحكمون بكل اقتدار حتىٰ القرن ١٥، لكن امرهم آل الىٰ الفساد بسبب سوء استغلالهم لهذه القدرة مما حدا ببعض المصلحين الىٰ رفع عقيرتهم بضرورة الرجوع الىٰ القيم الداثرة، الا انهم سرعان ما تحزبوا حزبين بعدما حالفهم النجاح: فجماعة منهم اسست حكومة من خلال الاستعانة بالخوانين والحكام المحليين وسلكت طريقاً كانت قد ناهضته فيما سبق، وجماعة اخرىٰ شكلت اقليات صغيرة وانضوت تحت لواء هاتين الحكومتين، وتمكنت من المحافظة علىٰ القيم التي نادت بها منذ اكثر من

---

١. تقدم بحثه في المسيحية تحت عنوان الله والقيصر.

خمسة قرون، كفرق السلام «Bacifist» و «Amish»[1] و « Mennonites».[2]

وفي دنيا الاسلام كان لاهل السنة خلفاء لهم شوكة واقتدار نظير اقتدار البابوات وكانوا يبررون كل ما يقوم به الخلفاء من ممارسات قمعية وتعسفية، وهذا الاتجاه اخذ بالافول بعد الغاء الخلافة على يد اتاتورك عام ١٩٢٤م، وكانت للشيعة ائمة معصومون، الامر الذي دفعهم الى عدم الرضوخ لاي حاكم الا المعصوم، وقد اخذ هذا الاتجاه أبعاداً جديدة مع تأسيس حكومة شيعية على يد الصفويين عام ٩٠٦هـ.

٦ـ١٢. الحكومة والانتظار

كانت لبعض الاديان حكومات، فقد حكمت المسيحية منذ القرن الرابع الميلادي وراحت اليهودية تنتظر ـ بعد انقراض سلطتهم المقتدرة عام ٥٨٧ ق.م. ـ الماشيح اي النبي المبعوث من جانب الله الذي يمسحه مثل داود وسليمان لكي يطيعه الجميع ويحقق الاهداف والامنيات المنشودة لليهود، ولايعتبر إنشاء دويلة إسرائيل عام ١٩٤٨م. نفياً لعقيدة اليهود في الانتظار، ولهذا السبب فهم مازالوا ينتظرون.

وفي عالم الاسلام كان لاهل السنة حكومة دون الشيعة التي مازالت تنتظر بلهفة قدوم مهدي آخر الزمان، وما تأسيس الدولة الصفوية والجمهورية الاسلامية في إيران شطباً على هذه العقيدة المتأصلة، بل هي خطوة على طريق الانتظار.

ومازالت الشيعة الامامية تنتظر قيام الامام الثاني عشر (عج)، ومع انهم ـ في عصر الغيبة ـ تولوا مناصب حساسة كالوزارة في بعض الاوقات، ومع ان فقهاء الشيعة أجازوا التصدي لمنصب القضاء بل أوجبوه في موارد، الا انه يُقال عادة ان تأسيس الحكومة الدينية ينافي الافكار الشامخة للانتظار، وقد بلغت هيمنة فكرة الانتظار مبلغاً ان الجهاز الذي يتولى الخمس وصرفه، واجه أزمة في بداية عصر الغيبة الكبرى، الامر

---

١. فرقة متطرفة من البروتستانت.

٢. فرقة من المسيحيين المخالفين للتعميد.

الذي دفع ببعض الفقهاء الىٰ الاعتقاد بضرورة ادارته من قبل أشخاص ذوي كفاءة وامانة لكي يتيسر لهم او لمن يقوم مقامهم تسليم الودائع المالية الىٰ الامام (عج) بعد ظهوره، كماطرحت أساليب اخرىٰ، وفي الحقيقة استغرق تأهيل هذا الجهاز وقتاً حتىٰ استقر ـ بفضل جهود علماء ورعين في العصور المتعاقبة ـ علىٰ هذا المستوىٰ.

وفي الادوار اللاحقة تأسست حكومات شيعية مثل حكومتي السربدارية والصفوية اللتين حظيتا بدعم علماء الشيعة، واقتضت وحدة الدين والسياسة في ذلك العهد ان تهتم الحكومات ببناء المساجد والمدارس واعادة بناء الاماكن المقدسة في إيران والعراق، وكان الملوك يستاذنون كبار الفقهاء للحكم، وكان منصب القضاء تحت اختيار العلماء.

وكان للامام الخمينيﷺ وجهة نظر خاصة في مسألة الانتظار، شكلت نقطة عطف مهمة في تاريخ الشيعة، تمخض عنها طلوع الثورة الاسلامية في إيران، فهو عندما يبحث موضوع ولاية الفقيه بعد نفيه الىٰ النجف الاشرف، يقول:

> **قد مر علىٰ الغيبة الكبرىٰ لامامنا المهدي اكثر من الف عام، وقد تمر عليه ألوف السنين قبل ان تقتضي المصلحة قدوم الامام المنتظر، وفي طول هذه المدة المديدة هل تبقىٰ احكام الاسلام معطلة يعمل الناس خلالها ما يشاؤون؟ الا يلزم من ذلك الهرج والمرج؟ وهل حدد الله عمر الشريعة بمائتي عام؟ هل ينبغي ان يخسر الاسلام من بعد الغيبة الصغرىٰ كل شيء ؟ان الذهاب الىٰ هذا الرأي أسوء في نظري من الاعتقاد بان الاسلام منسوخ.** [١]

٧ ـ ١٢. الزعامة الباطنية

قلنا فيما سبق ان الشيعة الامامية كانت تنتظر قيام الامام الثاني عشر (عج).

ونقول الان يطرح عادة في زمن الانتظار مفهوم الامام المستتر، فكل امام مستتر

---

١. الحكومة الاسلامية: ٣٠ ـ ٣١.

يمكن ان يكون حاضراً مثل الائمة الاحد عشر عليهم السلام[١] او غائباً مثل الامام المهدي (عج)، وتطلق الشيعة عنوان الامام علىٰ الامام المستتر، هذا العنوان يطلق في الاصل علىٰ الامام الظاهر، حيث أشار القرآن الكريم الىٰ الائمة الهادين[٢] وأئمة الكفر[٣] الذين يهدون الناس الىٰ النار،[٤] وروي عن الامام جعفر الصادق عليه السلام، انه قال: «**لايصلح الناس الا إمام عادل وإمام فاجر**».[٥] ثم اقتصر استعماله فيما بعد علىٰ الامام الداخل في كهف الاستتار.

وقد نعىٰ اليهود علىٰ تسمية عيسىٰ عليه السلام بالمسيح، كما نعىٰ مناوئو التصوف علىٰ اقطاب الصوفية باطلاق لقب الشاه عليهم، ولم يبد أهل السنة أية مخالفة ازاء اطلاق الامام علىٰ الامام المستتر ذلك انهم يطلقون ذلك الوصف علىٰ علماء الاسلام ايضاً،[٦] كما أُطلق وصف الامام علىٰ السيد الخميني منذ بداية النهضة، وبالتاكيد فان امامته اصبحت ظاهرية وباطنية بعد انتصار الثورة الاسلامية.

٨ ـ ١٢. الروحانيون

ان للكثير من اديان العالم روحانيين، ويعدون كوسائط بين الله والعباد، وكانت لهم مناصب ومقامات كالكهنة والقسيسين، وهم يتمتعون بمزايا خاصة كاقامة الطقوس الدينية، ويُحرمون من اخرىٰ كالزواج والملكية.

ويبدو ان ثمة اختلاف بين العالم الروحاني وعالم الدين، وهو ان عالم الدين يختص باللاهوت ويلقي محاضراته في الوسط العلمي، ويكتب مقالات وكتباً في هذا الشأن، ويُتاح له اقامة المراسم والطقوس الدينية فيما اذا عُين لمنصب العالم الروحاني.

---

١. تخللت طيلة ٢٥٠ سنة فترات كان للائمة فيها زعامة ظاهرية، فالامام أمير المؤمنين عليه السلام حكم خمس سنين والامام الحسن ستة اشهر والامام الحسين خلال فترة ثورته.

٢. الانبياء، ٧٣. ٣. التوبة، ١٢. ٤. القصص، ٤١.

٥. بحار الانوار: ٢٤ / ١٥٧.

٦. اطلق الشهيد الثاني عنوان الامام علىٰ الشهيد الاول في مقدمة شرح اللمعة، والشيخ محمد حسن النجفي علىٰ المحقق الحلي في بداية جواهر الكلام.

ويمكن ان تكون بعض الامور العادية في دين من مسؤوليات الروحانيين، كالزواج في اليهودية والمسيحية، وقد وردت في سِفْر اللاويين مسؤوليات عجيبة وغريبة لروحانيي اليهود، مثل: فحص من تعافىٰ من مرض البرص لغرض الحكم عليه بالطهارة، وللزواج قدسية بالغة في المسيحية لاسيما عند الكاثوليك والارثذوكس، وهو يتم فيما لو اجرىٰ القسيس او الاسقف مراسم العقد في الكنيسة.

وفي أغلب الاديان تتم العبادة وممارسة العالم الروحاني لمهامه في المعابد، وتسلب عن تلك المهام صفة الرسمية في خارجها.

يُذكر ان تعلم العلوم الدينية والتخصص فيها لاينحصر بجماعة خاصة او طبقة معينة، بل يتيسر لكل الناس سواء كان ذكراً ام انثىٰ، وقد تباينت وجهات النظر حول تسلم المرأة لمنصب الروحاني و صلاحيتها لاجراء الطقوس، وذهبت فرق عديدة من البروتستانت الىٰ الجواز.[١]

ويفتقد الاسلام الىٰ الروحاني ولهذا السبب يعتبر هضم مفهوم الروحاني للمسلمين أمراً عسيراً للغاية،[٢] وقد بيّن العلماء وفقهاء الاسلام ان المؤمن هو الذي يتصل مباشرة بالله سبحانه وان الصلاة تؤدىٰ فرادىٰ خلافا للمسيحية وسائر الاديان، كما ان اقامة صلاة الجماعة ليست بحاجة الىٰ روحاني، ويمكن لكل احد التصدي لامامة الجماعة فيما لو توفرت فيه شروط ثلاثة، هي: العدالة، والقراءة الصحيحة للحمد والسورة، والاحاطة بمسائل الصلاة.

---

١. افتت الكنيسة الانكليكية بجواز مزاولة النساء لمهنة الكهنوت، مما اثار حفيظة بعض القساوسة وعزموا علىٰ مغادرتها واعتناق الكاثوليكية، وكان لهؤلاء القساوسة ازواج وكان يمكن ان تثير هذه القضية مشاكل، ذلك ان القسيس الكاثوليكي لايجوز له الزواج، لكن البابا تدارك الموقف واذن لهم باعتناق الكاثوليكية مع وجود ازواجهم، وادىٰ ذلك الىٰ سخط القساوسة الكاثوليك ازاء هذا التبعيض.

٢. وقد مضىٰ اكثر من نصف قرن علىٰ اطلاق عنوان الروحاني علىٰ طلاب وعلماء العلوم الدينية، وبالطبع فان هذا العنوان عرفي ولايتفق مع اي ادعاء.

وقد حث الاسلام علىٰ العلم والعلماء، وعدّ شد الرحال الىٰ مراكز العلوم الدينية للتفقه في الدين حسب ما ورد في الذكر الحكيم (التوبة / ١٢٢) واجباً كفائياً علىٰ الجميع هذا من جهة، من جهة اخرىٰ يعد تقليد العالم الفقيه واجباً شرعياً علىٰ كل مسلم، وهو يشبه رجوع العاقل الىٰ متخصص، والاقتداء بالعالم أفضل وأولىٰ.

كما تقام الصلوات في العديد من الاديان كالمسيحية في المعابد لاغير في حين يعتبر الاسلام الارض كلها معبداً.[١]

١٣. معرفة الآخرة

يطلق علىٰ البحث عن الرجعة والقيامة بمعرفة الآخرة «Eschatology»،وثمة رأيان في الاسلام واليهودية حول الرجعة، وهل هي القيامة ؟ فمثلا:تعتقد الشيعة بالرجعة والقيامة في حين تعتقد السنة بالقيامة فقط، وترجع الايات التي يفسرها الشيعة بالرجعة[٢] الىٰ القيامة، كما ذهبت النصارىٰ الىٰ الاعتقاد بوحدة الرجعة والقيامة وان المسيح ـ حسب اعتقادهم ـ هو رب وحينما يعود للمرة الثانية سوف يؤسس حكومة الف عام، ويبعث القيامة للحكم بين الناس وارسالهم الىٰ جنة او جهنم، ويعتقد اليهود ان بعض الناس سوف يبعثون، وثمة اختلاف نظر فيما بينهم حول العلاقة القائمة بين الرجعة والقيامة.

١ ـ ١٣. الاخبار المخيفة لاخر الزمان

لاشك ان موضوع نهاية العالم هو احد الهواجس الدائمة للبشر، اذ ثمة اخبار مخيفة ومثيرة للقلق في كل التنبؤات المتعلقة باخر الزمان، فوصف هذه الفتن في اليهودية كان مخيفاً بنحو انه حدا ببعض زعماء اليهود الىٰ الدعاء بظهور المسيح في غير اعصارهم

---

١. «جعلت لي الارض مسجداً وطهوراً» (بحارالانوار: ٨ / ٣٨).

٢. مثل الاية ٨٣ من سورة النمل التي تدل علىٰ حشر طائفة من كل امة في حين ان مقتضىٰ الاية ٤٧ من سورة الكهف تدل علىٰ حشر عامة الناس يوم القيامة دون استثناء.

خوفاً وخشية من مقدمات ظهور موعود اخر الزمان، وهكذا الحال في المسيحية فحينما يسترد الشيطان حريته في اخر الزمان سوف تعم الفوضىٰ والفتن، ويُقدم الطغاة علىٰ اذكاء نيران حروب دامية وطاحنة في ارجاء العالم.

وقد وردت في الاناجيل اخبار مخيفة حول اخر الزمان:

ثم خرج يسوع ومضىٰ من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع أن تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم إنه لايترك ههنا حجر علىٰ حجر لاينقض. وفيما هو جالس علىٰ جبل الزيتون تقدم اليه التلاميذ علىٰ انفراد قائلين قل لنا متىٰ يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر. فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لايضلكم احد. فان كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلّون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لاترتاعوا لانه لابد أن تكون هذه كلها ولكن ليس المنتهىٰ بعد. لأنه تقوم أمة علىٰ أمة ومملكة علىٰ مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع... فمتىٰ نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس ليفهم القارىء. فحينئذ ليهرب الذين في اليهودية الىٰ الجبال. والذي علىٰ السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا. والذي في الحقل فلا يرجع الىٰ ورائه ليأخذ ثيابه. ويل للحبالىٰ والمرضعات في تلك الايام. وصلوا لكي لايكون هربكم في شتاء ولا في سبت.[1] لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الىٰ الان ولن يكون. ولو لم تقصر تلك الايام لم يخلص جسد ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام.....وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لايعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قبائل الارض ويبصرون ابن الانسان آتيا علىٰ سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته

---

١. يجب – حسب شريعة اليهود – الا تُقطع مسافة اكثر من كيلومتر يوم السبت، وقد أولىٰ عيسىٰ المسيح ﷺ احتراماً لاحكام التوراة لاسيما هذا الحكم حيث يستكشف من هذا النص ان حكم السبت امتد الىٰ مابعد زمانه.

ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الاربع الرياح من أقصاء السموات الىٰ أقصائها.[١]

كما ان المسلمين وانطلاقاً من الاية الشريفة «أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون»،[٢] كانوا علىٰ قلق دائم من فتن اخر الزمان، ومصطلح «فتنة» الذي أُخذ من الاية ذاتها كان رائجاً في عرف المسلمين، وفي المجاميع الحديثية القديمة، مثل: «صحيح البخاري» الذي دوّن في القرن الثالث الهجري،كتاب الفتن الذي تحدث عن فتن آخرالزمان، ويطلق علىٰ هذا النوع من الاحاديث «الملاحم»، والملاحم جمع ملحمة بمعنىٰ الحرب.

٢ ـ ١٣. موعود الاديان

كل الاديان المعروفة لها موعود، وقد ذكرت له اسامي و خصوصيات وعلامات، مثل: «الياس وعيسىٰ والسيد الحسني و...»، كما ذكرت له خصوماً، مثل: «الدجال، والسفياني...»، ان اهتمام اتباع الاديان بالموعود يعتمد الىٰ حد كبير علىٰ قوتهم وضعفهم، فقد كان اليهود بعد سقوط دولتهم علىٰ يد نبوخذنصر، والمسيحيون قبل تأسيس دولتهم علىٰ يد قسطنطين، ينتظرون الموعود بلهفة، وكانت الشيعة الاثني عشرية التي لم يكن لها دولة، تنتظر ظهور الموعود.

وينتظر اليهود موعوداً من آل داود يأتي الىٰ الدنيا دون ان يعرفوا اسمه ولعل اسمه داود او مناحم. كما ينتظر النصارىٰ المسيح الذي صلب قبل اكثر من الفي عام ويعود مرة اخرىٰ بعد ان بعث من قبره وعرج به الىٰ السماء، وقد قام عماد المسيحية علىٰ الاعتقاد بظهور الموعود (وكما ذكرنا آنفا فان المسيحية ظهرت في البداية كعرفان يهودي ولكنها استقلت فيما بعد).

وقد ظهرت بعض الالهة عند الهندوس بهيئة انسان او حيوان واطلق عليها «اوتار»

---

١. متىٰ: ٢٤ / ١ ـ ٣١.   ٢. العنكبوت، ٢.

وينتظر الهندوس «كلكي» وهو المظهر العاشر لـ«فشنو» حاملاً السيف بيده ممتطياً فرساً ابيض، كما ينتظر البوذيون بوذا بصورة ميتريا.[١]

٣ ـ ١٣. الشهيد والموعود

استحوذ الشهيد في الازمنة الماضية، والموعود في الازمنة اللاحقة على اهمية كبيرة من اجل استقرار واستمرار اي دين، فالشهيد حي، ومن الممكن ان يعتبره دين حياً بجسمه.

فالشهيد والموعود عند المسيحيين هو المسيح[٢] وحسب ادعاء الاناجيل فانه بعدما قتل بعث من قبره ولاقى حوارييه اربعين ليلة وبعدها عرج به الى السماء، اما في عالم الاسلام فالشهيد غير الموعود، فالامام الثالث عند الشيعة مثلاً شهيد والامام الثاني عشر موعود وهو ابان ظهوره في يوم عاشوراء يعلن للعالم مظلومية جده الشهيد الذي يرجع ـ وفق بعض الروايات ـ الى الدنيا مرة اخرى ليلتحق بركب نجله العزيز ويدوم حكمه مدة طويلة بعده.[٣]

ان موعود اليهود مثل مهدي السنة سوف يولد في آخر الزمان،[٤] وموعود المسيحيين مثل مهدي الشيعة قد ولد وغاب عن الانظار وسيظهر في اخر الزمان.

---

١. «Maitreya» في اللغة السانسكريتية بمعنى المحب.

٢. لابد من القول بان المسيحيين لا يعتبرون عيسى عليه السلام شهيداً بل يطلق عليه الفادي استناداً الى عقيدة الفداء، وتعبير الشهيد انما ورد في النص لاجل االمقارنة ليس الا، ومن الواضح بمكان ان المسيحية قدمت ـ كسائر الاديان ـ شهداء كثيرين منذ زمن الحواريين وحتى يومنا هذا.

٣. ذكرت احاديث يوم الكرّة الواردة في تفسير البرهان ذيل الاية ٦ من سورة الاسراء ان للامام الحسين عليه السلام دوراً هاماً بعد الرجعة حيث يتولى مهمة تجهيز الامام المهدي(عج)، وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام ان الحسين عليه السلام يتولى حساب الناس يوم الجزاء، وهذه العقيدة تشبه الى حد بعيد بعقيدة المسيحيين في حق عيسى عليه السلام ويقول: «ان الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي فاما يوم القيامة فانما هو بعث الى الجنة وبعث الى النار».

٤. بعض أهل السنة كأبن خلدون ينكر المهدي، وبعض اخر كأبن عربي يؤمن بالامام الثاني عشر للشيعة وانه المهدي المنتظر (راجع في هذا الصدد مجموعة آثار الشهيد المطهري: ٤ / ٩٤٤).

ان معرفة الآخرة في القرآن الكريم ـ اضافة الىٰ الحشر والحساب والجنة والنار ـ تشتمل علىٰ حوادث اخر الزمان، وتشير الايات ٩٥ ـ ٩٦ من سورة الانبياء والايات ٨٢ ـ ٨٥ من سورة النمل الىٰ مسائل نظير الرجعة، وخروج ياجوج وماجوج ودابة الارض، واستناداً الىٰ الاية ١٠٥ من سورة الانبياء فان الله تعالىٰ قد كتب في الزبور ان الارض يرثها عباده الصالحون، هذه العبارة تشاهد في المزامير ٣٧: ٢٩ ايضا.[١]

٤ ـ ١٣. انتظار الفرج

تحدثت الاديان الابراهيمية الثلاثة عن قرب موعد اخر الزمان (الرجعة والقيامة) وحذرت اتباعها من توقيت وتحديد ذلك كما حذرتهم من اتباع الموّقتين، ولكن التوقيت كان بين الاتباع جدياً ويطبقون علامات الظهور الموجودة في اديانهم علىٰ عصرهم، وتتعلق بعض هذه العلامات بالحوادث الطبيعية التي تجري في العالم وبعض اخر بالسلوك الاخلاقي للبشر.

ان العديد من الموّقتين يستخرجون مادة تاريخ الظهور من الحروف الابجدية، ويعلقون عليها الامال، وبعض اخر راح ينتظر من خلال تمهيد المقدمات من الخوذة والفرس والعصا والسيف واصحاب خاصين مدججين بالعدة والسلاح، واليهود يحدقون النظر الىٰ الافق علىٰ أمل ظهوره من وراء الجبل، كما اعد له المسيحيون مبنىٰ خاصاً، ويتوجه جماعة من المسلمين الىٰ الصحاري كل يوم جمعة، وتنادي العجل ياصاحب الزمان (عج) وتعكس بذلك حبها ورغبتها بظهوره.

ان الموعود له خصوصيات تمثل رموزاً دينية، فمثلاً موعود اليهود من ال داود يولد في مهد داود اي مدينة بيت لحم ومن المحتمل ان يكون اسمه داود، وموعود المسيحيين له اثنا عشر حوارياً[٢] سيحكمون علىٰ اثنى عشر سبطاً من اسباط بني

---

١. يتضمن الزبور الحالي مناجاة داود عليه السلام ويعتبره أهل الكتاب وحياً وكتاباً سماوياً.

٢. الحواري بمعنىٰ الرسول باللغة الحبشية.

إسرائيل، وموعود الاسلام يتفق اسمه مع اسم رسول‌الله ﷺ وعدد اصحابه ٣١٣ بعدد أهل بدر، ومحل قيامه الكعبة المشرفة مثل جده ﷺ ومركز حكومته مدينة الكوفة مركز حكومة أمير المؤمنين عليه السلام التي نقض اهلها ميثاقهم مع الامام عليه السلام ونجليه الحسن والحسين عليهما السلام.

هذه الخصوصيات الرمزية ضيقت الخناق على المدعين، مما حدا باليهود الى ان يثيروا شبهات حول عيسى عليه السلام وطرحوا ادلة تثبت عدم صلاحيته لان يكون المسيح الموعود:

١. انه ليس من نسل داود عليه السلام

٢. انه لم يولد في بيت لحم

٣. انه لم يتم مسحه

٤. لم يعد الياس قبله من السماء

٥. لم ينتصر على خصومه

ولاجل التغلب على هذه الشبهات، طرحت هذه الحلول:

١. قد أعد كل من متى ولوقا شجرة النسب الى زوج امه يوسف النجار، وكل يجهل ما قام به الاخر، وقد اقحموا فيها اسم داود عليه السلام وهاتان الشجرتان لاتتطابقان[١] هذا من جهة، ومن جهة اخرى فقد نقل عن عيسى عليه السلام انه ليس من المفروض ان يكون المسيح الموعود من نسل داود عليه السلام.[٢]

٢. ادعي ان عيسى عليه السلام ولد في الناصرة في ولاية الجليل في بيت لحم من اليهودية.[٣]

---

١. لم تكن مريم عليها السلام من نسل داود عليه السلام ذلك لانه بادنى تأمل في الباب الاول من انجيل لوقا يتضح ان اليصابات ام يحيى عليه السلام من نسل هارون (لوقا: ١ / ٥) ومريم عليها السلام كانت من اقرباء اليصابات (لوقا: ١ / ٣٦) ومن يمت الى آل هارون بقرابة لايمكن ان يكون من آل داود لان داود عليه السلام لم يكن من آل هارون.

٢. متى: ٢٢ / ٤١ ـ ٤٦؛ مرقس: ١٢ / ٣٥ ـ ٣٧ ولوقا: ٢٠/٤١ ـ ٤٤.

٣. راجع حول ولادة المسيح عليه السلام في اناجيل: متى ولوقا، ونطالع في انجيل يوحنا (٧: ٤١ ـ ٤٣): «اخرون قالوا هذا هو المسيح واخرون قالوا ألعل المسيح من الجليل ياتي ألم يقل الكتاب انه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التي كان داود فيها يأتي المسيح فحدث انشقاق في الجمع لسببه».

٣. قيل حول مسحه انه مُسح من قبل الله.[١]

٤. نقل عن عيسىٰ ان يحيىٰ هو الياس ذاته عاد من السماء.[٢]

٥. ان الانتصار علىٰ اعدائه يمكن ان ندعيه لكل احد ولهذا السبب نقل عن عيسىٰ انه قال: «**ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم**».[٣] وايضا فقد تحدث المسيحيون دائـما عـن انتصاره علىٰ الموت والشياطين.

وثمة شواهد في العهد الجديد تدعم بعض هذه الحلول التي طرحت بغية الاذعان بان عيسىٰ هو المسيح الموعود، ومع تجاوز هـذه الشـبهات فـقد تـم إحكـام دعـائم المسيحية، و اختار كثير من البشر حياة طاهرة من خلال انتخاب هذا الدين، وتـفانوا في حب عيسىٰ عليه السلام.

٥ ـ ١٣. الموعود المزيف للاديان

ان الرغبة بظهور المنقذ، هيأت الاجواء لادعاء بعض اليهود والنصارىٰ أنه هو المسيح الموعود، وادعاء عدد من المسلمين انه هو المهدي المنتظر، وقد تجاوز بعضهم ذلك الىٰ ادعاء النبوة والربوبية، الامر الذي خلق فتناً في أوساط المجتمع، ويعتقد اليهود ان عيسىٰ عليه السلام هو المسيح الدجال وان التاريخ شهد العديد من امثاله، وقد تمكنوا ـ حسب زعمهم ـ من الوشاية به واعدامه، وبالطبع فـانه عليه السلام لم يـلب طـموحاتهم فـي المسـيح الموعود ولم يخفف عنهم وطأة المصائب والالام.

وقد انزلق بعض من تناول موضوع الظهور وعلاماته وزمانه بحثاً وتحقيقاً، انزلق فـي ورطة الاهواء النفسية وادعىٰ اثر ذلك انه هو الموعود او الممهد له طمعاً بمقام او مال.

وقد ادعىٰ السيد علي محمد الشيرازي عام ١٢٦٠هـ انه باب الامام المـهدي (عـج)، ومن ثم انه هو المهدي واخيرا ادعىٰ النبوة، وقد ذهب اكثر المؤرخين الىٰ انه مختل عقلياً.

---

١. اعمال الرسل: ٤ / ٢٧ و ١٠ / ٣٨.

٢. متىٰ: ١١/ ١٤ و ١٧ / ١٠ ـ ١٣ ومرقس: ٩ / ١١ ـ ١٣، وبالتاكيد فان يحيىٰ عليه السلام لم يدع امام زعماء اليهود انه الياس (يوحنا: ١ / ٢١).

٣. يوحنا: ١٦ / ٣٣.

وتمت محاكمته من قبل علماء الاسلام، وحكموا بعدم صحة قتله لطروء الجنون عليه، ثم رجع عما ادعىٰ كتابة ومشافهة، وكتب توبته التي يحتفظ بها في مجلس الشورىٰ الاسلامي بخط يديه. الا انه سرعان ما نقض توبته وعاد الىٰ اباطيله مرة اخرىٰ، وأخيراً حُكم عليه بالاعدام في تبريز.

وكان قد نصب خليفة له هو حسين علي النوري الذي اطلق علىٰ نفسه بهاء الله، والذي تم علىٰ يديه تحول البابية الىٰ البهائية، وادعىٰ ـ هذا المتكالب علىٰ الدنيا ـ النبوة ومن ثم الربوبية، وجاء بعده نجله عباس أفندي الملقب بعبد البهاء، وتمكن بدهائه من نشر مذهبه، وكان خليفته حفيد بنت شوقي افندي، ولم يعقب ذكراً وبعد موته عام ١٣٣٦ش، امسك بيت العدل الاعظم بزمام امور البهائيين، وكان هؤلاء المدعون الثلاثة يقيمون في مدينة عكا في فلسطين الخاضعة للاحتلال الانجليزي آنذاك، وكان الاحتلال يدعمهم، واستمر هذا الدعم بعد إنشاء دولة إسرائيل اللقيطة (في عهد شوقي افندي) التي ساندتهم بقوة، وبذلت لهم الكثير، لاسيما لبيت العدل الاعظم ولمقابر زعماء البهائية التي يدعىٰ ان جسد الباب المعدوم دفن فيها.

يُذكر ان هؤلاء المدعين المزيفين الذين لايعلم عددهم الا الله، يطلق عليهم «ماشيح شِقِر» في اليهودية، و المسيح الكاذب «pseudo – christ» في المسيحية، والمتمهدي في الاسلام.

٦ ـ ١٣. الدجال

طرح عنوان الدجال «Antichrist» في الاديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والاسلام،[١]

---

١. «ايها الاولاد هي الساعة الاخيرة وكما سمعتم ان ضد المسيح ياتي قد صار الان اضداد للمسيح كثيرون من هنا تعلم انها الساعة الاخيرة»(رسالة يوحنا الاولىٰ: ٢ / ١٨) وهذا النص من العهد الجديد يشير الىٰ الاعتقاد السائد بالدجال في اليهودية، وبالطبع ثمة مصادر كثيرة للاديان الثلاثة في هذا الباب.

وهذا المصطلح يعني في اللغة العربية ماء الذهب ولهذا السبب يطلق الدجال علىٰ الكذّاب الذي يزين الباطل ويظهره حقاً، والدجال لقب المشعوذ الظالم الذي يضل الناس اخر الزمان، واسمه عند اليهود «**آرميلوس**»، وفي بعض روايات المسلمين السنة «**صائد بن صيد**»، وقيل انه حينما ولد في المدينة المنورة، زاره رسول الله ﷺ في منزله وتحدث مع امه واخبرها ان هذا هو الدجال الذي سوف تتعرض الدنيا علىٰ يديه الىٰ فتن واضطرابات، وقد عزم الخليفة الثاني يوماً علىٰ قتله لكن رسول الله ﷺ منعه من ذلك لان الدجال الحقيقي لو كان هو في اخر الزمان فسوف لايتمكن من المس به، والا فلاخير في قتله.[1]

ان قلق الناس من الدجال بلغ درجة بحيث ان الخليفة الثاني حينما فتح الشام، سأل عنه علماء أهل الكتاب، وكان اسمه ولايزال تتداوله ألسنة الكثير من اتباع الاديان والمجتمعات الدينية،كما دونت كتب وافلام حملت عنوان الدجال، ويقول اتباع الاديان الابراهيمية انه ولد ومازال حياً.

وقد طرح في الاسلام لاسيما التشيع شخص يدعىٰ السفياني، واسمه ـ كما في بعض الروايات ـ «**عثمان بن عنبسة**» وقد اُدعي انه شوهد في سوريا منذ اكثر من قرن مضىٰ،[2] كما وُجد في التاريخ الاسلامي من ادعىٰ انه السفياني الموعود.[3]

ومال المسيحيون الىٰ ان عدد من اتسم بصفة «**الوحش ذي العلامة**» بلغ ٦٦٦

---

١. مسند احمد بن حنبل: الحديث ٦٠٦٣.

٢. «وقد شوهد عثمان بن عنبسه البالغ من العمر عشرين عاماً ورئيس قبيلته في جبل حوران حيث يفتخر بانتسابه الىٰ ابي سفيان ويدين له الالاف من الناس بالولاء»(علائم الظهور: ناظم الدين كرماني: ١٢٩ ـ ١٣٠).

٣. يدعىٰ احدهم «ابو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية» في سنة ١٣٢ هـ ابان تشبث بني العباس بالمهدوية من اجل الاستيلاء علىٰ خلافة آل مروان، واخر باسم «علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية» عام ١٩٥، واخر ابو حرب عام ٢٢٧ هـ واخر لايُعلم اسمه قام عام ٢٩٤.(تاريخ الطبري، حوادث السنوات المذكورة).

(مكاشفة يوحنا: ١٣ / ١٨) و شغل هذا العدد بال الكثير من الناس.

ومنذ عهود بعيدة الصقت تهمة الدجال ببعض الشخصيات الدينية والسياسية في المجتمعات المسيحية من قبل خصومهم، لاسيما بعد احتدام الصراع بين البابا وملوك اروبا، فقد اتهم احدهم الاخر بهذه التسمية، ولما نهض لوثر بوجه الكنيسة الكاثوليكية وتم تكفيره من قبل البابا، أطلق علىٰ الجهاز البابوي اسم الدجال، كما أُطلقت التسمية ذاتها علىٰ الثورة الفرنسية والاشتراكية والشيوعية.

واليك عدة شواهد علىٰ الموسومين بعنوان الدجال او الوحش ذي العلامة المثير للفتن والحروب والمشعوذ الذي جُرح لكنه نجا من خطر الموت.

ـ نابليون بونابرت لاجل اثارته للحروب.

ـ ميخائيل غورباتشوف لاجل وجود علامة خسوف القمر علىٰ جبهته.

ـ هنري كيسنجر وزير خارجية امريكا الاسبق وكان صهيونياً محتالاً.

ـ رونالد ريغن رئيس جمهورية امريكا الاسبق ومصمم مشروع حرب النجوم، وكان اسمه المؤلف من ستة حروف «Ronald Wilson Resgan» يرمز الىٰ العدد ٦٦٦، وقد جرح نتيجة تعرضه لمحاولة اغتيال.

ـ صدام بسبب عصيانه وطغيانه وعدم مبالاته بالمجتمع الدولي حينما احتل الكويت.

ـ البابا جان بول الثاني الذي تعرض لمحاولة اغتيال جرح علىٰ اثرها لكنه تعافىٰ منه.

واضف الىٰ ذلك ان بعض الامكانات الجديدة للبشر مثل انفلاق نواة الذرة، وتسخير الفضاء واختراع الاقمار الاصطناعية والحاسوب وشبكة المعلومات العالمية كلها تدل علىٰ تحولات عالمية ومقدمات لظهور الدجال.

وقيل: ان «باركد» هو الدجال او وحش ٦٦٦ ذاته، ذلك لاننا نطالع في كتاب المكاشفة ان ذلك الوحش يمسك بزمام كل عمليات البيع والشراء:

وحسب عقيدة البعض فان باركد امر خطير ولابد من محوه.

٧ ـ ١٣. هرمجدون

ورد في كتاب المكاتبة (١٦: ١٦) مكان في فلسطين يدعىٰ «**هرمجدون**» «Armageddon» كمسرح للحرب في اخر الزمان، وقد حاز هذا المكان اهتماماً بالغاً لدىٰ المسيحيين، و قام بزيارته العديد من السيّاح في سنة ٢٠٠٠ وحين حلول الالفية الثالثة، استغلت دولة إسرائيل الغاصبة هذا الامر وقامت بانشاء العديد من المتنزهات والفنادق فيه بغية جني ارباح ضخمة من المسيحيين السذج.

وتعتقد بعض الفرق الانجيلية «Evangelicals» ان تأسيس دولة إسرائيل من علامات ظهور عيسىٰ ﷺ، كما تعتقد بضرورة اطلاق يد الصهاينة من اجل التعجيل بظهوره، وفي المقابل فثمة فرق اخرىٰ تناهض هذه الفكرة، نظير اتباع الانجيل لفهم مسائل الشرق الاوسط «Understanding (EMEU) Evangelicals for Middle East» التي تأسست عام ١٩٨٦م، وقد وضع مؤلف من اتباع هذه الفرقة ويدعىٰ «**دونالد واغنر**» كتابا يزيف فيه الافكار الصهيونية.[١]

٨ ـ ١٣. المعاد والثواب والعقاب

البعد الاخر الذي يتعلق بالآخرة هو الثواب والعقاب، اللذين تعتقد بهما جميع الاديان، وحكمة ذلك لاتُدرك الا من ذاب في الدين، وقد طرحت ثلاثة آراء حول الثواب والعقاب:

١. نيل الثواب من خلال جلب النعم، ونزول العقاب عن طريق سلب النعم في هذه الدنيا، وهذا الرأي ورد في الباب ٢٨ من ابواب سِفْر تثنية التوراة (بعد المزمور ١١٩)[٢]

---

1. Donald e . Wagner, Anxious for Armageddon ,Herald press ,1995

٢. يتضمن المزمور ١١٩ بيتامن الشعر مرتبة حسب الترتيب الالفبائي العبري مما جعل تقسيمه الىٰ عدة مزامير أمراً صعباً.

وهو أطول فصل في الكتاب المقدس،وايضا في الباب ٢٦ من سِفْر اللاويين،[١] ومازالت آثار هذه العقيدة قائمة في الاديان الابراهيمية ولاعلاقة لها بالمعاد.[٢]

٢. نيل الثواب والعقاب بعد الموت وبعث الموتىٰ في عالم الآخرة، وذهبت الىٰ ذلك الزرادشتية واليهودية والمسيحية والاسلام، وقد نشب خلاف حول نسبة زمان ظهور الموعود مع زمان البعث (الرجعة والقيامة) وسائر الجزئيات المتعلقة بهاتين الحادثتين في الاديان الاربعة آنفة الذكر، ويذهب بعض الباحثين الىٰ ان الاعتقاد بالبعث تبلور من خلال انتظار الموعود.

٣. نيل الثواب والعقاب بعد الموت في هذه الدنيا، وهذا الرأي هو تلفيق من الرأيين السابقين، ويدعىٰ بالتناسخ « Reincarnation» وكما مرت الاشارة اليه فان هذه العقيدة شوهدت عند الهندوس ايضا ويطلقون عليها سمساره «Samsara» وقد سرت بعض فروعها الىٰ البوذية والجينية والسيخية وبعض الفرق اليهودية والمسيحية والاسلامية، وتسمىٰ ادوار التناسخ لدىٰ بعض الفرق الاسلامية المنحرفة بالكور والدور [٣] كما قاموا بتأويل آيات المعاد بالتناسخ.

واستناداً الىٰ هذا الرأي فان الانسان يولد مرة اخرىٰ بعد الموت، وهو في هذه الحياة

---

١. يمكن تبرير عدم تحقق الثواب الدنيوي، بنحوين: الاول: تسعىٰ قصة ايوب الىٰ القول بان الثواب الدنيوي سوف يتحقق مهما طال الزمن، والثاني:نطالع في سفر دانيال: ١٢/١ـ٢، حول من مات ولم ينل الثواب او العقاب «وفي ذلك الوقت ينجىٰ شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر وكثيرون من الراقدين في تراب الارض يستيقظون هؤلاء الىٰ الحيوة الابدية وهؤلاء الىٰ العار للازدراء الابدي» ،وبما ان المعاد لم يرد له ذكر في التوراة اصلا، فيمكن القول بان التعبير العام للاخرة الوارد في سفر التثنية: ٨/١٦، ومراثي ارميا: ٤/١٨ يعني العقاب الدنيوي.

٢. اضافة الىٰ التوراة، فان الانجيل يذهب الىٰ ان المصائب الدنيوية هي انعكاس لارتكاب الذنوب (لوقا: ١٣/١ـ٩)، ونطالع في القرآن الكريم «وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير»(الشورىٰ، ٣٠)،وفي نفس الوقت يؤكد علىٰ ان تلك المصائب هي امتحان للبشر، وقد ميّزت المصادر الاسلامية بينها بدقة.(انظر: الميزان: تفسير الاية ١٨ من سورة المائدة).

٣. راجع: بحار الانوار: ٥٣ / ١٣.

الجديدة يشاهد آثار اعماله التي اقترفها في الحياة السابقة، والىٰ ذلك يعود سبب سعادة الناس او شقائهم، كما ان افعاله الحاضرة تصنع له مستقبله لكي يشاهده مرة اخرىٰ بعد وفاته، وبهذا البيان يمكن تبرير الشرور الطبيعية والاخلاقية.

١٤. التشدد والتساهل

ان لتساهل الاديان وتشددها درجات مختلفة، حيث اتهم بعضهم الدين بالتشدد وبعض اخر بالتساهل، والمعروف ان الامام الاعظم لاهل السنة اعني ابا حنيفة كان متساهلا في المسائل الفقهية، وان الامام الشافعي كان متشدداً، وهذا الاختلاف شُوهد لدىٰ فقهاء الشيعة ايضاً.

وقد اصبح التساهل مدعاة فخر لاتباع بعض الاديان، والتشدد مدعاة فخر لآخرين.

ولاشك ان الاسلام دين متساهل، وقد عُرفت الشريعة الاسلامية بالسهلة السمحة،[١] ويردد المسلمون علىٰ السنتهم هذه الاية حين التضرع الىٰ الله ﴿...رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا... ﴾،[٢] وقد ورد عن رسول‌الله ﷺ انه قال: «**رفع عن امتي تسعة: الخطأ والنسيان وما لا يطيقون ومالا يعلمون وما اضطروا اليه وما استكرهوا عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان او يد**».[٣]

نعم هذه التراخيص خاصة بالامة الاسلامية، وهي ليست علىٰ هذا المنوال في سائر الاديان، فاحكام اليهودية صعبة وشاقة، و العزم علىٰ الذنب في المسيحية له حكم الذنب والتقية عندها حرام بنحو مطلق، وتمارس رياضات شاقة في اديان الهند**والصين واقلها شرب بول البقرة وتناول سرجينها من اجل الوصول الىٰ التطهير الباطني.**

ولم يقرر الاسلام لاكثر الذنوب عقوبات في هذه الدنيا، نعم قرّرت لبعضها عقوبات بشروط عديدة ترتفع بأدنىٰ شبهة.

---

١. «لم يُرسلني الله تعالىٰ بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفية السهلة السمحة» (الكافي: ٤٩٤/٥).

٢. البقرة، ٢٨٦.

٣. الكافي: ٢ / ٤٦٣.

وهو اضافة الىٰ بعده التعليمي السهل، يُعلن انه يريد بالمسلمين اليسر ولا يريد بهم العسر (البقرة، ١٨٥)، ولم يجعل في الدين من حرج (الحج، ٧٨) وبعده العملي هيّن ايضا، فهو يتغافل دوماً، ويحترم حقوق النصارىٰ الاجتماعية رغم ذهابه الىٰ تكفير من يعتقد بالتثليث والوهية المسيح ﷺ (المائدة: ١٧ / ٧٢ ـ ٧٣).

وانطلاقاً من هذا التساهل السائد علىٰ المجتمع الاسلامي يعتبر المنافق، ومن ولد من ابوين مسلمين عضوا من اعضاء هذا المجتمع، ومسلماً يجوز تزويجه وأكل ذبيحته وتجهيزه اذا توفي كأي مسلم ملتزم آخر لان الغسل والتكفين والصلاة علىٰ الميت ودفنه واجب كفائي علىٰ كافة المسلمين واذا تملص احد من هذه المهمة فالوجوب لا يسقط عن الاخرين.

١٥. الاحسان

تدعو الاديان الىٰ الاحسان والبذل والعطاء، ولهذا الغرض أنشئت فيها دوائر و مؤسسات كبيرة وفعالة لهذا الغرض، وما الصليب الاحمر الا نموذجا لذلك، ويستخدم المسيحيون حين الاشارة الىٰ هذه الخدمات الانسانية تعبير السامري المحسن «Good Samarition»، الذي ورد علىٰ لسان عيسىٰ المسيح ﷺ، و مفاده ان السامري المحسن (وهو من فرقة السامريين) وجد شخصاً جرحه قطاع الطرق في مفازة فأنقذه من الموت (لوقا: ١٠ / ٢٥ ـ ٣٧).

١٦. الغذاء

ان الغذاء من الموضوعات المهمة في الاديان، ويعتبر اللحم من أهم انواعها، وقد طرحت حوله آراء ثلاثة:

١. حرمة كافة انواع اللحوم لانها تلحق ظلما بالحيوانات، وهذه هي رؤية اتباع الجينية والهندوسية وبعض البوذيين.

۲. حلية اللحوم كافة بادعاء ان الاطعمة لا دور لها في السعادة الروحانية للبشر، وهذه هي رؤية المسيحيين.

۳. حلية بعض انواع اللحوم وحرمة بعضها، وهذه هي رؤية المسلمين واليهود والزرادشتية والصابئة وبعض الاديان الاخرىٰ، وقد وقع خلاف بين اصحاب هذه الرؤية حول تعيين الحيوانات التي يجوز اكلها، وقد سرىٰ هذا الخلاف الىٰ مذاهب الدين الواحد أيضاً.

يُشار الىٰ ان اليهودية تحرّم تناول اللحم مع اللبن، و تقوم مجموعات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أحياناً بتفقد المطاعم في إسرائيل لئلا تقدم لزبائنها اللحم الحرام او اللحم مع اللبن، وتوجب علىٰ اتباعها غسل الايدي وفقاً للديانة اليهودية حين تناول الخبز وعدد آخر من الاطعمة، وهذا الوضوء اليهودي واجب في موارد مختلفة،وجاء في الاناجيل ان بعض اليهود اعترضوا علىٰ عيسىٰ عليه السلام باهمال حوارييه غسل الايدي وفق تعاليم الديانة اليهودية حين تناول الخبز، فاجاب عيسىٰ عليه السلام انهامن مختلقات الناس، و قال:

اسمعوا وافهموا ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الانسان... الا تفهمون بعد ان كل ما يدخل الفم يمضي الىٰ الجوف ويندفع الىٰ المخرج واما ما يخرج من الفم فمن القلب يصدر وذاك ينجس الانسان لان من القلب تخرج افكار شريرة قتل زنا فسق سرقة شهادة زور تجديف، هذه هي التي تنجس الانسان واما الاكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الانسان. [1]

وربما يكون طعاماً ما حلالا ولكن طرأ عليه الحرام بسبب أمر عارض، كما هو الحال في حرمة تناول الميتة الثابتة في الاديان كافة.

وربما يكون طعام حراماً في زمان كحرمة تناول الطعام المخلوط بالزعفران

---

۱. متىٰ: ۱۵ / ۱۰ ـ ۲۰.

للمُحرم في الاسلام، وحرمة أكل اللحم الاحمر في ايام الجمعة عند الكاثوليك ذلك لان عيسىٰ عليه السلام طبقا لنقل الاناجيل ـ قد صُلب يوم الجمعة.

١٧. شرب الخمر والمسكر

شرب الخمر حلال في اكثر الاديان الحالية كاليهودية والمسيحية،[١] اما اذا بلغ شربه حد الثمالة والسكر فحرام ومكروه، والىٰ جانب ذلك، فانه يتم شربه في الطقوس العبادية المختلفة، وتتجه بعض الاديان كالسيخية وبعض الفرق المسيحية الىٰ تحريم الخمر، وبعض الفرق يتناولون الماء او عصير العنب في العشاء الرباني، وحرمة الخمر معروفة في الاسلام، وكل ما يسكر كثيره فقليله حرام ايضا.[٢]

ان تعاطي الخمر والمسكر من المصائب الكبرىٰ التي لفت البلدان المسيحية التي مازالت تعاني من ويلاتها علىٰ وجه يصعب التخلص منها.

١٨. اللباس

ان وضع ساتر علىٰ رأس او جسم الرجل او المرأة في المعبد او حين الصلاة له احكام مختلفة في الاديان، فأحياناً يتحشم الرجل كدليل للخضوع امام الله والمراة تغطي شعرها كدليل للعفة والتواضع امام الزوج.[٣]

والحجاب في اليهودية واجب للنساء المتزوجات، ومازالت النساء اليهوديات الملتزمات يغطين شعورهن بربطة شعر او شعر اصطناعي امام غير الازواج، وتقوم بعضهن بحلق شعر الرأس.

---

١. روي عن الامام علي بن موسىٰ الرضا عليه السلام، انه قال: «وما بعث الله نبياً قط الا بتحريم الخمر» (الكافي: ١ / ١٤٨).

٢. ورد في الحديث الماثور: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (الكافي: ٦ / ٤٠٨).

٣. ولحلق شعر الرأس واللحية والشارب وحتىٰ الحاجب والجسم احكام في بعض الاديان من حيث الوجوب او الحرمة، كما هو الحال عند قص الشعر او تلوينه او تسريحه.

يقول بولس الرسول:

ولكن أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح هو الله كل رجل يصلي أو يتنبأ وله علىٰ رأسه شيء يشين رأسه وأما كل امرأة تصلي او تتنبأ ورأسها غير مغطىٰ فتشين رأسها لانها والمحلوقة شيء واحد بعينه اذ المرأة ان كانت لا تتغطىٰ فليقص شعرها وان كان قبيحا بالمرأة أن تقص او تحلق فلتتغط فان الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده وأما المرأة فهي مجد الرجل لان الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ولان الرجل لم يخلق من اجل المرأة بل المرأة من اجل الرجل لهذا ينبغي للمرأة ان يكون لها سلطان علىٰ رأسها من اجل الملائكة غير ان الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب لانه كما ان المرأة هي من الرجل هكذا الرجل ايضا هو بالمرأة ولكن جميع الاشياء هي من الله احكموا في أنفسكم هل يليق بالمرأة ان تصلي الىٰ الله وهي غير مغطاة أم ليست الطبيعة نفسها تعلمكم ان الرجل ان كان يرخي شعره فهو عيب له واما المرأة ان كانت ترخي شعرها فهو مجد لها لان الشعر قد اعطىٰ لها عوض برقع ولكن ان كان احد يظهر انه يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله.[1]

والنساء المسيحيات كن يغطين رؤوسهن منذ عقود مضت، نلمس ذلك بوضوح في لوحات مريم عليها السلام ومجسماتها والقديسات المسيحيات.

وكانت الراهبات المسيحيات يغطين شعورهن حتىٰ وصل الحال ان لون مقانعهن كقبعات الرهبان يدل علىٰ درجاتهن في الرهبنة،[2] وكان للنساء الزرادشتيات والهندوسيات حجاب ايضا.

وفي اليهودية يُعد لبس الملابس المختلطة بالصوف والكتان حرام (التثنية:

---

١. رسالة الىٰ أهل كورنثوس الاولىٰ: ١١ / ٣ـ١٦.

٢. وكان الدارج ان النساء اللواتي يحضرن لزيارة البابا يلبسن مقنعة سوداء ما عدا ملكة اسبانيا التي كانت تضع علىٰ رأسها مقنعة بيضاء.

١١/٢٢) واليهود الاصوليون كسائر اليهود يلبسون قلنسوة فوق رؤوسهم يطلقون عليها يارمولكا «Yarmulka».

ويعتبر وضع عمامة كبيرة علىٰ الرأس عند السيخ امراً واجباً، وهذا الامر ادىٰ بهم أحياناً الىٰ الوقوع في مشاكل، مثلا في الدول التي تفرض لبس الخوذة حين ركوب الدراجات النارية، فانهم يتملصون من هذا القانون، وايضا في الدول التي يتعرض فيها المسلمون الىٰ مضايقات، كثيراً ما يتم الاعتداء علىٰ السيخ من قبل بعض المتطرفين الجهلة نظراً الىٰ لبسهم العمائم وارسالهم اللحىٰ كالمسلمين.

وكان الحجاب في الاسلام قد فُرض علىٰ ازواج النبي ﷺ، ثم علىٰ نساء المسلمين، بعد عدة سنوات من الهجرة النبوية، وقد أكد القرآن الكريم علىٰ وجوبه اضافة الىٰ السنة القطعية. والنساء المسلمات يرتدين الحجاب حين اقامة الصلاة، ولم يفرض علىٰ الجواري والنساء غير المسلمات.

كما يحظر علىٰ الرجال لبس الثياب المخيطة والحذاء والعمامة حين الاحرام، فيبقون حاسري الرؤوس ويجوز لهم لبس النعل والثياب غير المخيطة التي يطلق عليها ثياب الاحرام، واما النساء فيرتدين ملابس واسعة.

وقد فُرض ارتداء ثياب خاصة علىٰ علماء الدين الكاثوليك والاورثوذكس وبعض فرق البروتستانت حين اجراء الطقوس الدينية، وثمة ثياب خاصة تفرض علىٰ الدراويش في المراسم الدينية كالتشرف والسماع.

ولليوغا ثوب خفيف وأحياناً يقتصر علىٰ ستر العورة والتعري، و يظل قديسو بعض فرق الجينية عراة طول الوقت.

١٩. الزواج

ان الزواج من المسائل المهمة للغاية في الاديان، واليك بعض التعاليم والاداب المتعلقة به.

١. يحظر الزواج في أكثر الاديان من اتباع الاديان الاخرىٰ، وأهل السنة يـجوزون زواج المسلم من الكتابيات في حين ان هذا الجـواز يـختص بـالنكاح المـنقطع لدىٰ المذهب الشيعي.

٢. يحظر زواج بعض الافراد من بعض، كحظر الزواج داخل الاسرة الواحدة الذي قد يعم القبيلة الواحدة ايضا،وفي موارد يرتفع هذا الحـظر داخـل القـبيلة بـل داخـل الاسرة، والتاريخ يشهد علىٰ وقوع انواع من الزواج العائلي ماخلا زواج الام من الابن، ويختص الزواج العائلي بأُسر خاصة نظير الاسرة الفرعونية، ويـهدف الىٰ الحـد مـن اختلاط الدم الفرعوني بدم عامة الناس.

ويحظر الزواج من المحارم في الاسلام التي تحصل من القـرابـة او المـصاهرة او الرضاع، وأما غير المحارم فلايمنع الزواج بهن الا لمانع بالفعل او دائماً كاخت الزوجة او المرأة المتزوجة، والمحرمية لدىٰ اليهود والنصارىٰ بهذه الصورة تقريباً الا ان زواج العم من بنت الاخ جائز في اليهودية وزواج ابناء العم والعمة والخال والخالة «cousins» غير جائز في المسيحية الا اذا كانوا من طبقة أعلىٰ، كما انها تعمم حرمة الزواج الىٰ الاب التعميدي [١] وابنه بدل الرضاع، وثمة شواهد تدل علىٰ جواز زواج الاخ من اخته وحتىٰ الاب من ابنته في الزرادشتية [٢] الا انهم حرموا ذلك فيما بـعد نـظرا لتـاثرهم بـالاديان الابراهيمية، ويدعي الفردوسي ان بهمن الشاه الاسطوري لايران قد اقترن بابنته هماي طبقاً للديانة الزرادشتية وجعلها ولية للعهد. [٣]

٣. ان الزواج في الكثير من الاديان علاقة الهية خلافا لسائر العقود، و يتم عبر مراسم خاصة، وتطلق اليهودية عليه اسم «قـيدوشين» اي المـقدس، وهـو احـد المـراسـم

---

١. الاب التعميدي هو من يتولىٰ رعاية الطفل دينياً فيما لو فقد ابواه او قصرا عن تربيته الدينية.

٢. انشد ابو العلاء المعري يقول:

بـنات العـم تأبـاها النـصارىٰ وبالاخوات أعرست المجوس

٣. انظر الشاهنامة: ٣٤٠.

المقدسة لدىٰ المسيحية، ومبارك ومستحب مؤكد لدىٰ الاسلام، وقد يتبدل الىٰ الوجوب حين الضرورة، وما اقامة المراسم ولزوم قراءة العقد وضرورة النطق حين اجرائها باللغة المقدسة الا ادلة واضحة علىٰ ترجيح هذا العقد علىٰ سائر العقود.

ولسائر الاديان الابراهيمية وغير الابراهيمية الرؤية ذاتها،ويعد الزواج عند المسيحيين الكاثوليك والارثوذكس احد الطقوس السبعة المقدسة، ويضفون عليه صبغة عبادية، ومن هنا كان الواجب علىٰ القسيس ان يقرأ عقد الزواج خلال مراسم تجرىٰ في الكنيسة كوضع التاج علىٰ رأس الزوجين في ديانة الارثوذكس.

ولايحق للرهبان والراهبات والشماسين والقساوسة والاساقفة الزواج في المسيحية الكاثوليكية والارثوذكسية،[١] ويقبلون علىٰ شعيرة مقدسة اخرىٰ بدل الزواج وهي ممارسة الرهبنة او الروحانية التي هي ثاني الطقوس السبعة المقدسة.

٤. يقدم بعض القساوسة المسيح علىٰ الجمع بين فضيلة الزواج والتبتل من خلال الزواج دون ولوج، ويطلق الهندوس علىٰ الاجتنب عن الامور الجنسية اسم برهماجاريا «Brahmacharya»، ويعتقد غاندي ان الزواج والانجاب لايخل بهذا الاسلوب.

٥. فرضت فرقة شيكرز «Shakers» ـ وهي فرقة من المسيحية في امريكا انشقت عن فرقة الكويكرز «quakers» ـ حظر الزواج علىٰ جميع اتباعها، ولما كانت الاديان والمذاهب يكتب لها الحياة عن طريق التوارث، فان الفرقة ـ التي ظهرت قبل ٢٥٠ سنة ـ مهددة بالانقراض، وطبقا لاخر الاحصاءات التي اجريت اوائل القرن ٢١ لم يبق من هذه الفرقة الا سبع نساء.

٦. ان السنن الدينية للعالم أقيمت علىٰ تعدد الزوجات وكان للكثير من مؤسسي الاديان ازواج متعددة خلافاً لعيسىٰ المسيح عليه السلام[٢] فانه لم يكن له زوج، وقد ترك بوذا

---

١. يمكن لمن تزوج ان يكون شمّاساً او قسيساً في الديانة الارثوذكسية.

٢. «لم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يذله، دابته رجلاه وخادمه يداه»(نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠).

زوجه وابنه وذهب يمارس رياضات شاقة.

وقد تم فرض تحريم تعدد الزوجات عند اليهود المقيمين في اوروبا طبقا لفتوىٰ الربي غرشوم بن يهودا (المتوفىٰ ١٠٢٨م)، وهذا التحريم سرىٰ الىٰ يهود المشرق ايضا، ولم تجوز في المسيحية تعدد الزوجات، ولكنه كان جائزاً لدىٰ المورمون «كنيسة المسيح لليوم الاخير» ثم تم الغاؤه، كما ان السيخ لم يجوزوا تعدد الزوجات، ولم يكن هناك حد للزوجات لدىٰ العرب في العصر الجاهلي ولكن الاسلام حدده بأربع نساء وجواز الاكتفاء بواحدة حين الخشية من عدم مراعاة العدالة بينهن.[1] وهناك اربع صور مفترضة لتعدد الزوجات:

آ) زواج رجل بامرأة «Monogamy» الرائج في المسيحية وبعض الاديان الاخرىٰ.

ب) زواج رجل بعدة نساء «Polygyny» الرائج في بعض الاديان.

ج) زواج عدة رجال بامرأة «Polyandry» الشائع في بعض المجتمعات البدائية مثل بوذيي التبت، في تلك المجتمعات يقدم عدة اخوة علىٰ الزواج بامرأة ويتعلق اولاد تلك المرأة بالجميع.

د) زواج عدة رجال بعدة نساء، ولم يشاهد في المجتمعات.

٧. نطالع في التوراة حول قانون الاخوة «Levirate»:

اذا سكن إخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت الىٰ خارج لرجل أجنبي أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحىٰ اسمه من إسرائيل وان لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه الىٰ الباب الىٰ الشيوخ وتقول قد أبىٰ أخو زوجي ان يقيم لاخيه اسما في إسرائيل لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فان أصر وقال لا أرضىٰ أن أتخذها تتقدم امرأة أخيه اليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله وتبصق

---

١. النساء، ٣.

في وجهه وتصرح وتقول هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيت اخيه فيدعىٰ اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل.[١]

٨. للمهر اربع صور مفترضة:

آ) الزوج يعطي المهر للزوجة، كما هو مقرر في الاسلام.

ب) تعطي الزوجة المهر للزوج، كما هو الرائج بين الهندوس.

ج) يتهادىٰ كل من الزوج والزوجة المهر كما في اليهودية.

د) لا يعطىٰ المهر أصلاً كما هو في المسيحية.

وبالطبع فمن الممكن ان يكون معطي المهر او آخذه في الصور الثلاث الاولىٰ شخص اخر من قبيل اب العريس او اب العروسة.[٢]

٢٠. الطلاق

الطلاق في الاسلام واليهودية مجاز وفي المسيحية محظور، وهذا الحظر من جملة التشريعات التي نسبت الىٰ عيسىٰ عليه السلام.

وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل ان يطلق امرأته لكل سبب فقال لهم اما قرأتم ان الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وانثىٰ وقال من اجل هذا يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان قالوا له: فلماذا اوصىٰ موسىٰ ان يعطىٰ كتاب طلاق فتطلق قال لهم: ان موسىٰ من أجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا واقول لكم: ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج باخرىٰ يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني.[٣]

ويعلن المسيحيون أحياناً ان الزواج باطل من راس، كحيلة شرعية لانفصال الزوجين ولكن لابد من الالتفات الىٰ ان نصف حالات الزواج في امريكا وبعض الدول

---

١. التثنية: ٢٥ / ٥ ـ ١٠.
٢. مثل: اب زوج موسىٰ عليه السلام الذي استلم مهر ابنته. (القصص، ٢٧).
٣. متىٰ: ١٩ / ٣ ـ ٩.

المسيحية تنتهي الىٰ الطلاق، وهذا الطلاق يقع رسمياً، و دون موافقة الكنيسة.

والطلاق في اليهودية بيد الرجل وقام الربي غرشوم قبل حوالي الف عام باعتبار رضا المرأة شرطاً ايضا.واليهود طبقا لارشادات التوراة (التثنية: ٢٤ / ١) مكلفون بكتابة متن الطلاق اذا طلقوا ازواجهم ودفع المهر المذكور في زمن العقد.

٢١. القصاص والدية والعفو

وحول القصاص والدية والعفو ثمة احتمالات:

١. القصاص لاغير، كما في التوراة.

٢. القصاص والدية، كما في التلمود.

٣. القصاص والدية والعفو، كما في القرآن الكريم.

٤. العفو فحسب، هو الظاهر من الانجيل (متىٰ: ٥ / ٣٨ ـ ٣٩) وحيث ان عيسىٰ عليه السلام لم يكن بصدد ابطال احكام التوراة (متىٰ: ٥ / ١٧) فلابد من القول بالقصاص وربما القصاص والدية، كما ورد ذلك في شريعة المسيح عليه السلام.

٢٢. سائر الاحكام

يوجد في الاديان المختلفة ـ بصورة عامة ـ نجس وطاهر، وبالطبع هذان المفهومان أوسع مما نتصور، مثلا تعتبر شريعة اليهود القديمة (قبل تخريب المعبد سنة ٧٠م) المصاب ببعض الامراض الجلدية نجساً، وعليه الانعزال عن الناس والعيش في الخرائب بملابس خاصة واذا اقترب منه احد لابد ان يُشعره بانه نجس (اللاويين: ١٣ / ٤٥) وبعد ان يتعافىٰ من مرضه يذهب الىٰ الكاهن ليفحصه ويحكم بطهارته، وعندها يجري مراسم عجيبة وغريبة للتضحية، وقد ورد تفصيلها في سِفْر اللاويين ١٤ / ١ـ٥٧.

ان النجاسة قد تحصل في الانسان وغير الانسان، ونجاسة الانسان في الشريعة الاسلامية علىٰ نحوين: جسمية (خبث) ومعنوية (حدث)، وهذان النوعان يرتبطان

بخروج الغائط والبول دون ان ينحصر بهما بل هناك الاتصال الجنسي والموت ومس الميت وامور اخرىٰ، واليك اساليب حصول النجاسة المعنوية:

١. عمد وكلية (كالجماع).

٢. عمد وجزئية. (كالتغوط).

٣. غير عمد وكلية (كالاحتلام اوالحيض)

٤. غير عمد وجزئية (كغلبة النوم).

الطهارة الاسلامية للانسان وغير الانسان تحصل بالماء والصعيد والشمس والاستحالة والانتقال واداء الشهادتين وطرق اخرىٰ، والتطهير من النجاسة المعنوية (الحدث) يقترن بالنية، وبعد تجاوز دورة من النجاسة ويتم بالوضوء والتيمم والغسل.

وللاديان المختلفة انواع عجيبة من النجاسات والطهارات، نوكل الحديث عنها الىٰ مجال اخر.

يشار الىٰ ان الاعتراف بالذنب عند القسيس في المسيحية الكاثوليكية والارثوذكسية يعد في حكم الوضوء وبدون ذلك لايمكن المشاركة في الطقوس الدينية.

وهناك عبادات مختلفة لكل الاديان وبالطبع كيفيتها تختلف باختلاف الاديان.والعبادة يمكن ان تكون بشكل دعاء (صلاة) او مراسم، والدعاء في اغلب الاوقات لفظي ولكن يمكن ان يقترن باعمال اخرىٰ كالقيام والقعود والركوع والسجود والبكاء او بعض الاعمال الاخرىٰ، والمراسم عملية في اكثر الاوقات ولكن يمكن ان تقترن بالفاظ مثل «لبيك اللهم لبيك».

١ ـ ٢٢. القبلة

ان لكثير من الاديان قبلة، والقبلة يمكن ان تكون مكاناً او احدىٰ الجهات الاربعة. فللمسلمين قبلة مكانية هي مكة المعظمة ولليهود اورشليم القدس (ولليهود السامرية جبل جرزيم)، والمشرق كان في الماضي قبلة كل المسيحيين، أما اليوم فهو قبلة

الارثوذكس لا غير، وللصابئة قبلة هي جهة الشمال، واما اصنام الهندوس والجينية والبوذية فتعبد ولاتعتبر قبلة.

وهناك نزاع بين اتباع الاديان والمذاهب المختلفة علىٰ الاماكن المقدسة، كالنزاع بين الاسلام والشرك علىٰ الكعبة المشرفة، والذي انتهىٰ لصالح الاسلام بعدفتح مكة عام٨ للهجرة.

والنزاع حول اورشليم القدس الذي يرجع لقرون عديدة، وقد تمثل في الحروب الصليبية التي نشبت بين المسيحيين والمسلمين وما زال نزاع اليهود مع المسلمين في هذا الشأن حامي الوطيس، واليوم فان هذه المدينة المقدسة تقع في قبضة إسرائيل الغاصبة وأما الحرم المقدس فما زال بأيدي المسلمين.

ولاشك في ان الهجوم علىٰ الاماكن المقدسة للاديان يتم بذرائع مختلفة، وكم له من شواهد تاريخية كحملة ابرهة لهدم الكعبة الشريفة التي وردت في التاريخ الاسلامي، وحملة يزيد بن معاوية بقيادة حصين بن نمير عام ٦٤هـ. وحملة عبد الملك بن مروان بقيادة الحجاج بن يوسف عام ٧٣هـ، وحملة القرامطة في عام ٣١٧هـ. وقد وردت تفاصيل ذلك في التاريخ، وفي الماضي القريب نجد حملة الوهابيين علىٰ حرم الائمة الطاهرين عليهم السلام في البقيع وكربلاء، وحملة الروس علىٰ خراسان والتي قُصف فيها الحرم الطاهر للامام الرضا عليه السلام بالمدفعية، وفي عصرنا الراهن تجسد الاعتداء علىٰ الاماكن المقدسة في هجوم الهندوس علىٰ مسجد بابري وهدمه، وعلىٰ المعبد الذهبي للسيخ في امريتسار عام ١٩٨٤م، وفي الاحتلال الامريكي البغيض للعراق لاسيما للعتبات المقدسة.

وما حملة نبوخذنصر علىٰ هيكل سليمان عام ٥٨٧ ق.م، وحملة تيطس القائد الروماني علىٰ المعبد المذكور عام ٧٠م، الا نموذجان معروفان من الماضي البعيد، وفي هذا الاطار تأتي حملة السلطان محمود الغزنوي علىٰ معابد الهند قبل الف عام.

وقد شاع ايضا تبديل معبد في دين الىٰ معبد اخر في دين اخر مثل تبديل الكعبة الىٰ

محل لعبادة الاوثان في الجاهلية وتبديلها مرة اخرىٰ الىٰ معبد لعبادة الله في سنة ٨ للهجرة، وتبديل هيكل سليمان في القدس الشريف وتبديل كنائس الشام والقسطنطينية (اسطنبول) الىٰ مساجد،[١] وتبديل مساجد الاندلس الىٰ كنائس، وتبديل معابد النار في إيران وبعض معابد الاصنام في الهند الىٰ مساجد من جملة تلك النماذج.

٢ ـ ٢٢. اللغة المقدسة

لكل دين لغة مقدسة «Sacred Language» وليس من الضروري ان تنحصر بلغة الكتاب السماوي، وتعتبر العربية لغة مقدسة في الاسلام اذ لاتصح قراءة الصلاة او اجراء بعض العقود كعقد الزواج الا بها في صورة الامكان استناداً الىٰ فتاوي بعض الفقهاء، وتعتبر العبرية لغة مقدسة لليهود، وعدّ المسيحيون اللغات اليونانية واللاتينية والسريانية والارمنية والقبطية لغات مقدسة علىٰ مر العصور، وتتم المراسم الدينية لمختلف الفرق المسيحية باحدىٰ هذه اللغات.

وفي الوقت الراهن فقدت الكثير من اللغات المقدسة اهميتها في العديد من الاديان وفي طليعتها المسيحية فقد كان الكاثوليك يمارسون العبادة باللغة اللاتينية قبل اربعين عاماً، وقد تم في المجمع الفاتيكاني الثاني الغاء اللغة اللاتينية من المراسم الدينية، ورفضت فرقة من الكاثوليك ذلك القرار ومازالت تُصر علىٰ اجراء مراسمها باللغة اللاتينية، كمايقوم البابا باصدار فتاواه باللغة اللاتينية وسرعان ما تترجم هذه الفتاوىٰ الىٰ سائر اللغات.

وتعتبر اللغة اليونانية لغة مقدسة لدىٰ الكنيسة الارثوذكسية، كذلك اللغة السريانية لدىٰ الكنائس السورية، واللغة الارمنية لدىٰ الكنائس الارمنية، واللغة القبطية لدىٰ الكنائس القبطية، ويفتقد البروتستانت الىٰ لغة مقدسة ويعبدون بلغاتهم الاصلية.

---

١. مثل الجامع الاموي في دمشق ومسجد آياصوفيا في اسطنبول.

واللغة المقدسة للزادشتيين هي: الافستائية وللهندوس السنسكريتية وللصابئة المندائية، وقد دونت الكتب المقدسة للبوذيين باللغات البالية والبراغيتية.

وللهندوس لغة مقدسة من نوع اخر، وهي لاتتضمن ألفاظاً، وانما تؤدي المراسم بها عبر الاشارة بالاصابع، ويطلق عليها مودرا «mudras»، واصابع بعض الاصنام تدل علىٰ مفاهيم في تلك اللغة.

تم والحمد لله رب العالمين

الخلاصة

آ) تصنف الاديان الىٰ توحيدية وغير توحيدية، فالاديان غير التوحيدية لا تتفق مع الاسلام في التوحيد والنبوة والمعاد، واما الاديان التوحيدية فتقر بتلك الاصول.

ب) ان الهاجس الاساسي للاديان يتعلق بخلاص الانسان من السقوط، وفتح باب النجاة رهن بمعرفة الحق والباطل ولهذا السبب فان للاديان قائمة من العقائد الحقة والباطلة تجعلها في متناول يد اتباعها لكي ينظمون علىٰ اساسها حياتهم العملية.

ج) يتجلىٰ ايمان البشر بالله علىٰ نحوين: التوحيد والشرك و يمكن استعراض كلا منها بنحو يتفق مع الاخر، والتوحيد في المسيحية يقترن بالتثليث.

د) يمكن ان نلمس اثار الوحي بمعنىٰ الاتصال الالهي بالبشر في كل دين الهي المنشأ،والوحي لغة بمعنىٰ الاشارة ويدل علىٰ الهداية الربانية في المصطلح الاسلامي.

هـ) ان الكثير من الكتب المقدسة دونت في البداية دون الاخذ بنظر الاعتبار منشأها السماوي وقد اذعن الناس بسماويتها بعد مرور الزمان في حين أكد القرآن الكريم منذ البداية علىٰ انه كتاب الهي منزل بواسطة الوحي.

و) يبدو من القرآن الكريم ان نبي الاسلام يتميز عن اصحاب الشرائع الخمسة بان دعوته عالمية ودعوة سائر الانبياء منحصرة بأقوامهم، ويعتقد المسيحيون ان عيسىٰ عليه السلام أمر حوارييه بجمع الامم من اجل التلمذ عنده والتعميد بلسم الاب والابن وروح القدس.

ز) ان النبوة في اليهودية والمسيحية وخلافاً للاسلام لاتنطوي تحت ضوابط معينة بل يتقلدها اي كان من الناس بدءاً بالمعروفين كابراهيم عليه السلام وانتهاءاً بعامة الناس. كما لاتعتقد اليهودية والمسيحية بعصمة الانبياء بل تنسب اليهم الذنوب الكبيرة.

الاسئلة

١. ماهو اللاهوت السلبي؟

٢. اذكر تعريفا للكلمات التالية: قيدوشين ـ مورمون ـ لاويون ـ برهما جاريا.

٣. اشرح باختصار الكتب السماوية ومدىٰ اعتبارها.

٤. اذكر وجوه الفرق بين التأويل والتفسير؟

٥. ماهي اساليب فهم الكتب المقدسة؟

چاپ ۱۳۹۲

فارسی

۱. اصول و روش های آموزش مفاهیم دینی به نوجوانان / حمید الله رضایی
۲. انسان شناسی فرهنگی با رویکرد تبلیغ بین الملل / محمد رضا آقایی
۳. آشنایی با جوامع حدیثی شیعه و اهل سنت / علی نصیری / چ ۳
۴. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمدعلی مجد فقیهی / چ ۳
۵. آشنایی با علم رجال / سید محمد نجفی یزدی
۶. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۱/علی بمان ملک احمدی
۷. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۲/علی بمان ملک احمدی
۸. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۳/علی بمان ملک احمدی
۹. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۴/علی بمان ملک احمدی
۱۰. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۵/علی بمان ملک احمدی
۱۱. آموزش ترجمه و مفاهیم قرآن ج۶/علی بمان ملک احمدی
۱۲. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۶)/اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی / چ ۴
۱۳. آموزش فارسی به فارسی (کتاب کار ۷)/اصغر فردی، احمد زهرایی، جعفر مؤمنی / چ ۴
۱۴. آموزش فارسی به فارسی (مقدمه) (۱/۱)/اصغر فردی، احمد زهرایی، محمد ناطق / چ ۲
۱۵. آموزش فارسی به فارسی کتاب چهارم / اصغر فردی، احمد زهرایی / چ ۳
۱۶. آموزه های بنیادین علم اخلاق ج۱ /محمد فتحعلی خانی / چ ۳
۱۷. برداشت های مختلف از تقریب مذاهب اسلامی / محمد طاهر اقبالی
۱۸. بررسی تاریخ نگری محمد عابد الجابری / سید محمد علی نوری
۱۹. بررسی تطبیقی عالم خیال از دیدگاه ابن سینا، شیخ اشراق و ملاصدرا / محمد خان کاظمی
۲۰. پرتو پژوهش ج۳/مجتمع آموزش عالی فقه
۲۱. تاریخ تشکیلات در اسلام / محمد رضا شهیدی پاک
۲۲. تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی / محمدرضا کاشفی / چ ۴
۲۳. تأثیر نفس پیامبر اکرم(ص) در عالم وجود (با رویکرد به مسئله توسل)/معصومه گلی گلی
۲۴. تجسم اعمال از دیدگاه علامه طباطبایی و رشید رضا در المیزان و المنار / صدیقه فقیهی
۲۵. تحلیل ادبی نهج البلاغه و صحیفه سجادیه / محمد عشایری منفرد
۲۶. جایگاه عرف در استنباط / تقوی الکنانی
۲۷. جغرافیای معرفتی جهان اسلام (مجموعه مقالات شانزدهمین جشنواره بین المللی شیخ طوسی)/مجموعه مؤلفان
۲۸. چکیده مقالات همایش ملی اخلاق و اقتصاد اسلامی / انجمن اقتصاد اسلامی حوزه علمیه
۲۹. چلچراغ نماز جمعه (چهل حدیث نماز جمعه)/محمد عارف حیدر قزلباش
۳۰. چهار مقاله و مرزبان نامه / محمد رضا یوسفی، رقیه ابراهیمی شهرآباد
۳۱. حاکمیت و حکمرانی در نهج البلاغه / محمد مهدی باباپور گل افشانی
۳۲. حدیث و علوم جدید (منطق فهم احادیث علمی)/محمد علی رضایی اصفهانی
۳۳. درآمدی به شیعه شناسی / علی ربانی گلپایگانی / چ ۴
۳۴. درس نامه تاریخ تشیع ۱/سید لطف الله جلالی
۳۵. درس نامه حقوق بشر از دیدگاه اسلام / عبد الحکیم سلیمی
۳۶. درسنامه تاریخ تحلیلی اهل بیت علیهم السلام /مجید حیدری نیک
۳۷. درسنامه روش آموزش و مهارت های کلاس داری قرآن کریم / رحمت عابدی / چ ۳
۳۸. درسنامه مبانی و قواعد تفسیر (خلاصه منطق تفسیر قرآن ۱)/محمد علی رضایی اصفهانی
۳۹. درسنامه مفردات قرآن مجید / غلامعلی همایی / چ ۳
۴۰. درسنامه مناسک حج / محمد حسین فلاح زاده
۴۱. راهکارهای برون رفت از معاملات ربوی / غلام مرتضی انصاری
۴۲. رهیافتی بر علم سیاست و جنبش های اسلامی معاصر / عبدالوهاب فراتی / چ ۲
۴۳. ساز و کار بانکداری اسلامی / محمد جواد توکلی
۴۴. شاخص اسراف و معیارهای آن / سید محمد کاظم رجایی، مهدی خطیبی
۴۵. شرح و بررسی صفات فعلی حق در زیارت عاشورا / سیده زهرا احمدی
۴۶. شرح و ترجمه کتاب حلقه ثالثه حضرت آیت ا... شهید سید محمدباقر صدر، ج۱/احمد مرادخانی
۴۷. ضرورت حکومت اسلامی در عصر غیبت / بسم الله حسنی
۴۸. علوم قرآن ۲ (اعجاز قرآن در علوم طبیعی و انسانی)/محمد علی رضایی اصفهانی
۴۹. فرق و مذاهب کلامی / علی ربانی گلپایگانی / چ ۶
۵۰. فقه القرآن آیات الاحکام تطبیقی / محمد فاکر میبدی / چ ۳
۵۱. فلسفه اخلاق / محمد فتحعلی خانی / چ ۲
۵۲. فلسفه تاریخ / جواد سلیمانی
۵۳. مادران چهارده معصوم علیهم السلام/حیدر مظفری ورسی / چ ۲
۵۴. مبانی فرجام شناسی تاریخ در قرآن / قنبر علی صمدی
۵۵. مسایل حقوقی در سازمان / محسن منطقی
۵۶. مستشرقان و پیامبر اعظم / حسین عبدالمحمدی
۵۷. مسئله وحی و پاسخ به شبهات آن/حسین علوی مهر
۵۸. منشور جمهوری اسلامی ایران/مجموعه مؤلفان
۵۹. منطق تفسیر قرآن ۱ (مبانی و قواعد تفسیر قرآن)/محمد علی رضایی اصفهانی/چ ۳
۶۰. منطق تفسیر قرآن ۲ (روش ها و گرایش های تفسیری قرآن)/محمد علی رضایی اصفهانی/چ ۶
۶۱. منطق تفسیر قرآن ۳ (روش تحقیق در تفسیر و علوم قرآن)/محمد علی رضایی اصفهانی/چ ۲
۶۲. منطق تفسیر قرآن ۴ (مباحث جدید دانش تفسیر)/محمد علی رضایی اصفهانی
۶۳. منطق تفسیر قرآن ۵ (قرآن و علوم طبیعی و انسانی)/محمد علی رضایی اصفهانی
۶۴. نگارش پیشرفته از پاراگراف تا مقاله/حمید بصیریان
۶۵. نوع دوستی از دیدگاه اسلام/عین الله نوروزی
۶۶. نهضت قرآنی وظیفه همگانی/علیرضا اعرافی
۶۷. واژه شناسی قرآن مجید/شهید غلامعلی همایی/چ ۳

عربی

۶۸. الآداب الاسلامیة، ج ۱ /محمد عندلیب/کمال السید/ج ۴
۶۹. الآداب الاسلامیة، ج ۲، /محمد عندلیب/کمال السید/چ ۴
۷۰. ادوار الاجتهاد عند الشیعة الامامیة/عدنان فرحان تها/چ ۲
۷۱. الاحوال الشخصیة (النکاح)/السید محمد النجفی الیزدی/چ ۲
۷۲. الاسرة فی السیرة العملیة للنبی و اهل البیت علیهم السلام /محمد جمعه شیخ زاده/کمال الحزبلوی
۷۳. الامامة عند الحلی و القوشجی بین النص و الاختیار/عبیر جمیل شرارة
۷۴. البرنامج التدریسی للحلقة الثانیة. ج۱/محمود العیدانی
۷۵. البرنامج التدریسی للحلقة الثانیة. ج۲/محمود العیدانی
۷۶. السنن الالهیة الاجتماعیة فی القرآن/احمد مراد خانی الطهرانی/السید عبد الامیر الوردی، السید عبد الکریم الحیدری
۷۷. المدخل الی تاریخ التفسیر و المفسرین (آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران)/حسین علوی مهر/جعفر الخزاعی
۷۸. المطالعة و النصوص العربیة «لغیر الناطقین بها»/السید عبد الهادی الشریفی
۷۹. الهجرة و المهاجرون فی القرآن الکریم/مریم علی حسن الهاشمی
۸۰. الهدایة فی النحو/ تصحیح و تعلیق: حسین شیر افکن/چ ۲۲
۸۱. الوجیز فی تاریخ الاسلام (الجزء الاول)/سید منذر حکیم/ تلخیص: محمود السیف
۸۲. الوجیز فی تاریخ الاسلام (الجزء الثالث)/سید منذر حکیم/ تلخیص: محمود السیف
۸۳. الوجیز فی تاریخ الاسلام (الجزء الثانی)/سید منذر حکیم/ تلخیص: محمود السیف
۸۴. الوجیز فی تاریخ الاسلام (الجزء الرابع)/سید منذر حکیم/ تلخیص: محمود السیف
۸۵. الوقف فی الشریعة الاسلامیة. دراسة فقهیة مقارنة علی المذاهب الخمسة/السید عادل الموسوی الخرسان
۸۶. بدایة الاصول/سید رضا پیمبرپور
۸۷. تاریخ الثقافة و الحضارة الاسلامیة/محمد رضا کاشفی /انور الرصافی
۸۸. تخطیط الأسرة و تنظیمها/محمد حسین خلیق
۸۹. تغیر قیمة العملات الورقیة دراسة مقارنة بین الفقه الامامی و المذاهب الأربعة/ریاض عبد الصمد الداغر
۹۰. جوهرة الخلقة (فی معرفة العقیدة الحقة)/محمد مهدی حائری پور، مهدی یوسفیان، محمد امین بالادستیان/رعد کاطع عبد
۹۱. دراسات تمهیدیة فی الفقه الامامیة/السید محمد النجفی الیزدی
۹۲. دروس تمهیدیة فی اصول العقائد/صادق الساعدی/چ ۶
۹۳. دروس تمهیدیة فی الفقه الاستدلالی ج۱؛ العبادات/الشیخ باقر الایروانی/چ ۱۰
۹۴. دروس تمهیدیة فی الفقه الاستدلالی ج۲؛ عقود ۱/الشیخ باقر الایروانی/چ ۸
۹۵. دروس تمهیدیة فی الفقه الاستدلالی ج۳؛ عقود ۲ و الایقاعات/الشیخ باقر الایروانی/چ ۸
۹۶. دروس تمهیدیة فی الفقه الاستدلالی ج۴؛ الاحکام/الشیخ باقر الایروانی/چ ۸
۹۷. دروس فی البلاغة/شیخ معین دقیق العاملی/چ ۷
۹۸. دروس فی الشیعة و التشیع/علی الربانی الگلپایگانی/انور الرصافی/چ ۳
۹۹. دروس فی علوم القرآن/نذیر الحسنی
۱۰۰. ضوابط الرضاع، الجزء الاول/السید محمد باقر الداماد، تصحیح: سید مجتبی میرداماد
۱۰۱. ضوابط الرضاع، الجزء الثانی/السید محمد باقر الداماد، تصحیح: سید مجتبی میرداماد
۱۰۲. کتاب التطبیق ۱/شاکر محمود افضلی، میثم الربیعی/چ ۲
۱۰۳. کتاب التطبیق ۲/شاکر محمود افضلی، میثم الربیعی
۱۰۴. کتاب التطبیق ۳/شاکر محمود افضلی، میثم الربیعی
۱۰۵. کتاب اللغة العربیة ۲/شاکر محمود افضلی، میثم الربیعی
۱۰۶. کتاب اللغة العربیة ۳/شاکر محمود افضلی، میثم الربیعی

۱۰۷. من جهاد الی جهاد/سید حسن فیروزآبادی/عبد الکریم الجنابی
۱۰۸. منطق تفسیر القرآن ۱ (اصول و قواعد التفسیر)/محمد علی الرضایی الاصفهانی/احمد الازرقی و هاشم ابو خمسین
۱۰۹. نافذة علی اهم الفرق و المذاهب الأسلامیة/شکیب بن بدیرة الطبلبی
۱۱۰. نبراس الاذهان فی اصول الفقه المقارن، الجزء الاول/السید میر تقی الحسینی الگرگانی
۱۱۱. نبراس الاذهان فی اصول الفقه المقارن، الجزء الثانی/السید میر تقی الحسینی الگرگانی

انگلیسی

۱۱۲. پاسداری از مرقد پیامبران و امامان/جعفر سبحانی تبریزی/فریده مهدوی دامغانی

فرانسوی

۱۱۳. اصول کافی ج۱/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۱۱۴. اصول کافی ج۲/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۱۱۵. اصول کافی ج۳/محمد بن یعقوب کلینی/فریده مهدوی دامغانی
۱۱۶. التبلیغ مناهجه و اسالیبه/جعفر البجاری/ تعب امباله لبانگی
۱۱۷. به سوی قرآن (روانخوانی و انس با قرآن)/ابوالفضل خوش منش
۱۱۸. تاریخ فرهنگ و تمدن اسلامی/محمد رضا کاشفی /هارون مکومبه
۱۱۹. فرق و مذاهب کلامی/علی ربانی گلپایگانی/ابراهیم مونتوبتو
۱۲۰. نافذة علی الفلسفة/صادق ساعدی/ابراهیم مونتوبتو

ایتالیایی

۱۲۱. صحیفه مبارکه سجادیه (آشنایی با صحیفه سجادیه)/امام زین العابدین(ع)/ فریده مهدوی دامغانی/ج۲

اردو

۱۲۲. احکام ازدواج دائم و موقت مطابق با فتاوای مراجع عظام/سید حجت موسوی خوئی/فیروزعلی بنارسی
۱۲۳. احکام حجاب و عفت/حمید جلفایی/سید هادی حسن رضوی
۱۲۴. آزادی و دین سالاری/جعفر سبحانی تبریزی/سید مراد رضا رضوی
۱۲۵. پله پله تا آسمان علم (آسمان علم تک قدم به قدم)/محمد عابدی/سیده وجیه اکبر زیدی
۱۲۶. تاریخ و سیرت معصومین ج۲/سید منذر حکیم/سید کمیل اصغر زیدی
۱۲۷. خطبه حضرت زینب در کاخ یزید/سید توقیر عباس کاظمی
۱۲۸. درسنامه تاریخ عصر غیبت/مسعود پورسید آقایی، محمد رضا جباری، حسن عاشوری، سید منذر حکیم/اخلاق حسین پکهناروی
۱۲۹. شیعه شناسی/علی ربانی گلپایگانی/سید منظر صادق زیدی
۱۳۰. صحیفه شهادت فرمودات امام حسین(ع)/محمد صادق نجمی/سید حسن مهدی حسینی، سید حسن اخترضوی اعظمی
۱۳۱. قانون عقل و وحی/حسن مهدی زاده/اخلاق حسین پکهناروی
۱۳۲. کلیات فقه اسلامی/حسن قاسمیان/سید مبین حیدر رضوی

تاجیکی

۱۳۳. آشنایی با صحیفه سجادیه/علی ابن الحسین/الیاس قاسم اف
۱۳۴. تحکیم خانواده از نگاه قرآن و حدیث/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۱۳۵. جایگاه اهل بیت(ع) از دیدگاه امام ابو حنیفه/محمد شفق خواتی/حکیم جان کمال اف
۱۳۶. حکمت نامه پیامبر اعظم ۱/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۱۳۷. حکمت نامه پیامبر اعظم ۲/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۱۳۸. حکمت نامه لقمان/محمد محمدی ری شهری/حکیم جان کمال اف
۱۳۹. سنن النبی (ص)/محمد حسین طباطبایی/حکیم جان کمال اف
۱۴۰. نبرد حق و باطل/شهید مرتضی مطهری/حبیب الله منان
۱۴۱. نظری به نظام اقتصادی در اسلام/شهید مرتضی مطهری /سید برهان اکبر
۱۴۲. نهج البلاغه/سید رضی/الیاس قاسم اف

فولانی

۱۴۳. اخلاق اهل بیت(ع)/سید محمد مهدی صدر/محمد باری
۱۴۴. پرتو پژوهش ج۱/مجتمع آموزش عالی فقه/ محمد باری
۱۴۵. تاریخ اسلام (از جاهلیت تا رحلت پیامبر اسلام(ص)/مهدی پیشوایی/ محمد باری
۱۴۶. نشانه هایی از دولت موعود/نجم الدین طبسی/ محمد باری

بنگالی

۱۴۷. پرتو پژوهش ج۱/مجتمع آموزش عالی فقه /محمد منیر حسین خان
۱۴۸. چشم اندازی به حکومت مهدی(عج)/نجم الدین طبسی/محمد عبد القیوم
۱۴۹. چهل حدیث سیره نبوی/جواد محدثی/سیده شهربانو زیدی
۱۵۰. همسرداری/ابراهیم امینی/محمد عبد القیوم
۱۵۱. ولایت فقیه (ساختار حکومت اسلامی)/امام خمینی(ره)/محمد عبد القدوس

آذری

۱۵۲. آیات ولایت در قرآن/ناصر مکارم شیرازی/مردان زال اف

اندونزی

۱۵۳. پرتو پژوهش ج۱/مجتمع آموزش عالی فقه/اکمل کامل

پشتو

۱۵۴. چشم اندازی به حکومت مهدی(عج)/نجم الدین طبسی/سرفراز علی مهدی

ترکی استانبولی

۱۵۵. چشم اندازی به حکومت مهدی(عج)/نجم الدین طبسی/رسول نور، سرکان انلو، محمد کارادومان
۱۵۶. شمیم ولایت/عبدالله جوادی آملی/قدری چلیک
۱۵۷. مثال های آموزنده قرآن/جعفر سبحانی تبریزی/رضا شکراف

روسی

۱۵۸. فقه و عقل/ابوالقاسم علی دوست/یوسف آقایو

چاپ ۱۳۹۱

فارسی

۱. اسلام و اصلاح فرهنگی/ مولف: زکی میلاد ت: آیت اله خزائی
۲. آثار تربیتی جلوه‌های و اخلاقی قیام عاشورا/ محمد عارف صداقت
۳. آشنایی با اصول و روش‌های ترجمه قرآن (خلاصه کتاب منطق ترجمه قرآن)/ محمد علی رضایی اصفهانی
۴. آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی/ علی نصیری/ ج۲
۵. آموزش احکام همراه با استفتائات مقام معظم رهبری مدظله العالی / محمد حسین فلاح زاده/ ج۷
۶. آموزش فارسی به غیرفارسی زبانان/ فاطمه اکبری
۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۱/ احمد زهرایی و اصغر فردی
۸. آموزش فارسی به فارسی کتاب ج۲/ احمد زهرایی و اصغر فردی
۹. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار ج۵/ مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی/ ج۳
۱۰. بیراهه‌ها (رهیافت هایی از دعای هشتم صحیفه سجادیه)/ حجت منگنه چی
۱۱. پرتو پژوهش شماره ۹۱ الی ۹۶
۱۲. التزام ناگزیر تحلیلی بر راهبردهای ایالات متحده امریکا در مواجهه با بیداری اسلامی / مولف امیل نخله ت: علی محمد سابقی
۱۳. حقوق اهل‌بیت(ع) در تفاسیر اهل‌سنت / محمد یعقوب بشوی / ج۲
۱۴. درآمدی بر علم کلام اسلامی/ عزالدین رضانژاد
۱۵. درآمدی بر لیبرالیسم بررسی و نقد مبانی / علی الهی تبار
۱۶. درآمدی بر مناسبات روحانیت و دولت اسلامی با تأکید بر دیدگاه امام خمینی(ره)/علی معصومی
۱۷. درآمدی به تاریخ علم اصول/ مهدی علی پور/ ج۳
۱۸. دردری (مجموعه سروده های شاعران پارسی گوی خراسان بزرگ درباره حادثه عاشورا) / سیدحسن احمدی نژاد بلخی بلخابی
۱۹. درسنامه تفسیرتربیتی ج۱/ محمد حسین محمدی
۲۰. درسنامه درایة الحدیث / سید رضا مؤدب / ج۳
۲۱. درسنامه عقاید / علی شیروانی / ج۷
۲۲. رهیافتی به منظومه فکری حضرت امام خمینی(ره) و رهبر معظم انقلاب در حوزه فرهنگ وتربیت / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخر الائمه به سفارش جامعه المصطفی(ص) / ج۲
۲۳. شکوه کلام در نهج البلاغه/ حسن امیر انصاری
۲۴. علم درایة تطبیقی / سید محمد رضا مؤدب/ ج۲
۲۵. فصلنامه اطلاع رسانی
۲۶. فلسفه اشک / سید عبداله حسینی
۲۷. قرآن و امام حسین(ع) (تحلیل استشهادات قرآنی و روایات تفسیری امام حسین(ع))/ حسین مطهری محب
۲۸. کوثر معارف شماره ۲۲
۲۹. مبانی کلامی فارسی اعجاز قرآن / روح الله رضوانی
۳۰. مجموعه مقالات همایش بین المللی قرآن و مستشرقان / جمعی از مولفان
۳۱. منطق ترجمه قرآن/ محمد علی رضایی اصفهانی/ ج۲
۳۲. منطق مقدماتی/ ابوالفضل روحی/ ج۲
۳۳. نشریه پژوه شماره ۵۲
۳۴. ویژه نامه استشراق / جمعی از مولفان

عربی

۳۵. ولایت الفقیه والحکومة الاسلامیه فی عصرالغیبه/ ودیع الحیدری
۳۶. القدس فی الشعر العربی الحدیث فی سوریة ولبنان وفلسطین/ جهاد فیض الاسلام
۳۷. دراسات الاسلامیة فیعلم نفس النمو مرحلة الطفولة مراحل النمو ومقومات التربیة/ سعید کاظم العذاری
۳۸. النحو الجامع/ سید حمید الجزایری/ ج۲

۳۹. القراءات والاحرف السبعة/ عبدالرسول الغفاری
۴۰. القراة والمناقشة/ مولف میثم الربیع؛ محمد الحیدری؛ شاکر افضلی
۴۱. التَّعلیم المُصوَّر/ مولف میثم الربیع؛ محمد الحیدری؛ شاکر افضلی

انگلیسی

۴۲. نهج البلاغه/ مولف: سید رضی ت: سید علی رضا
۴۳. کتاب احادیث (چهل حدیث)/ مولف: سید علی لواسانی ت: سید علی فرید محمدی

فرانسوی

۴۴. امام اخلاق سیاست/ مولف: سید حسن اسلامی / ت: ابراهیم مونتو

اردو

۴۵. قرآن و امام حسین ؑ/ مولف محسن قرائتی / ت: سید نصرت علی جعفری / ج۲

فیلیپینی

۴۶. آشنایی با احکام / ت: منتظر داگلاس بنگالن
۴۷. شیعه پاسخ می‌گوید / ت: منتظرداگلاس بنگالون

پشتو

۴۸. شفاعت/ مولف : سید حسن طاهری خرم آبادی ت: سرفراز علی محمدی
۴۹. رویکرد اخلاقی بر باورهای وهابیت/ مولف: سید حسن طاهری خرم آبادی/ ت: محمد رحیم درانی

اویغوری

۵۰. نهج‌البلاغه / مولف سید رضی ت: آ عبدالرحمن (ما موهای مای)، آ سامساق (ما سوفیا)

اندونزی

۵۱. شفاعت/ مولف: حسن طاهری خرم‌آبادی ت: احمد مرزوقی امین
۵۲. رویکرد عقلانی برباورهای وهابیت/ نجم الدین طبسی ت: حسن تونو

تایلندی

۵۳. جایگاه زن از دیدگاه امام‌خمینی ؒ/ مولف: محمد شریف کت سیمون

چاپ ۱۳۹۰

فارسی

۱. اسلام در هند / دکترمحمد رضا موحدی
۲. اعجاز قرآن / سیدرضا مؤدب
۳. اعجاز قرآن و مصونیت از تحریف / محمد مهدی اسکندرلو
۴. انقلاب اسلامی ایران در زمینه‌ها و فرآیند شکل‌گیری / محمد مهدی باباپور
۵. آداب و اخلاق پزشکی در اسلام / ت: محمدرضا صالح
۶. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید صدر / علی رضا بی‌نیاز، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۷. آشنایی با اندیشه سیاسی شهید مطهری / علی رضا بی‌نیاز، محمد مهدی باباپور، منصور میر احمدی
۸. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول راهنمایی)/ علی بمان ملک احمدی
۹. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم راهنمایی)/ علی بمان ملک احمدی
۱۰. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم راهنمایی)/علی بمان ملک احمدی
۱۱. آشنایی با آموزه‌های اسلام (اول دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۲. آشنایی با آموزه‌های اسلام (دوم دبیرستان) / علی بمان ملک احمدی
۱۳. آشنایی با آموزه‌های اسلام (سوم دبیرستان)/ علی بمان ملک احمدی
۱۴. آشنایی با متون حدیث و نهج‌البلاغه / مهدی مهریزی
۱۵. آشنایی با متون روایی معارفی / عبدالمجید زهادت
۱۶. آموزش احکام (همراه با استفتائات مقام معظم رهبری) / محمدحسین فلاح‌زاده
۱۷. آموزش فارسی به فارسی کتاب کار چهارم / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۸. بررسی احوال فرزندان امام موسی کاظم ؑ و نقش آنها در تاریخ تشیع / سید یاسین زاهدی
۱۹. پرتو پژوهش، ج۲ / معاونت پژوهش مجتمع عالی فقه
۲۰. پژوهشی تطبیقی در روایات تفسیری فریقین / مهدی رستم نژاد
۲۱. پژوهشی در علم رجال / اکبر ترابی
۲۲. پلورالیسم دینی و قرآن / موسی ابراهیمی
۲۳. پیوندهای نماز / محسن قرائتی
۲۴. تاریخ فلسفه اسلامی (ویراست جدید) / جمعی از مؤلفان
۲۵. تاریخ فلسفه غرب ۱ / مهدی بنایی
۲۶. تاریخ قرآن / محمد حسین محمدی
۲۷. تجزیه جهان اسلام چرایی و پیامدها / علی اصغر رجاء
۲۸. تمدن و فرهنگ شیعیان افغانستان / عبدالقیوم آیتی
۲۹. جایگاه مردم در نظام سیاسی دینی از منظر آیت لله نائینی و شهید صدر / میرزا حسین فاضلی
۳۰. چکیده پایان‌نامه‌های کارشناسی ارشد، ج۱ـ۴ / معاونت آموزش
۳۱. حقوق بین‌الملل اسلامی / عبد الحکیم سلیمی
۳۲. حقوق بین‌الملل خصوصی / محمد مهدی کریمی نیا
۳۳. دایرةالمعارف فرهنگ ملل، ج۱ / پژوهشگاه بین‌المللی المصطفی ﷺ
۳۴. درسنامه اخلاق / جواد محدثی
۳۵. درسنامه روش‌های تفسیر قرآن / دکتر محمد علی رضایی اصفهانی
۳۶. درسنامه وضع حدیث / ناصر رفیعی محمدی
۳۷. دستور زبان فارسی / حمید نصیریان
۳۸. دعای مکارم اخلاق (در پرتو قرآن وحدیث) / حجت منگنه چی
۳۹. دقایقی با قرآن / محسن قرائتی
۴۰. دل باخته / حاج میرزا عبد الحسین قدس
۴۱. دیدگاه مذاهب اسلامی در مورد تفاوت دیه زن و مرد و ادله آنها / محمد یاسین احسانی
۴۲. رابطه قدرت و عدالت در فقه سیاسی / غلام سرور اخلاقی
۴۳. ریاضی مقدماتی / غلامرضا صفایی صادق
۴۴. زنان در افغانستان / محمد آصف محسنی (حکمت)
۴۵. سیره اخلاقی و تربیتی معصومین ؑ / محمد احسانی
۴۶. شیوه‌ای نو در آموزش عروض و قافیه / محمد رضا نیکزاد
۴۷. عقل و ایمان از دیدگاه ابن رشد، صدر المتالهین شیرازی وایمانوئل کانت / علاءالدین ملک‌اف
۴۸. فرهنگ اصلاحات اصول / مجتبی ملکی اصفهانی
۴۹. فرهنگ واژه‌گان فارسی به انگلیسی/ مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۰. فرهنگ واژه‌گان فارسی به چینی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۱. فرهنگ واژه گان فارسی به روسی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۲. فرهنگ واژه‌گان فارسی به عربی / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۳. فرهنگ واژه‌گان فارسی به فرانسه / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۵۴. فرهنگ واژه‌گان فارسی به مالایو / مرکز آموزش زبان ومعارف اسلامی
۵۵. قیام مهدی ؑ منتظر ماست / سیدحسن فیروزآبادی
۵۶. کتاب شناسی تعلیم و تربیت در اسلام / بهروز رفیعی
۵۷. کتاب کار دستور زبان فارسی / حمید نصیریان
۵۸. کمک درسی زبان روسی / علی مدبر چهار برجی
۵۹. الگوی فرزانگی / معاونت پژوهش
۶۰. مبانی فقهی انقلاب اسلامی در اندیشه امام خمینی ؒ / علی اکبر ناصری
۶۱. مجموعه مقالات چهاردهمین جشنواره بین‌المللی پژوهشی شیخ طوسی، ج۱ـ۳ جمعی از مؤلفان، پژوهشگاه بین‌المللی المصطفی ﷺ: پژوهشکده انقلاب اسلامی
۶۲. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی اجتماعی امام خمینی ؒ، ج۲ـ۴ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی ؒ
۶۳. مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۵ / جمعی از مولفان
۶۴. مشاهیر تشیع در افغانستان، ج۱ـ۳ / عبدالمجید داود ناصری
۶۵. معرفت شناسی / حسن معلمی
۶۶. معرفت‌شناسی باور دینی از دیدگاه شهید مطهری و آلوین پلنتینگا / علاء الدین ملک‌اف
۶۷. مقایسه تطبیقی اندیشه مهدویت در اسماعیلیه و امامیه / قدیر محمد اف
۶۸. منشورفضل / به کوشش جمعی از مؤلفان
۶۹. نقد نظریه تجربه دینی با تأکید بر قرآن / شیرعلی شجاع
۷۰. ویژه‌نامه اختر تابان / جمعی از مولفان
۷۱. ویژه‌نامه همایش دین، فرهنگ و رسالت علمای افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفی ﷺ در افغانستان
۷۲. ویژه‌نامه همایش شیخ طوسی/ پژوهشگاه بین‌المللی المصطفی ﷺ
۷۳. همایش حوزه‌های علمیه افغانستان / نمایندگی جامعة المصطفی ﷺ در افغانستان
۷۴. یهودیت / محمد حسین طاهری آکردی

عربی

۷۵. أسالیب التبلیغ عند الأنبیاء دراسة قرآنیه / السید منتظر الموسوی (الجابری)
۷۶. اولیاء عقد النکاح / حمودی حسن عباس الصیقل
۷۷. آیةالاظهار بین عالمیة الاسلام والعولمة المعاصر / ریاض عبدالرحیم الباهلی
۷۸. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رعد الحجاج
۷۹. تاثیر الثورة الاسلامیه علی البلدان العربیه / ت: عبدالکریم بحراوی طعمه
۸۰. التبتیل فی التجوید والترتیل / حسن عالمی بکتاش
۸۱. تداعیات الثورة الاسلامیة فی العالم الاسلامی / دکتر منوچهر محمدی
۸۲. تطور حرکة الاجتهاد عند الشیعة الامامیة / عدنان فرحان تها
۸۳. التفسیر التربوی للقرآن الکریم / شیخ هاشم ابو خمسین
۸۴. تهذیب البلاغه فی تلخیص مختصر المعانی لسعد الدین التفتازانی / علی عرب خراسانی
۸۵. الحریة الاقتصادیة ضوابطها وحدودها فی الفقه الاستدلالی / عبدالکریم بحراوی

۸۶. الحقوق الزوجیة / سوسن علی حسین (دادرس)
۸۷. الحکومة الاسلامیة فی رویة الامام خمینی رحمه الله / ت: محسن زین العابدین
۸۸. الحکومة الاسلامیة والولایة الفقیه فی رویة الامام خمینی رحمه الله / ت: محسن زین العابدین
۸۹. الدر الباهر فی مقتضیات الجواهر ج۱ / السید جمال الدین دین‌پرور
۹۰. دراسة أدلة إثبات وجود الواجب فی ضوء الحکمة المتعالیه / السید أحمد السید صلاح الموسوی
۹۱. دراسة تطبیقیة مبدأ التکافؤ فی الترجمة (من الفارسیة إلی العربیة) / انور پنام الرصافی
۹۲. دروس تمهیدیة فی الفقه الاستدلالی، تلفیقی ج۲و۳ / الشیخ باقر الایروانی
۹۳. دروس تمهیدیة فی الفقه الاستدلالی، ج۱ / الشیخ باقر الایروانی
۹۴. دروس تمهیدیة فی الفقه الاستدلالی، ج۲-۴ / الشیخ باقر الایروانی
۹۵. دروس فی الاصول الفقه المقارن / مجید النیسی
۹۶. دروس فی التاریخ الفقه و ادواره / آیة الله جعفر السبحانی
۹۷. دروس فی علم الدرایة / ت: قاسم البیضانی
۹۸. دروس فی نصوص الحدیث و نهج البلاغة / ت: انور الرصافی
۹۹. شقائق الرجال / عادل المزیعل المباحی
۱۰۰. علم الدرایة المقارن / ت: انور الرصافی
۱۰۱. الفقه المقارن (العبادات والأحوال الشخصیة) / سید کاظم مصطفوی
۱۰۲. القواعد الفقهیة۲ (قاعدة لاضرر، حجیة البینة و...) / السید محمد کاظم المصطفوی
۱۰۳. قیام المهدی امامنا المنتظر عجل الله تعالی فرجه / السید حسن فیروز آبادی
۱۰۴. مبانی نقد متن الحدیث / قاسم البیضانی
۱۰۵. النجوم الزاهرة فی اثبات خلافة الآئمة الطاهرة / السید خلیل الشوکی

انگلیسی

۱۰۶. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / ت: حامد حسین وقار
۱۰۷. آشنایی با صحیفه سجادیه / ت: حامد حسین وقار
۱۰۸. حفظ موضوعی قرآن کریم / ت: حامد حسین وقار
۱۰۹. خاطرات امیرالمومنین علیه السلام / ت: علی فرید محمدی
۱۱۰. در آستان رحمت / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۱. در آغوش نور ولایت / سید علی فرید محمدی
۱۱۲. قیام مهدی عجل الله تعالی فرجه منتظر ماست / ت: مرکز بین‌المللی ترجمه و نشر المصطفی صلی الله علیه و آله
۱۱۳. نگاهی دوباره به نظریه شفاعت / ت: سلام جودی

فرانسوی

۱۱۴. آموزش احکام / ت: الیزه کابنا
۱۱۵. پیام آور رحمت / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۶. در آستان رحمت / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۷. سروده‌های عاشورایی / فریده مهدوی دامغانی
۱۱۸. فلسفه اخلاق / ت: ابراهیم منتو بتو
۱۱۹. نامه‌های امیرالمومنین علیه السلام / فریده مهدوی دامغانی

تاجیکی

۱۲۰. اهل بیت علیهم السلام در قرآن و سنت / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۱. بحثهای پیرامون اسلام / حکیم جان کمالی
۱۲۲. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۳. تفسیرسوره عنکبوت / ت: شهر الدین محمد امین
۱۲۴. چهل حدیث مقام زن در روایات / محمد رحیمی
۱۲۵. حکمت‌نامه جوان / حکیم جان کمالی
۱۲۶. حکمت‌نامه کودک / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۷. دنیا و آخرت / ت: حکیم جان کمالی
۱۲۸. سید جمال الدین مصلح شرق / ت: سید اکبر برهان
۱۲۹. شرح چهل حدیث خداشناسی / بحر الدین قربان
۱۳۰. مساله حجاب / ت: سید اکرم خان زیاد الله
۱۳۱. مسئولیت والدین در قبال فرزندان / ت: محمد الله حلیم‌اف
۱۳۲. مقام و منزلت ازدواج / محمد رحیمی
۱۳۳. نگاهی به مسیحیت / ت: محمدالله حلیم اف

آذری

۱۳۴. اهل بیت علیهم السلام در قرآن و سنت / ت: رضا شکراف
۱۳۵. آداب معاشرت (از نگاه معصومین) / ت: محمد خلیل‌اف
۱۳۶. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رضا شکراف
۱۳۷. پرتویی از فضائل امیرالمؤمنین علی علیه السلام / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۳۸. پلورالیسم دین، حقیقت و کثرت / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۳۹. پیامبر صلی الله علیه و آله از نگاه قرآن و اهل بیت علیهم السلام / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۴۰. توحید و زیارت / ت: محمد خلیل اف
۱۴۱. جسم انگاری خدا از نگاه شیعه و سنی / ت: حسین مهدی اف
۱۴۲. حکمت‌نامه زنان / توفیق اسد اف و افضل الدین رحیم اف
۱۴۳. حیات پیامبر اسلام حضرت محمد صلی الله علیه و آله / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۴۴. خصائص امیرالمؤمنین علیه السلام / ت: جبرئیل آبی اف
۱۴۵. زندگی در پرتو اخلاق / ت: رضا شکر بیگلی
۱۴۶. سیری در صحیحین / ت: رشاد اکبر اف
۱۴۷. شفاعت / ت: المان اقام اغلان‌اف
۱۴۸. صد و پنجاه درس زندگی / ت: اسماعیل اسماعیل اف
۱۴۹. عقل؛ ایمان و انسان‌شناسی / ت: علاءالدین ملک‌اف
۱۵۰. گفتمان مهدویت زبان آذری / ت: علاءالدین ملک‌اف

اردو

۱۵۱. آداب دعا / رجب علی حیدری
۱۵۲. پرتو پژوهش، ج۱ / سید حسید اختر رضوی
۱۵۳. تعلیمات قرآن / موسسه قرآن و عترت
۱۵۴. تفسیر القرآن وهو الهدی و الفرقان / سید محمد عباس رضوی
۱۵۵. معارف قرآن وعترت / موسسه قرآن وعترت

استانبولی

۱۵۶. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: رسول نور
۱۵۷. عدل الهی از دیدگاه امام خمینی رحمه الله / گردآورند: بحری اکیول

هوسایی

۱۵۸. التربیة الدینیة / ت: محمد میسر

ایتالیایی

۱۵۹. صحیفه سجادیه / فریده مهدوی دامغانی

فولانی

۱۶۰. تاریخ اسلام زندگی حضرت زهرا علیها السلام / ت: محمد باری
۱۶۱. سیره پیشوایان / ت: محمد باری

پشتو

۱۶۲. پرتو پژوهش، ج۱ / ت: محمد رحیم درانی

چاپ ۱۳۸۹

فارسی

۱. از سی‌مرغ تا سیمرغ / محمدرضا یوسفی
۲. از قبادیان تایمگان / محمدرضا یوسفی-رقیه ابراهیمی شهرآباد
۳. آسیب شناسی تمدن اسلامی / علیرضا عالمی
۴. آشنایی با تاریخ تفسیر و مفسران / حسین علوی مهر
۵. آشنایی با صحیفه سجادیه / محمد علی مجد فقیهی
۶. آموزش فارسی به فارسی (کتاب‌کار ۵، ۶، ۷) / اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی
۷. آموزه‌های بنیادین علم اخلاق، ج۲ / محمد فتحعلی خانی
۸. با نور قرآن هدایت شدم / ت: محمدقاسم احمدی
۹. بدایة المبتدی، ج۱-۲ / سید یونس استروشنی، قمرالدین افضلی
۱۰. براهین جهان‌شناختی از دیدگاه ابن‌سینا و آگوئیناس / حمید زکی
۱۱. پرتو پژوهش، ج۱ / معاونت پژوهش مجتمع آموزش عالی فقه
۱۲. تاریخ پیامبر و اهل‌بیت علیهم السلام، ج۱-۶ / علی ملک بمان احمدی
۱۳. تاریخ تحلیلی آندلس / محمدرضا شهیدی پاک
۱۴. تاریخ تحلیلی مغرب / محمدرضا شهیدی پاک
۱۵. تاریخ حدیث / سید رضا مؤدب
۱۶. تفسیر تطبیقی (بررسی تطبیقی مبانی تفسیر قرآن و ...) / فتح الله نجارزادگان
۱۷. جایگاه جامعة المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیة در بعثت جهانی / اداره کل دفتر ریاست جامعة المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیة
۱۸. جهانی در خلوت / مرتضی طالبی
۱۹. چهل حدیث در مورد انسجام اسلامی / جمعی از مولفان مجتمع امام خمینی رحمه الله
۲۰. حفظ موضوعی قرآن کریم سید علی میرداماد نجف آبادی
۲۱. خلوص کامیاب / عبدالحسین طالعی، مرتضی طالبی
۲۲. درآمدی بر سیره اهل‌بیت علیهم السلام / حسین عبدالمحمدی
۲۳. درسنامه آیات الاحکام جزایی / محمد مهدی کریمی نیا
۲۴. درسنامه صرف / علی عرب خراسانی
۲۵. درسنامه عقاید / علی شیروانی
۲۶. دیکشنری فارسی - اندونزی / یانور فبری ن
۲۷. رهیافتی به منظومه فکری امام خمینی رحمه الله و مقام معظم رهبری / جمعی از محققان دفتر فرهنگی فخرالائمه علیهم السلام

۲۸. شناخت استعمار / مصطفی اسکندری
۲۹. قرآن کتاب رشد و تعالی / روح الله دهقانی
۳۰. قصه‌های قرآنی / صالح قنادی
۳۱. مبانی و روش‌های تفسیری / محمد کاظم شاکر
۳۲. مبانی و اصول طراحی کتاب درسی / محمد شریفی نیا
۳۳. مجموعه مقالات برتر سیزدهمین جشنواره شیخ طوسی / جمعی از مؤلفان
۳۴. مجموعه مقالات نخستین همایش اندیشه سیاسی امام خمینی(ره)، ج ۱ / مجتمع آموزش عالی امام خمینی(ره)
۳۵. مجموعه مقالات همایش زنان در افغانستان، ج۱-۴ / ستاد برگزاری همایش
۳۶. مقام محبت الهی از منظر حکمت و عرفان نظری و عملی / محمد حسین خلیلی
۳۷. منشور جامعة المصطفی(ص) العالمیة
۳۸. منطق پیشرفته / عسکری سلیمانی امیری
۳۹. مهدویت در ادیان آسمانی / ابراهیم کوثری
۴۰. مهندسی اوقات فراغت / محمد علی متولیان، احمد هوشمند
۴۱. نخل نسیم / حسن ابراهیم‌زاده
۴۲. نظام حقوقی اسلام / جلیل قنواتی

عربی

۴۳. بحوث فی علم الرجال / آیةالله محمد آصف المحسنی
۴۴. تاریخ الحدیث / سید رضا مؤدب
۴۵. التعرف علی خط التبتی / مرتضی الشعبانی
۴۶. دروس تمهیدیه فی السیرة القادة الهداة، ج۱-۲ / سید منذر حکیم
۴۷. دروس فی الفقه المعاملات(البیع) / السید محمد کاظم المصطفوی
۴۸. دروس فی المسیحیه / علی الشیخ
۴۹. دروس فی المناهج والاتجاهات و التفسیریة للقرآن / ت: قاسم البیضانی
۵۰. دروس فی علوم القرآن / حسین جوان آراسته
۵۱. دروس فی فقه الاستدلالی، ج۱-۳ / عبد الکریم آل‌نجف
۵۲. دروس موجزة فی علمی الرجال والدرایة / آیةالله جعفر سبحانی
۵۳. العلم فی إطار الدین / عبدالکریم الجنابی
۵۴. قرآن الحسین وحدة المنهج والهدف / السید لیث الحیدری
۵۵. المحکم و المتشابه / عبدالرسول غفاری
۵۶. المراة فی الاسلام / عبدالرسول غفاری
۵۷. معجم الافعال المتداولة و مواطن استعمالها / السید محمد الحیدری
۵۸. معرفة ابواب الفقه / محسن الفقیهی
۵۹. النسخ بین المفسرین / عبدالرسول غفاری
۶۰. وعایة الحکمة فی شرح نهایة الحکمة / حسین عشاقی الاصفهانی

انگلیسی

۶۱. اشعار عاشورایی، ج۱-۲ / محمد رضا فخر روحانی

فرانسوی

۶۲. سخنان حسین بن علی(ع) از مدینه تا کربلا / ت: فریده مهدوی دامغانی

تاجیکی

۶۳. اربعین مولانا جامی / داستان حقنظرزاده
۶۴. پدر و مادر ومعلم من را خوب تربیت کن / ت: سید امان‌الله بابایوف
۶۵. پیامبر اعظم(ص) / رجب جمعه‌خان
۶۶. تفسیر سوره محمد(ص) / محسن قرائتی
۶۷. حرمت شراب / روح‌الله قلندر
۶۸. فضیلت صدقه / مصطفی علی
۶۹. مقام پدر ومادر / محمد رحیمی
۷۰. مقام قرآن کریم / اسماعیل محی الدین
۷۱. مقام نماز / عبدالهاشم میرزا

آذری

۷۲. حجاب چرا وچگونه / ت: جمال‌الدین شکراف
۷۳. دعا و توسل / حسن طاهری خرم آبادی
۷۴. سرنوشت از دیدگاه علم وفلسفه / ت: رضا شکراف
۷۵. قرآن کریم چنانکه هست / ایلقار اسماعیل زاده

اردو

۷۶. آداب اسلامی، ج۱-۲ / محمد عندلیب
۷۷. تاریخ شیعیان کشمیر / غلام‌محمد گلزار
۷۸. تحریف قرآن کی بطلان کاتحلیلی جائز / ت: عارف حسین مبارک‌پوری
۷۹. ترجمه گزیده غرر الحکم و درر الکلم / ت: محمد فائز باقری
۸۰. چگونه قرآن را حفظ کنیم / شهریار پرهیزگار
۸۱. قصه‌های قرآنی ـ قرآن قصی / صالح قنادی

ترکی استانبولی

۸۲. عقاید اسلامی در پرتو قرآن حدیث وعقل / ت: بحری اکیول

بنگلایی

۸۳. چهل حدیث اسراف / ت: محمد ابوسعید

هوسایی

۸۴. رابطه والدین با فرزندان / حافظ محمد سعید
۸۵. زندگی زناشویی / حافظ محمد سعید

ایتالیایی

۸۶. صفات شیعه / ت: عباس دیپالما

ازبکی

۸۷. آموزش مفاهیم قرآن کریم / ت: شیرعلی‌اف

هندی

۸۸. ترجمه گزیده غرر الحکم / سید قمر غازی

چاپ ۱۳۸۸

فارسی

۱. اسراف و تبذیر، تباهی سرمایه‌ها / ناصر رفیعی محمدی
۲. اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری(ره)، ج ۲ / جمعی از مؤلفان
۳. آزادی در مکتب فکری عاشورا / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۴. آسیب‌های درونی عزاداری / سید محمد علی موسوی
۵. آشنایی با استشراق و اسلام‌شناسی غربیان / محمدحسن زمانی
۶. آشنایی با علوم قرآن / محمد باقر سعیدی روشن
۷. آموزش صرف / جمعی از مولفان
۸. آموزش علوم قرآن / محمدباقر سعیدی‌روشن
۹. آموزش فارسی به فارسی (کتاب‌کار ۴) / اصغرفردی، احمدزهرایی، جعفرمقیمی
۱۰. بازخوانی تاثیرات انقلاب اسلامی ایران بر بیداری مسلمانان / سید مهدی طاهری
۱۱. بررسی واقعه عاشورا در تاریخ طبری / زهرا محمدی
۱۲. بررسی تحریفات قیام عاشورا از دیدگاه تحریف‌ستیزان / آمنه احسانی، جمیله احمدی، کریمه گل‌گلی
۱۳. بررسی مدارک و مستندنویسی واقعه عاشورا / سید حسن سجادی، سید طالب زکی
۱۴. بررسی مستند حیات حضرت زینب(س) و نقش او در نهضت عاشورا / سید علیرضا عالمی
۱۵. تاریخ آموزش در اسلام / حسن حسین‌زاده‌شانه‌چی
۱۶. تجزیه و ترکیب / حسین شیرافکن
۱۷. تصمیم‌گیری شورایی / معاونت پژوهش
۱۸. تطور عاشورانگاری در میان اهل سنت / حبیب الله صالحی (روحانی)، غلام‌حسین میری
۱۹. جلوه‌ها و الگوهای اخلاقی قیام عاشورا / محمد عارف صداقت، حمیدالله شریفی
۲۰. چالش‌های زمینه‌ساز قیام حسینی / معصومه گل گلی، تقوا کنانی
۲۱. چکیده‌اندیشه‌های آیة‌الله سیدمجتبی موسوی‌لاری / حسن ابراهیم‌زاده
۲۲. حقوق اساسی جمهوری اسلامی افغانستان با تاکید بر قانون اساسی / عبد محمد احمدی و قاسم علی صداقت
۲۳. حقوق غیر ایرانیان در جمهوری اسلامی / فرج‌الله هدایت‌نیا
۲۴. خرد ناب، ج۱-۲ / معاونت پژوهش
۲۵. دکترین مهدویت، ج۱-۴ / تهیه و تدوین: موسسه آینده روشن
۲۶. رابطه دیالکتیکی عاشورا با بحرانهای محیطی / محمدقاسم عرفانی، قنبرعلی تابش
۲۷. زلال اندیشه / معاونت پژوهش
۲۸. سروش آسمانی، ج۱-۴ / محمدرضا افضلی
۲۹. سنت‌ها و آیین های بزرگداشت عاشورا در میان اهل‌سنت / محمد شریف حیدری، محمد جمله شیخ‌زاده
۳۰. سیره اهل بیت(ع) در جذب مخالفان / سید محسن مهدی زیدی
۳۱. سیره عملی پیامبر(ص) و اهل بیت(ع) در خانواده / محمدجمعه شیخ‌زاده
۳۲. سیره و راه شهیده بنت‌الهدی(ره) / ت: نجیب‌الله نوری
۳۳. عاشورا تجلیگاه عزت اسلامی / علیرضا محمدی، اسماعیل دانش، غلام سخی حلیمی
۳۴. فرهنگ تصویری افعال / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳۵. فلسفه سیاسی فارابی و ارتباط آن با ولایت فقیه / محمد حسین حسینی
۳۶. کارنامه مجمع علما و طلاب جاغوری / مجمع علما وطلاب جاغوری
۳۷. مجموعه مقالات حکومت دینی / جمعی از مؤلفان
۳۸. مجموعه مقالات همایش اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری(ره) / جمعی از مولفان
۳۹. مجموعه مقالات همایش دین و دینداری در عصر جدید / مجمع علما و طلاب جاغوری

۴۰. مجموعه مقالات همایش عالمان دینی افغانستان / مجمع علماء و طلاب جاغوری
۴۱. مجموعه مقالات همایش وحی شناسی / مدرسه عالی فقه و معارف اسلامی
۴۲. مسائل جدیدکلامی و فلسفه دین، ج۱ـ۳ / عبدالحسین خسروپناه
۴۳. معارف مثنوی / محمدرضا افضلی
۴۴. معرفی واحدهای آموزشی و پژوهشی جامعة المصطفی ﷺ العالمیة / معاونت پژوهش
۴۵. مفاهیم علم نحو، ج۱ـ۲ / محمود رضا عصاری
۴۶. مقایسه تطبیقی چهار گزارش مشهور در واقعه عاشورا / سید عبدالله حسینی
۴۷. نقد مبانی هرمنوتیکی نظریه قرائت‌های مختلف از دین / قربانعلی هادی
۴۸. نقش خاندان امام حسین علیه السلام در حادثه کربلا / رخسانه دانش، رقیه سادات میراکبری
۴۹. نقش زنان در واقعه عاشورا / مرضیه سادات مرتضوی، صدیقه نجفی
۵۰. نقش عاشورا در وحدت میان مسلمانان / قربانعلی هادی
۵۱. نیایش عارفان / معاونت پژوهش
۵۲. وحدت اسلامی مبانی، عرصه‌ها، موانع و راه‌کارها / محمد رسول حسینی
۵۳. هرمنوتیک و تفسیر / غلام رسول حمیدی

عربی

۵۴. ابن‌تیمیه منهجه فی الحدیث / ابومحمد النّعیمی
۵۵. اعجاز القرآن / ت: قاسم البیضانی
۵۶. التبلیغ؛ مناهجه واسالیبه / جعفر البجاری
۵۷. ترجمه قرآن کریم / محمد علی رضایی اصفهانی
۵۸. تعریب دروس فی وضع الحدیث / ناصر رفیعی المحمدی
۵۹. التقیة فی المجتمع الإسلامی ادلة و آثار / محمد جواد فاضل موسوی
۶۰. تهذیب جواهر البلاغه / تهذیب و تلخیص: أمیر الأمینی
۶۱. الحیاة الجنسیة بین الاستقامة و الشذوذ / سید کاظم العزادی
۶۲. حیاة السیاسیة الامام قدس سره / عصری البانی
۶۳. دروس فی تاریخ الادیان / ت: انور الرصافی
۶۴. دروس فی مبادی الفقه و معرفة ابوابه / حسن الرضانی
۶۵. دروس فی وضع الحدیث / سید عبدالکریم حیدری و عبدالامیر الوردی
۶۶. الدّین وعملیة العولمة / ت: عبدالکریم الجنابی
۶۷. القواعد الفقهیه (ویراست جدید) / السّید محمد الحسینی القزوینی
۶۸. کتاب التطبیق / شاکر محمود افضلی
۶۹. اللغة العربیه / شاکر محمود افضلی
۷۰. المدخل الی تاریخ علم اصول / مهدی علی‌پور، علی ظاهر
۷۱. نافذه علی الفلسفه / صادق‌السّاعدی
۷۲. النحو الجامع / حمید جزائری
۷۳. نحو القرآن / حسن الرضایی

انگلیسی

۷۴. معاد از دیدگاه قرآن و علوم / ت: زین العابدین ایوبی
۷۵. یک گام بسوی ظهور / مدرسه امام خمینی قدس سره

فرانسوی

۷۶. غدیر از دیدگاه اهل سنت / ت: ذوالقعده نصرالله

تاجیکی

۷۷. احکام اسلامی / الیاس قاسم‌اف
۷۸. امام علی علیه السلام و پیروانش / الیاس قاسم‌اف

آذری

۷۹. امامت و ولایت در قرآن / ت:رضاشکرف
۸۰. آشنایی با رهبران سلفی وهابیت / الیاس قاسم اف
۸۱. پرسش و پاسخ در مورد عاشورا / افضل الدین رحیم‌اف و توفیق اسداف
۸۲. حکمت‌نامه کودک / جمال الدین شکراف

اردو

۸۳. اتحاد الفریقین / سید شجاعت حسین رضوی
۸۴. اندیشه سیاسی شهید مطهری / ت: عون علی کریمی
۸۵. مصونیت قرآن از تحریف / ت: عارف حسینی
۸۶. مفاهیم اساسی نظریه ولایت فقیه / محسن رضا جعفری

زبان ایتالیایی

۸۷. سیرة النبویه / ت: عرفان ادیزیونی

چاپ ۱۳۸۷

فارسی

۱. احوال الشخصیه شیعیان افغانستان / عبدالله شفاهی
۲. اسلام و دموکراسی لیبرال / محمد حنیف طاهری
۳. اندیشه‌های قرآنی شهید مطهری رحمه الله، ج۱ / جمعی از مؤلفان
۴. ایضاح الحکمة فی شرح بدایة الحکمة / علی ربانی گلپایگانی
۵. بررسی جامعه شناختی پیامدهای فرهنگی بازگشت مهاجران به افغانستان / محمد عیسی عالمی
۶. تحلیل قصص / محمد شریفانی
۷. جوان و جوانی در سیره اهل‌بیت علیهم السلام / محمد عارف صداقت
۸. چکیده پایان نامه‌های کارشناسی ارشد جامعة المصطفی ﷺ / مرتضی رضا خانی
۹. درآمدی به تاریخ علم اصول / مهدی علی‌پور
۱۰. درسنامه تاریخ عصر غیبت / پور سید آقایی، جباری، آشوری و حکیم
۱۱. درسنامه درایة الحدیث / سید رضا مؤدب
۱۲. روحانیت و حکومت در افغانستان / محرابعلی صفدری
۱۳. فرهنگ تصویری واژه‌ها (چندزبانه) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۴. کلام تطبیقی (توحید، صفات و عدل الهی) / علی ربّانی گلپایگانی
۱۵. کلام تطبیقی (نبوت، امامت و معاد) / علی ربّانی گلپایگانی
۱۶. گفتمان فلسفی اسلام و غرب / سید حسن حسینی
۱۷. مدرسه ترنم توحید / مجید حیدری‌فر
۱۸. نقش جنگ‌های صلیبی در انتقال تمدن اسلامی به غرب / سید عبدالرئوف رضایی

عربی

۱۹. دراسات موجزة فی الخیارات و الشروط / آیةالله جعفر السبحانی
۲۰. دروس فی الفقه الاستدلالی(فی الفقه العباده)، ج۱ـ۲ / الشیخ باقر الایروانی
۲۱. الدعاء عند اهل البیت علیهم السلام / محمد مهدی الآصفی
۲۲. قضاء المراة فی نظر فقه الشیعی / ت: نبیل یعقوبی
۲۳. من فیض الخلود / فاضل الموسوی
۲۴. الوجیز فی مسائل الفقه الاستدلالی، ج۱ـ۴ / سید علی العلو

تاجیکی

۲۵. تاریخ اسلام / مهدی پیشوایی، عبدالحکیم کمالی
۲۶. تفسیر سوره حجرات / ت: سید تاج الدین حسام
۲۷. تفسیر سوره یس، الرحمن، ملک / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۸. تمثیلات / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۹. چهل حدیث بهداشت / حبیب الله منان
۳۰. سوره لقمان / ت: محمدالله حلیم
۳۱. سوره یاسین / ت: محمد الله حکیم
۳۲. قصه کربلا / ت: عبدالحکیم کمالی
۳۳. منتخب میزان الحکمة، ج۱ـ۴ / ت: عبدالحکیم کمالی، امان الله بابایی
۳۴. نگین آفرینش / الیاس قاسم‌اف

آذری

۳۵. السلف و السلفیون / ت: توفیق اسداف
۳۶. مهدویت و جهانی‌سازی / ت: شکراف

اردو

۳۷. امتیازات علوی / ت: سید شاهد حسین رضوی هندی
۳۸. گزیده غررالحکم و دررالکلم ت: محمد فائز باقری
۳۹. نظام عادلانه اسلام / غلام اکبر حیدری
۴۰. یک گام بسوی ظهور / مدرسه امام خمینی قدس سره

تامیلی

۴۱. تاریخ شیعه و اعتقاداتشان / محمد نظام الدین

بنگلایی

۴۲. آن‌چه یک زن مسلمان باید بداند / میراشرف العالم

چاپ ۱۳۸۶

فارسی

۱. اسماعیلیه از ابتدا تا حال / محمد سعید بهمن‌پور
۲. اعجاز قرآن از دیدگاه مستشرقان / رئیس اعظم شاهد
۳. آشنایی با ادیان بزرگ / حسین توفیقی
۴. آموزه‌های گام به گام نستعلیق / حسن آهنگران
۵. پله پله تا آسمان علم / محمد عابدی
۶. تاریخ تشیع در افغانستان / عبدالمجید ناصری داوودی
۷. حقیقت محمدیه و افراد انسان از ازل تا ابد در مکتب ابن عربی / امداد توران
۸. درآمدی بر برنامه‌ریزی آموزش عالی دین / ت: نورالهدی توفیق ـ علی زاهدی‌پور
۹. درآمدی بر تئوری‌های حاکمیت / سید محمد مصطفوی
۱۰. سنت‌های اجتماعی الهی در قرآن / احمد مرادخانی تهرانی

۱۱. سیر تدوین و تطور تفسیر علمی قرآن / ناصر رفیعی محمدی
۱۲. سیمای جهاد و مجاهدان در قرآن (تفسیر سوره انفال) / علی شیروانی
۱۳. مکه در بستر تاریخ / نعمت الله صفری فروشانی
۱۴. منطق ترجمه قرآن / محمد علی رضایی اصفهانی
۱۵. منطق مقدماتی / ابوالفضل روحی

عربی

۱۶. التفسیر المیسر / سید محمد شاهدی
۱۷. التفسیر و المفسرون / سید محمد شاهدی
۱۸. التلقیح الصناعی بین العلم و الشریعة / سید کاظم العذاری
۱۹. الجبر و الاختیار / ت: حسین الواسطی
۲۰. دروس فی التاریخ عصر الغیبه / تعریب: انور الرصافی
۲۱. روایات سهو النبی الاکرم ﷺ ... / قیصر التمیمی
۲۲. نقد آراء ذهبی فی کتاب التفسیر و المفسّرون / قاسم البیضانی

انگلیسی

۲۳. درآمدی بر فلسفه اسلامی / عبدالرسول

تاجیکی

۲۴. این است دین اسلام / سید یونس استروشنی
۲۵. تفسیر سوره نور / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۶. زهرا(س) برترین بانوی جهان / ت: جمعی از مترجمان
۲۷. گزیده تحف العقول / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۸. گزیده شهاب الاخبار / ت: عبدالحکیم کمالی
۲۹. گزیده غررالحکم و دررالکلم / ت: عبدالحکیم کمالی

اردو

۳۰. امام حسن و امام حسین(ع) از نظر اهل سنت / سید محمد علی موسوی
۳۱. اهل‌بیت(ع) سفینة النجاة / غلام محمد فخر الدین نجفی
۳۲. اهل‌بیت(ع) کشتی نجات / محمد باقر مقدسی
۳۳. آثار و برکات نماز / رجب‌علی حیدری مظفرنگری
۳۴. بررسی و تحلیل وجود جن و کارکردهای آن / سید مرادرضا رضوی
۳۵. تعلیمات علوی / مؤسسه فکر اسلامی
۳۶. سنن النبی ﷺ / ت: کرار حسین اظهری مبارک‌پورهندی
۳۷. سید رضی؛ زندگی و کارنامه / زاهد علی هندی
۳۸. صبح انتظار / ت: اخلاق حسین
۳۹. غدیرشناسی و پاسخ به شبهات / ت: اقبال حیدر حیدری
۴۰. فی رحاب العقیده، ج۱ـ۳ / ت: شاه مظاهر حسین
۴۱. الگوهای فضیلت / ابراهیم امینی
۴۲. مفاهیم اعتقادی / صالح قنادی

بنگلایی

۴۳. تاریخ سرگذشت حدیث / مطیع الرحمان

روسی

۴۴. داستان‌های قرآن به قلم روان / ت: محمدحسین‌اف

چاپ ۱۳۸۵

فارسی

۱. احکام و مقررات شکار و صید / علی‌اکبر صادقی
۲. اخلاق تبلیغ در سیره رسول الله ﷺ / سید مرتضی حسینی
۳. اصول تدوین ضوابط و مقررات / دفتر بهبود روش‌ها و برنامه‌ریزی سازمانی گروه قوانین و مقررات
۴. آداب اسلامی، ج۱ـ۲ / محمد عندلیب
۵. آشنایی با تاریخ و منابع حدیثی / علی نصیری
۶. بطن قرآن از دیدگاه شیعه و اهل سنت / سید حیدر طباطبایی
۷. بلمی به سوی ساحل (زبان تصویر۱) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۸. حکومت دینی در اندیشه امام خمینی(ره) و ابوالاعلی مودودی / ضامن علی حبیی
۹. خدا و صفات خدا در مکتب امامیه و ماتریدیه / حیات الله ناطقی
۱۰. در انتظار خورشید / جمعی از مؤلفان
۱۱. درآمدی بر ساختار اداری حکومت اسلامی / عبدالعلی محمدی
۱۲. رابطه قرآن و عترت از دیدگاه شیعه و اهل سنت / فدا حسین عابدی
۱۳. سیره تبلیغی پیامبر اعظم ﷺ / سارا رضایی
۱۴. شرح مولد النبی / ت: جمعی از مؤلفان
۱۵. شناخت ادیان ۲ / سید احمد محمودی
۱۶. شناخت مذاهب اسلامی، ج۱ـ۲ / سید احمد محمودی
۱۷. صف و ستاد در سازمان / گروه امور سازمانی دفتر بهبود روش‌ها و برنامه‌ریزی سازمانی
۱۸. قضاوت زن از دیدگاه فقه شیعه / سید محمد یعقوب موسوی
۱۹. مبانی جامعه‌شناسی / مجید کافی
۲۰. مفاهیم اخلاقی / صالح قنادی
۲۱. نقش حسابداری در توسعه اقتصادی / احمد صادقی گلمکانی، محسن برزوزاده

عربی

۲۲. اسباب النزول القرآنی؛ تاریخ و حقائق / حسن محسن حیدر
۲۳. تاریخ اسلام، ج۱ـ۴ / سید منذر حکیم
۲۴. قواعد الاملاء / عبدالهادی شریفی
۲۵. مصادر السنة الشریفه / سید محمد جواد جلالی
۲۶. نظریة العرف بین الشریعة والقانون / السید نذیر الحسنی

انگلیسی

۲۷. اصول الفقه / محمد علی شمالی

تاجیکی

۲۸. تفسیر سوره فرقان / ت: جمعی از مترجمان
۲۹. دوستی در کتاب سنت / ت: حکیم جان کمالی
۳۰. مودة القربی و اهل العبا / ت: الیاس قاسم

آذری

۳۱. الهیات تطبیقی: اسلام و مسیحیت / توفیق اسداف و افضل‌الدین رحیم‌اف
۳۲. سیره پیشوایان / ت: مانیس حق‌وردی‌اف

اردو

۳۳. اسرار نماز / رجبعلی حیدری مظفرنگری
۳۴. تعلیمات نهج البلاغه / سعی و اهتمام: مؤسسه فکر اسلامی انگلستان
۳۵. جوابات سخنان سپاه صحابه / ت: سید ابو محمد نقوی
۳۶. سیری در صحیحین / ت: محمد منیرخان
۳۷. نقوش فقیه در غیبت امام زمان(عج) / سید شمشاد حسین رضوی

بنگلایی

۳۸. شیعه‌شناسی در تاریخ اسلام / حیدر علی بنگالی

چاپ ۱۳۸۴

فارسی

۱. اهل‌بیت(ع) از دیدگاه اهل سنت / سید ابوالحسن باقری
۲. آموزش فارسی به فارسی(کتاب چهارم و پنجم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳. آموزش فارسی به فارسی(کتاب دوم و سوم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۴. تفسیر تطبیقی آیه مودّت / فدا حسین عابدی
۵. تفسیر مقدماتی قرآن کریم / محمد علی رضایی‌اصفهانی
۶. حقوق اهل‌بیت(ع) در تفاسیر اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۷. در جست وجوی حق / حیدر مظفری ورسی
۸. راز آفرینش اهل‌بیت(ع) / سید محمد علی موسوی
۹. زنگ‌ها (زبان تصویر۲) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۰. سفیر (زبان تصویر۵) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۱۱. فلسفه اخلاق / حسن معلمی
۱۲. میراث تفسیری اهل‌بیت(ع) / سید حسین هاشمی
۱۳. نقد احادیث مهدویت از دیدگاه اهل سنت / محمد یعقوب بشوی
۱۴. یاس‌های وحشی (زبان تصویر۴) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی

عربی

۱۵. الاحوال الشخصیة(الطلاق) / السید محمدکاظم المصطفوی
۱۶. تحریر الاسفار للمولی صدرالدین الشیرازی، ج۱-۳ / علی الشیروانی
۱۷. دروس فی الاحکام الاسلامیة، ج۱ـ۲ / شیخ عبدالکریم ال نیف
۱۸. دروس فی الاحکام الاسلامیة، ج۱ـ۲ / عبدالکریم بهبهانی
۱۹. کیف نحفظ القرآن / شهریار پرهیزگار

تاجیکی

۲۰. سفارشات پیامبر اکرم ﷺ به دختران و زنان / اکرم خان زیاد الله
۲۱. یوسف قرآن (تفسیر سوره یوسف) / ت: امان الله بابایی

آذری

۲۲. معصومان امت اسلامی(تفسیر تطبیقی آیه تطهیر) / ایلقار اسماعیل‌زاده/۸۴

اردو

۲۳. علوم قرآنی / حسین جوان آراسته

بنگلایی

۲۴. تفسیر آیات ولایت / ت: محمد سمیع الحق
۲۵. داستان‌های بحارالانوار / ت: محمد علی مرتضی

هوسایی

۲۶. وهابیت؛ مبانی فکری و کارنامه عملی / ت: یونس محمدثانی

تامیلی

۲۷. اعتقاد ما / ت: محمد نظام‌الدین

چاپ ۱۳۸۳

فارسی

۱. آموزش فارسی به فارسی(کتاب ششم) / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۲. تمرین کتاب ششم / مرکز آموزش زبان و معارف اسلامی
۳. نگره‌های عمده در پیوند دین و فلسفه / سید محمد مهدی افضلی
۴. ولایت در پرتو آیات / علی جان محمدی (قره‌باغی)

عربی

۵. الاخلاق السیاسیة فی المنهج الاسلامی / شهاب الدین الحسینی
۶. الاخلاق والحضارة / علی حسن الیاسری
۷. الخلود فی جهنم / محمد عبدالخالق کاظم
۸. دروس فی علم الاصول / سید محمد باقر حکیم
۹. فلسفة التربیة فی الاسلام / السید نذیر الحسنی
۱۰. فی الاخلاق النظریة / السید عبدالهادی الشریفی
۱۱. القصص القرآنی / سید محمد باقر حکیم
۱۲. القواعد الفقهیه / سید کاظم مصطفوی، سیدعبدالهادی شریفی
۱۳. المعاد الجسمانی / شاکر عطیة الساعدی
۱۴. الموجز فی تاریخ الادب العربی / سید عبدالهادی شریفی

انگلیسی

۱۵. انسان و سرنوشت / ت: محمد اشرف شجاع
۱۶. خدمات متقابل اسلام و ایران / ت: مینا بوکار، ادریس تیجانی سماری
۱۷. رساله‌ای کوتاه در باب ضیافت الهی / محمد .م. خلفان
۱۸. عدل الهی / ت: شجاع علی میرزا و...

آذری

۱۹. اعتقاد ما / ت: افضل‌الدین رحیم‌اف
۲۰. منجی (امام مهدی علیه السلام از دیدگاه قرآن و حدیث)/ ایلقار اسماعیل‌زاده

اردو

۲۱. تاریخ فدك / وزیر عباس حیدری مظفرنگری

ترکی استانبولی

۲۲. جلوه نور(حضرت فاطمه زهرا علیها السلام) / ت: محمد امین

روسی

۲۳. در جست وجوی فرقه ناجیه / ناظم زینال او

آلمانی

۲۴. بر درگاه دوست / ت: محمد اریش والدمن

هندی

۲۵. اعتقاد ما / ت: سیدقمر غازی / هندی

چاپ ۱۳۸۲

فارسی

۱. تفسیر تطبیقی آیه تطهیر از دیدگاه اهل بیت علیهم السلام و اهل سنت.../ ایلقار اسماعیل‌زاده
۲. جای پای آفتاب / سید علی نقی میرحسینی
۳. زنان دین گستر در تاریخ اسلام / طاهره روحانی
۴. شخصیت و حقوق زن در اسلام، ج۲ـ۳ / جمعی از مؤلفان
۵. شناخت ادیان ۱ / سید احمد محمودی
۶. علم الدرایة تطبیقی / سید رضا مؤدب
۷. مجموعه مقالات سمینار افغانستان و قانون اساسی آینده، ج۱ـ۲ / مجمع محققین و طلاب افغانستان

زبان عربی

۸. حوار الحقیقة فی ضوء رؤیة التوحد الدینی الثقافی / تحسین البدری
۹. العدالة الاجتماعیة فی الاسلام / سید فاضل موسوی جابری
۱۰. قبسات من سیرة القادة الهداة، ج۱ـ۲ / سید منذر حکیم
۱۱. محاضرات فی علوم القرآن / محمد علی تسخیری

انگلیسی

۱۲. مصحف امیرالمؤمنین علیه السلام / ت: عبداللهی احمد زنگو

زبان اردو

۱۳. آفتاب فقاهت / محمدیعقوب بشوی

ترکی استانبولی

۱۴. بازگشت به عصر دین / ت: قدری چلیك

زبان بنگلایی

۱۵. آموزش نماز / محمد زین العابدین ایوبی

چاپ ۱۳۸۱

فارسی

۱. آزادی اراده انسان در کلام اسلامی / طاهره روحانی، حلیمه حسینی
۲. روش تدریس / حسین سپهری
۳. رویارویی تمدن اسلامی و مدرنیته / سید محمد عارف حسینی
۴. علم و عقل از دیدگاه مکتب تفکیك / سید عباس مرتضوی
۵. مفاهیم اعتقادی / صالح قنادی

عربی

۶. الامام علی علیه السلام و تنمیة ثقافة اهل الکوفة / محمد العبادی
۷. الدولة الاسلامیة من التوحید الی المدنیة / نزار عیدانی
۸. علم الکلام المعاصر / حیدر حب الله
۹. الفقه المقارن / سید کاظم مصطفوی

چاپ ۱۳۸۰_۱۳۷۶

فارسی

۱. آموزش منطق / غرویان / ۸۰
۲. علوم قرآنی / محمد جواد اسکندرلو / ۸۰
۳. آموزش کلام اسلامی ۲ / محمد سعیدی مهر / ۷۸
۴. جغرافیای سیاسی جهان اسلام / عزةالله عزتی / ۷۸
۵. سیره اهل بیت علیهم السلام / عبدالرحمان، عبدالخالق / ۷۸
۶. علم حدیث و درایه / نوروز شاه امیرخان / ۷۸
۷. مبانی مطالعات سیاسی ـ اجتماعی، ج۱ـ۲ / محمدرضا حافظنیا / ۷۸
۸. اصول دین در قرآن کریم / مؤسسه معارف اسلامی / ۷۷
۹. درآمدی بر نظام تربیتی اسلام / محمدعلی حاجی ده‌آبادی / ۷۷
۱۰. شرح منظومه بر قبساتی از قصیده فرزدق / جوهری استروشنی، سید زفرخان، تحقیق و تعلیق ملامعروف جان اشتروشنی / ۷۷

زبان عربی

۱۱. آداب التلاوة (دوزبانه) / محمد غلامی / ۷۸
۱۲. بدایة المبتدی / سید یونس استروشنی / ۷۸
۱۳. تاریخ الادب العربی / عبدالهادی شریفی / ۷۸
۱۴. موجز الادب العربی و تاریخه / محمد علی آذر شب / ۷۸
۱۵. فضل القرآن / محمد غلامی / ۷۶

زبان تاجیکی

۱۶. احکام روزه / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۱۷. احکام زکات / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۱۸. احکام نکاح و طلاق / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۱۹. آموزش نماز / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۲۰. چرا از اسلام روگردانی / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۲۱. چهل حدیث / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷
۲۲. نگاهی به زندگانی پیامبر صلی الله علیه و آله / کمیته فرهنگی نهضت اسلامی تاجیکستان / ۷۷